فريدريك نيتشه

رسائل نيتشه

مختارات من سيرته وفلسفته

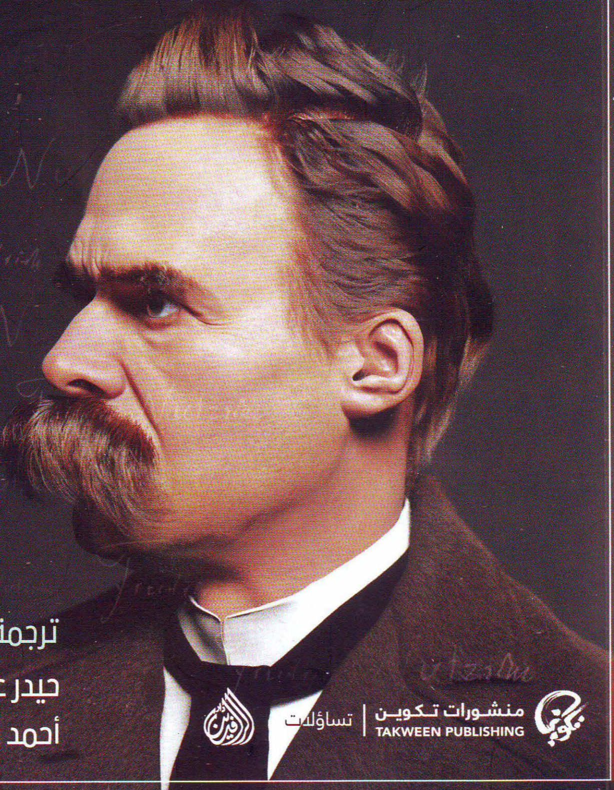

ترجمة

حيدر عبدالواحد

أحمد رضا

منشورات تكوين
TAKWEEN PUBLISHING
تساؤلات

رسائل نيتشه

مختارات من سيرته وفلسفته

رسائل نيتشه

مختارات من سيرته وفلسفته

ترجمة: حيدر عبد الواحد / أحمد رضا

Nietzche Letters

An Anthology of His Biography and Philosophy

Translated by Haidar Abdil-Wahid & Ahmad Ridha

الطبعة الأولى: يوليو ـ تموز، 2020 (3000 نسخة)

Copyrights@Dar Al-Rafidain & Takween 2020

(C) جميع حقوق الطبع محفوظة / All Rights Reserved

حقوق النشر تعزز الإبداع، تشجع الطروحات المتنوعة والمختلفة، تطلق حرية التعبير، وتخلق ثقافة نابضة بالحياة. شكراً جزيلاً لك لشرائك نسخةً أصليةً من هذا الكتاب ولاحترامك حقوق النشر من خلال امتناعك عن إعادة إنتاجه أو نسخه أو تصويره أو توزيعه أو أيٍّ من أجزائه بأي شكلٍ من الأشكال دون إذن. أنت تدعم الكتّاب والمترجمين وتسمح للرافدين أن تستمرّ برفد جميع القراء بالكتب.

لبنان ـ بيروت / الحمرا

تلفون: 345683 1 961+ / 541980 1 961+

بغداد ـ العراق / شارع المتنبي عمارة الكاهجي

تلفون: 9647714440520+ / 9647811005860+

info@daralrafidain.com
daralrafidain@yahoo.com
www.daralrafidain.com
dar alrafidain
Dar.alrafidain
@daralrafidainدار الرافدين

منشورات تكوين للنشر والتوزيع
الكويت ـ الشويخ الصناعية الجديدة
تلفون: 96598810440 +
بغداد ـ شارع المتنبي، بناية الكاهجي
تلفون: 9647811005860 +
الموقع الالكتروني:
www.takweeen.com
البريد الالكتروني:
Publishing@takweeen.com

تنبيه: إن جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبّر عن رأي كاتبها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي الناشر.

ISBN: 978 - 9922 - 634 - 18 - 0

صورة الغلاف: هي منحوتة افتراضية، ثلاثية الأبعاد، تجسّد ملامح فريدريك نيتشه الحقيقية، صممها النحات والفنان الإيراني هادي كريمي، باستخدام برامج متطورة وحديثة «Zbrush» و«Cinema HD». استخدامنا لهذه الصورة بإذن خاص من المصمم.

رسائل نيتشه

مختارات من سيرته وفلسفته

ترجمة:

حيدر عبد الواحد

أحمد رضا

www.daralrafidain.com

منشورات تكوين | تساؤلات

TAKWEEN PUBLISHING

الفهرس

مقدمة المترجم 13

القسم الأول 1861 ـ 1869

1. رسالة إلى صديقي، أوصيه فيها أن يقرأ لشاعري المفضَّل 23
2.إلى إليزابيث نيتشه 28
3.إلى كارل فون غيرسدورف 35
4.إلى فرانسيسكا وإليزابيث نيتشه 40
5.إلى كارل فون غيرسدورف 44

القسم الثاني1869 ـ 1876

6.إلى ريتشارد فاغنر 57
7. إلى إليزابيث نيتشه 59
8. إلى غوستاف كروغ 62
9. إلى بول دويسن 66
10. إلى كارل فون غيرسدورف 68
11. إلى ريتشارد فاغنر 71
12. إلى إرفين روده 73
13. إلى فرانزيكا نيتشه 75
14. إلى ريتشارد فاغنر 77
15. إلى إرفين روده 79
16. إلى كارل فون جيرسدروف 83
17. إلى إرفين روده 86

18. إلى فيلهيلم فيشار بيلفينغر 89
19. إلى إرفين روده 94
20. إلى كارل فون غيرسدورف 98
21. إلى كارل فون غيرسدورف 101
22. إلى إرفين روده 105
23. إلى فرانسيسكا وإليزابيث نيتشه 108
24. إلى فرانسيسكا وإليزابيث نيتشه 111
25. إلى غوستاف كروغ 114
26. إلى ريتشارد فاغنر (مسودة) 117
27. إلى ريتشارد فاغنر 118
28. إلى إرفين روده 120
29. إلى فريدريك ريتشل 122
30. إلى مالفيدا فون مايزنبوغ 124
31. إلى هانز فون بولاو (مسودة) 126
32. إلى ريتشارد فاغنر 129
33. إلى ريتشارد فاغنر 133
34. إلى مالفيدا فون مايزنبوغ 136
35. إلى كارل فون غيرسدروف 138
36. إلى كارل فون غيرسدورف 141
37. إلى مالفيدا فون مايسنبوغ: 143
38. إلى هانز فون بولاو 146
39. إلى إرفين روده 148
40. إلى ريتشارد فاغنر 152
41. إلى إرفين روده 155
42. كارل فون غيرسدورف 159
43. إلى ماتيلده ترامبداخ 162
44. إلى مالفيدا فون مايزنبوغ 164

45. فريدريك نيتشه 166
46. إلى إرفين روده 167
47. إلى إليزابيث نيتشه 170
48.إلى ريتشارد فاغنر 172

القسم الثالث 1877 ـ 1882

49. إلى فرانسيسكا نيتشه 181
50. إلى إليزابيث نيتشه 183
51. إلى مالفيدا فون مايزنبوغ 185
52. إلى مالفيدا فون مايزنبوغ 190
53. إلى كارل فوكس 193
54. إلى إروين روده 197
55. إلى مالفيدا فون مايزنبوغ 200
56.إلى راينهارد فون سايدلتز 202
57.إلى بيتر غاست 204
58.إلى ماتيلده ماير 206
59.إلى بيتر غاست 208
60. إلى مالفيدا فون مايزنبوغ 211
61. إلى بيتر غاست 213
62. إلى فرانز أوفربيك 217
63. إلى إروين روده 220
64. إلى فرانز أوفربيك 223
65. إلى إليزابيث نيتشه 224
66. إلى فرانز أوفربيك 225
67. إلى بيتر غاست 226
68. إلى فرانز أوفربيك 229
69. إلى بيتر غاست 230
70. إلى إليزابيث نيتشه 231

71. إلى بيتر غاست 232
72. إلى لو سالومي 235
73. إلى لو سالومي 236
74. إلى باول ريه 238
75. إلى لو سالومي 240
76. إلى لو سالومي 242
77. إلى فرانسيسكا نيتشه 244
78. إلى بيتر غاست 246
79. إلى إروين روده 248
80. إلى لو سالومي 250
81. إلى بيتر غاست 252
82. إلى ياكوب بوركهارت 255
83. إلى لو سالومي 256
84. إلى لو سالومي 258
85. إلى فرانز أوفربيك 261
86. إلى فرانز أوفربيك 264
87. إلى باول ري 267
88. إلى هاينريش فون شتاين 268
89. إلى لو سالومي وباول ري (كسرة من النص) 270
90. إلى فرانز أوفربيك 271

القسم الرابع 1883 ـ 1889

91. إلى فرانز أوفربيك 281
92. إلى بيتر غاست 284
93. إلى فرانز أوفربيك 287
94. إلى فرانز أوفربيك 289
95. إلى مالفيدا فون مايزنبوغ 291
96. إلى بيتر غاست 292

97. إلى كارل فون غيرسدورف 294
98. إلى فرانز أوفربيك 297
99. إلى مالفيدا فون مايزنبوغ 300
100. إلى بيتر غاست 302
101. إلى فرانز أوفربيك 305
102. إلى إروين روده 308
103. إلى فرانز أوفربيك 311
104. إلى فرانز أوفربيك 315
105. إلى فرانز أوفربيك 317
106. إلى بيتر غاست 320
107. إلى هاينريش فون شتاين 323
108. إلى فرانسيسكا نيتشه 325
109. إلى كارل فوكس 327
110. إلى كارل فون غيرسدورف 332
111. إلى مالفيدا فون مايزنبوغ 334
112. إلى فرانسيسكا وإليزابيث نيتشه 337
113. إلى فرانز أوفربيك 340
114. إلى إليزابيث نيتشه 343
115. إلى فرانسيسكا نيتشه 346
116. إلى بيتر غاست 349
117. إلى فرانز أوفربيك 352
118. إلى هاينريش فون شتاين 355
119. إلى فرانز أوفربيك 357
120. إلى برنهارد وإليزابيث فورستر ـ نيتشه 360
121. إلى إروين روده 363
122. إلى فرانز أوفربيك 366
123. إلى فرانز أوفربيك 369

124. إلى ياكوب بوركهارت 371
125. إلى مالفيدا فون مايزنبوغ 373
126. إلى غوتفريد كيلر 376
127. هيبوليت تاين إلى نيتشه 377
128. إلى فرانز أوفربيك 379
129. إلى بيتر غاست 380
130. إلى فرانز أوفربيك 383
131. إلى راينهارت فون سايدلتز 387
132. إلى فرانز أوفربيك 390
133. إلى مالفيدا فون مايزنبوغ 393
134. إلى هيبوليت تاين 397
135. هيبوليت تاين إلى نيتشه 400
136. إلى بيتر غاست 401
137. إلى فرانسيسكا نيتشه 405
138. إلى بيتر غاست 408
139. إلى بيتر غاست 412
140. إلى إروين روده 416
141. إلى بيتر غاست 418
142. براندس إلى نيتشه 421
143. إلى غيورغ براندس 424
144. إلى بيتر غاست 427
145. براندس إلى نيتشه 430
146. نيتشه إلى براندس 434
147. براندس إلى نيتشه 436
148. إلى فرانز أوفربيك 439
149. إلى راينهارت فون سايدلتز 442
150. إلى غيورغ براندس 445

151. إلى بيتر غاست 448
152. براندس إلى نيتشه 452
153. نيتشه إلى براندس 456
154. إلى فرانسيسكا نيتشه 458
155. براندس إلى نيتشه 461
156. إلى بيتر غاست 463
157. إلى غيورغ براندس 467
158. براندس إلى نيتشه 472
159. نيتشه إلى براندس 474
160. نيتشه إلى براندس 476
161. براندس إلى نيتشه 478
162. إلى بيتر غاست 480
163. إلى كارل نورتز1 483
164. إلى مالفيدا فون مايسينبوغ 486
165. نيتشه إلى براندس 489
166. براندس إلى نيتشه 491
167. إلى مالفيدا فون مايسينبوغ 494
168. نيتشه إلى براندس 495
169. براندس إلى نيتشه 497
170. إلى بيتر غاست 499
171. نيتشه إلى براندس 502
172. براندس إلى نيتشه 505
173. نيتشه إلى سترندبرغ 508
174. سترندبرغ إلى نيتشه 511
175. نيتشه إلى سترندبرغ 513
176. نيتشه إلى سترندبرغ 515
177. سترندبرغ إلى نيتشه 517

178.نيتشه إلى سترندبرغ 519
179. إلى إليزابيث نيتشه (مسودة) 522
180.نيتشه إلى هيبوليت تاين 524
181.هيبوليت تاين إلى نيتشه 525

مقدمة المترجم

ربما لم تشهد ساحة الفكر المعاصر مفكراً أثار هذا الحجم من الجدل والاختصام والتخمين بقدر ما فعل فريدريك نيتشه (1844 ـ 1900). فمؤلفاته التي لم تتقيد بمنهج ثابت، وشذراته التي تتحمل أكثر من تأويل أحياناً، وتستعصي على التأويل أحياناً أخرى، كانت منبعاً لآراء لا تحصى وانطباعات شتى في كل المجالات التي تعرض لها (كالفلسفة، الجمال، الموسيقى، التاريخ، والتربية ـ لو سمينا قلة فقط)، وكذلك رافداً لنقاشات حافلة بين أجنحة الفكر السياسي والاجتماعي على تنوعها.

ولكن الكثير من القراء ـ رغم معرفتهم بالكثير مما دوَّنه نيتشه وتحدَّث عنه ـ يضلون الطريق أمام السؤال الآتي: أيّ إنسان كان نيتشه؟ فيم كان يفكر حين كان يخلد للنوم عقب ليلة مؤرقة، أو في خضم نوبة صداع مدمرة؟ ما الذي كان يستهويه أن يبحث ويدقق فيه، وما الذي فضل تجاهله والاستغناء عنه؟

فحتى بالنسبة لأشد نقاده تعمقاً مثل جورج لوكاش (في كتاب **تحطيم العقل**)، يظل نيتشه أشبه بلغز محير. فكتبه غريبة متفردة جداً، تولدت عن تساؤلات من رحم الموت والألم، بنحو أشبه بنثار متبلور من موجات دماغ هائلة. وهو بلا شك يظل أحد المتحدّين للموت في القرن التاسع عشر، بنحو شبيه بكيركغورد، بودلير، دوستويفسكي، وأخيراً (وليس

آخراً) بفاغنر. ناهيك عن تعاطف نيتشه الشاعري الأعمق مع الرومانسي هولدرلين، الذي يتجلى في تعابيره ويقر به بكل ثقة. ولذا فإن المرء يؤمل أن تمنحنا رسائله فرصة للكشف عن الإنسان الكامن وراء شعار «اللاأخلاقي»، ووراء ذلك النذير المحمل بالرعب الماورائي، ذي اليدين الرشيقتين والشاربين الشهيرين. ولكن نيتشه ظل شخصاً متحفظاً، في محادثاته كما في رسائله. وما هذه الرسائل إلّا لقطات من الأعلى تنبئ ببعض المعالم عن دهليز متوغل في الأعماق.

تظل رسائل نيتشه، حتى بلوغه الثانية والثلاثين عام 1876، تحمل بعض مظاهر الصداقة والود: مع غيرسدورف، مع روده، ومع الأم الرؤوم مالفيدا فون مايزنبوغ. لقد كان يريد من ذلك تكوين نظام من الأصدقاء، يدور حول مركز روحي في بايرويت، ويرمي عبره إلى استنهاض وتحويل المجتمع الألماني على النهج الذي حلم به شوبنهاور وفاغنر. وحتى في عام 1884، فقد ظل نيتشه يحلم بتشكيل «أخوية العلم المرح» في نيس. ولكنه من بعد 1876 بات بنحو ثابت أشد وعياً بعزلته: أي باغتراب عقله، و«استحالة تواصل القلب». نجده يكتب لفاغنر في نوفمبر 1872 أنه يعيش «في خضم نظام شمسي من الصداقة المحبة». لكنه في الشهر ذاته يكتب لمالفيدا: «لماذا بحق السماء لم أكتب إليك طوال كل هذه المدة؟ هذا ما أتساءل عنه متعجباً، دون أن أعثر على أسباب جيدة أو أعذار حتى. لكني كثيراً ما وجدت صعوبة في العزم على الكتابة إلى أولئك الذين أفكر فيهم أكثر من سواهم. لكني لا أفهم ذلك... فهناك الكثير من اللاعقلانية، والنسيان وحده يمكن أن يعين المرء عليها». وقبل أحد عشر شهراً من انهياره العصبي، نرى لمحة وجيزة مما وراء القناع الحديدي لتلك العزلة الّتي

فرضها (وخلقها) ذاتياً: «إن الفقدان الأبدي **لحبّ بشري شافٍ** ومنعش حقاً، والعزلة العبثية التي يقتضيها ذلك، تجعل معظم ما تبقى من الصلات مع البشر مجرد شيء جارح للمرء ـ وذلك كله أمر سيئ للغاية وليس حقاً إلّا بذاته، لأنه يملك الحق في أن يعد ضرورياً». لكنه يكتب بعد خمسة أشهر: «... ثمة فراغ ضخم يحيط بي حرفياً، ما من شخص يمكنه أن يفهم موقفي. والأمر الأسوأ أني، دون شك، لم أسمع لعشر سنوات كلمة واحدة تمكنت من النفاذ فيّ بحق...»

ولا شك أن تجاربه خلال النصف الثاني من عام 1882 قد وطدت هذه العزلة، التي تسامى منها كتاب **زرادشت**. حتى أنه ذهب إلى حد القول في فبراير 1883: «كل علاقاتي الإنسانية ترتبط بقناع لي، وعليّ أن أكون دائمًا ضحية عيشي لحياة خفية تمامًا». ومع ذلك فقد كان هذا كله جزءًا من بنيته كإنسان. كان ذلك هو سياق ما سماه «ضراوة نبضاتي الداخلية» ـ أو الحضور والتكرار في «مقياس خبراتي وظروفي... لنغمات ذات نبرة أندر، وأبعد، وأرفع درجة من تلك العادية في المنتصف» (1887). هذا النوع من البراعة الذي رعاه ونمّاه (كما نمّى كافكا فيما بعد غرابة أطواره الفريدة) يلاحظ عنده في وقت مبكر من عام 1871، عندما كتب «كل شيء يتبقى ولا يمكن إدراكه بدلالة العلاقات الموسيقية يثير فيَّ الاشمئزاز والرعب بالطبع». والهرطقة التامة لكتاباته الأخيرة مشتقة من هذا الوضع البشري شبه المتعذر. إنه «يقطر بالدم» كما كتب عن القسم الثاني من **زرادشت** عام 1883. وهذه الهرطقة نابعة من الرعب والبهجة في بحثه عن النقيض الفكري، وهو لا يزال محاصراً في القشرة البشرية.

لم يمكن لثورة نيتشه ضد الأخلاق السائدة أن تكون بهذا العمق

والجرأة من دون هذا الاغتراب. ورسائله تظهر أنها لم تكن مجرد ثورة بدون أهداف، وأنك إن لم تعارض شيئاً ما فلست مؤيداً لشيء آخر، وأنك ستنتهي لو كنت وحدك نصيراً لنفسك. وقد عرّف نيتشه أهدافه ومخاطرها على النحو التالي عام 1876: «منذ أن اختفى الاعتقاد بأن الله يوجهً مصير العالم... فعلى البشرية نفسها أن تضع أهدافا عالمية تشمل الأرض كلها... فإن لم يرغب البشر بتدمير أنفسهم عبر الامتلاك الواعي لمثل هذا الحكم الشامل، عليهم أولاً وقبل كل شيء أن يحققوا معرفة غير مسبوقة بالشروط المسبقة للثقافة، مثل معيار علمي تقاس به الأهداف العالمية. وهنا تكمن المهمة الهائلة التي تواجه العقول العظيمة في القرن المقبل». ومنذ ذلك الحين، فقد كتب الكثير بهدف تحديد هذه الشروط المسبقة للثقافة.

والأمر المذهل في نيتشه هو بالطبع تلك الثروة الهائلة من الأفكار، الأسئلة، والتعريفات لمشاعر جديدة ـ أي التنظيم الدقيق لحدوسه العميقة ـ التي تدفقت من دماغه في هذا السياق من العزلة، وليس بالرغم من عبقريته في تجنب الاتصال مع الناس ولكن نتيجة لها. ومن الناحية الأسلوبية أيضاً، فإنه مع الأشخاص غالباً ما يكون رسمياً، أو دفاعياً، مقنّعاً، متذمراً أو متوتراً بفظاعة؛ ومع أنه كثيراً ما يكتب عن الأهوال التي تراوده عاماً بعد عام، فنادراً ما نراه يكشف عن قلبه المعذب. ولكن نثره لا يتألق إلّا حين يكون على صلة صريحة مع هذه الفكرة.

وفي هذه الباقة المنتقاة، كان وراءها مقصدان. الأول هو تمكين القارئ من الشعور بأنه كان في حضور نيتشه. وكان التحدي هنا هو التحفظ الذي لازم نيتشه. فنظراً لقلقه الدائم على ذاته، نادراً ما يأخذنا إلى المشاهد الأكثر قتامة في متاهته، وقد تنتهي الفترات بنقاط مشفرة عندما

يفعل ذلك. إنه متمكن من أحد أنواع الصمت الحاسم. كما أردنا أيضاً أن يتجلى نيتشه الملموس هذا بأكبر قدر ممكن من الشفافية ـ ببنيته الذاتية المتطورة والخالدة. وكان المقصد الثاني هو التركيز على الرسائل التي تشير إلى ضغوط وتحولات حياته، وتكشف عن شيء من تصميمها. من بين الرسائل المعنية بالسيرة الذاتية، كانت المفضلة منها هي التي تعطي لمحة عن تلك «المزاجات» التي زرعها من البداية إلى النهاية، وشكلت تحولات فكره بنحو أو آخر.

لقد اعتمدنا في هذا الكتاب على مختارات كريستوفر ميدلتون، الشاعر البريطاني وأستاذ الأدب الألماني، الذي سبر مراسلات نيتشه الكاملة بحثاً عن تلك الرسائل الغنية التي يمكن أن تمنحنا صورة ظلية (مهما كانت جزئية) عن الحياة الداخلية الفكرية والنفسية لهذا المفكر الأخاذ، والفيلسوف الذي ما انفك يثير الجدل على مر الأجيال، واضفنا بعض الرسائل مما وجدنا بها اهمية ولم تكن من اختيارات ميدلتون. كما اقتطفنا في هذه المقدمة من بصائره القيمة التي صدر بها مجموعته تلك، توخيا للدقة في المعاني وحرصا على أن يتعرف القارئ على طبيعة هذه المختارات.

وقد آثرنا أن تتبع الرسائل ترتيباً زمنياً، يعكس المراحل المتعاقبة في حياة نيتشه، والخط المتعرج الذي مرت به أفكاره، وكذلك التقلبات العنيفة التي لم يخل منها شطر من حياته كبالغ، ذلك لأنه ـ رغم محدودية شهرته خلال حياته ـ قد تفاعل بوضوح مع التيارات الفكرية المتصاعدة في أوربا خلال القرن التاسع عشر، وانعكست هذه التفاعلات في طيات كتبه المؤلفة تباعاً.

آمل أن تكون هذه الإضمامة إضافة بسيطة إلى المكتبة النيتشوية باللغة العربية، وتسلط بعض الأضواء على صفحات من حياة لا تذكر في العادة إلاّ لماماً، إمّا في هوامش الفقرات أو مقدمات الكتب.

حيدر عبدالواحد راشد
ألمانيا، 21 مارس 2020

القسم الأول

1861 ـ 1866

سنوات الجامعة؛ شوبنهاور وفاغنر

1844 ـ 58

15 أكتوبر 1844: ولادة فريدريك ويلهلم نيتشه لأبوين هما كارل لودفيغ نيتشه (ولد عام 1813) وفرانسيسكا (أولر سابقا، ولدت عام 1826) في بلدة روكن بإمارة سكسونيا. 10 يوليو 1846: ولادة إليزابيث نيتشه. 1848: ولادة أخ توفي صغيراً (عام 1850). 1849: وفاة كارل لودفيغ نيتشه. 1850: انتقال العائلة إلى ناومبورغ.

1858 ـ 1864

سنوات الدراسة في ثانوية بفورتا. الصداقة مع باول دويسن (1859) وكارل فون غيرسدورف (1861). 1861: يطلع غوستاف كروغ زميله نيتشه على نوتات بيانو لأوبرا **تريستان** لريتشارد فاغنر. من ملف نيتشه الطبي في ثانوية بفورتا: «نيتشه إنسان نشط مكتمل، ذو نظرة ثاقبة ملحوظة في عينيه، يعاني قصر النظر وكثيراً ما يؤلمه صداع متقلب. توفي والده شاباً، من ترقق الدماغ، وقد ولد لأبوين كهلين. لا أعراض سيئة ظاهرة بعد، ولكن ينبغي اخذ السوابق بالاعتبار».

أكتوبر 1864 ـ أكتوبر 1865

الدراسة في جامعة بون: فصلان من اللاهوت والفيلولوجيا (فقه اللغة) الكلاسيكي. يونيو 1865: مهرجان غورزنيش الموسيقي في كولونيا.

أكتوبر 1865 ـ أكتوبر 1867

يدرس نيتشه الفيلولوجيا الكلاسيكية على يد فريدريك ويلهلم ريتشل في جامعة لايبزيغ. أواخر أكتوبر/ أوائل نوفمبر 1865: يكتشف شوبنهاور في محل رون للكتب القديمة. ديسمبر: يؤسس جمعية الكلاسيكيات. 1866: بداية الصداقة مع إرفين روده. الصيف: يكتشف كتاب ف. أ. لانغه **تاريخ المادية**. مشاعر مؤيدة للبروسيين في الحرب النمساوية ـ البروسية. صيف 1867: جولة على الأقدام مع روده في الغابة البوهيمية. مهرجان موسيقي ـ «موسيقى التاريخ» ـ في ماينينغن بولاية ثورينجيا.

أكتوبر 1867 ـ 1868

عام من الخدمة العسكرية في المدفعية الخيالة، معسكراً في ناومبورغ. يتوقف التمرين جراء إصابة في مارس 1868، ليبدأ من ثم بالتعافي. يخطط نيتشه لرسالة بعنوان «فكرة العضويّ منذ كانط». يشرع في التفكير بالدراسة في باريس مع روده خلال عام 1869.

أكتوبر 1868 ـ 1869

العودة إلى لايبزيغ. 28 أكتوبر: يستمع نيتشه لموسيقى **تريستان** وكذلك **كبار المغنين** لفاغنر. ويلتقي بفاغنر في 8 نوفمبر. يبدأ بالبحث **في مصادر ديوجينس اللايرتي**. «إن ما أخشاه ليس ذلك الشبح الرهيب وراء مقعدي، بل صوته: وليس كلماته، بل النبرة غير الواضحة وغير الإنسانية بنحو مرعب لذلك الشبح. نعم، ليته كان يتحدث كما يفعل البشر». يناير 1869: يعرض على نيتشه كرسي الأستاذية في جامعة بازل، التي يصل إليها في شهر أبريل. ويتضمن هذا التعيين أيضاً أن يقوم بالتدريس في المعهد التابع لها.

1. رسالة إلى صديقي، أوصيه فيها أن يقرأ لشاعري المفضَّل

19 أكتوبر، 1861

صديقي العزيز

أصابني ذهول كبير من بعض آرائك التي بعثت بها في رسالتك الأخيرة بخصوص هولدرلين[1]، وإني لأشعر بحاجة تدفعني لآخذ على عاتقي هذه المسألة نيابة عن شاعري المفضل. ولسوف أكرّر لك كلماتك القاسية والظالمة حتى (وعسى أن تكون قد غيرت رأيك بالفعل): «أنا لا أفهم إطلاقاً كيف يمكن لهولدرلين أن يكون شاعرك المفضل؛ فبالنسبة لي، على الأقل، لا يترك ما يتفوّه به من كلمات غامضة مخبولة آتية من عقل مضطرب ومصدع، سوى انطباع حزين وبغيض أحياناً. فكلامه ثرثرة طنانة، وأحياناً تكون أفكاره أفكار رجل مخبول، فيهتاج بعنف ضد ألمانيا، ويجل عالم الأوثان، وههنا يجل الطبيعانية، وهناك الحلولية، ثم تعدّد الآلهة، فينتج خليطاً مشوشاً بينها جميعاً، كل هذه الأمور تركت علامتها على قصائده، على أنه ورغم ذلك عبّر عنها بطريقة ناجحة للغاية بالمقاييس الإغريقية». ناجحة للغاية بالمقاييس الإغريقية! يا إلهي! أهذا كل ما لديك من مديح؟ لقد انبثقت هذه الأشعار ـ بأخذ تكوينها فقط في الاعتبار ـ من أصفى وأرهف الأحاسيس: إن لهذه الأشعار من الطبيعانية والأصالة

(1) فريدريك هولدرلين هو شاعر ألماني (1770 ـ 1843).

ما يحجب فن ومهارة أفلاطون الاصطلاحية؛ تلك الأشعار التي تصّاعد بإيحاءات أسمى نسمات الهواء أو تخبو في ألين أصوات الابتئاس؛ ألم تجد لهذه الأشعار كلمة مديح أفضل من كلمة «ناجحة» العامية المسيخة؟ والحق أيضاً أنها ليست أسوأ إجحافاتك. ثرثرة طنانة، وأحياناً تكون أفكاره أفكار رجل مخبول! إن كلمات الازدراء هذه تظهر لي، أول ما تظهر، أنك علقت في التحامل السوقي التافه ضد هولدرلين، وثانياً، أنك لا تملك سوى فكرة ملتبسة وواهمة عن أعماله، إذ أنك حتى لم تقرأ قصائده أو أعماله الأخرى. ويبدو أن الأمر في كليته هو أنك تعتقد أنه لم يكتب إلاّ أشعاراً. ومن ثَمَّ فأنت لا تعرف «أمبادوقليس»[1]، تلك القطعة الدرامية فائقة الأهمية، التي يرن صدى نغمها الحزين بمستقبل شاعر تعيس، وحياته الطويلة المقبورة التي قضاها في جنون، فهي ليست كما قلت ثرثرة طنانة؛ بل إنها كتبت بأجزل لغة سوفوكليسية وبإحاطة لا تنضب بأعمق الأفكار. وأنك لا تعرف «هيبيريون»، الذي ترك فيض نثره المتناغم فيها وسحر الشخصيات وجمالها انطباعاً يشبه تلاطم موجات بحر لجي. والواقع أن نثره هذا موسيقى، إنها أصوات لينة مذيبة تتخللها تنافرات مؤلمة، وتنتهي أخيراً بمرثيات كَمِدة عجيبة. لكن ما ذكرته لك حتى الآن يخص بشكل رئيس الشكل الخارجي فحسب؛ فاسمح لي أن أضيف كلمات قليلة عن إحاطة أفكار هولدرلين، تلك التي يظهر أنك تعتبرها مشوشة وغامضة. إن توبيخك ولو انطبق على قليل من أشعار فترة جنونه، وحتى لو كان عمق أشعاره السابقة يتصارع في بعض الأحيان مع إقبال ليل جنونه، فإن جل أشعاره تعتبر في جملتها أثمن جواهر آدابنا. وسأعطيك بعضاً من أمثلة

(1) «أمبادوقليس» هو فيلسوف يوناني عاش خلال الفترة قبل سقراط من 490 حتى 430 ق. م.

هذه القصائد، منها «العودة إلى الديار»، و«النهر المغلول»، و«الأفول»، و«المغني الكفيف»، ولسوف أقتبس لك حتى آخر أبيات من «خيالات المساء»، التي يعبّر فيها عن أعمق الابتئاس والتحرق للطمأنينة.

في سماء المساء يأتي الربيع مزهراً
فتتفتح أزهار لا تحصى، وتهل الطمأنينة
أيها العالم الذهبي، خذني هناك نحو الأعالي
نحو السحاب القرمزي! فلعلي في شاهقات الأماكن،
في النسيم وفي النور، أغيب عن حبي وعن شجني!
لكن هذا السحر تلاشى وكأنما طردته صلاة بلهاء
تحل عليَّ الظلمة تحت السماء وحيداً كما، ولطالما، كنت
تعالي الآن أيتها الهجعة الوديعة! لكم يتوق القلب
إلى كثير من الأشياء، لكنك، أيها الشباب، ستخمد في النهاية!
يا من لا تستكين، أيها الحالم!
ولعل شيخي إذن يكون أبلج وسالماً.

وفي قصائد أخرى، وأخص بالذكر قصيدتي «الذكرى» و«الرحلة»، يتسامى بنا الشاعر إلى أرفع أجواء المثالية، فنشعر معه أن هذه هي ميزته الأساسية. وحري بنا أخيراً أن نذكر سلسلة كاملة من الأشعار التي يخبر فيها الألمان بحقائق مريرة، وهي حقائق مسوغة بصرامة لسوء الحظ. وفي «هيبيريون» أيضاً، يقذف الشاعر بأحدّ وأدق الكلمات نحو «الهمجية» الألمانية. على أن هذا الاشمئزاز من الواقع متوافق مع أعظم حب للوطن،

ذلك الحب الذي امتلك هولدرلين منه قدراً عالياً. لقد كان من كرهه من الألمان صاحب التخصص الأوحد، أي همجي الثقافة.

لقد كشف الشاعر لنا في تراجيديا «أمبادوقليس» غير المكتملة عن طبيعته الخاصة؛ إذ إن موت أمبادوقليس نجم عن كبرياء إلهي، عن ازدراء للإنسان، عن التشبع بهذه الأرض، وعن توق للآلهة. وإني كلما قرأتها، أثارت بكليتها أعمق أحاسيسي؛ ففي تراجيديا أمبادوقليس هذه رِفعة سماوية. بيد أنه في «هيبيريون»، وعلى الرغم من هالة التجلي المحيطة بها، فإنها في كليتها تعبير عن الاستياء وانعدام الرضى؛ فالرموز التي يستحضرها الشاعر هي «صور خيالية تحيطنا بأصوات وأنغام توقظ فينا الحنين إلى الماضي وتبهجنا، لكنها تثير فينا أيضاً توقاً غير مشبع». لكني لم أجد موضعاً تمثل فيه التوق إلى اليونان بأنغام أنقى من هذه، كما لم أجد التقارب الروحي بين هولدرلين وشيلر[1] وهيغل[2] واضحا وجليا كحاله ههنا.

أي صديقي العزيز، إن كل ما فعلته هذه المرة كان مجرد خدوش على السطح، وينبغي عليَّ الآن أن أترك لك مهمة رسم صورة كاملة لهذا الشاعر الحزين من بعض الصفات القليلة التي أوضحتها لك. وإني لا أدحض ملامتك التي وجهتها لتناقضات آرائه الدينية، إذ عليك أن تعزو ذلك لمعرفتي الهزيلة بالفلسفة، ذلك أن تمحيص آرائه تلك عن كثب يتطلب درجة عالية من هذه المعرفة. ولعلك تكلف نفسك يوماً أن تمحص

---

(1) يوهان كريستوف فريدريك فون شيلر شاعر ومسرحي كلاسيكي وفيلسوف ومؤرخ ألماني كان ولد بمدينة مارباخ يوم 10 نوفمبر 1759 وتوفي في مدينة فايمار يوم 9 مايو 1805.

(2) جورج فيلهلم فريدريك هيغل فيلسوف ألماني ولد يوم 27 أغسطس 1770 وتوفي يوم 14 نوفمبر 1831 فيلسوف ألماني ولد في شتوتغارت.

هذه القضية عن كثب، وأن تلقي، إنْ وضحتها، بعض الضوء على أسباب انهياره، والتي قد تكون طبعاً متجذرة بعمق فيها.

إنني واثق من أنك ستغفر لي ما وجهته لكَ كلمات غليظة جراء حماستي؛ وإني آمل فقط ـ وأعد هذا سبب إرسالي خطابي إليك ـ أن يحركك كلامي إلى تفهم وإلى تقييم حقًّاني لهذا الشاعر الذي بالكاد سمع عن اسمه معظم سكان بلاده.

صديقك،

2. إلى إليزابيث نيتشه

بون، الأحد عقب عيد الخمسين [11 يونيو، 1865]

عزيزتي إليزابيث:

بعد استلامي خطابك اللطيف الأخير، الذي جدَّلتيه بتلك القصائد البناتية، لن يكون عدلاً مني أو عرفاناً أن أجعلك تنتظرين مزيداً من الوقت لاستلام ردي، خصوصاً لأني أملك، هذه المرة، ذخيرة من المواد، وأود أيضاً أن أناقشك بخصوص المسرات التي حظيت بها.

لكن يتوجب عليَّ، في البداية، أن أتطرّق إلى جزء من رسالتك التي كانت الألوان الريفية واضحة فيها كدفء قلبك يا لاما[1].

عزيزتي إليزابيث، أرجو منكِ ألا تقلقي، فلو كانت الإرادة جيدة ومحددة بالقدر الذي وصفتِهِ في خطابك، فلن تواجه أخوالنا الأعزاء مشكلة كرة. أمّا بالنسبة لمبدئك ذاك الذي ينطوي على أن الحقيقة دائماً ما تكون في الجانب الأصعب، فإنني أتنازل لكِ عنه جزئياً. ومع ذلك، فمن الصعوبة بمكان أن نقبل أن يكون حاصل ضرب 2 في 2 لا يساوي 4، ولكن هل تعني هذه الصعوبة أنها حقيقة؟

من ناحية أخرى، هل يصعب حقاً على المرء أن يتقبّل كل شيء تربى

---

(1) «لاما» هو لقب أطلقه نيتشه على أخته.

عليه، وأصبح شيئاً فشيئاً متجذراً بعمق في نفسه، وتمسك به أقاربه وكثيراً من البشر الخيّرين، وكان فيه كثير من الراحة والرفعة؟ وهل يصعب ذلك عن سلوك سبل جديدة، والكفاح ضد التعوّد، فيصبح المرء غير متيقن من مساره المستقل، ويتأرجح فؤاده؛ بل وحتى وعيه، كل حين وآخر، وتغادره الراحة كثيراً، لكنه يسعى دائماً إلى تحقيق الهدف الأبدي نحو ما هو حقيقي وجميل وحسن؟

هل تتعلق الراحة في معظمها إذن باكتساب رؤية عن الرب، العالم، والتكفير عن الخطايا؟ أليس صحيحاً، بالأحرى، أن الباحث الحقيقي لا يولي أي أهمية لما سيصل إليه ببحثه؟ هل ما نريد لأبحاثنا أن تصل بنا إليه هو الهدوء، السلام، والسعادة؟ الإجابة هي لا، وهذا شأن الحقيقة وحدها، وإن كان قدرها أن تكون مخيفة وقبيحة.

يتبقى لي ههنا سؤال واحد؛ فإذا كنا قد آمنا منذ الشباب بأن كل الخلاص لم يأت من قبل يسوع ـ وأتى من قبل محمد مثلاً ـ أليس مؤكّداً أننا كنا لننعم بنفس التبريكات؟ المؤكد هو أن الإيمان بمفرده بنعم على صاحبه بالتبريكات، وليس الهدف الكامن وراء ذلك الإيمان. إنني أكتب إليكِ هذا الخطاب، يا عزيزتي إليزابيث، من أجل أن أناهض البراهين السائدة بين المؤمنين، الذين يستحضرون الدليل من تجاربهم الداخلية ويبرهنون به على عصمة إيمانهم. وعلى أن كل إيمان هو في الواقع، وإذ يجد فيه المؤمن ما يأمل أن يجده فيه، معصوم، إلا أنه لا يقدّم أقل دعم للبرهنة على حقيقة موضوعية ما.

وفي هذا الصدد تفترق طرق الناس؛ فلو كنتِ تودين التنعم بالسلام العقلي والسعادة، فعليك بالإيمان، وأمّا إذا كان مقصدك أن تصبحي مريدة للحقيقة، فعليك بالبحث.

وهناك الكثير من المواقف المتوسطة بين هذين الطريقين، لكنها تعتمد في كليتها على الهدف الرئيسي.

على كلٍ، سامحيني على هذا النقاش الممل وغير المثمر، فلعلك قد أخبرت نفسك مراراً وتكراراً بهذه الأشياء، وبشكل أفضل وأجمل مما فعلت.

وبكلامي الجاد الأخير، سأعمد إلى مزيد من الجدية، وسيكون جِدّي ممتعاً، فلقد قضيت أياماً رائعة وأود أن أخبرك عنها هذه المرّة.

في يوم الجمعة، الموافق 2 يونيو، سافرت عبر كولونيا لأحضر مهرجان راينلاند الموسيقي. وفي نفس اليوم، كان المعرض الدولي قد افتتح هناك. وأثناء تلك الأيام، بدت كولونيا وكأنها عاصمة كبرى؛ فقد كانت هناك جعجعة من اللغات والأزياء، وأعداد هائلة من النشالين والمحتالين الآخرين، والفنادق ممتلئة حتى أبعد غرفها، وتزينت المدينة بالأعلام - وكان ذلك الانطباع الخارجي. وبصفتي مطرباً، فقد تلقيت شريط الصدر الأبيض والأحمر وذهبت إلى البروفة. وللأسف أنتِ لا تعرفين قاعة غيرزنيتش، لكني أعطيتكَ في عطلتي الأخيرة فكرة رائعة عنها بمقارنتها بسوق المال بناومبرغ. كانت فرقتنا مكوّنة من 182 سوبرانو، 154 ألتو، 113 تينور، و172 باصاً.

وبالإضافة إلى ذلك، كانت هناك أوركسترا مكوّنة من 160 عازفاً، من بينهم 52 كماناً، 20 كماناً متوسطاً، 21 تشيللو، 14 باصاً مزدوجاً، وقد أحضر سبعة من أفضل المطربين الفرديين، ذكوراً وإناثاً. وكانت إدارة المجموعة بأكملها مهمة هيلر. تميز الكثير من السيدات بشبابهن وجمالهن. وقد ظهرن باللون الأبيض في الحفلات الموسيقية الكبرى الثلاثة، وارتدين شرائط

كتف زرقاء ووضعن أزهاراً طبيعية أو اصطناعية في شعورهن، وأمسكت كل منهن بيدها باقة من الزهور. أمّا نحن السادة فقد ارتدينا رداءً مسائياً مع صدرية بيضاء. وقد جلسنا جميعاً لوقت متأخر من أول ليلة، وغلبني النوم بجانب أحد الفرانكويين[1] القدامى على كرسي بذراعين، واستيقظت في الصبح مثنياً وكأنني مطواة هذا فضلاً عن أني كنت أعاني منذ عطلتي السابقة من روماتيزم حاد في ذراعي الأيسر. وفي الليلة التالية، نمت في بون لمرّة أخرى. كانت أول حفلة كبرى يوم الأحد، حيث عزف أوراتوريو «إسرائيل في مصر» لهاندل[2]. وقد غنينا بحماس لا مثيل له، وكانت درجة الحرارة ثابتة عند 50 درجة رومير. واستمر حجز قاعة غيرزنيتش طوال ثلاثة أيام. وكلفت تذكرة كل حفلة ما بين 2 إلى 3 تايلر. حكم كل الحضور على الأداء بأنه مثالي. وقد علقت في ذاكرتي مشاهد لن أنساها أبداً؛ فحين غنى ستيغمان ويوليوس ستوكهاوسن، ملك الباص، دويتو أبطالهم المشهورين، اندلعت عاصفة مذهلة من التصفيق، وهتف الجمهور مشيداً بهما ثماني مرات، وحين كانت تعزف الأبواق، كانوا يصيحون من أجل إعادة العزف مرة أخرى. وقد رمت السيدات الثلاثمائة بأكملهن باقات الزهور في وجوه المطربين، التي كانت ملثمة حرفياً بسحابة من الزهور. وقد أعيد هذا المشهد مرة أخرى حين غنوا دويتو دا كابو.

(1) «فرنكونيا» هو اسم الأخوية الطلابية التي انضم نيتشه إليها في بون.

(2) جورج فريدريك هاندل مؤلف موسيقي كلاسيكي إنكليزي من أصل ألماني عاش الفترة في الفترة من 23 فبراير 1685 حتى وفاته يوم 14 أبريل 1759م، أما أوراتوريو فهو صنف من التآليف الموسيقية الغربية يشابه (الأوبرا) من حيث الطبيعة الدرامية للموسيقى، إلا أن مواضيعه دينية، ومن أهم عناصره: الإلقاء، والألحان، والكورس والأوركسترا.

وفي المساء، كنا نحن السادة القادمين من بون نستعد للذهاب للحانات معاً، لكننا دعينا من قبل جمعية كولونيا الكورالية للرجال لتناول العشاء في مطعم غيرزنيتش، ومكثنا وسط مشاريب النخب الاحتفالية وأصوات الغناء التي أبهجت أهل كولونيا، وسط كورس من أربعة أجزاء وحماس متصاعد. وفي الثالثة صباحاً، خرجت مع اثنين من معارفي، وتجولنا في المدينة، وكنا نقرع أجراس الأبواب، لكننا لم نجد مكاناً لنبيت فيه، حتى أن مكتب البريد لم يقبلنا، فقد أردنا النوم في حافلات التسليم ـ لكن البواب الليلي فتح في آخر المطاف فندق دو دوم لأجلنا.

وقد ارتمينا على مقاعد غرفة الطعام، وغطينا في النوم خلال ثانيتين. وفي الخارج، كانت السماء قد أنيرت. وبعد ساعة ونصف أتى الخادم وأيقظنا، فقد كان عليه تنظيف الغرفة. وبعدها غادرنا في حالة استماتة فكاهية، وسرنا عبر محطة السكة الحديدية باتجاه دويتز، وتناولنا الإفطار، وذهبنا بأصوات خافتة إلى البروفة، حيث غطيت في النوم بحماس كبير (ومع الأبواق المصاحبة والطبول). لكن حيويتي ازدادت في أداء ما بعد الظهيرة منذ السادسة وحتى الحادية عشرة، فقد كنا نؤدي موسيقاي المفضلة، موسيقى فاوست لشومان، وسيمفونية بيتهوفن الرئيسية. وعندما حل المساء، تقت إلى مكان للنوم، وتجوّلت في نحو 13 فندقاً، ووجدتها جميعها ممتلئة. وعندما وصلت في النهاية إلى الفندق الرابع عشر، وبعد أن أخبرني المالك بأن جميع الغرف هنا ممتلئة أيضاً، أخبرته ببرود أني لن أتزحزح من مكاني وأن من الأفضل له أن يجد لي سريراً. وقد تم لي ذلك، إذ نصبت أسرَّة تخييم في غرفة الطعام، وكلف استئجار الواحد منها في الليلة 20 قرشا.

أقيمت الحفلة الأخيرة في اليوم الثالث، وأُدّي فيها عدد من العروض الصغيرة، وكان أفضل ما عزف فيها سيمفونية هيلر، المسماة «يجب أن يأتي الربيع». كان الموسيقيون متأثرين على غير العادة، إذ كنا جميعاً نُجل هيلر. كانت كل حركة موسيقية تقابل بابتهاج هائل، وكان الابتهاج في أوجه بعد آخر حركة. وغطى الجمهور منصة هيلر بأكاليل الزهور. ووضع أحد الموسيقيين إكليل غار على رأس هيلر، وحيته الأوركسترا ثلاث مرات. غطى الرجل العجوز وجهه وبكى، وأثر ذلك كثيراً في السيدات. والسيدة التي سآتي على ذكرها خصيصاً هنا هي السيدة سيرفادي الباريسية، عازفة البيانو المنفردة. كانت صغيرة الحجم، ولا تزال شابة، مليئة بالحيوية، بغيضة نوعاً ما، ومثيرة للاهتمام، وكان شعرها أسود مجعداً.

وفي آخر ليلة، وبعدما نفدت قواي، نمت، مرة أخرى، عند ذلك الفرنكوني العجوز، لكن ما زاد في هذه المرة أنني نمت على الأرض، ولم يكن ذلك جيداً. وفي الصباح، سافرت عائداً إلى بون.

كانت تلك حياة مولعة بالفن بحق، حسب تعبير قالته لي سيدة ما.

لقد عدت بسخرية تامة إلى كتبي، وإلى النقد النصي، وإلى أشياء أخرى.

لكنني سأذهب بالتأكيد إلى لايبزيغ، فالنزاع بين جان وريتشل ما يزال محتدماً.[1] ذلك أن كليهما يهدد الآخر بمنشورات ماحقة. ولعل ديوسن سيذهب هو الآخر إلى لايبزيغ.

ومن أجل المهرجان المدرسي (في 21 مايو)، أرسلنا نحن طلاب شولبفورتا برقية إلى كلية المعلمين، وتلقينا رداً ودّياً للغاية.

---

(1) يشير إلى خلاف بين هذين الباحثين الكلاسيكيين البارزين حول مسائل إدارية وشخصية. كان جان في بون، وريتشل كان حينها في لايبزغ.

ولدينا اليوم نزهة مخصصة لطلاب شولبفورتا السابقين إلى كونيغسفينتر. وتبدو القبعات الحمراء التي ارتديناها، وبشريطها الذهبي، جميلة جداً بالفعل.

إنني أنوي أن أرسل في وقت قريب خطاباً إلى عزيزي رودولف، فقد كتب لي خطاباً ودّياً للغاية.

خالص تحياتي لخالتنا وخالنا[1].

(1) إيدا وموريتز شنكل. ورودولف شقيق موريتز شنكل الذي كان قسا بروتستانتيا في كاينسدورف، قرب درسدن.

3. إلى كارل فون غيرسدورف

ناومبورغ، 7 أبريل، 1866 [1]

صديقي العزيز:

تمرّ علينا أوقات هادئة مفعمة بالتأمل يطل فيها المرء على حياته من الخارج بمشاعر مختلطة بالسعادة والحزن، تماماً مثل أيام الصيف تلك التي تمتد باتساع ولين على التلال، كما يصفها إميرسون. ثم تصبح الطبيعة مثالية، كما يقول، وكذلك الأمر بالنسبة لنا؛ ثم نتحرر من أصفاد تعويذة الإرادة الساهرة؛ ثم تصبح أعيننا صافية، متأملة، ومحايدة. بهذا المزاج، الذي أحن إليه أكثر من كل ما عداه، أمسك بقلمي لأردّ على خطابك الطيب والعميق. لقد صهرت مخاوفنا المشتركة وأصبحت رواسب صغيرة، فقد رأينا لمرة أخرى كيف لبضع جرات لقلم، أو حتى لمحض نزوات لدى بعض الأفراد، أن تقرر مصائر أعداد لا تحصى من الناس، وإنا لنترك بكل سرور للمتدينين شكر إلههم على تلك النزوات. ولعلنا نضحك عبر مقابلتنا القادمة في لايبزغ على هذا التأمل.

وبالنسبة لوجهة نظري الشخصية، فإن نفسي قد ألفت فكرة الانضمام

---

(1) انتقل نيتشه إلى جامعة لايبزغ في أكتوبر 1865. كان جيرسدروف، الذي قابله نيتشه في شولبفورتا عام 1861، موجودا هو الآخر في لايبزغ في ذلك الوقت. (ولد جيرسدروف في نفس عام ميلاد نيتشه، وتوفي عام 1904).

للجيش، فلكم تمنيت أن أجري بعيداً عن كتبي الرتيبة، ولكم تقت للخصوم، للإثارة، لرغبة جامحة في الحياة، وللحماسة والاندفاع؛ ذلك أني أدركت، ومع كم الجهد الذي بذلت، واتضح لي يوماً بعد يوم أن المرء لا يستطيع إنجاز مثل هذا العمل بهذه السهولة. لقد تعلّمت، إلى حدٍّ ما، الكثير في عطلتي، وبنهاية العطلة، تقدمت في ثيوغنس بفصل دراسي على الأقل. وقد اتضحت لي العديد من الأفكار التي من شأنها أن تثري تساؤلاتي حول ثيوغنس. لقد أصبحت محاطا بالكتب بفضل لطف كورسن غير المعتاد. وحري بي هنا أن أذكر فولكمان أيضاً، الذي ساعدني طواعية وبخاصة في كتب السودا، التي يعتبر خبيراً رائداً فيها[1]. لقد أصبحت متمرساً في هذا المجال لدرجة أنني وسعته بمفردي باكتشافي مؤخراً دليلاً على سبب عدم نسب الفيولاريوم لإيدوكيا إلى السودا، بل إلى مصدر السودا الرئيسي، أي نسخة هيسيشيوس ميليسيوس المصغرة (والمفقودة بالطبع). وقد تسبب ذلك في وصولي إلى نتيجة غير متوقعة بخصوص ثيوغنس، التي سأشرحها لك فيما بعد. وبالمناسبة. إنني أنتظر كل يوم أن يأتيني خطاب من د. ديلثي من برلين، الذي كان تلميذاً لريتشل، الذي يعتبر ملماً بثيوغنس أكثر من أي شخص آخر. كنت منفتحاً تماماً معه، ولم أُخفِ من نتائجي أو وضعي الدراسي شيئاً. آمل أن أتمكن، حين أعود إلى لايبزغ، من البدء في الكتابة، فقد جمعت للتو كل ما يلزمني. وبالطبع لست منكراً لأني بالكاد أفهم هذه المشكلة التي جلبتها على نفسي، والتي تبعدني عن نفسي (وعن شوبنهاور أيضاً ـ والأمران متماثلان في أغلب الوقت)، وهو ما سيتسبب

---

(1) فيلهلم كورسن وديتريك فولكمان كانا أستاذين بشولبفورتا وقد أبديا اهتماما كبيرا بنيتشه.

في تعريض نفسي لأحكام الناس، ولعله قد يدفعني أيضاً إلى ارتداء قناع سعة المعرفة الذي لا أملكه. في كل الأحوال، يفقد المرء الشيء عندما يطبعه. فبعض التأخيرات والمضايقات لم تفشل في أن تظل بعيداً. إذ لم توافق مطبعة برلين على إعارتي إصدارات ثيوغنس في القرنين السادس عشر والسابع عشر. وقد طلبت كمية من الكتب الضرورية من مكتبة لايبزغ بواسطة روشر[1]. لكن روشر ردّ بأن ضميره لن يسمح له بإرسال كتب خرجت تحت اسمه، وعلى أني قد لا أعاتبه على ضميره قط، إلّا أنَّ ذلك كان مزعجاً بما فيه الكفاية.

هناك ثلاثة أشياء أعتبرها، رغم ندرتها، وسائل استجمامي: كتابي عن شوبنهاور، موسيقى شومان، ثم التمشي بمفردي. وبالأمس، اندلعت عاصفة رعدية مذهلة في السماء. فهرعت إلى قمة تل قريب يسمى لويش (لعل بإمكانك أن تخبرني معنى هذه الكلمة)، فوجدت هناك كوخاً، ورجلاً يذبح حملين برفقة ابنه الصغير. ازدادت العاصفة ضراوة بمزيد من الريح والبرد. وقد شعرت بنشوة لا تضاهى، وأيقنت بداخلي أننا لا نفهم الطبيعة عن حق إلاّ إذا اضطررنا إلى الهرولة إليها، مبتعدين عن متاعبنا وضغوطنا. وتعجبت من الإنسان وإرادته التي لا تهدأ، من أبدية الأوامر والنواهي، من الاختلاف الذي سيصيب البرق، الرياح، البرد، وقوى الطبيعة دون أخلاق، ومن حسن حظها، مدى قوتها، ونقاء إرادتها دون حُجُب الفكر.

ومن ناحية أخرى، فقد وجدت ما يكفي من الأمثلة لإظهار مدى تشوش عقل الإنسان. فمؤخراً، قابلت رجلاً يخطط للذهاب إلى الهند

---

(1) فيلهلم روشر (1845 ـ 1923) كان طالبا زميلا في لايبزغ، وهو ابن فيلهلم روشر، أستاذ الاقتصاد هناك.

كمبشر. فسألته بعض الأسئلة، ووجدت أنه لم يقرأ من كتب الهند شيئاً، وأنه لم يسمع عن الأبانيشاد، وقد قرر أنه لن يتعامل مع البراهمة أبداً؛ إذ من الممكن أن يكونوا متمرسين جيداً في فلسفتهم. بحق نهر الغانج!

استمعت اليوم إلى خطبة لبيبة من وينكل حول المسيحية، ذلك الإيمان «الذي اكتسح العالم»، المتعجرف تجاه الشعوب غير المسيحية، وعلى رغم ذلك يظل حاذقاً للغاية. لقد استبدل كلمة «المسيحية» بغيرها مراراً وتكراراً، وأصاب دائماً في توصيل المعنى المقصود حتى بالنسبة لطريقة تفكيرنا. فلو كانت الجملة تقول «لقد اكتسحت المسيحية العالم»، فإنه يستبدلها قائلاً «لقد اكتسح شعور بالخطيئة ـ أو حاجة ميتافيزيقية (باختصار) ـ العالم»، ولم يكن ذلك يضايقنا في شيء، فعلى المرء أن يكون متسقاً ويقول «الهنود بحق مسيحيون» تماماً كما يقول «المسيحيون بحق هنود». لكن الواقع أن أساس تبادل هذه الكلمات والمفاهيم الراسخة ليس صادقاً، إذ أنه يربك العقول الأضعف تماماً. فلو أن المسيحية تعني «الإيمان بحدث تاريخي أو بشخصية تاريخية»، فلن تكون بيني وبين المسيحية أي مشكلة. لكنها إن كانت تعني ببساطة الحاجة في الخلاص، فسيكون بإمكاني أن أقدرها، وألاّ أعترض حتى على محاولتها تأديب الفلاسفة، الذين هم قليلون للغاية مقارنة بجمهور من هم بحاجة للخلاص، رغم أنهم من نفس اللحم والدم ـ وذلك ينطبق حتى على الفلاسفة التابعين لشوبنهاور[1]! فكثيراً ما تستتر الجلالة المتغطرسة «للإرادة» التي تسعى إلى تمجيد ذاتها وراء قناع الفيلسوف. فلو حكم الفيلسوف، فإن الجماهير (τὸ πλῆθος) ستضيع، ولو حكمت الجماهير، كما تفعل الآن، فإن الوضع

(1)أرتور شوبنهاور فيلسوف ألماني (1788 ـ 1860).

سيظل مناسبا للفلاسفة، فهم يبدون متناثرين في محيط شاسع، وكما قال إسخيلوس[1]: إنني أفكر بعقلي، وأنفصل به عن غيري.

وفي الوقت عينه، فمن المحزن للغاية بالنسبة لنا أن نقيد أفكارنا الشوبنهاورية التي لا تزال فتية وقوية، فنعبر عن نصفها وحسب، وأن نتحمّل دائماً عبء هذا الفرق التعيس بين النظرية والتطبيق. ولست أجد لذلك أي عزاء؛ بل إنني، على العكس، أحتاج لواحد. وأشعر بأن علينا أن نحكم على جوهر هذا الأمر بشكل أكثر اعتدالاً، وهذا شيء آخر مندس في هذا التضارب.

بهذه الكلمات أودعك يا صديقي العزيز، أطيب أمنياتي، وأمنيات أقاربي لأقاربك. وكما عهدنا دائماً؛ فحين نتقابل، فلسوف نبتسم، ونكون مستحقين لذلك.

صديقك،

فريدريك نيتشه

(1) إسخيلوس روائي مسرحي تراجيديٌ يوناني (525 ق.م ـ 456 ق.م).

4. إلى فرانسيسكا وإليزابيث نيتشه

[لايبزغ، آخر يونيو، 1866]

عزيزتَيَّ أمي وليزابيث:

أرجو أن تكونا مشتركتين في إحدى الجرائد ليتسنى لكما متابعة أحداث الأسابيع الماضية الحاسمة[1]. لقد تعاظمت المخاطر التي تحدق ببروسيا، وأصبح مستحيلاً أن يتوقع لبرنامجها أن يمضي نحو نصر كامل. فأن نجد ألمانيا الموحّدة في هذه الحالة الثورية، لهو عمل جريء من جانب بسمارك. ورغم امتلاكه شجاعة واتساقاً لا يرحم، فإنه يقلل من شأن القوى الأخلاقية لدى الشعب. لكن على أي حال، كانت تحركاته الأخيرة في الشطرنج ممتازة. وفوق كل ذلك، عرف كيف أن يلقي بجزء كبير من اللوم؛ بل وحتى معظمه، على عاتق النمسا.

إن موقفنا الحالي بسيط للغاية. فلو اندلع حريق بالمنزل، فإن المرء لا يسأل عمن يلومه لتسببه في ذلك؛ بل يذهب لإطفاء الحريق أولاً، وبروسيا مشتعلة. والمسألة تكمن الآن في أن ننقذ ما يمكننا إنقاذه. وهذا هو الشعور العام حالياً.

---

(1) يشير إلى الحرب بين بروسيا والنمسا. احتلت القوات البروسية هولشتاين في السابع من يونيو، وكانت النمسا قد نجحت في تحريك العديد من الولايات الألمانية، ومن بينها سكسونيا، ضد بروسيا، لكنها لم تكن ندا لتكتيكات بسمارك الحربية. تخطت بروسيا كل العقبات وهزمت النمسا هزيمة ماحقة في معركة كونيكغريتز ببوهيميا في الثالث من يوليو.

حين بدأت هذه الحرب، كانت تلك اللحظة التي نحيت فيها جميع الاعتبارات الثانوية جانباً. وإني الآن بروسي ثائر تماماً كقريبنا السكسوني مثلاً. إلّا أنَّ هذا الوقت عصيب للغاية على جميع السكسونيين. فكامل بلدهم في يد العدو. وجيشهم منصاع وخامل. وابتعد ملكهم كثيراً عن رعاياه. وهكذا أُجهز على ملك آخر وأمير بكل بساطة. وهذا إعلان عن الإمارة «بنعمة من الرب». لقد أصبح مفهوماً الآن سبب صب كيرلاخ، ومعه بضعة وستفاليين ريفيين، اللعنات على الاتحاد بين الديمقراطية الملكية (فيوتورو إيمانويلي) والديمقراطية غير الملكية.

وقد اتضح في النهاية أن الطريقة البروسية للتخلص من الأمير هي الأسهل في العالم. ومن حسن الحظ أن هانوفر وكورهسن لم ينضما إلى بروسيا، وإلا لما كنا تخلصنا من أولئك الزملاء أبداً. لذا فنحن نعيش الآن في مدينة لايبزغ البروسية. وقد أعلنت اليوم حالة الحرب عبر سكسونيا بأكملها. وأصبح الوضع وكأننا نعيش على جزيرة، فكل البرقيات والاتصالات البريدية وطرق السكة الحديد تقطع باستمرار. لكن التواصل مع ناومبورغ، تماماً كما هو الحال مع أي مكانٍ في بروسيا، يجري بشكل طبيعي. لكن من الصعب أن نرسل خطاباً إلى دويسن في توبينغن مثلاً. والوضع باقٍ على ما هو عليه، والمحاضرات مستمرة. ولـمّا عدت مؤخراً من ناومبورغ، وجدت خطاباً ينتظرني من ريتشل، أخبرني فيه عن وصول الدراسات المقارنة من روما. أمّا الأخرى القادمة من باريس فستصل بنهاية الأسبوع.

وعلى أي حال، فأنا مدرك باستمرار أن يوم استدعائي للخدمة العسكرية قد اقترب. والواقع أنه في هذا الحال سيكون من العار أن أجلس في البيت بينما يستهل وطن أسلافي نضال حياة أو موت.

أرجو منكِ الذهاب يوماً إلى لاندامت، واجلبي منهم معلومات أكيدة بخصوص وقت تجنيد المتطوعين لسنة واحدة، وأخبريني بالتفاصيل في أقرب وقت. إن أكثر الأشياء الممتعة التي لا تزال لايبزغ تقدمها هو هيدفيغ رابه، التي تستمر في العزف لجمهور كامل في المرة، بينما لم يحصل مسرع درسدن، مثلاً، من المال سوى ستة تالرات في اليوم.

وداعاً حتى المرة المقبلة، وأرسلا إليَّ الملابس المغسولة وأخباركما.

تحياتي لكما

ف. و. ن.

تكملة

لأن خطابي لم يرسل إليكما، فلعلكما لا تغضبان كثيراً إذا وجدتما له تذييلاً. كنت مريضاً لثلاثة أيام، لكني تعافيت اليوم. ولعل الحرارة هي ما أضر بصحتي. لكن ذلك لا يهم. الأمر المهم هو أن جنودنا حظوا بأول نصر مهم لهم. ففي اليوم السابق للبارحة، نشر آمر المدينة الخبر ورفع بعدها فوراً علماً أبيض في أسود على فندقه. لكن مزاج الناس منقسم للغاية. إذ أنهم يصدقون الأكاذيب الفيينية البائسة، التي تقول بأن تلك المواجهات الأخيرة أسفرت عن خسائر متساوية للبروسيين أيضاً، ويقولون إن 15 ألف بروسي تعرضوا للأسر. يا له من هراء! أمّا في فيينا، فكل البرقيات تُكذَّب ويرفض استلامها من أجل تشجيع الجماهير.

لقد شاءت الصدفة أن تبهجني بالهزيمة المبهرة لمحافظي ناومبورغ وتسايتز (البابلوات [Παπας]) في الانتخابات الأخيرة؛ فنحن لا نريد لمغرورين دخول المجلس، فهم يروّجون لمصالحهم بالنفاق، التفوّه

بكلام لا معنى له، ويهزون أذيالهم الذليلة بالموافقات، وينفجرون في النهاية بنتانة وكأنهم فطر نفاث، تاركين خلفهم أقبح الروائح.

لقد استلمت خطابكِ، ومعه خطاب جيرسدروف، وبإمكاني الآن أن أريحك من مخاوفك. إنك تتصرفين وكأنك تعيشين في مكان أكثر أماناً من لايبزغ حيث أقطن! إنني باقٍ هنا الآن، ولن أكترث بقضاء هذه الأوقات سجيناً دون أخبار في مكان مهمل خامل ينضح برائحة جرائد بروسيا التي كانت قد أرسلت إليَّ بالبريد.

إنني قلق للغاية بشأن شقيق غيرسدورف الأكبر. فقد كان فرسان تسيتن أول من دخلوا القتال، ويقال إنهم تكبدوا خسائر كبيرة. يأمل غيرسدورف أن يصبح ضابطاً خلال ثلاثة أشهر على الأقل، إلّا إن كان الطلاب العسكريون سيفضلون عليه.

أرجو أن تظلّا بخير، وأن أستطيع المجيء إلى ناومبورغ حين تحتفل لاما بعيد ميلادها. ومن فضلكم أخبروني أولاً بخصوص السؤال المتعلق بالتجنيد.

5. إلى كارل فون غيرسدورف

(ناومبورغ، نهاية أغسطس، 1866)

صديقي العزيز:

«لا رسائل في البريد لأجلي»، هكذا كنت تستغرب أحياناً كثيرة. إلاّ أنَّ هناك رسالة مني لأجلك، لكنها لا تزال في ذلك البريد المقيت ولم تصلك بعد. «كن هادئاً يا قلبي!»

إنني أعلم أن الوقت كلما تطاول دون أن تسمع مني شيئا، كلما ازددت جحوداً في نظرك لعدم ردي ولو بسطر واحد على خطابك قبل الأخير، ذلك الخطاب الذي كان رقيقاً بقدر ما كان عميقاً ـ وكل ذلك يرجع لأن بريد نورنبورغ الميداني قد ابتلع خطابي ولم يلفظه أبداً ـ وكلما شعرت أنا بحاجة ملحة لتصحيح غلطة البريد تلك وإزاحة هم ذلك الجحود المبرر من على كاهلي. إنه لأمر مرير بالنسبة لي أن أعرف أنك منخرط في الخدمة العسكرية، مغموم بفشل الخطط، بالبيئة التي لا تملك إلّا نزراً من وسائل الراحة، بالأنشطة المنهكة للعقل، وفوق كل ذلك، بتجاهل أحد الأصدقاء لك. ولا يمكن للصورة إلاّ أن تكون هكذا بالنسبة لك. وإني لأخجل، وكثيراً ما خجلت، دون أن أشعر بتأنيب من ضميري، من أن يظن في الخداع لسبب ما من قبل الآخرين، وبخاصة أولئك الأعزاء على قلبي.

ولسوء الحظ، فإني لا أملك إلاّ أخبارًا قليلة طفيفة عن تجاربي. لقد أنهيت كتابي، واستلمه مني ريتشل. وقد اكتمل الكتاب في ثلاثة أجزاء، ومكثت بعدها في لايبزغ حتى انتهاء لمساته الأخيرة، أي بعد توقيعي عليه. لم يحدث من قبل أن كتبت شيئا على مضض مثلما فعلت، هذه المرة، فقد طويت المواد التي كنت أعمل عليها بأكثر الطرق رتابة. لكن ريتشل كان راضياً تماماً عن الجزء الذي قرأه. ولعله ينشر في أكتوبر. يريد ريتشل أن يقرأ الكتاب بعناية، واستأذن فيلهلم دندورف لقراءته هو الآخر. وسأتفاوض مع الأخير على الأرجح. فقد سألني، من خلال ريتشل، إذا كنت أود العمل على (معجم إسخيلوس)، من زاوية آخر نقد وجه لإسخيلوس. ومن الطبيعي أن يكون ذلك لقاء أجر جيد.. وقد فكّرت في أن بإمكاني تعلّم الكثير من فعل ذلك، فأصبح أكثر دراية بإسخيلوس، وأن أضع يدَيَّ على تجميعة دندروف لكوديكس ميديسياس (التجميعة الوحيدة التي يعدّها العلماء الألمان مكتملة)، وأني سأتمكن أو حتى سأحتاج تحضير مسرحية واحدة من أجل محاضرة مستقبلية، ولعلي أختار مسرحية حاملات القرابين «Choephorae»[1]. وبعد كل هذه الاعتبارات، قبلت المشروع. لكن يتوجب عليَّ، في البداية، أن أثبت تنافسيتي بالعمل على مقطع اختباري هذه العطلة. والحقيقة أن هذا العمل ليس مملاً في حالة إسخيلوس، إذ سيتوجب عليَّ أن أنخرط في نقد صارم تجاه كتلة من الحدسيات. قدر دندروف كتاباً لا يقل عن ستين ورقة. وبعد انقضاء العطل، سأبدأ ـ في حال تمَّ قبولي ـ المفاوضات المادية مع تويبنر. والواقع أن ريتشل أصبح ودوداً تجاهي أكثر فأكثر.

---

(1) هي مسرحية لإسخيلوس كتبها قبل بوفاته حوالى بعامين.

ونتيجة لذلك، سأمكث لفصل آخر في لايبزغ، حيث أشعر، وبأخذ كل الأشياء في الاعتبار، براحة كبيرة. هل بإمكانك مواصلة خدمتك العسكرية في لايبزغ؟ سأكون سعيداً جداً إذا تمكنت من ذلك، لأني أفتقدك كثيراً. لقد أصبح لديَّ الكثير من المعارف الآن، لكن ليس من بينهم من أشاركه أشياء كثيرة من الماضي والحاضر. لعلي أستطيع إقناع ديوسن العجوز بالمجيء إلى لايبزغ أيضاً، فقد بعث إليَّ مؤخراً قائلًا إنه يفهم الآن جيداً أنه أقدم على شيء أخرق. واستدرك بخصوص ما تعنيه دراسات اللاهوت قائلًا: «أن تأتي متأخراً خير من ألاّ تأتي أبداً». إنه يريد أن يغادر توبينغن، وليس مهتماً بالجامعة التي سيختارها، ذلك أنه فقد الأمل بأن يجد ما قد يفيده كثيراً في لاهوته في أي مكان، وهو نير يعتزم تحمله حتى النهاية (ليست نهاية العالم؛ بل نهاية أول اختبار). وربما يظل بإمكانه الآن أن «يتحوّل». سيسعد فقه اللغة الكلاسيكي كثيراً إذا عاد الابن الذي ضاع لوقت طويل، ذلك الذي تلذّذ بقشور اللاهوت، وسيستقبله فقه اللغة المقارن أيما استقبال بعد تلك الغيبة.

لقد أضحت رابطتنا الكلاسيكية في ازدهار، ومؤخراً التقطنا لها صورة، وشرَّفنا ريتشل بواحدة، وكان سعيداً للغاية. أصبح روده الآن عضواً ثابتاً، وهو شخص ذكي لكنه متعنّت ومتشبث دائماً برأيه. إنني أتحرى حين نقبل أعضاء جُدد أن نكون صارمين للغاية في اختيارنا. لذا فلم يحظ هيرفون فويغت بشرف القبول.

كانت الأسابيع القليلة المنصرمة في لايبزغ مثيرة جداً للاهتمام. فقد أقامت (جمعية ريدل) حفلاً من أجل جرحى الحرب في كنيسة نيكولاي. كانت كل أبواب الكنيسة مكتظة وكأنها المسرح حين تعزف هيدفيغ رابه.

وقد وصلت الإيرادات إلى أكثر من ألف تالر. وقبل بدء الحفل بنصف ساعة، أتتنا برقية بنص الخطاب الملكي، ولم يسعدني من أفعال الملك شيء أكثر من هذا الخطاب العنيد البيِّن. لقد أصبحت مناصب الحزب القديم ـ أعني وجهات النظر المتطرّفة ـ في فوضى كاملة الآن. فقد أصبح رجال مثل ترايتشكه وروغنباخ فجأة ممثلين للرأي العام. وأصبح قطاع عريض ممن يسمون محافظين ـ مثل بيندر في ناومبورغ ـ يسبحون بكل ابتهاج في التيار الجديد. أمّا بالنسبة لي، فهذه ـ وبكل صراحة ـ أول مرّة أشعر فيها بهذه البهجة النادرة والجديدة كلياً تجاه الحكومة الحالية. وبطبيعة الحال فإن على المرء أن يترك القتلى الكثيرين ليرتاحوا، وعلاوة على ذلك، فعلى المرء أن يكون واضحاً تجاه أن لعبة بسمارك شديدة الجرأة، وأن السياسة التي تجرؤ وتراهن على كل ما تملك ستصبح مبجلة بقدر ما ستصبح مكروهة، وهو ما يعتمد على مقدار نجاحها. لكن النجاح موجود، هذه المرّة، فما حققناه إلى الآن عظيم بحق. إنني أحاول، للحظة من حين لآخر، أن أتنحى بعيداً عن الوعي بالزمن، وعن التعاطف غير الموضوعي الطبيعي تجاه بروسيا، فأجدني أرى مسرحية عرائس كبيرة، أموراً من النوع الذي يشكّل، في النهاية، تاريخنا ـ ولا أقصد بذلك أموراً أخلاقية؛ بل إنها جميلة ومنوِّرة بقدر معقول للناظر إليها. أظنك قد قرأت كتاب تريتشكه[1] عن (مستقبل الدول المركزية). لقد تحصلت عليه بصعوبة كبيرة في لايبزغ، إذ أنه حُظر هنا كما حدث في كل مكان في سكسونيا ـ يا له من عار! ـ ومن ناحية أخرى، فقد حصل أناس يفكرون مثلنا ـ كأمثال فرايتاغ

(1) هاينريش فون تريتشكه (1834 ـ 1896) هو مؤرخ وسياسي ألماني من اليمين القومي الليبرالي.

وبيدرمينر وغيرهم ـ على تصويت الحزب الليبرالي القومي السكسوني على الضم غير المشروط. وذلك قد يخدم أيضاً مصالحي الشخصية بشكل أفضل. آمل أن يكون الملك جوهان عنيداً بما يكفي ليجبر بروسيا على ضم سكسونيا. وفي الختام، لا بد لي من ذكر شوبنهاور، ذلك الرجل الذي لا يزال يملك كل تعاطفي. إن ما نعرفه عنه قد اتضح لي تماماً مؤخراً من خلال مؤلَّف آخر، وهو كتاب ممتاز في فئته ومفيد للغاية ألفه فريدريك ألبرت لانج (تاريخ المادية ونقد لمعناها في الحاضر)، (1866). لدينا ههنا عالم طبيعة كانطي[1] مستنير للغاية. وتتلخص استنتاجاته في المقترحات الثلاث الآتية:

- عالم الأحاسيس ناتج عن تنظيمنا.
- تعتبر الأعضاء المرئية (البدنية)، مثلها مثل كل أجزاء العالم الاستثنائي، محض صور لشيء مجهول.
- بناءً على النقاط السابقة، فإن تنظيمنا الحقيقي مجهول بقدر ما أن الأشياء الخارجية الحقيقية مجهولة. وما نواجهه باستمرار ليس إلاّ نتاجاً لكليهما.

وبناءً على ذلك فإن جوهر الأشياء الحقيقي ـ أي الأشياء في حد ذاتها ـ ليس مجهولاً لنا فحسب؛ بل إن مفهومها ليس أكثر ولا أقل من الناتج النهائي للتناقض الذي يحدده تنظيمنا، وهو تناقض لا نعرف إذا ما كان يعني شيئا خارج تجربتنا أم لا. وبالتالي يعتقد لانج أن على المرء إعطاء الفلاسفة حرية التصرف طالما أنهم يربوننا بهذا المعنى. لكن الفن حر

(1) نسبة الى فلسفة وخطاب الفيلسوف الألماني إيمانويل كانط (1724 ـ 1804).

أيضاً في عالم المفاهيم. فمن ذا يدحض عبارة لبيتهوفن؟ ومن ذا يجد خطأ في مادونّا رفائيل؟

كما ترى، فحتى تجاه هذا الموقف الحرج للغاية، فإن شوبنهاور يقف بقوة؛ بل إنه حتى يصبح أكثر أهمية بالنسبة لنا. فلو كانت الفلسفة فناً، فعلى هايم نفسه أن يذعن لشوبنهاور، ولو جاز للفلسفة أن تنور، فلست أعلم فيلسوفاً مربياً أفضل من شوبنهاور.

بهذه الكلمات أودعك اليوم يا صديقي العزيز. فكر فيما إذا كان بإمكانك المجيء إلى لايبزغ. لكن على أي حال، أرجو أن تعلمني متى وأين يمكننا أن نتقابل؟ فأنا متحمس كل الحماس لرؤيتك مرة أخرى، وهو ما لا يمكنني فعله في لايبزغ لأنك تركت المنطقة، مرة أخرى، في وقت وجيز. لكني استمعت إلى موسيقى الفوج الخاصة بكم، وهي لا كلاسيكية إلى حد ما، وهناك قدر أفريقي كبير فيها.

لم أذهب إلى بفورتا بعد. وفولكمان غير سعيد بزواجه. سأبلغ تحياتك بإخلاص. وأقاربي يبعثون لك أخلص الأمنيات ويؤكدون لك تعاطفهم. وداعاً، صديقي العزيز.

المخلص، ف. و. نيتشه.

القسم الثاني

1869 ـ 1876

السنوات الأولى في بازل؛ فاغنر والقطيعة معه

1869

أبريل: يصبح نيتشه مواطناً سويسرياً. مايو: أول زيارة لريتشارد فاغنر وكوزيما فون بولاو في تريبشن، قرب مدينة لوسيرن. 28 مايو: محاضرة افتتاحية حول هومر. محاضرات الفصل الصيفي: حول إسخيلوس، **حاملات الكؤوس**، والشعراء الغنائيون اليونان. زيارات متكررة إلى تريبشن خلال الصيف. محاضرات الفصل الشتائي: النحو اللاتيني. إجازة عيد الميلاد في تريبشن.

1870

أوائل الربيع: محاضرات عمومية حول الدراما الموسيقية القديمة وسقراط والتراجيديا. 9 أبريل: الترقية لمنصب بروفسور كامل. محاضرات الفصل الصيفي: حول سوفوكليس، **أوديب ملكاً**. أغسَطس ـ سبتمبر: مراسل طبي في الحرب الفرنسية ـ البروسية. يصاب من ثم بزحار وخُنّاق حاد. ومنذئذ فصاعداً، يظل نيتشه معتل الصحة بنحو شبه مستمر، وبشدة أحياناً كثيرة، مع اضطرابات هضمية وشقيقة تلازمه. كما يظل نظره ضعيفاً. العودة إلى بازل: قراءة مقال فاغنر حول بتهوفن؛ بداية الصداقة مع فرانز

اوفربيك، أستاذ اللاهوت والناقد للبروتستانتية. محاضرات الفصل الشتائي: العروض؛ **الأعمال والأيام** لهسيود.

1871

يناير: يتقدم نيتشه لشغل كرسي الفلسفة في بازل. مارس: في لوغانو، يؤلف **مولد التراجيديا**. يتأمل (مع روده) ترك الحياة الأكاديمية: «إن مؤسسة راديكالية كلياً مكرسة للحقيقة ليست ممكنة هنا» (1870). محاضرات الفصل الصيفي: مقدمة لدراسة الفيلولوجيا الكلاسيكية. الفصل الشتائي: مقدمة لدراسة محاورات أفلاطون؛ مقدمة إلى النقوش اللاتينية. نوفمبر/ ديسمبر: طباعة **مولد التراجيديا**.

1872

تصل نسخ أولية من **مولد التراجيديا** في رأس السنة. يناير ـ مارس: محاضرات عمومية، **مستقبل مؤسساتنا التعليمية**. نهاية أبريل: ينتقل الزوجان فاغنر من تريبشن إلى بايرويت. 22 مايو: وضع حجر الأساس في مسرح فاغنر ببايرويت. وهناك يلتقي نيتشه بمالفيدا فون مايزنبوغ. محاضرات الفصل الصيفي: الفلسفة قبل أفلاطون؛ إسخيلوس، **حاملات الكؤوس**. الصيف: إعداد كراس روده الذي يدافع عن **مولد التراجيديا** ضد انتقاد أولريش فون فيلاموفيتس ـ مولندورف. يسافر نيتشه إلى شبلوغن: رحلة مبتسرة إلى برغامو ثم عودة إلى شبلوغن. لا ينخرط أي طلاب كلاسيكيات في محاضراته للفصل الشتائي (سوى طالبين خارج قسم الكلاسيكيات) حول البلاغة اليونانية واللاتينية.

1873

«الفلسفة في العصر التراجيدي اليوناني»: مشروع كبير غير منته سيحمل اسم «الفيلسوف طبيباً للثقافة». مارس: يقرأ لروجر بوسكوفيتش. محاضرات الفصل الصيفي: الفلسفة قبل أفلاطون. مايو: يلتقي بباول ريه في بازل، ويزوره كارل فون غيرسدورف. **دافيد شتراوس، الأستاذ والكاتب** (الكراس الأول من **أفكار في غير أوانها**). الكتابة: عن دور التاريخ ونفعه في الحياة (الكراس الثاني من **أفكار في غير أوانها**، نشر عام 1874). تهديد بغلق دار نشر فريتش الموالية لفاغنر. مشكلات مالية في بايرويت: يضغط فاغنر على نيتشه كدعائي. محاضرات الفصل الشتائي: حياة أفلاطون وأعماله.

1874

شوبنهاور مربياً. الطبعة الثانية من مولد التراجيديا. محاضرات الفصل الصيفي: إسخيلوس، **حاملات الكؤوس**. كارل هيلبراند يدعو نيتشه للمساهمة في مجلته الدورية **إيطاليا**. الصيف: يؤلف نيتشه «أنشودة للصداقة» في شافهاوزن. يونيو: يستمع لموسيقى برامز في بازل. 4 ـ 15 أغسطس: في بايرويت. يقرأ مجدداً لإمرسون. محاضرات الفصل الشتائي: تاريخ الأدب اليوناني، والبلاغة لأرسطو. أكتوبر: زيارات من روده وغيرسدورف. نوفمبر: يستمع «للكرنفال الروماني» لبرليوز. إجازة عيد الميلاد في ناومبورغ.

1875

ريتشارد فاغنر في بايرويت. فبراير: رومونت يهدد بالتحول الديني. يقيم غيرسدورف مع نيتشه في بازل. الصيف: تأتي إليزابيث نيتشه إلى بازل

لتمكث مع أخيها، نظراً لصحته السيئة للغاية: «كل أسبوعين أو ثلاثة، أقضي 36 ساعة في الفراش في عذاب مقيم». محاضرات الفصل الشتائي: الآثار القديمة للديانة اليونانية؛ تاريخ الأدب اليوناني. يأتي هاينريش كوسليتز (المعروف لاحقا باسم بيتر غاست) إلى بازل لحضور محاضرات نيتشه. ديسمبر: يقرأ نيتشه النص البوذي **سوترا النيباتا**. مرض عضال ينتابه من ديسمبر وحتى فبراير 1876.

1876

يتعافى من مرضه في فيتو، الواقعة على بحيرة جنيف. أبريل: مزاج متحسن جداً نظراً للأجواء. يتقدم للزواج (بالمراسلة) من ماتيلده ترامبداخ، التي ترفض طلبه. محاضرات الفصل الصيفي: حول الفلاسفة قبل أفلاطون؛ حول حياة أفلاطون وتعاليمه. يعلن روده خطوبته. قصيدة نيتشه عن المسافر الوحيد. يوليو ـ أغسطس: مكوثان وجيزان في بايرويت لأجل أول مهرجان موسيقي لفاغنر، وهروب وسط نوبات صداع تقصم الرأس إلى كلينغنبرون. وهناك يبدأ بكتابة **إنساني مفرط في إنسانيته**. كما حصل على إجازة مرضية من بازل. أكتوبر: من جنيف إلى جنوا، ومنها إلى سورنتو (حيث تقيم مالفيدا فون مايزنبوغ) مع ريه وبرينر. نوفمبر: اللقاء الأخير مع فاغنر في سورنتو. شقاق صامت مع فاغنر. القراءة: فولتير وأخلاقيون فرنسيون آخرون من القرن الثامن عشر.

6. إلى ريتشارد فاغنر

[بازل، 22 مايو، 1869][1]

سيدي الموقر،

منذ وقت طويل وأنا أعتزم أن أعبّر دون أي تحفظ عن مدى امتناني لك؛ ذلك أن أفضل لحظات حياتي وأسماها مرتبطة باسمك، وإني لا أعرف إلّا رجلًا واحداً أرمقه، نوعاً ما، بمثل هذا التبجيل، أخوك الروحي المبجل آرثر شوبنهاور. يسعدني أن أعترف لك بذلك في هذا اليوم الاحتفالي، وهو اعتراف لا أستطيع ألاّ أشعر حياله بالفخر. لأنه إذا كان مصير العبقري أن يملك لفترة من الزمن قليلاً من الأصدقاء، فمن المؤكد أن هؤلاء القلة سيشعرون على نحو خاص بالحظ والتميز، فهم قد وهبوا رؤية النور وتدفئة أنفسهم به، بينما تظل الجماهير واقفة لتتجمد في الضباب البارد. والاستمتاع بالعبقري لا يأتي بسهولة لأولئك القلة، إذ أن عليهم النضال للتغلب على تحيزاتهم المسيطرة وعلى ميولهم الخاصة المعاكسة، فلو حدث وأتى النضال بنتيجة سعيدة، فسيكون لديهم حق كما الفاتحين عند هذا العبقري. وإني قد غامرت الآن وحسبت نفسي من بين هؤلاء القلة، بعد أن أدركت عجز العالم المحيط بي كله تقريباً عن إدراك شخصيتك بأكملها، عن الشعور بالتيار المستمر عميق الأخلاق الذي يمر عبر حياتك،

---

(1) أولغا هيرزن، ابنة ألكسندر هيرزن.

كتاباتك، وموسيقاك ـ وباختصار، عن إدراك جو عالم أكثر جدية وروحانية مثل ذلك الذي فقدناه نحن الألمان المساكين بسبب كل أنواع المصائب السياسية والشيطنات الفلسفية والإزعاج اليهودي. أشكرك جزيل الشكر أنت وشوبنهاور إذا كنت قد تمسكت حتى الآن بالجدية الألمانية تجاه الحياة، وبرؤية متعمّقة لهذه الحياة الشكوكية شديدة الغموض.

لطالما اتضحت لي الكثير من المشاكل العلمية البحتة من خلال التفكر في شخصيتك المتفردة والمبهرة في اتزانها، وإني لأفضل أن أخبرك هذا وجهاً لوجه يوماً ما، لكن ما أتمناه أيضاً هو ألاّ أضطر أن أكتب كل شيء دونته للتو. ترى كم كنت سأحب أن آتي اليوم إلى بحيرة وجبل عزلتك اليوم، لولا أن مهنتي المتعبة أبقتني مكبلاً في بيتي في بازل؟[1].

أخيراً، أود أن أعبر عن أفضل أمنياتي للبارونة فون بولو، وأني سأتشرف بأن أظل أخلص أتباعك وأطيعهم وأكثرهم إعجاباً.

د. نيتشه، أستاذ في بازل.

(1) كان نيتشه قد دعي ليقضي يوما في ترايبشن، قرب لوسرن، حيث كان فانغنر يعيش حينها. ومن ثم فقد قضى نيتشه وقتا طويلا هناك بعدها.

7. إلى إليزابيث نيتشه

[بازل، 29 مايو، 1869]

بعد وقت طويل لم أكن لأحبذ أن أمر به، أصبح لديَّ الآن متسع من الوقت وفرصة مناسبة لأشكركِ على خطابك وأحكي لك بمزيد من التفصيل عما أعيشه هنا. قبل كل شيء، لقد كنت مسروراً حين سمعت بأنك مرتاحة في لايبزغ وأنك قد تجدينها مفيدة وسارة كما توقعتِ. وبطبيعة الحال فإن هذا تغيير منشط، وسيمنحك أفكاراً جديدة، فإيقاع الحياة هناك ليس بطيئاً كما في ناومبورغ. ويبدو أيضاً أنكِ لن تلقَي أي متاعب في الاعتياد على منزل بيدرمان[1] والحياة العائلية الحميمة، ومع ذلك فقد كنت أحافظ على مسافتي منهم دائماً، فلا تؤثر عليَّ تقلبات مزاج أفراد العائلة أو أحزانهم العرضية. وبالمناسبة، لقد أعطيت الخادمة تالرين في عيد الميلاد، وثلاثة حين غادرت. وهذا لا يضع عليك أي التزام.

رجاءً لا تبخلي عليَّ بكتابة كل ما يجري في لايبزغ، وعن بعض الأشخاص الذين يهمني أمرهم أيضاً، وأرسلي تحياتي إلى كل من تحبذين إرسالها إليه. وأخبري السيدة بروكهاوس أني زرت أخاها في يوم اثنين العنصرة وقضيت ظهيرة وبعد ظهيرة ممتعة جداً معه ومع السيدة فون

(1) كارل بيدرمان (1812 ـ 1901) كان سياسيا وأستاذا في لايبزغ. مكثت إليزابيث مع عائلته بينما كانت تدرس في لايبزغ.

بولو. وترايبشن هو منزل ريفي ساحر للغاية يطل على بحيرة لوسرن، ويبعد نصف ساعة عن لوسرن نفسها. وقد تلقيت يوم الجمعة الماضي (22 مايو) دعوة لحضور عيد ميلاده ولأقضي الليلة هناك، لكني لم أستطع فعل ذلك بسبب واجباتي المهنية وما إلى ذلك.

الحقيقة أني منذ بداية مايو وأنا مشغول في الجامعة ومدرسة البيداغوغيوم[1]، لكنني لم أُلقِ محاضرتي الافتتاحية «عن شخصية هوميروس»، سوى البارحة في المتحف أمام جمهور كامل. لقد اعتدت أن أحضر محاضراتي في الساعة ما بين السابعة والثامنة كل يوم من أيام عملي، وأجد ذلك العمل مريحاً، وقد اعتدت على عقبة أن يكون لديَّ فصل من ثمانية طلاب، بالأخذ في الاعتبار أن ذلك هو العدد الإجمالي لطلاب الكلاسيكيات، وأن هناك لاهوتياً واحداً. أمّا في المدرسة، فأنا مسرور لأن لدي فصلاً ذكياً، وأجامل نفسي بأنه رغم أني لم أولد مدرساً، إلّا أني لست على الأقل مدرساً سيئاً.

إننا نتناول ـ نحن الزملاء الثلاثة ـ الغداء عند ريشر في المحطة المركزية، وهو من معارف بيديرمان، ويعمل مأموراً ومحرراً في فايمار، ومعنا هاينريش فون جوكيل أيضاً. وبطبيعة الحال فإني أتلقّى الكثير من الدعوات، فلديَّ مثلاً دعوات في أيام الأحد، الثلاثاء، الأربعاء، والخميس من الأسبوع القادم، حيث سأزور عائلة جيركارت، مدير جميع شركات التأمين، الألمانية الجميلة، ثم سأزور عائلة المستشار فيشر[2]. ومع

(1) تضمن تعيين نيتشه في (جامعة بازل) مهام في البيداغوغيوم، وهي مدرسة حكومية ببازل.
(2) فيلهلم فيشر بيلفينغر (1808 ـ 1874) كان أستاذاً في فقه اللغة في الجامعة، ولأنه كان مسؤولا كبيرا في الجامعة ورئيسا لمعهد التعليم، فقد حاز على لقب المستشار.

المذكور، أخيراً، لديَّ دعوة دائمة لأمسيات الثلاثاء العائلية التي تعرفينها.. وعندما كنت هناك مؤخراً، أقمنا حفلة بالحديقة ولعبنا ألعاب خفة، وانتهى بنا المطاف في لعب الوصيفة العجوز وألعاب كتابية أخرى بصحبة الحضور، وكل الأساتذة، وجمع من السيدات. وكانت زوجة الجنرال فون هارديغ (التي يعمل زوجها آمراً عند ملك فورتمبيرغ بصحبتنا أيضاً، وقد أوصلت إليَّ أطيب التحيات من فرو فون غريمنشتاين. لقد استأجرت بيانو كبيرٌ ورائعاً (ورخيصاً). وبالنسبة للشخص الذي أرى أن له شأناً كبيراً فهو ياكوب بوركهارت، وهو اختصاصي في الجماليات، مؤرخ فني معروف، ورجل ذكي واسألي بيدرمان عنه. تحياتي وأطيب أمنياتي لكِ.

أخوكِ.

8. إلى غوستاف كروغ

[بيلاتوس، 4 أغسطس، 1869]

اعتباراً من الغد، سأكون قد عدت إلى بازل..

عزيزي غوستاف[1]: لكي أدلل لك على أن وجودي على ارتفاع ستة آلاف قدم فوق سطح البحر، ووسط هذا الضباب المصقع، لم يتسبب في تجمد صداقتي معك وتعلقي بك، فإنني أجلس ممسكاً هذا القلم الرديء بأصابعي الخدرة، التي تسبب في خدرها جبل بيلاتوس غير الودود والمتجهم هذا، لأكتب لك فوراً عن أخباري الأخيرة، التي ستكون مهتماً لأجلها أكثر من أي صديق آخر لدي. لقد أمضيت لمرة أخرى الأيام القلائل الماضية مع صديقي الموقر ريتشارد فاغنر[2]، الذي أعطاني بكل كرم حقوقاً غير محدودة لزيارته، ويغضب مني إذا فشلت في استغلال هذه الحقوق لمرة واحدة على الأقل كل أربعة أسابيع. ولسوف تفهم ما جنيته من حصولي على هذا الإذن؛ فهذا الرجل، الذي لم يصدر تجاهه أي حكم من شأنه أن يصفه في كليته، يظهر في كل صفاته عظمة خالصة،

(1) عرف نيتشه غوستاف كروغ (1843 ـ 1902) منذ الصبى في ناومبورغ. وقد أصبح فيما بعد موظفا مسؤولا في راينلاند، وأسس رابطة فاغنر في كولونيا.

(2) ريشارد فاغنر مؤلف موسيقي وكاتب مسرحي ألماني، ولد في لايبزغ ـ ألمانيا سنة 1813، وتوفي في البندقية ـ إيطاليا سنة 1883.

ومثالية لا مثيل لها في فكره وإرادته، ويظهر نبلاً ودفئاً لا مثيل لهما في إنسانيته، ودائماً ما أجد فيه جدية عميقة تجعلني أشعر أنني في حضرة أحد من المصطفين في هذا القرن. لقد كان منذ وقت قريب سعيداً للغاية لانتهائه من الفصل الثالث من سيغفريد ومضيه قدماً بحس وفير بقدرته نحو تأليف غوتردامرونغ. وكل ما أعرفه الآن عن سيغفريد، انطلاقاً من مسودتها الأولى، مصور بشكل كبير ومن أمثلة ذلك معركة سيغفريد مع التنين، وأغنية طائر الغابة، وهلم جرا.

في صباح يوم الأحد، وعندما كنت في غرفتي الساحرة التي تطل على بحيرة لوسرن والريغي، تصفحت مجموعة من المخطوطات التي أعطاني فاغنر إياها لقراءتها، وهي روايات غريبة من فترته الأولى في باريس، مقالات فلسفية، رسومات لأعمال درامية، وعلاوة على كل شيء، تقرير عميق موجه إلى «صديقه الشاب»، الملك البافاري، لتنوير الأخير بآراء فاغنر عن الدولة والدين. لم يسبق أن تحدث أحد إلى ملك بمثل هذا الجمال والنبل والعمق، لكن من المؤسف أن الشاب لم يتعلم، على ما يبدو، إلّا قليلاً منه. إن حياة فاغنر بأكملها بطريركية؛ فزوجته الذكية والنبيلة فون بولو مناسبة تماماً لإطاره، وقد لقنها فاغنر سيرته الذاتية. والمنزل ثائر بفعل الصغار؛ بيلوز، إيلسا، إيزولد، سينتا، سيغفريد، وغيرهم، الذين يشكلون مجتمعين سيرة لفاغنر. وفي مساء يوم السبت، حضر هير سيروف، وهو وزير دولة روسي وكاتب لسلسلة من المقالات عن بيرليوز في جريدة (سانت بطرسبرغ)، التي أرشحها لك بقوة، وذلك لأنها، ورغم كل قسوتها وحدتها في أحكامها، فإنها تعبر عن رأي فاغنر في بيرليوز بالكامل.

لقد تلقيت دعوة لحضور عيد ميلاد فاغنر، لكني لم أتمكّن من الحضور

بسبب العمل، وعليه فقد فاتني التعرّف على رباعي فرنسا الأول، وعلى العالم كله ـ حسب قول فاغنر ـ وبالإضافة إلى ذلك، فقد كان هناك رجل ذكي مدعو من ألزاس[1]، وكان قد كتب مقالًا هاماً للغاية ومفصلًا عن فاغنر (في عدد أبريل من مجلة ريفي دي دو موند)، وهو مناسب تماماً لأن يكون المروج للروح الفاغنرية في فرنسا.

بفضل جهود أوركسترا بادلوب، فإن لوهنغرين قيد التحضير للأداء في باريس، ويعتزم فاغنر أن يقوم باستثناء ويتولى التدريبات الرئيسية، وربما حتى الأداء نفسه. وهو في العادة يبقى في الخلفية، وخاصة قبل أداء راينغولد في ميونيخ، الذي يعتبر تنازلا للملك الشاب، وهو في الأساس تناقض مع الفكرة الأساسية لثلاثية نيبلنغين.

لكن الفائدة من كل هذه التفاصيل المتقطعة؟ أتمنى لو كان بإمكاني أن أقضي بضع ساعات متتاليات لأعطيك فكرة عن شخصية هذا العبقري الرائعة.

كانت تلك الأيام التي قضيتها في ترايبشن خلال الصيف النتيجة الأقيم لأستاذيتي في بازل..

لكم وددت أن أضع قيد التنفيذ، خلال هذا العام، تلك الفكرة التي ذكرتها في عيد الفصح بخصوص القيام برحلة مع فيلهلم [بيندر][2] إلى سويسرا. لكن من المؤكد أنك ستجدني هنا، فاعتباراً من الغد وحتى الخامس عشر من سبتمبر، سأكون في بازل في كل الأحوال، مقعداً ههنا بفعل عملي المهني الشاق والمرهق.

---

(1) إدوارد شوريه.

(2) فيلهلم بيندر (1844 ـ 1928) هو صديق صبى آخر لنيتشه.

أوصل أحر وأفضل أمنياتي لفيلهلم وتحياتي لأقاربك المحترمين. إنني أحب أن أفكر في ناومبورغ، خصوصاً خلال الأسبوع الماضي الذي قضيته في بلدي الأم، كحد يفصل بين الماضي والمستقبل، وأنه كان لها شيء من السحر والسعادة الغامضة والمبشرة لكوني طالباً جديداً حينئذ. أمّا الآن فإن «الحياة جادة»، ولكن كما ترى وتسمع، فإن «الفن مبهج».

صديقك المخلص،

أ. د فريدريك نيتشه

أفي بازل

9. إلى بول دويسن

بازل، الخندق 45 [فبراير، 1870]

صديقي العزيز:

لقد كان خطابك الأخير مختلفاً بشكل لا يصدق عن كل سابقيه. ها قد اختفى أخيراً النفور الذي طال بيننا؛ فكلانا يستخدم اللغة نفسها، ولا نشعر بأشياء مختلفة لدى استخدامنا نفس الكلمات. لعلنا لو كنا بقينا معاً طوال الوقت، لكان الطريق الشاق بعض الشيء، غير المستوي في كليته، والمباشر إلى مستواك التعليمي العالي الحالي قد أعفاك ولأصبح بدلاً من ذلك طريقاً أكثر طبيعية ولطفاً. لكنك على الأقل آخر صديق من أصدقائي وجد طريق الحكمة. والآن أخيراً أصبحت لديّ أعلى درجات الأمل فيك: فلسوف ترى بوضوح كثيراً مما كان ضبابياً فيما مضى. وبطبيعة الحال فإنك ستشعر، مثلي تماماً، بمزيد من الوحدة أكثر من أي وقت مضى. وستصبح العديد من المواقف اللامعة والصادمة في الحياة بعيدة المنال بالنسبة لنا، وستصبح أيضاً غير جديرة بالسعي من أجلها. فأن نكون نساكاً في الفكر، وأن نتحدث بين الفينة والأخرى مع أصحاب العقول الشبيهة بنا، هو نصيبنا. ومقارنة بأيٍّ من الكائنات الأخرى، فنحن أحوج الناس إلى سلوان الفن. إضافة إلى ذلك، فلن نود أن نحول الآخرين لطريقة تفكيرنا، لأننا نشعر بأن الخليج الفاصل بيننا وبينهم مصنوع من قبل الطبيعة. وستصبح

الشفقة شعوراً مألوفاً بحق بالنسبة لنا، وسيزداد صمتنا أكثر فأكثر؛ فهناك أيام لا أتحدّث فيها مطلقاً إلّا خدمة لعملي.

إنني بكل تأكيد ذو حظ سعيد لا يقدر بثمن لأن أكون صديقاً حقيقياً لشقيق شوبنهاور الروحي الحقيقي، الذي يرتبط به مثلما أن شيلر مرتبط بكانط، لعبقري نال نفس النصيب الجليل لأن يأتي مبكراً بقرن عن إمكانية أن يُفهم... ومن ثم فإن رؤيتي في هاويات تلك النظرة المثالية للحياة أكثر عمقاً، كما أنني ألاحظ كيف تجاهد مساعيَّ الفلسفية والأخلاقية والعلمية نحو هدف واحد، وكيف أنني قد أُصبح أول فقيه لغة (فيلولوجي) يحقّق الاكتمال على الإطلاق. فلكم أصبح التاريخ بالنسبة لي جديداً ومتغيراً، خصوصاً تاريخ الإغريق!

أود خلال وقت قريب أن أبعث إليك بمحاضراتي الأخيرة، التي انتهت بمحاضرة «سقراط والتراجيديا» التي فهمت على أنها سلسلة من المفارقات وتسببت في إثارة الكراهية والغضب في بعض الأوساط. فالإهانة ليست مما يمكننا تجنبه. لقد قمت في المقام الأول بتنحية الحذر جانباً، وأرى أن علينا التصرف تجاه الفرد الإنسان بتعاطف ولين، وأن نعبر عن نظرتنا في الحياة بصرامة تشبه تماماً صرامة فضيلة الرومان القدامى.

أتوقع منك الآن أن تراسلني في أحيان كثيرة، فبالنسبة لك، أنت الآخر، لا بد وأن تشتاق للإفصاح عن تجاربك الجديدة لأحدهم. أليس من غير المحتمل أيضاً أن تجد شخصاً شهد الكثير من التحوّلات، وأحب في الآخرين حماس المعتنقين الجدد، مثلما فعلت أنا؟

المخلص

ف. و. نيتشه

10. إلى كارل فون غيرسدورف

[بازل، 11 مارس، 1870]

صديقي العزيز:

كنت سأكتب لك منذ وقت طويل لو لا أني كنت أعيش في اعتقاد غريب: لم أكن أعرف لك عنواناً ولا مكاناً. فافترضت أن مهنتك الجديدة كمحامٍ غيرت كل شيء يخصك، وكنت بصدد تقديم طلب للجنة كوبر شتاين برلين لأحصل على معلومات عنك. ثم وجدتك كتبت لي خطابين متعاقبين سريعاً، وكان للاثنين وقع قوي عليَّ وأثارا فيَّ اشتياقاً لرؤيتك مرة أخرى. ما رأيك في أن تأتي لسويسرا هذا الصيف، في يوليو مثلاً؟

إن اتفاقنا الآن بخصوص ريتشارد فاغنر هو بمثابة دليل لا يقدر بثمن على انتمائنا بعضنا لبعض. فذلك ليس بالأمر السهل، والنجاة من التشوش بالضوضاء الرهيبة يستلزم روحاً قوية ورجولية. على أنني أجد في بعض الأحيان أشخاصاً رائعين وأذكياء في فريق الأعداء. ينبغي على شوبنهاور أن يرفع من قدرنا النظري فوق هذا الصراع، تماماً كما يفعل فاغنر، فعلياً، كفنان. إنني أبقي أمرين في بالي دائماً: أن الجدية المذهلة والعمق الألماني في نظرة فاغنر للحياة والفن، اللذين يميزان كل ملحوظة تخطها يداه، يشكلان في نظر الأغلبية في عصرنا الحالي رعباً كما هو الحال مع زهد شوبنهاور ونفيه للإرادة. إن يهودنا بالتحديد وأنت تعرف ما عليه تبني هذا الفكر ـ يكرهون مزاج فاغنر

الفكري، الذي يربطه بشكل وثيق بشيلر، أي ذلك النضال الجسور المتوهج لبلوغ فجر «اليوم الذي يصبح فيه الرجال نبلاء»[1]، وباختصار، تلك الشخصية الفرسانية المعارضة تماماً لهرج ومرج حياتنا السياسية العامية اليومية. لكنني في النهاية أجد في أحيان كثيرة لدى الممتازين من الناس وجهة نظر متبلدة للأشياء، وكأن بذل جهد مستقل، وخوض دراسة جادة شاملة، من أجل فهم مثل هذا الفنان ومثل هذه الأعمال الفنية، ليس بالأمر المهم على الإطلاق.

لقد كنت في غاية السرور عندما سمعت أنك تحينت الفرصة المناسبة لدراسة (الأوبرا والدراما)[2]! وقد أخبرت أصدقائي من ترايبشن بذلك على الفور. وأصدقائي ليسوا بغرباء عنك بأي حال من الأحوال؛ وإذا ما أردت أن ترسل خطاباً مفصلاً إلى ر. ف. بعد أول عرض (للأساتذة الموسيقيين)[3]، فسيكون ذلك مفرحاً للغاية بالنسبة لهم، وسيكونون حينها بالفعل على أتم العلم بالكاتب وبالخطاب. ومن نافلة القول أيضاً أنك إن زرتني، في يوم ما، فسنسافر إلى ترايبشن. إنه لإثراء لا حدود له لحياة المرء أن يكون من المعارف المقربين لمثل هذا العبقري. فبالنسبة لي، كل ما هو جميل مرتبط باسمَي شوبنهاور وفاغنر، وأنا فخور وسعيد لمشاركة هذا الشعور مع أقرب أصدقائي. هل سمعت عن «الفن والسياسة»[4]؟ يمكنني أيضاً أن أعلن لك عن نشر عمل صغير لر. ف.، بعنوان (عن القيادة الموسيقية)، الذي لا يناظره إلا مقال شوبنهاور عن (أساتذة الفلاسفة)[5].

---

(1) اقتباس بتصرف من قصيدة غوته «Glocke Schillers zu Epilog».

(2) من أعمال فاغنر.

(3) كان أول عرض للأساتذة الموسيقيين في برلين في الأول من أبريل سنة 1870.

(4) من أعمال فاغنر.

(5) العنوان الأصلي هو (Philosophie_Universitäts die Über) = (عن ممارسة الفلسفة في الجامعات).

لقد حزنت كثيراً لما جرى لأخيك الصالح[1]. كنا قد التقينا مرّات قليلة في لايبزيغ، حتى بعدما غادرت أنت، ولطالما وقرته. أتمنى أن تتبدل أحوالك للأفضل. لكن يا لبؤس حياتنا: خراب وذعر في كل مكان. ويتطلب الأمر مجهوداً كبيراً للاحتفاظ بعقلية شجاعة. آه، وكم أحتاج أن أعرف أن هناك أصدقاء حقيقيين! فأحياناً تخلو العزلة من الراحة.

المخلص، ف. ن.

(1) شقيق غيرسدورف، ثيودور، الذي وضع في مأوى مجانين.

11. إلى ريتشارد فاغنر

[بازل، 21 مايو، 1870]

باتر سيرافيس:

مثلما لم يقدر لي في العام الماضي حضور احتفالات عيد ميلادك، فإن كوكبة غير مواتية تمنعني من ذلك مجدداً الآن؛ فقلمي اليوم مندفع على مضض بين يدي، في حين أني كنت آمل أن أقوم برحلة في مايو هذا لأزورك.

اسمح لي أن أوجز أمنياتي لك في هذا اليوم بأكبر قدر ممكن من القرب الشخصي. قد يغامر الآخرون بتهنئتك باسم الفن المقدس، باسم أسمى الآمال الألمانية، باسم أمانيك الأكثر حميمية؛ لكن اتركني قنوعاً بأكثر الأمنيات ذاتية على الإطلاق: أن تبقى بالنسبة لي كما كنت في هذا العام المنصرم، أي من يعلمني العقائد الغامضة للفن والحياة. رغم أني قد أبدو في بعض الأحيان بعيداً عنك، بين الضباب الرمادي لفقه اللغة، إلّا أني لا أبعد أبداً، فأفكاري تدور حولك طوال الوقت. ولو صح ما كتبته لي ذات مرّة، وجعلني فخوراً، بخصوص أن الموسيقى هي ما يقودني، فستكون أنت قائد موسيقاي هذه؛ وقد أخبرتني بنفسك من قبل أنه حتى لو كان الشيء متوسطاً، فإن حسن إدارته يستطيع أن يأتي بانطباع مرضٍ.

وبهذه الروح أعبر لك عن أغرب أمنياتي على الإطلاق: أتمنى أن تظل

كما هي عليه، أتمنى أن تستمر هذه اللحظة فهي رائعة بحق! ولست أرجو من العام المقبل إلاّ أنْ أثبت أني لست مستحقًا لاهتمامك الذي لا يقدر بثمن وتشجيعك الصارم. تقبل هذه الأمنية وغيرها مما ستبدأ به العام الجديد من حياتك!

أحد «الأولاد المباركين»[1].

(1) اقتباسات من (فاوست) لفاغنر. والاسم في بداية الرسالة مقتبس أيضا من آخر مشاهد فاوست.

12. إلى إرفين روده

[بازل، 19 يوليو، 1870]

أخيراً تمكنت أنا أيضاً من الكتابة يا صديقي العزيز. تخيل أني أمضيت في هذه الأثناء أسابيع عدة في السرير بسبب التواء في كاحلي، والواضح أن السبب هو أني لم أضحِّ بديك لأسقليبيوس (تذكر قوبي!)[1]، وأكلت أنا الدجاج دوماً (تذكر غوته)[2].

بعد هذه الاقتباسات المثقفة، أشعر أني مضطر لاقتباس مقطع حرفي من إحدى رسائل بولو الأخيرة [3]. «لدينا ذكرى سارة عن تلك الأيام. إن السيد مبتهج للغاية من صديقك؛ فصرامته الرجولية، وحدة انتباهه، والود الحقيقي الذي كان يضيء من وقت لآخر ملامحه الصارمة، كانت تروق له للغاية. فإذا ذهب إلى فرايبرغ، يتوجب عليكما أن تزورا ترايبشن معاً، فيد واحدة لا تصفّق [4] كما يقول سيدنا».

في هذه اللحظة وقعت صاعقة رهيبة: أُعلنت الحرب الفرنكو ـ ألمانية،

---

(1) قوبي هو لقب ليعقوب بوركهارت. ذهب نيتشه وروده وبوركهارت للتمشي إلى قرية الماتنز، قرب بازل في الثامن من يونيو 1870. «ديك لأسقليبيوس» إشارة إلى كلمات سقراط الأخيرة.

(2) إشارة إلى قصيدة غوته "Sommer im Coblenz zu Diné" 1774.

(3) رسائل من كوزيما فون بولو.

(4) اقتباسات من مسرحية «سادة المغنين في نورمبرغ»، الفصل الثاني.

وثقافتنا الرثة بأكملها غارقة في صدر الشيطان المخيف. ترى ماذا ينتظرنا؟! صديقي، صديقي العزيز، لقد تقابلنا مرة أخرى في أفول السلام. فلكم أنا ممتن لك! لو وجدت حياتك محتملة مرة أخرى، تعال إليّ. ما جدوى أهدافنا جميعا؟!

لعلنا وصلنا بالفعل إلى بداية النهاية! فيا له من خراب! ربما نحتاج إلى الأديرة مرة أخرى. وقد نصبح أول الإخوة.

السويسري المخلص [1]،

(1) كان على نيتشه أن يصبح مواطنا سويسريا عند تعيينه في بازل.

13. إلى فرانزيكا نيتشه

سلوز، قرب فيسنبرغ، قرب فورث [29 أغسطس، 1870]

أحر التحيات!

لقد ذهبنا في رحلة لخمسة أيام خارج إيرلانجين[1]، إلّا أن المسير بطيء بما لم نتوقع، على أننا نملك كل وسائل تعجيله ودخلنا فرنسا، على سبيل المثال، جالسين على الفرامل في قافلة إمدادات لا نهاية لها. وقد سرنا البارحة 11 ساعة لإنجاز مهماتنا في غيرسدورف ولانغنزولتسباخ وفي ساحة المعركة بفورث. وبينما أكتب هذه الرسالة، تحضرني ذكرى دمار ساحة المعركة الفظيع وقد بعثر فيها ما لا يحصى من البقايا المحزنة، وعجت فيها روائح الجثث. سنذهب اليوم إلى هاغناول، وغداً إلى نانسي، وهلم جرا..، متبعين الجيش الجنوبي. وقد سافرت أنا ومونسينغل وحدنا، لكن حين نصل بونت آموسون، سنقابل زميلنا الإيرلانغيني زيمسن.

لن تصلني خطاباتك في الأسابيع القليلة القادمة، فنحن في تنقل مستمر، وحركة البريد تسافر ببطء شديد. لست أعلم شيئاً الآن بخصوص

(1) سمحت السلطات في بازل لنيتشه بالانضمام إلى القوات البروسية كمساعد طبي (لم تكن الخدمات العسكرية الأخرى واردة لأنه لم يكن رسميا مواطنا سويسريا). وصل إلى إرلانجن في 13 أغسطس وخاض دورة طبية للتمريض لمدة 10 أيام. ويحلول 7 سبتمبر عاد إلى إرلانجن، فقد كان مريضا بالخناق، وغادر إلى ناومبورغ في 14 ديسمبر ليقضي فترة نقاهة.

تقدمات الجيش هنا، فالصحف لم تعد تطبع. ويبدو أن الشعوب المعادية هنا أصبحت معتادة على الظروف الراهنة. ومع ذلك فهم مهدَّدون بالإعدام جزاءً لأقل إهانة.

لقد صادفنا مستشفيات تلو مستشفيات في جميع القرى التي عبرناها. سأعلمكِ بأخباري مرّة أخرى قريباً؛ لا تقلقِ عليّ.

المخلص فريتز،

أرجو أن ترسلي هذا الخطاب إلى ليزابيث، ففي كثير من الأحيان لا أستطيع الكتابة ولا أكون مرتاحا لأفعل.

14. إلى ريتشارد فاغنر

إيرلانغن، الأحد [11 سبتمبر، 1870]

سيدي العزيز والموقر:

إذن فقد اكتملت أسرتك واستقرت في خضم هذه العاصفة. ورغم ابتعادي الشديد، فقد ظللت أفكر في هذا الحدث وأرجو لك السلام، وقد سعدت وإذ تراءى لي مما خطته زوجتك، التي أحبها كثيراً، أنه قد أصبح من الممكن أخيراً الاحتفال بمثل هذه المناسبات[1]، وعلى نحو أقرب مما توقعنا حين كنا معاً[2].

إنك على علم بذلك التيار الذي جرفني بعيدًا عنك وحرمني من حضور مثل هذا الحفل المقدس الذي كنت أتوق له. لسوء الحظ، وبسبب مرضي، انتهى عملي مؤقتاً كمساعد. وقد أتت بي مهماتي وواجباتي قرب ميتز، واستطعت أنا وصديقي، الموثوق جداً، أن ننجز معظم عملنا بنجاح. وفي آر سور موزل، تولينا مسؤولية المصابين، وعدت معهم إلى ألمانيا. كانت هذه الأيام والليالي الثلاث التي قضيناها معاً في سبيل المصابين أوج جهودنا. كان لدي شاحنة مواشٍ زربة تحمل ست حالات حرجة، وقد

(1) في 25 أغسطس، تزوج فاغنر من كوزيما فون بيلاوف زواجا قانونيا بعد أن طلقها هانز فون بولوف. وقد عُمد ابنهما سيغفريد يوم 4 سبتمبر.
(2) منتصف يوليو، في ترايبشن.

قدمت لهم الرعاية، فضمدتهم، ومرَّضتهم طوال الرحلة بمفردي ـ وكانوا جميعاً بعظام مكسورة، وأصيب العديد منهم بأربعة جروح ـ وقد شخصتُ، علاوة على ذلك، حالتي غرغرينا. تبدو لي نجاتي من هذه الأبخرة الموبوءة بالآفات، وكوني أستطيع النوم والأكل، كما الأعجوبة الآن. لكنني بالكاد سلمت نقلتي في إحدى مستشفيات كارلسروه، حتى ظهرت عليَّ أعراض مرضية خطيرة. وقد وصلت إلى إرلانغن بصعوبة، لكي أوصل العديد من التقارير إلى مجموعتي. ثم رقدت في الفراش، وما زلت كذلك. شخَّص طبيب جيد علتي، وهي، أولاً، زحار حاد، وخناق. لكننا اتخذنا تدابير قوية تجاه كل الأمراض المعدية، وأضحت توقعاتنا اليوم مفعمة بالأمل. وعليه فقد تعرفت على اثنين من تلك الأوبئة سيئة السمعة في وقت واحد؛ لقد أضعفاني وأنهكاني بسرعة، إلى درجة أنه أصبح لزاماً عليَّ أن أشرع في التخلي عن كل خططي للعمل كمساعد طبي، وأن أفكر فقط في صحتي. وهكذا، وبعد الهرولة الوجيزة لأربعة أسابيع، في محاولة العمل من أجل الجميع، ودفعت نحو نفسي مرة أخرى فيا له من وضع بائس!

إنني أفضل ألّا أنبس بكلمة عن الانتصارات الألمانية، فأحرفها مكتوبة بالنار على الجدران، وهي جلية لشتى الشعوب. ليس مسموحاً لي أن أكتب المزيد، وخطابي القادم سيكون لزوجتك المحترمة التي أُلقي عند قدميها أطيب تهانيَّ القلبية.

سلام حار للطفل المعمد! وتحية إلى كل أهل بيت ترايبشن.

المخلص، فريدر. نيتشه

15. إلى إرفين روده

بازل، الأربعاء، قرب 27 نوفمبر [23 نوفمبر، 1870]

إعفاء! صديقي العزيز، لن أعيش مثل هذه السنوات في وقت قريب، ولن يحدث أن أمكث في صمت مطبق طويل كهذا تجاه نفسي في وقت قريب. إنني، وبصدق كبير، على قيد الحياة، وعلى أنني لم أفلت تماماً من الزحار والخناق اللذين قد أضراني كثيراً، لكنني في المجمل، ولمرّة أخرى، رجل بين رجال. لا أفضل أن أخبرك بخصوص ما عايشته في الحرب ـ فلماذا لم تكن هناك معي؟

لم يصلني أي سطر من خطاباتك كلها تلاشت في «ساحة المعركة». لقد رافقني في ترحالي رجل شجاع جداً، وأخبرته قليلاً من الأشياء عنك، أملاً في أن يتعرّف عليك. حاول أن تجعل ذلك ممكناً؛ وسأسر لو فعلت. إن اسمه مونسينغل، وهو رسام يعيش في هامبورغ، كاتارينا شتراسه 41. وهو واحد من أفضل من قابلت، وهو فنان مناظر طبيعية وصاحب قلب عطوف. لقد أحسن إليَّ كثيراً حتى أنه اعتنى بي، في النهاية أثناء مرضي.

أنا الآن نشط مرة أخرى، وسأدَرِّس مساقين تعليميين، «هسيود وعلم العروض»، بالإضافة إلى سيمنار عن «النهج العلمي وأغاممنون» في مدرسة البيداغوغيوم. كيف هي أحوالك؟ هل لا تزال تحت النير

الأكاديمي؟ إذا كان الأمر كذلك، فحظاً طيباً في صيدك السعيد[1]، وفي رحلاتك مع فانوس ديوجانس!

سأقص عليك بإيجاز بعض الأشياء السارة التي أتت في طريقي. أولاً، هناك مقال طويل كتبه فاغنر عن بيتهوفن، وفي فلسفته من روح شوبنهاور وطاقة فاغنر. وقريباً سيصدر مطبوعاً. لقد سألتني السيدة فاغنر في خطاب عما إذا كنت في الخدمة العسكرية، وسألتني عن أحوالك. أما السعادة الثانية، فإن جيكوب بورخاردت سيلقي محاضرة أسبوعية حول دراسة التاريخ وفيها من روح شوبنهاور، وهي لازمة جميلة لكنها استثنائية. وأنا أحضر محاضراته. وعن السعادة الثالثة، ففي عيد ميلادي، أتتني أروع فكرة فيلولوجية على الإطلاق، وأنا أعترف أن هذا لا يبدو كفخر، وليس من شأنه أن يكون كذلك! وأنا أعمل عليها الآن. ولو كنت على استعداد لتصديقي، فسأخبرك أن هناك علم عروض جديد اكتشفته، وأنه يعدّ، وعلى النقيض من العروض التي طورها ج. هيرمان لويستفال أو شميت، انحرافاً[2]. اضحك أو اسخر كيفما شئت ـ فالأمر بالنسبة لي مذهل للغاية. عليّ كثير من العمل لإنجازه، لكنني أستمتع بسف التراب، لأني، هذه المرّة، على أعلى ثقة، وبإمكاني أن أواصل تعميق الفكرة الأساسية. وفي الصيف، كتبت، لصالحي، مقالة طويلة بعنوان «حول النظرة الديونيسوسية للحياة»، حتى أبقي نفسي هادئاً بينما كانت العاصفة تتشكّل.

---

(1) إشارة إلى أغنية فريدريك دي لا موت فوكي، «أغنية الحرب للصيادين المتطوعين» = (Jäger freiwilligen die für Kriegslied).

(2) يشير نيتشه إلى نظريته القائلة بأن القانون الرئيسي لعلم العروض اليوناني كان تباين الكميات الزمنية مع الاحتفاظ بلهجات الكلمات. طالع «نظرية الإيقاعات الكمية والتحقيقات الإيقاعية»، وطالع أيضا خطاباته لكارل فوكس، شتاء 1884 ـ 85، و26 أغسطس، 1888.

بِتَ الآن على علم بأخباري. وأضف إلى ذلك أنني قلق جداً حيال المستقبل (الذي يخيل إليَّ أن عصوراً وسطى مقنعة ستظهر خلاله)[1]، وأن صحتي أيضاً ليست بخير إلاّ حين أتسلم خطابات من أصدقاء أو مقالات حسنة مثل ذلك الذي نشرته في رانشيس ميوزيوم[2]. وأذكر الآن أن فيشت قد عبر عن اهتمام شديد بك وعن امتنانه لك أيضًا.

لقد كنت عوناً كبيراً لي في أطروحة الصراع[3]، فجزيل الشكر لك على مساعدتك. يؤكد ريتشل على أنك لست مصححاً؛ وأنا لم أظن في نفسي أبداً أني كذلك. لذلك فعلى الأقل نحن ملعونان على حد سواء. أريدك أن ترى إن لم يكن بمقدورك الهروب من المهلكة عدوة الثقافة التي ينبت فيها

---

(1) عنوان مقال رود: «Unedirte Lucianscholien, die attischen Thesmophorien und Ha-loen betreffend»، رانشيس ميوزيام، 25، 1870، ص 548.

(2) طالع خطابه رقم 23 (19 يوليو، 1879) إلى رود. في 7 نوفمبر 1870، كتب نيتشه إلى كارل فون جيرسدروف: «إنني قلق للغاية حيال المستقبل الثقافي العاجل... وبشكل سري، أعتبر بروسيا الآن قوة شديدة الخطورة على الثقافة. سأكشف لاحقا في العلن عن تنظيم المدارس؛ وسأدع لشخص آخر محاولة كشف المكائد التي تحاك الآن من برلين لصالح القوى الكنسية الكاثوليكية الرومانية. أحيانا يكون الأمر غاية في الصعوبة، لكن الواجب علينا أن نكون فلاسفة بما يكفي لنظل على بيِّنة وسط السُعار العام - وذلك لئلا يقتحمنا العدو ويسرق أو يضعف ما لا ترقى، في رأيي، إليه بأي شكل كان تصورات الأحداث العسكرية أو حتى مشاعر التمجيد الوطني». لم يكن نيتشه الوحيد الذي خاف من صعود قوة الدولة البروسية في عهد بسمارك، لكن قلة قليلة من النخبة المثقفة تشاركت هذا الخوف. (طالع: هانز كون: عقل ألمانيا، نيويورك، هاربر تورشبوكس، 1965، ص 207 ـ 221). كان التعصب القومي الألماني الشوفيني لفاغنر، إلى جانب تدينه المتكلف، وراء الفِراق اللاحق بينه وبين نيتشه. في هذه المرحلة، كان نيتشه لا يزال مفتونا بجاذبية «عمقه»، و«جديته»، و«جوهره» (طالع خطابه في 21 يونيو، 1871، إلى جيرسدروف) الصفات التي يجدها جديرة بالإعجاب في الأشياء الألمانية

(3) يشير إلى تصحيح روده لأطروحة نيتشه «صراع يسمى هوميروس وهسيودوس»، لايبزغ، 1871.

العبيد والكهنة كما الفطر، وسيعتمون لنا ألمانيا بأكملها بضبابهم. ألا تتفق معي في ذلك؟ حسناً؟ وأنتَ لا تنظر إليّ الآن بعين الريبة؟ يعلم الرب أن هذا سيكون مؤسفاً.

وداعاً، صديقي العزيز ف. ن.

مع إرسالي إيّاك تحيات احتفال عيد ميلادي، أتمنى لك صحة جيدة، وأستاذية، وزوجة، لو سمحت.

16. إلى كارل فون جيرسدروف

بازل، 12 ديسمبر [1870]

صديقي العزيز:

يا لسعادتي لو أنك نجوت من الهجمات التي شنت خلال الأسابيع المنصرمة دون أن يضرك شيء![1] ينبغي عليَّ ألا أفكر إطلاقاً في مثل هذه الأمور المريعة إذا كنت أريد أن أبقي معنوياتي مرتفعة.

لكنني الآن أريد أن أكتب لك خطاباً على أمل؛ بل وعلى افتراض، أنك هربت حتى من تلك المخاطر المفزعة، بشجاعة وبحظ، كمحبوب لدى إله الحرب ـ لكن دون أن تبادله الحب.

ترى متى يصلك هذا الخطاب؟ لعله يصلك في عيد ميلادك؛ فإن كنت تحتفل به، هذه المرة، في سلام وعافية، فكن مثل بوليكراتس وقدم أضحية للشياطين.

إنني أرسل إليك آخر أعمال فاغنر، وهو عن بيتهوفن، كرمز للمجتمع السري لمسعانا وأفكارنا المجتمعة تحت راية واحدة، وهو ما يشير عليه فاغنر في هذا العمل باعتباره المؤدي الوحيد إلى الهدف. إنني أطالعه

(1) يشير إلى محاولة جيش فرنسا الثاني بقيادة الجنرال «ديوكرو» اختراق جبهة بري ـ فيليه ـ شامبينيه بين 30 نوفمبر و4 ديسمبر. كان جيرسدروف ملازما ثانيا في فوج الحرس الرابع في فرقة المشاة البروسية الأولى.

بمزاج من الابتهاج والتبجيل؛ ففيه من الأسرار العميقة ما هو جميل ومريع، وفيه أيضاً من أروع إيحاءات الموسيقى نفسها.

لدي صورة لفاغنر في ترايبشن، أرسلها لك مع أحرّ التحيات. كتبت لي السيدة فاغنر: «إليكِ الصورة التي وعِدت بها من أجل الجندي الفيلسوف؛ لا يمكن لفاغنر أن يجد من هو أفضل من رجل يؤدي واجبه ببسالة، دون أن يأنف من التأمل في جوهر الأشياء، ليرسلها إليه».

وإليك أمر سار آخر. لقد كان كرماً منك أن تخبرني في خطابك الذي كتبته من الميدان بخصوص المنشور الذي يضمن انتشار أفكار شوبنهاور في فرنسا هي الأخرى[1]. لقد شعرت بالانتصار حين وجدت مؤخراً في تقارير أكاديمية فيينا للعلوم مقالاً كتبه البروفيسور تشيرماك حول نظرية شوبنهاور للألوان. فذلك يؤكد على أن شوبنهاور اكتشف على نحو مستقل وأصيل ما يعرف الآن بنظرية يونغ وهيلموهولتز للألوان؛ فالأخيرة ونظرية شوبنهاور متوافقتان بطريقة مدهشة، وذلك حتى في أدق التفاصيل. ويقال إن نقطة الانطلاق، اللون كمنتج فيزيولوجي للعين في الأساس، كانت قد أكدت في البداية من قبل شوبنهاور. يأسف تشيرماك على أن شوبنهاور لم يستطع تخليص نفسه من نظرية غوته «الواهية علمياً» ومن معارضته للنيوتنية. وعلاوة على ذلك، فإن تشيرماك يقول عن شوبنهاور (وهو ليس نصيراً لفيلسوفنا) أنه «أقوى فيلسوف منذ كانط». ومن شأن ذلك أن يرضينا بما يكفي.

إن هذا المقال ومعه موافقة فاغنر على المذهب الشوبنهاوري يعدّان

(1) جوهان ن. تشيرماك، حول نظرية شوبنهاور للألوان: مساهمة في تاريخ نظرية الألوان (فيينا، 1870).

بطريقتهما إسهامات للنصب التذكاري لهيغل[1]. والحق أن المقالات الجدلية بالكاد لها أهمية الآن، حتى إن حقيقة صدور طبعة ثانية لكتاب (فلسفة اللاوعي) لهارتمان - وهو كتاب طُرحت مسائله بمظهر شوبنهاوري على الأقل - تستحق ذكرها كإشارة أخرى إلى التغير العام في المواقف[2]. أعطني بضع سنين أخرى وستلاحظ النفوذ الجديد في دراسة العصور القديمة أيضاً، ومع هذا النفوذ آمل أن تدب روح جديدة في التعليم العلمي والأخلاقي لأمتنا.

لكن يا لأعداء الإيمان الذين ينبتون من تربة هذه الحرب اللعينة! إنني متحضر للأسوأ، وفي الوقت عينه واثق من أنه في خضم هذه المعاناة والإرهاب ستتفتح زهرة المعرفة في مكان أو في آخر. إن كفاحنا لم ينته بعد، ولذلك يتوجّب علينا أن نعيش! وكان لزاما عليَّ أيضاً أن أثق في أنك منيع؛ فالرصاصات المصوبة نحونا لا تقذفها البنادق ولا المدافع! وإلى اللقاء يا صديقي العزيز!

المخلص دائماً، فريدريك نيتشه.

لقد استلمت ما خطته يداك الآن وسعدت من كل قلبي بأن افتراضي كان في محله. وأرجو من الدايمون أن يستمر منحك سعيد الحظ! لن يسمح لي مكتب البريد حالياً بإرسال مقال بيتهوفن. لن تصلك حتى يناير.

(1) كشف النقاب أخيراً عن تمثال هيغل النصفي الذي نحته بليزر في برلين في عام 1872. خلدت المدرسة الهيغلية المعركة القديمة بين هيغل وشوبنهاور (والتي أدت في السابق إلى فشل الأخير سعيد الحظ في الحصول على منصب أكاديمي).

(2) كان نيتشه قد ابتعد بالفعل عن شوبنهاور في الوقت الذي بدأت فيه جاذبية الأخير في الانتشار خلال سبعينات القرن التاسع عشر، بالتزامن مع اللامبالاة السياسية والاستقرار الاقتصادي لدى الطبقة الوسطى الألمانية.

17. إلى إرفين روده

[بازل، 15 ديسمبر، 1870]

صديقي العزيز:

لم تمض دقيقة بعد قراءتي خطابك حتى بدأت أكتب إليك. فلقد أردت أن أخبرك أني أشاركك مشاعرك تمام المشاركة، وأعتقد أن من العار ألا نحرّر أنفسنا على نحو جذري من هذا التوق والوهن. والآن اسمع لما أظل أجيل فكري فيه. دعنا نستمر عاماً آخر أو عامين في هذه الحياة الجامعية، ولنتخذها درساً محزناً علينا تقبله بجدية واندهاش. وينبغي أن نخصّص هذه الفترة للتدرب على التدريس، إلى جانب أشياء أخرى، وستكون مهمتي أن أدرب نفسي بنفسي؛ فالأمر أني رفعت من سقف طموحي قليلاً.

فلقد تعلمت أيضاً، على المدى الطويل، ما تدور حوله تعاليم شوبنهاور حول الحكمة الجامعية، فليس ممكناً ههنا أن نجد مؤسسة متطرفة لأجل *الحقيقة*. وفوق كل شيء، فلا يمكننا أن ننتظر شيئا ثوريا لينبجس من هذا الوسط.

بعد ذلك، يمكننا أن نصبح معلمين حقيقيين بأن نقتلع أنفسنا بكل ما نملك من وسائل من جو هذه الأوقات، وبألاّ نصبح أكثر حكمة فحسب؛ بل ورجالاً أفضل أيضاً. وفي هذا الصدد أيضاً، أشعر أن عليَّ أن أكون *حقيقياً*. وذلك سبب آخر يمنعني عن استنشاق الهواء الأكاديمي لمدة أطول.

ويوماً ما سنتحرّر من هذا القيد، هذا ما أوقن به. وبعدها فلنؤسس أكاديمية يونانية جديدة. سينضم لنا روموندت في ذلك بالتأكيد. وبفضل زياراتك لترايبشن، ستصبح على علم بخطة بايرويت لفاغنر. لقد كنت أفكِّر بيني وبين نفسي فيما إذا كان علينا نحن أيضاً ألاّ نخالف الفيولولوجيا كما مورست حتى الآن، ولا جانبها التعليمي هو الآخر. إنني أحضر عظة طويلة لأولئك الذين لم يختنقوا ولم يبتلعهم عصرنا الحالي. غير أنه من المؤسف أن عليَّ أن أكتب إليك عن هذا الأمر، وأننا لم نتناقش سوياً في كل الأفكار! فلأنك لست على علم بكامل أدواتي الحالية، ستبدو لك خطتي نزوة غريبة الأطوار. لكن ذلك ليس ما عليه الأمر، فهي حاجة داخلية ملحة.

سيعطيك كتاب فاغنر الجديد عن بيتهوفن فكرة جيدة عما أرغب فيه من المستقبل. اقرأه، فهو كشف عن الروح التي قد يتسنى لنا أن نعيشها مستقبلاً.

وحتى لو لم نجد كثيراً من الناس ليشاركونا وجهات نظرنا، فلا زلت أؤمن أن بإمكاننا ـ وليس من دون خسارات بالطبع ـ أن نسحب أنفسنا عن التيار السائد، وأن نصل إلى جزيرة لا نضطر عليها أن نصم آذاننا بالشمع مرّة أخرى. ثم نصبح معلمين لبعضنا بعضا، وستغدو كتبنا خطافات لاصطياد الناس لمجتمعنا الرهباني والفني. وستكون حياتنا، وعملنا، ومتعتنا من أجل بعضنا بعضاً؛ ولعل هذا هو السبيل الوحيد الذي سيمكننا من العمل من أجل العالم بأسره.

لكي أعبر لك عن مدى جديتي في ما أعنيه ههنا، فقد شرعت بالفعل في الحد من احتياجاتي، فأحتفظ بذلك بقليل من رأس المال. وعلينا أيضاً أن نجرب حظنا في اليانصيب، وحين نؤلف كتباً، سأطلب في القريب

العاجل أن نحصل على أعلى رسوم ممكنة. وباختصار، علينا أن نستخدم كل الوسائل المسموح بها، فيتسنى لنا من الناحية المادية أن نؤسس ديرنا. وعليه فقد تحدّدت مهمتنا للسنوات القليلة المقبلة أيضاً.

وقبل كل شيء، أرجو أن تجد خطتي مستحقة للأخذ بالاعتبار! وخطابك المؤثر، الذي استلمته للتو، يشهد على أن الوقت قد حان لأقدمها لك.

وبكل تأكيد ينبغي أن نستطيع تأسيس أكاديمية من نوع جديد:

أفلا ينبغي عليَّ، بقوة رغبتي المحضة...أن أرسم في هذا العالم النموذج الأكثر تفرّدًا؟

كما يقول فاوست لهيلين.

لم يدر أحد بخصوص هذا المشروع، والخيار خيارك بخصوص ما إذا كان علينا أن نذكر بعضه مقدماً لروموندت.

إن مدرستنا الفلسفية ليست بالطبع استرجاعاً تاريخياً أو نزوة اعتباطية، أليس ما سيضعنا في هذا الاتجاه حاجة داخلية ملحة؟ يبدو أن خطتنا التي أعددناها حين كنا طلاباً لكي نخوض رحلة معاً، قد عادت، مرّة أخرى، في نموذج جديد وبرمزية أكبر. ولن أكون الشخص الذي سيتركك فجأة كما فعلت سابقاً؛ ذلك أمر لا يزال يزعجني[1].

أطيب الأمنيات،

المخلص فراتر فريدريكوس

اعتباراً من 23 ديسمبر وحتى يناير، سأكون في ترايبشن، قرب لوييم. لم أتلق أي أخبار عن روموندت.

(1) يشير نيتشه إلى خططها السابقة للذهاب إلى باريس؛ فقد منعته وظيفته ببازل من تنفيذها.

18. إلى فيلهيلم فيشار بيلفينغر

[بازل، نحو يناير، 1871]

سيدي المستشار الموقر.

أرجو منك أن تولي، بدرجة خاصة، المخطط الآتي ذكره نصيحتك واهتمامك الحقيقي كما عهدتك كثيراً. وسترى أني حافظت على مصلحة الجامعة بكل جدية، وأن صالحها الحقيقي هو ما يضطرني لأن أعرض عليك هذه الحجة المفصلة بعض الشيء.

سيخبرك أطبائي بمدى السوء الذي وصلت إليه حالتي الصحية مرة أخرى، وأن هذا الظرف العصيب إنما هو نتيجة للإجهاد المفرط. لقد سألت نفسي مراراً وتكراراً لأخرج بتفسير لهذه الحالة التي تصيبني كل منتصف فصل دراسي تقريباً؛ وكان لزاماً أن أدير فكري فيما إذا كان عليَّ ألا أتخلى عن عملي الجامعي بأكمله، بوصفه طريقة حياة غير ملائمة لطبيعتي، لكنني توصلت في النهاية رغم ذلك إلى استنتاج آخر أود أن أقدمه إليك الآن.

إنني أعيش ههنا في صراع من نوع خاص، وهو ما يستنزفني؛ بل وحتى يمزقني جسدياً. فلأن طبيعتي تستحثني بأقصى درجات الإلحاح لإجراء تحقيق فلسفي شامل متجانس فكرياً، وأن أستغرق دون اضطراب وبتدبر

ثابت في مشكلة واحدة، فإنني أشعر أني دائماً ما أشتت هنا وهناك، فأبعد عن مساري، وذلك بفعل مهنتي ونظامها.

لم يعد بإمكاني أن أحتمل هذا الجمع بين مدرسة البيداغوغيوم والجامعة، ذلك أنني أشعر أن مهمتي الحقيقية، التي يتحتم عليَّ إذا لزم الأمر أن أضحي من أجلها بأي مهنة، أي مهنتي الفلسفية، تعاني بفعل ذلك؛ بل وهمشت حتى صارت نشاطاً جانبياً. وإني لأعتقد بأن هذا الوصف يحدد بدقة كبيرة ما يمزقني هنا ويمنعني من الاشتغال بحرفتي بانتظام وفي سكينة، وما ينهك، من ناحية أخرى، جسدي ويستفحل ليصبح معاناة كالتي أعيشها الآن، والتي لو كان لها أن تستمر في التكرار، فستجبرني بدنياً على التخلي تماماً عن مهنتي كباحث في كلاسيكيات.

وعلى هذا الأساس آخذ إجازة لأقدم لك طلب تعيين في شاغر أستاذ الفلسفة بعد رحيل تايكمولر. وفيما يتعلق بحقي الشخصي في التطلع إلى أستاذية الفلسفة، فينبغي عليَّ بالطبع أن أكتب توصيتي الخاصة، معتقداً أنني أملك القدرة والعلم اللازمين لذلك؛ بل وشاعراً أيضاً بأني أكثر جاهزية لتلك الوظيفة مقارنة بأخرى فيلولوجية بحتة[1]. لم يساور من يعرفونني

(1) فهم نيتشه الفلسفة على أنها شيء يكامل ويوحد بين جميع أفرع المعرفة، وهو ما اتفق عليه أدريان ليفركون وزيرينوس تسايتبلوم في رواية دكتور فاوستوس لتوماس مان: «ولقد أكلنا على أنها [الفلسفة]، تحتل بينها [العلوم] مكانا كمكان الأرغن بين الآلات الموسيقية: فهي قادرة على تفقدها؛ وتجمع بينها من الناحية الفكرية، وقد رتبت قضايا البحث ونقتها لتصنع منها صورة كونية، وتوليفة مهيمنة وحاسمة تدرك معنى الحياة، وإحاطة ممحّصة لموقع الإنسان في الكون»، (دكتور فاوستوس، ترجمة: هـ. ت. لاوبورتر، نيويورك، كنابف، 1948، ص: 80 ـ 81). قد يكون أول مقال يعارض هذه النظرة للفلسفة في حالة نيتشه بوصفها مركز تبادل معلومات لاكتشافات التخصصات الأخرى هو مقال ألفريد فيرنر: «نيتشه كفيلسوف وفلسفة عصرنا»، أرشيف تاريخ الفلسفة (برلين، 1916).

منذ سنواتي في المدرسة والجامعة شك في هيمنة ميولي الفلسفية، وحتى في دراساتي الفيلولوجية، كان أكثر ما جذبني تلك الدراسات التي بدت مهمة لتاريخ الفلسفة أو المشاكل الأخلاقية والجمالية. ومع ذلك، فأنا موافق كليا على حكمك وسأطبقه على نفسي، فأثناء هذه الحالة الصعبة للدراسات الفلسفية الجامعية، وبالنظر إلى قلة عدد المناسبين بحق من بين المتقدمين، فإن الشخص الذي يملك الحق الأكبر هو من خاض تمريناً متماسكاً في الفيلولوجيا ويستطيع أن يستحث في الطلاب اهتماماً بالتفسير الدقيق لأرسطو وأفلاطون. أود أن أذكرك بأني قد أعلنت بالفعل عن مساقين دراسيين سيكونان فلسفيين وفق ذلك المعنى: «الفلاسفة القبل أفلاطونيين، مع تفسير لبعض الشذرات المختارة»2[1]، و«عن المسألة الأفلاطونية»[2]. إنني لم أدخر طيلة دراستي للفيلولوجيا أي جهد لأظل على مقربة من الفلسفة؛ بل والحقيقة أن اهتمامي الأول يتجه دائماً نحو المسائل الفلسفية، وذلك ما يجزم به كثيرون من معارفي. وبإمكان الزملاء هنا، كأوفربك مثلاً، أن يعطوك معلومات حيال ذلك؛ وأمّا عن الآخرين بعيداً عن هنا، فلا أحد أعلم من صديقي الدكتور رود، المحاضر الخارجي بكيل. لقد كان الأمر محض مصادفة أنني لم أخطط لدراسة الفلسفة منذ بداية عملي الجامعي، وتلك حادثة حرمتني من أن أكون معلم فلسفة متميزاً ومتحمساً بحق، وهو ما لم يكن ليفاجئ أحداً، نظراً لكوكبة الشروط الموضوعة في وقتنا هذا للفلسفة في الجامعات. لكن في ذلك،

(1) أعلن نيتشه عن تدريس هذا المساق الدراسي في الفصل الدراسي لشتاء 1869 ـ 1870، لكنه لم يفعل ذلك حتى صيف 1872.

(2) لم يدرِّس نيتشه مساقا دراسيا بهذا الاسم مطلقا، لكنه خلال الفصل الدراسي لشتاء 1871 ـ 1872 درس مساقا دراسيا بعنوان «مقدمة إلى دراسة المحاورات الأفلاطونية».

إذا جاز لي هنا أيضاً أن أتبع صوت طبيعتي، يكمن تحقيق واحدة من أحر أمنياتي، وإني لآمل وأثق أنه، وفور انتزاع التعارض المذكور آنفاً ستصبح حالتي البدنية أكثر انتظاماً. وسيصبح بإمكاني، في وقت قريب بما يكفي، أن أظهر للعلن استحقاقي للتوظيف في الفلسفة، فأعمالي المنشورة عن ديوجانس اللايرتي[1] تستحق على أي حال أن تؤخذ في الاعتبار نسبة إلى طموحاتي في تاريخ الفلسفة. لطالما كنت مهتماً بالمسائل والاستفسارات التعليمية؛ ولأن يسمح لي بأن أحاضر عن هذه الأمور فستكون تلك فرحة من نوع خاص بالنسبة لي. لقد درست من بين الفلاسفة المعاصرين كانط وشوبنهاور بميل خاص. ومن المؤكد أنك أصبحت بسبب العامين الماضيين أكثر ثقة في أنني أعرف كيفية تجنّب أي شيء أخرق ومهين، وأن بإمكاني التفرقة بين ما هو مناسب لمحاضرة طلابية وما ليس كذلك[2].

لو جاز لي أن أقدم مشروعي بأكمله، فإني أظن أنك ستجد في روده خلفاً مناسباً تماماً لأستاذيتي في الفيلولوجيا الكلاسيكية ولمنصبي في مدرسة البيداغوغيوم. إن رود، الذي كنت على علاقة قريبة جداً به لأربع أعوام، هو أكثر الفيلولوجيين الشباب الذين عرفتهم كفاءة، وهو زينة لأي جامعة ستكسبه؛ وعلاوة على ذلك، فهو لا يزال متاحاً، رغم أني سمعت أن كيل تفاوضه ليحصل على منصب دائم بإنشاء أستاذية

(1) كاتب إغريقي (180 ـ 240).

(2) كانت الأكاديميات في تلك الفترة متشككة كثيرا في مؤهلات شوبنهاور كفيلسوف، وذلك لأسباب ليس أقلها الاحترام المنسوب لهيغل. لن يجد المرء صعوبة كبيرة في تصور الوجوه المتشككة للمسؤولين حين طرح مشروع نيتشه أمامهم (إذا كان قد طرح)؛ لكن ومع أن الخطاب يظهر براءة كبيرة، بل وأخاذة أيضا، فإن بازل كانت لتصبح جامعة رائعة لو أن نيتشه كان فيها فيلسوفا، واختص روده بالحضارة الكلاسيكية، وكان بوركهارت مؤرخا.

استثنائية للفيلولوجيا الكلاسيكية. لا يمكنني أن أعبر عن مدى السكينة التي ستغمر حياتي بقرب أعز أصدقائي. ويمكن لهذا الاستبدال أن يتم فور بدء الفصل الصيفي، وذلك لتفادي وجود شواغر في الوظائف. أما بالنسبة لي، فسأصبح مستعداً فور إرسالك إياي تفاصيل محاضراتي في الفلسفة، وسأستهل وظيفتي الجديدة في مطلع الصيف بمحاضرة افتتاحية اعتيادية.

سيدي المستشار الموقر، لا تخف من طبيعة اقتراحي غير الاعتيادي، وخذها في اعتبارك.

وإني لأطلب منك معروف التساهل، ونصائحك، واهتمامك، فأنا خادمك المطيع.

د. ف. نيتشه، أستاذ الفيلولوجيا الكلاسيكية.

19. إلى إرفين روده

لوغانو، أوتيل دو بارك (لكني سأغادره في نهاية الأسبوع)

[29 مارس 1871]

نعم يا صديقي العزيز، فلنكسر التعويذة! هذا صعب بالنسبة لي، وهو في الوقت الحالي مستحيل للغاية. ذلك أني لا أملك أدنى أي فكرة عن كيفية تطوّر الأمر لا شيء على الإطلاق. لقد كتب لي فيشر مرّة واحدة هنا (في لوغانو)، لكن رسالته لم ترد فيها كلمة واحدة عن اهتمامنا المشترك. ومن ناحية أخرى، قبل مغادرتي بازل وبعد أن كتبت إليكم، فقد وجدت بعض المؤشرات على أن «الفيلسوف» ستيفنسن لم يكنّ مشاعر إيجابية تجاه مشروعنا. لك أن تفكّر كيف أصبحت في براثنهم إذا كان بإمكانهم التذرع بإعجابي بشوبنهاور، الذي لم أعتبره سراً. إضافة إلى ذلك، لا بد لي من إثبات وإضفاء الشرعية على نفسي كفيلسوف إلى حد ما؛ وتحقيقا لهذه الغاية فقد انتهيت، باستثناء بضع لمسات، من عمل قصير بعنوان **مولد التراجيديا والغاية منها**. وهذا يعني، في اعتقادي، أنه سيتعيّن علينا الانتظار قليلاً على الأقل حتى مجيء عيد الملاك ميخائيل في 29 سبتمبر، فإذا سارت الأمور على ما يرام، سيكون القرار حينئذ في صالحنا. بطبيعة الحال، فإن الحالة المحزنة المتمثلة في عدم الاستقرار وعدم الرضا سوف تمتد لفترة طويلة، لأننا متنقلون دوماً، ولدينا الكثير من الوقت لاختبار

برود دمنا الفلسفي بناءً على توقعات لا أمل فيها للغاية! هذا هو الجانب المعاكس لموجات دماغي؛ فإذا نجحت بسرعة وبشكل غير متوقع، فالمجد لي! أمّا إذا كان ذلك يعني التأخير، فهو البؤس! لقد اخترنا الحصة الأطول، وهي هذه المرة تعد الأقصر أيضًا.

ما زلت أبعد من أفضل حالات الصحة؛ فأنا لا أستطيع النوم كل ليلة من كل اثنتين. ورغم أنني أشعر بالمزيد من الإشراق والهدوء وأحس بأنني بخير على العموم، فإنني قد لا أفكّر في السفر بعد؛ فما أن أمسك بثوب إيطاليا حتى أدعه ينفلت مرة أخرى. لم أر بحيرة كومو ولا لانغن حتى، وقضيت في لوغانو أكثر من ستة أسابيع كاملة. لم يكن الطقس إيطالياً جداً على العموم؛ إذ لم أشعر حتى الآن بربيع يفترض أن يكون أشد ربيعياً من ربيعنا الألماني، رغم أن الجبال الأوطأ المحيطة بنا ما تزال مكللة بالثلوج، وحتى قبل أسبوعين كانت حديقة الفندق مغطاة بالثلج - والفندق جيد بالمناسبة. غير طبيعية! هكذا يقول الناس عن تلك الراحة الباردة، التي اعتدت عليها منذ مجيئي إلى سويسرا.

بالإضافة إلى العديد من موجات الاكتئاب وأنصاف الموجات، فقد مررت أيضاً ببعض حالات السمو الشديد، وأوردت بعض الدلائل على ذلك في العمل الصغير الذي ذكرته. أما عن فقه اللغة فقد صرت أشعر بالتباعد المذهل بنحو مخزٍ للغاية. والثناء واللوم اللذان يكالان على هذا الجانب من الأمور، حتى على الأمجاد الأرفع، يصيبانني بالرعدة.

وهكذا فقد بت أعتاد تدريجياً على أن أكون فيلسوفاً، وأنا بالفعل أؤمن بنفسي، حتى إنني سأكون مستعداً لذلك لو أصبحت شاعراً. لا يوجد لدي أي توجه على الإطلاق فيما يتعلق بنوع المعرفة التي تبدو

مقدّرة لي؛ ومع ذلك، فحين ألخص الأمور يبدو أن كل شيء يتلاءم معاً، كما لو كنت أمضي خلف مارد خير حتى الآن. لم أكن أعتقد مطلقاً من أن أي شخص غير متأكد من أهدافه، ويفتقر تماماً إلى الطموح الأعلى فيما يتعلق بالثبات في وظيفته، يمكن أن يشعر بالوضوح والهدوء الذي أشعر به على العموم. يا له من شعور رائع أن ترى عالمك الخاص، ككرة جميلة، تدور وتكتمل أمام ناظريك! ألاحظ في بعض الأحيان بعض النمو الميتافيزيقي، وأحياناً جمالية جديدة؛ ثم أجد نفسي في أوقات أخرى أفكر في مبدأ جديد للتعليم، رافضاً كلياً مدارسنا الثانوية وجامعاتنا. كل ما أتعلمه الآن يجد مكاناً جيداً في ركن ما ضمن ما تعلمته بالفعل. والأهم من ذلك كله أنني أشعر بنمو عالمي الخاص هذا عندما أفكر، ليس بهدوء ولكن بروية، فيما يسمى تاريخ العالم خلال الأشهر العشرة الماضية، وأستخدم ذلك كوسيلة لتحقيق أهدافي الجيدة، دون أي تبجيل مبالغ فيه لتلك الوسائل. إن كلمتي «فخر» و«جنون» أضعف بكثير من أن تصف «أرقي» الفكري. فهذه الحالة تمكنني من النظر إلى الوضع الجامعي بأكمله باعتباره شيئاً عارضاً، غالباً ما يكون مصدر إزعاج فحسب، وكرسي الفلسفة هذا نفسه إنما يجذبني في الواقع من أجلك فقط، ذلك أني أعتبره أيضاً مجرّد أمر مؤقت.

آه كم أتوق إلى صحة جيدة! على المرء فقط أن يخطط لشيء يدوم لفترة أطول من عمره، ثم يشعر بالامتنان لكل ليلة سعيدة يقضيها، لكل شعاع دافئ من أشعة الشمس، وحتى لجهاز هضمي منظم! ولكن بعض أعضاء بطني منزعجة حالياً. ولهذا ينتابني هياج الأعصاب والأرق والبواسير ومذاق الدم، وهلم جرا. لا تنسب من فضلك حالتي الذهنية

الموصوفة أعلاه إلى وضع غددي أيضاً! أو لعلي أخاف على رغبتي في الخلود، لأنني لم أسمع أبداً عن إلهام انتفاخ البطن لحالة فلسفية.

ومع هذه الحالة فإني أوصي إليك بنفسي وأرجو منك عدم التخلي عن الأمل تماماً؛ إني أعلم كيف سيشعر فيشر بالسعادة لمعرفته هذه المسألة. أما إهمالي في الكتابة فأفضل ألا أعتذر عنه؛ لكنك تعلم أنه كلما احتاج المرء إلى أصدقاء أقصر، كان أميل لأن يكتب أقل في العادة.

إن الحال كما يجب أن يكون، لكنه ليس بالأمر الصحيح، بغض النظر عن كل شيء. ولذا فسوف تصلك رسالة مني قريباً مرة أخرى. وفي هذه الأثناء فكر بي كما أفكر بك دوماً، يا صديقي العزيز.

ف. ن.

20. إلى كارل فون غيرسدورف

بازل، 21 يونيو 1871

صديقي العزيز:

وهكذا فقد عدتَ إلى المنزل آمناً **وسالماً** من الأخطار الوحشية، وأخيراً بات يمكنك التفكير مجدداً في الأدوار والمهام السلمية، واعتبار تلك الحلقة المرعبة من الحرب حلماً واقعياً ولكنه قد تلاشى من حياتك. أما الآن فتنتظرك واجبات جديدة. ولو تبقى لنا في السلم شيء واحد من لعبة الحرب الوحشية هذه، فهي الروح البطولية والمتأملة التي وجدت بنحو أدهشني، كاكتشاف جميل غير متوقع، إنها حية ونشطة في جيشنا، ومفعمة بالصحة الجرمانية القديمة. يمكننا أن نبني على ذلك: ربما لا يزال لدينا أمل! إن مهمتنا **الألمانية** لم تنته بعد! معنوياتي الآن أفضل من أي وقت مضى، لأنه لم يدمر كل شيء جراء السطحية الفرنسية اليهودية و«الأناقة» والاضطراب الجشع للعصر الحالي. لا تزال هناك شجاعة ـ وشجاعة ألمانية ـ وبينها وبين شعور جيراننا المساكين فرق داخلي لا ينكر.

علاوة على الصراع بين الأمم، كان الشيء الذي أرهبنا هو رأس الهيدرا الدولية الذي أطل، فجأة وبصورة مرعبة، كدليل على صراعات مختلفة تماماً ستتجلى في وقت لاحق. إذا استطعنا مناقشة هذا الأمر معاً، فسنتفق على أنه في هذه الظاهرة بالتحديد فإن حياتنا الحديثة؛ بل أوروبا المسيحية

ودولها قاطبة في الواقع، ولكن قبل ذلك كله الحضارة «الرومانية» التي تسود الآن في كل مكان، تُظهر الدرجة الهائلة التي تضرّر بها عالمنا، وأننا جميعاً، وكل ماضينا يقف وراءنا، بتنا مسؤولين عن ظهور مثل هذا الإرهاب، بحيث يجدر بنا الحذر من أننا لا ننسب إ هؤلاء المؤسسين وحدهم جريمة القتال ضد الثقافة. وأنا أعرف ما يعنيه القتال ضد الثقافة. فعندما سمعت عن الحرائق التي اندلعت في باريس[1]، شعرت بالهلاك لعدة أيام وغمرتني المخاوف والشكوك. لقد بدا الوجود العملي والعلمي والفلسفي والفني برمته عبثاً، إذا كان في قدرة يوم واحد أن يقضي على أعظم الأعمال الفنية مجداً، بل على عصور فنية بأكملها؛ ولذا تشبثت بقناعة مخلصة بالقيمة الميتافيزيقية للفن، التي لا يمكن أن توجد من أجل البشر الضعفاء، ولكن لديها مهام أعلى تريد إنجازها. ولكن حتى عندما كان الألم في أسوأ حالاته، لم أتمكن من إلقاء حجارة على هؤلاء المجدفين، الذين كانوا في نظري مجرد حاملين للذنب العام، مما يمنحك الكثير من الأسباب للتفكير.

أرفق رسالة تظهر فيها أعمالي الفلسفية أكثر مما يوحي به العنوان[2]. اقرأها بلطف. لدي الكثير من الأشياء في طور الإعداد، وأنا الآن أستعد لكفاح أعرف أن أصدقائي سوف يهتمون به كثيراً. كم يمكن أن نتحدث عنه معاً، يا صديقي العزيز، ومتى أرجو أن تزورني؟

لقد سمعتَ الكثير من فاجنر، وأعتقد أنها أشياء جيدة فقط، في مجلة

---

(1) كان «قصر التويلري» قد دمر بالنار في 24 مايو 1871 خلال انتفاضة الكومونة؛ وقد روي آنذاك أن «اللوفر» قد دمر أيضا.

(2) يعني بها سقراط والتراجيديا اليونانية.

Allgemeine Norddeutsche، وأيضاً عن الخطط الكبيرة لبايرويت. كل شيء يسير بشكل جيد للغاية. يتذكرونك بلطف في تريبشن؛ وقد قلت لهم: إنك وعدتني بزيارتهم في الصيف.

لقد تحسنت صحتي هذا الصيف. ومع ذلك فإن الطقس متغير للغاية. اليوم غائم وهناك أمطار باردة. وخلال الصيف، سأكون من 15 يوليو إلى 13 أغسطس في غريملوالد، بالقرب من مورين، في غابة بيميز، مع أختي. لقد حجزنا بالفعل غرف هناك في نزل صغير ذي موقع رائع. هل شاهدت المسيرة إلى برلين؟

مرة أخرى، صديقي العزيز، يسعدني أن أفكّر في زيارتك القادمة. يتطلع المستشار فيشر (الذي اعتاد زيارة منزل والدك في فايمار كطالب) إلى وصولك؛ ذلك أن جميع معارفي يعرفون عن أفعالك.

كن جيداً؛ بل كن أفضل وأفضل، فقد استحققت ذلك.

أرجو أن تقدم تحياتي الحارة إلى والديك المحترمين..

من صديقك المخلص على الدوام،

فريدريك نيتشه

21. إلى كارل فون غيرسدورف

[بازل، 18 نوفمبر 1871]

سامحني يا صديقي العزيز على عدم شكرك من قبل على رسائلك، التي يذكّرني كُل منها بالحياة الثقافية النشطة التي تقودها، وكأنك لا تزال جندياً في الأساس، وتسعى الآن إلى إظهار قالب ذهنك العسكري في عالم الفلسفة والفن. وهذا هو ما ينبغي أن يكون؛ ففي عصرنا هذا لا حق لنا في الوجود إلا كمقاتلين، كمقاتلين طليعيين لحقبة قادمة، يمكن أن نتنبأ بتشكلها إجمالاً من أنفسنا ـ أي من أفضل لحظاتنا ـ ومن الواضح أن هذه اللحظات الممتعة تبعدنا عن روح زماننا، ولكن يجب أن يكون لها موطن في مكان ما؛ ولذلك أعتقد أن لدينا في هذه اللحظات نوعاً من الاستباق الغامض لما سيأتي. ألم نحتفظ أيضاً من آخر خاطرة جمعتنا في لايبزغ بذكرى هذه اللحظات المبعثرة التي تنتمي إلى حقبة أخرى؟ حسناً إذن ـ هكذا هو الأمر ـ لنعش من أجل الملء والكمال والجمال! لكن ذلك يتطلّب عزماً قوياً لا يتاح لكل أحد[1].

لقد ذُكّرت اليوم بقوة بحياتنا في لايبزغ، وبإمكاني أن أقول بمعنى ما: هكذا سأضم الآن إلى النهاية السعيدة بداية سعيدة، كما تقول الأغنية

(1) تعود عبارة «لنعش من أجل... والجمال» إلى قصيدة غوته Schatzgräber Der.

البهيجة[1]. وفي هذا اليوم، دون سواه، رد الناشر الممتاز فريتش على زيارتي للايبزغ؛ هذا هو السبب في أن عليّ أن أبلغك بأخبار عنه اليوم دون جميع الأيام. لأنك أنت وروده معاً هما اللذان اصطحباني جسداً وشعوراً إلى فريتش الممتاز: وهو شيء ما زال عليَّ الاحتفال به. لم يكن ذنبه أن إجابته استغرقت وقتاً طويلاً. فقد أرسل المخطوطة مرة واحدة إلى أحد المتخصصين ليعرف حكمه، وتلكأ الأخير حتى 16 نوفمبر. ستعرف أن أغنيتي «صديقي العزيز، هذه التحية كهدية عيد ميلاد» كانت مقصودة ليوم 16 نوفمبر، أي من أجل عيد ميلاد كروغ. في اليوم نفسه كتب فريتش الطيب، «هذا الإزعاج لن يؤذيني أو ينال مني»[2]، وهو يعد بأن يكون الكتاب جاهزاً مع حلول عيد الميلاد. حسناً، لقد استقر التصميم ـ ليكون على غرار **غاية الأوبرا لفاغنر** ـ ابتهج معي! هذا يعني أنه سيكون هناك مكان رائع لمقالة قصيرة جميلة؛ أخبر صديقك الفنان بهذا، وامنحه تحياتي الودية كذلك[3]. خذ كتيب فاغنر، افتح صفحة العنوان، واحسب الحجم الذي يمكن أن نخصصه للرسم. الأمر يعتمد فقط على العنوان:

مولد التراجيديا

من روح الموسيقى

بقلم

الدكتور فريدريك نيتشه

أستاذ فقه اللغة الكلاسيكي

لا يبزغ ـ فريتش

---

(1) تلميح إلى أغنية لأوغست فون كوتزبو، «Gesellschaftslied»

(2) كلتا العبارتين اقتباس من أغنية لنيتشه ألفها لصديقه غوستاف كروغ.

(3) يعني به ليوبولد راو، من برلين.

لا تزال لديّ ثقة كبيرة في الوقت الحالي بأن الكتاب سيحقّق مبيعات هائلة، وأن الرجل الذي يهيئ المقالة القصيرة عنه يمكنه أن يعدّ نفسه لشيء من الخلود.

إليك الآن مزيداً من الأخبار. تخيل، يا صديقي العزيز، كيف كان من الغريب أن تلازمني تلك الأيام الدافئة من لم الشمل[1] خلال عطلتي، على شكل تأليف طويلة لآلتي بيانو، كان كل شيء فيه يردد صدى خريف جميل دافئ بفضل الشمس. ولأنه يرتبط بذكرى شابة، فقد سميت هذا العمل «صدى ليلة رأس السنة الجديدة: مع أغنية متصاعدة، رقصة فلاحية، وأجراس منتصف الليل». وذلك عنوان طريف. ربما يتوقع المرء أكثر من ذلك: «مع إناء شراب وأمانٍ للعام الجديد». سأعزف أنا وأوفربيك هذه القطعة ـ التي أصبحت الآن عملنا الأبرز ـ ونتفوق فيها على كل ذوي الأيدي الأربع. في عيد الميلاد، ستكون هذه الموسيقى هدية ومفاجأة لفاغنر. أما أنتم، أيها الأصدقاء الأعزاء، فستمثلون المدد الغيبي *ex dei machina* لهذا التك. [يقصد: التكوين] أيضاً؛ لم أؤلّف شيئاً منذ ست سنوات، ولكن هذا الخريف حفزني مجدّداً. وعندما تؤدّى بشكل صحيح، ستستمر الموسيقى لعشرين دقيقة.

إضافة إلى ذلك، فقد عدت إلى فقه اللغة. عملي الآن: أحاضر في «مقدّمة لدراسة أفلاطون» و«النقوش اللاتينية»، وأعدّ، بعد حلول العام الجديد، ست محاضرات للعموم، «حول مستقبل مؤسساتنا التعليمية».

---

(1) كان نيتشه قد قضى شهر أكتوبر في ناومبورغ ولايبزيغ، حيث التقى بغيرسدورف ورود مجدّدا.

يوم الثلاثاء المقبل سيلقي الفيلسوف الجديد محاضرته الافتتاحية حول موضوع «واضح»: «ما يعنيه أرسطو للحاضر»[1].

نتذكّرك بلطف هنا. لقد احتفلت بطقوس **الديمون** مع ياكوب بوركهارت في غرفته؛ حيث انضم إلى فعلي الطقسي وقمنا بصب كوبي بيرة مليئين بنبيذ الرون على الشارع تحتنا[2]. في القرون السابقة ربما كنا سنتّهم بالسحر. حين وصلت إلى المنزل في الساعة الحادية عشر من تلك الليلة، وأنا أشعر ببعض الشيطانية، وجدت فجأة صديقي دويسن هناك، وجلت في الشوارع معه حتى حوالي الساعة الثانية صباحاً. وقد غادر على متن القطار الأول في الصباح الباكر. ولدي ذكرى شبه شبحية منه، لأني لم أره إلا في ضوء المصباح الشاحب وضوء القمر.

اكتب إليّ مجدداً في وقت قريب يا صديقي الشجاع الثمين! لقد بت تعرف الآن أننا نحتاج بسرعة إليّ تلك المقالة القصيرة. تحيات ودية من المخلص

فريدريك نيتشه

(1) كان رودولف أويكن قد عين في منصب أستاذ الفلسفة في بازل، وتركها عام 1874.
(2) كان ذلك تذكارا للّقاء مع غيرسدورف وروده في لايبزيغ.

22. إلى إرفين روده

[بازل، بعد 21 ديسمبر 1871]

صديقي العزيز العزيز:

بادئ ذي بدء، أطيب تمنياتي بعيد الميلاد.

كنت آمل أن أكون قادراً على إرسال كتابي إليك، ولكن وقع بعض التأخير، وليس جراء أي خطأ مني، وهكذا فإن هدية عيد الميلاد ستصل إليك في وقت متأخر قليلاً هذه المرّة. تسببت المقالة القصيرة لصفحة العنوان في تقطعات قليلة؛ والرسم الذي أنجزه راو صديق غيرسدورف يحظى بثنائنا الكبير، لكن نقاش الخشب «الموثوق» الذي دلنا عليه فريتش قام بعمل فاشل، حتى إن كتلته غير صالحة للاستعمال وغير قابلة للإصلاح كلياً، وكان علينا تسليم العمل إلى أحد أفضل نقاشي الخشب، هو الأكاديمي فوغل في برلين. كان غيرسدورف يقف بجانبي وقد ساعدني بشكل كبير بكل الطرق (هل بعثت له ببرقية؟ أعتقد أن هذا من شأنه أن يرضيه كثيراً. إنه عضو في اللجنة الإدارية لجمعية فاغنر ببرلين؛ لم لا تطلب منه تذكرة؟ [العنوان:] شارع ألكساندرين 121، الطابق الثاني).

الآن بات الخط المختار أكثر إحكاماً بكثير مما هو عليه في «غاية الأوبرا»، بحيث لن يصبح الكتاب طويلاً؛ بل حوالي 140 صفحة. وقد انتهي من ثمان أوراق، صفحة بعد صفحة، ولم يعد لدي الكثير كي

أصححه، إضافة إلى المقدمة. أما الجزء الأخير بأسره، وهو الذي لا تعرفه، فسوف يذهلك بالتأكيد؛ لقد كنت جريئاً للغاية، ويمكنني أن أصرخ بنفسي بكل معنى الكلمة، *لقد أنقذت حياةً!* [باللاتينية] ولهذا السبب فأنا مسرور جداً للكتاب، ولست منزعجاً من احتمال أن يشعر الكثيرون بالإساءة كما قد يحدث، وأنه قد تثار «صيحة الغضب» من بعض الجهات عند نشره.

إضافة إلى ذلك، أشعر بثقة كبيرة في معرفتي بالموسيقى واقتناعي بصحتها ـ كنتيجة لما خبرته في مانهايم هذا الأسبوع مع فاغنر. آه، يا صديقي، ليتك كنت معي هناك! ما قيمة كل الذكريات والتجارب الفنية الأخرى مقارنة بهذه الأخيرة! شعرت وكأني رجل أصبحت تصوراته أخيراً حقيقة. لأن هذا هو ما تعنيه الموسيقى بالضبط، وليس هناك شيء آخر. لكنني أعتقد أنه لو كان هناك بضع مئات من الأشخاص فقط من الجيل القادم يستمدون من الموسيقى كما أستمد، فإني أتوقع عندئذ ثقافة جديدة تماماً! أما كل ما تبقى ولا يمكن تصوّره فيما يتعلق بالعلاقات الموسيقية، فإنه أحياناً يزعجني ويخيفني بالطبع. وعندما عدت من حفلة مانهايم، كان لدي في الواقع رعب كثيف وغث من الواقع اليومي، لأنه لم يعد حقيقياً بالنسبة لي؛ بل أشبه بشبح.

أقضي عيد الميلاد هذا وحيداً في بازل، بعدما رفضت الدعوات الودية من تريبشن. أحتاج إلى الوقت والعزلة للتفكير في محاضراتي الست «مستقبل المؤسسات التعليمية» واستجماع نفسي. لقد أهديت إلى السيدة فاغنر، الذي يصادف عيد ميلادها 25 ديسمبر (ولمن سواها سأكتب لو كنت محلك!)، قطعتي «ليلة رأس السنة»، وأنا متحمس لما سأسمعه عن عملي الموسيقي من هناك، لأني لم اسمع حولها أبداً أي حكم متمكن.

عندما أعزفها لك ذات يوم، فإني متأكد من أنك ستكتشف النغمة الدافئة، التأملية، والسعيدة التي تنعكس في العمل كله، وتشير بالنسبة لي إلى ذكرى متعالية من الفرح الذي شعرت به خلال عطلة الخريف.

لقد قضيت بعض الأيام الجيدة مع ياكوب بوركهارت، وخضنا العديد من المناقشات حول الأمور اليونانية. وأعتقد أن بوسع المرء أن يتعلم الكثير عن مثل هذه الأمور في بازل في الوقت الحالي. لقد قرأ مقال فيثاغورس باهتمام كبير وقام بنسخ أجزاء منه لاستخدامه الخاص؛ وما قلته أنت عن التطور الكامل لصورة فيثاغورس هو بالتأكيد أفضل ما قيل حتى الآن حول هذا الموضوع الخطير للغاية. وفي تلك الأثناء، كان لدي عدد من الأفكار الأساسية حول أفلاطون، وأعتقد أننا معاً ربما نستطيع يوماً ما أن نضيء وننور حقاً وصدقاً من الداخل ذلك التاريخ الرث والمحنط حتى الآن للفلاسفة اليونانيين. أرجو فقط ألا تمنح المجلات اللغوية اللعينة كل شيء ذي طبيعة عامة يجب أن تقوله؛ انتظر قليلاً حتى تصل إلى مجلة **أوراق بايرويت**[1]. إني مسرور جداً لأنك وافقت على كتابة قطعة من أجل زارنكه، وأنا بالطبع ممتن للغاية. يا صديقي العزيز، لا تزال أمامنا قطعة كبيرة من الحياة كي نقيسها معاً. فلنظل مخلصين لبعضنا البعض...

ف. ن.

(1) لم تبدأ هذه المجلة بالظهور حتى سنة 1878.

23. إلى فرانسيسكا وإليزابيث نيتشه

بازل، السبت

[23 ديسمبر 1871]

أمي وأختي العزيزتين:

أتمنى من كل قلبي أن تبعث فيكما هداياي الصغيرة لعيد الميلاد بعض السعادة. سأبدأ شرحي لها بالهدية المخصّصة لكما معاً: المقطوعة المعنونة «صدى ليلة رأس السنة»، يجب أن تحصلا قريباً على من يعزفها لكما؛ وأوصي لأجل هذا بالاستعانة بغوستاف كروغ، الذي سأقدم إليه هذا الطلب في رسالة. لقد كتبتها بعد فترة قصيرة من عودتي من الإجازة الأخيرة، وهي بالنسبة لي علامة على مدى الدفء والنفع الذي كان يفترض أن تمنحه هذه الإجازة لي. لأنه بعد انقطاع دام ست سنوات، فهذه هي المحاولة الأولى لي من هذا النوع، وإذا لم أكن مخطئاً فهي محاولة ناجحة. لقد أعددتُ نسخة رائعة من أجلكما، وأرغب في أن تعد تكلفة العناء الذي استلزمه الأمر لإعداد هذه النسخة ضمن هداياي لكما. يجب أن أسمع منكما قريباً كم أعجبتكما هذه الموسيقى. سيكون لديكما بعض الشعور حيال ذلك، وفي هذا الوقت فإن إهدائي هذا ليس هازئاً كما كان الحال مع مقطوعاتي السابقة التي أهديت منها «مسيرة الفرسان الهنغارية» للعم ثيوبالد و«أغنية الحب» إلى العمة روزالي.

أما إليك يا أمي العزيزة فقد أهديت الستائر؛ يجب أن يبعث تأثيرهما السعادة فينا معاً حين آتي إلى ناومبورغ، مرة أخرى. ومن ثم أخبرني أحدهم أنك ترغبين في صحون السلطة المنحوتة. تفضلي، كما أرجو، بقبول الهدايا بلطف.

وإليك، عزيزتي ليزبيث، أهدي كتاب **تاريخ الفن** للوبكه، الذي يمكنك تعلم الكثير من خلاله، وستكونين قد تعلمت الكثير حين أسألك أسئلة حوله في يوم من الأيام. إنها طبعة جديدة تماماً. ستكونين أكثر ارتياحاً لهذا الكتاب مقارنة بكتاب شبرنغر الذي أردته (كيف يمكنك أن تتوقعي مني أن أطلب كتاباً من بائع كتب عتيقة يهودي مفضوح!). ستعطيك أمنا العزيزة أيضاً، بناءً على طلبي، ألبوماً جيداً. وسوف تحبين هيبل الصغير أيضاً[1].

يكفي الحديث عن هداياي إذن. أما السبب في أن كتابي عن التراجيديا ليس بينها فهو ببساطة أنه غير جاهز بعد. ولكن في العام الجديد، وربما على رأس العام الجديد، سوف تحصلان عليه. لقد تعثروا قليلاً بالطباعة. كان من المفترَض، في الواقع، أن يكون هدية عيد الميلاد لريتشارد فاغنر، ولكن الأوان قد فات.

لا احتفل بعيد الميلاد في تريبشين، هذه المرّة، على الرغم من الدعوات الأشد ودية، لأنني أحتاج إلى وقت كي أعد محاضراتي التي تبدأ في العام

(1) كان يوهان بيتر هيبل (1760 ـ 1826) كاتبا من أهل بازل، معروفا بتأليفه لعملين، هما: ديوان القصائد بلهجة محلية Gedichte Alemannische (1803)، ومجموعة القصص القصيرة والنوادر البارعة Hausfreundes rheinisches des Schatzkästlein (1811). لا نعرف أيا من منهما كان ما منحه نيتشه لإليزابيث. ولعلها كانت نسخة من العمل الأول، نشرت في لايبزيغ عام 1850، كانت القصائد فيها قد ترجمت من اللهجة المحلية على يد ر. راينيك وازدانت برسوم لودفيغ ريختر.

الجديد ـ المحاضرات المتعلّقة بمستقبل مدارسنا. لكنني أمضيت عيد الميلاد مع آل فاغنر مقدماً، وذلك عبر قضاء الأسبوع الماضي في مانهايم معهما، ومن دواعي سروري الذي لا يوصف أني حضرت حفلة فاغنر بجانبهما مباشرة. كان لدينا الطابق الأول في فندق *Hof Europaischer*، وكانت التكريمات العديدة التي أمطرت على ف. تتضمن بعضاً مما وقع عليَّ أيضاً بوصفي أقرب صديق له. بالمناسبة، كلفتني الرحلة بأكملها القليل نسبياً، رغم أنني كنت بعيداً من الاثنين إلى الخميس. ليست الرسالة مكاناً لائقاً لأن أخبر فيه عن تجاربي الفنية ـ وهي الأعظم في حياتي ـ فهي بمعنى ما تحقيق لهاجس عميق.

وداعاً الآن، يا عزيزَيّ، وفكرا بي في وقت عيد الميلاد هذا.

محبكما الدائم فريتز

ملاحظة: تحتفل السيدة ف. بعيد ميلادها في 25 ديسمبر. سيكون من الجيد لك يا عزيزتي ليزبيث أن تكتبي لها. لا تنسي ذلك.

24. إلى فرانسيسكا وإليزابيث نيتشه

[بازل، 27 ديسمبر 1871]

أمي وأختي العزيزتين:

وأخيراً ـ أي منذ ساعة مضت ـ وصلتني هدايا عيد الميلاد المجيد، وأشعر فوراً بالحاجة إلى أن أشكركما بحرارة على ذلك. كم من الوقت استغرق البريد؟ اليوم هو الأربعاء. لقد أعطتني رسالتكم المرسلة مقدماً بعض التلميح، لكنه في الحقيقة لم يكن كثيراً، لأنني حين فتحت العلبة فقد غمرتني المفاجأة. لقد ساعدني مصمم المنزل، وبدون التعرض لضربة واحدة، فقد ظهرت الصورة الرائعة في إطارها البارع، بعد بعض الجهد من جانبنا، لأنها كانت مغلفة ومسمرة بالكامل. وأيضاً، كما يحدث دائماً، فقد أزلنا الجانب الخاطئ من المربع أولاً. كما فوجئت بمدى تكلفة تسليم البريد، وأعتقد أنهم طلبوا ثمانية عشر فرنكاً. من المكلف حقاً أن نعيش بهذا التباعد. وبعد ظهر هذا اليوم ستعلّق الصور في غرفتي: بطبيعة الحال ستكون لوحة المادونا فوق الأريكة. وفوق البيانو، ستكون هناك صورة بريشة هولباين، أي إيرازموس الكبير، الذي قدمه لي آل فيشر الشباب في احتفالهم بعيد الميلاد. ومن هنا ستعرفان أين قضيت ذلك المساء؛ لقد دعيت اليوم للاحتفال عند آل باخوفن وسأقضي ليلة رأس السنة عند آل فيشر الكبار، وهكذا فسأرى ثلاث أشجار لعيد الميلاد. أما لغداء يوم الجمعة فقد دعاني شتيلين للذهاب إلى ليستال.

كان هذا برنامجي الخاص بالاحتفالات ـ وسأتابع الآن الإعجاب بهداياكما. إن لوحة «المادونا ديلا سيديا» صورة رائعة: وبها تصبح غرفتي أكبر وأشد رفعة. إني بالفعل أشك فيما إذا كانت صوري الطلابية الصغيرة الرتيبة جديرة بمثل هذه الغرفة. لقد تجمعت الآن، مع بابا ريتشل وشوبنهاور، فوق طاولة الكتب بجانب الموقد. على أي حال، فإن الصورة أثرت في بقوة وأشكرك عليها جزيل الشكر يا ليزبث. كما يبدو الأمر وكأن صورة كهذه تجذبني قسراً نحو إيطاليا ـ وأكاد أعتقد أنك أرسلتها لي لإغرائي بالذهاب إلى هناك. والجواب الوحيد الذي يمكنني تقديمه لهذا التأثير الأبولوني سيكون من خلال تأثيري الديونيسي ـ أي موسيقى ليلة رأس السنة ـ وبعد ذلك من خلال التأثير الأبولوني ـ الديونيسي المزدوج لكتابي، الذي سينشر في العام الجديد وتتلقيانه مباشرة من فريتش في لايبزغ. فقد بلغته بالتعليمات منذ ثلاثة أيام.

سأكمل الآن لأتحدث عن الانطباع الذي أحدثه فيّ الطرد الوردي الجميل من والدتي العزيزة. حين رأيت الجلود الروسية الجميلة، ظننت أنك تدلليننى حقاً ـ فأين ستهبط بي هذه الميول الأرستقراطية! كانت محفظة الأوراق كهذه شيئاً احتاجه بالتأكيد، وأول حرف أكتبه عليها موجه لك يا أمي العزيزة. وبنفس القدر من الفائدة والبهجة تلقيت المشط الجيد وفرشاة الشعر وفرشاة الملابس (على أنها ناعمة جداً إلى حدٍّ ما) والجوارب الجميلة والكمية الكبيرة من خبز الزنجبيل اللذيذ ـ كلها معبأة بشكل جميل ومبهج. لا ننسى حمالات البنطلون! لقد ضرب القدر بالأمس ضربته، حيث تمزق كلا زوجي الحمالات القديمة أخيراً، بحيث اضطررت إلى الخروج دون ارتدائها. ولذلك جاءت تلك الجديدة في

الوقت المناسب. «عندما تكون الحاجة أكبر، تكون الحمالات أقرب»، هكذا فكرت وأنا أخرجها. ولكل هذه الأشياء إليكم شكري القلبي؛ لقد كنت مسروراً للغاية وما زلت، كلما وصلت رائحة ورق النشاف إلى خياشيمي. لا شيء يمكن أن يذكر المرء بقوة أكثر من هذه الرائحة: وبالتالي فكم مرة تراني يجب أن أتذكّر!

حسناً، لقد وصلنا الآن إلى حافة هذا العام. أفكر في العام الماضي باطمئنان وأودعه بامتنان. وستريان كيف أنه كان، إلى حدٍّ ما، فترة افتتحت دهراً. سيظهر كتابي قريباً، وبذلك سأستهلّ العام الجديد، والآن سيعرف الناس ما أريد، وما أطمح إليه بكل قوتي، ويبدأ وقت نشاطي. في لحظات طيبة كنت قد كتبت هذا الكتاب. وقد كانت سنة جيدة، على الرغم من بدايتها المشكوك فيها. فسرعان ما عادت الصحة؛ وما أجمل الأوقات الدافئة في لوغانو وبازل وناومبورغ ولايبزغ التي أراها الآن بعين عقلي!

لكل من يفكّر فيّ بلطف، ومن أكثر منكما؟ أتقدم بالشكر القلبي في هذه الحافة من العام، وأتمنى لكما ونفسي سنة جديدة سعيدة، نشطة أكثر من أي وقت مضى، ومحبة كما كانت دائماً، أمي العزيزة، وأختي العزيزة.

محبكما فريتز

25. إلى غوستاف كروغ

[بازل، 31 ديسمبر 1871]

صديقي العزيز:

أنا مدين لك بأحر شكري ليس فقط على رسالتكم المفصلة والرقيقة ولكن أيضاً على إرسال جزء من تأليف جذاب للغاية. بادئ ذي بدء، أحببت اللمسة المؤكدة للنقطة المضادة في هذه التجربة لنمط الكانون: هذه هي طريقتنا الحديثة في تقديم السكيرزو الذي يمتاز بأكثر المآثر الهائلة، بنحو يشبه ما يفعله فاغنر في (مشهد الجلدات)[1]. من جهة أخرى، فإن السكيرزو عندك يترك في شعوري مذاقاً قاتماً سوداوياً؛ وحين أفكر أيضاً في صوت الأوتار، يراودني انطباع بالإثارة المحمومة: قرارات سريعة وحشية في تتابع سريع مثير للدهشة، ونحن نتطلع بشوق إلى حركة وسيطة تنقذنا:

نجتاز البوابة ويدفعنا الفرح،

فالغيوم مشرقة، والزهور مبتسمة،

وصورة تظهر لنا، صورة إلهية

كما غنينا في قصيدة غوته «لنشرب الآن!» حسناً، يا صديقي العزيز، صورة إلهية. يقول سانشو بانثا إن الحزن لم يخلق للإنسان بل للحيوان.

(1) المشهد الأخير من «الفصل الثاني» في أوبرا Die Meistersinger.

ولكن إذا كان الرجل مدمناً على الحزن أكثر من اللازم، فسيجعله ذلك حيواناً. أتجنب هذه الأيام، بقدر الإمكان، هذه الخصلة «الحيوانية» في الموسيقى. فحتى الألم يجب أن يحيط به هالة من النشوة الإنشادية التي يغرق فيها إلى حد ما؛ هذا ما أشعر به حول المثال الأعظم على الإطلاق، أي الفصل الثالث لتريستان. لك أن تضحك بقدر ما تحب بشأن نصيحتي وأمنيتي السخيفة، لكني أتمنى لك وأنصحك بالمزيد من البهجة ـ في الموسيقى أيضاً، ولتكن هذه هي أمنية رأس السنة لأجلك.

آه، كلانا يعرف، يا صديقي العزيز، مدى غباء مثل هذه الأمنية، فهذا الفرح الداخلي المبارك بهدوء، الذي يتدفق من الفن ليس في وسعنا، ولا يطيع رغباتنا ـ ولكنه قد يسقط بشكل غير متوقع هنا وهناك من السماء في أحضاننا. وليصادفك هذا «الهنا وهناك» في أوقات أكثر خلال العام الجديد! ولتكن عصبة الرباعية بأكملها صدى لمثل هذه اللحظات، دون أي مذاق لاحق «حيواني»، أو مع هذه الجرعة الحساسة والنبيلة كالتي يحتويها جزؤك الأصلي فحسب.

عندما أكون في ناومبورغ، مرّة أخرى، سأحسب من بين متعي الأولى هناك أن أستمع لمقطوعتك الرباعية؛ ومن الآن وحتى ذلك الحين ربما ستكون قد نجحت في تشكيل عصبة للرباعية. يتعلّم المرء أيضاً من أداء الآخرين لتآليفه ماذا تعني كلمة «مايسترو»؟ إن التجربة الشخصية بمفردها تظهر عدد الأخطاء التي يمكن ارتكابها في أداء أبسط ضروب الموسيقى. وفي حدود ذلك فإنها مفيدة للغاية، ولكنها أيضاً محرجة ومؤلمة للغاية، كما رأيت مؤخراً في كثير من الأحيان مع تأليفي لآلتي بيانو، الذي لا يمكن لأحد أن يعزفه بنحو يرضيني.

إضافة إلى ذلك، آمل أن تتمكّن أنت، يا صديقي العزيز، بصفتك الشخص الوحيد الذي تعرف بالفعل على تطوري الموسيقي، من الفهم الكامل للتأليف الذي ربما ستعرفه خلال الأيام القليلة القادمة. أودّ أن أطلب منك أن تمنح أمي وأختي، اللتين أهديته لهما في عيد الميلاد، فكرة عن القطعة، ولا أعتقد أنني أطلب منك هذا عبثاً. أرجو أن تفهم أن هذه الموسيقى لا تقدم أي ذرائع؛ لقد كانت أياماً جميلة تلك التي ألفته فيها ـ بالنسبة لي ـ لكنني لا أعرف كم كانت جميلة بالنسبة للآخرين. أو بالأحرى، أنا أعرف، نظراً لردود الفعل هنا. ولكن ليس مما يمجدني أن أتحدث عن ذلك. من الغريب مدى صعوبة أن ينقل المرء مشاعره، أما ما الذي يمكنه إدراكه في هذه الموسيقى دون مشاعري، فالله وحده يعلم. لا بد أن يكون شيئاً غريباً، وأنا عاجز تماماً عن تخيله.

سينشر فريتش كتابي في العام القادم. وسيرسله إليك بالطبع، بوصفك مهووس موسيقى منتظم، يا له من عمل شقي ومهين! اقرأه سراً، وأنت منكفئ في غرفتك.

أفكر بكل اهتمام وتعاطف في صديقنا العزيز فيلهلم [بيندر] وأتوقع أن أسمع قريباً صيحة النصر على امتحان تحطم حديثاً. حتى ذلك الحين، تحل بالعزم والشجاعة! وابق على ما يرام! مع سيف وحصان قوي لمثل هذه المخاطر!

بلغ تحياتي بمناسبة العام الجديد إلى والديك المحترمين، وكن مطمئناً للولاء القديم لصديقك

فريدريك نيتشه

26. إلى ريتشارد فاغنر (مسودة)

[بازل، ربما في 2 يناير 1872]

في حضورك، صديقي وسيدي العزيز، سأمتنع على الأقل عن الاعتراف بأن كل ما يجب أن أقوله هنا عن مولد التراجيديا قد قيل بالفعل بشكل أكثر وضوحاً وإقناعاً: ذلك أن، ولهذا السبب، أود أن أقارن مهمتي مع العقيدة غير المكتوبة لأفلاطون، ذلك أن هذا هو مجالك. ومن ناحية أخرى، أشعر بنفس القدر من الوضوح بأنك الشخص الوحيد الذي يجب أن أعتذر له عن وجود هذا الكتاب، لأن الكثيرين إذا كنتَ قد نزلتَ إلى هذه النزعة التاريخية.

وبالنسبة لك يجب أن أعتذر عن وجود هذا الكتاب بالنظر لما يتعلق بمجال الاستقصاء الجمالي، هل يمكنني أن أخبرك، من كان سيخمّن ذلك منذ فترة طويلة؟ ولكن، من ناحية أخرى، أخشى أن تجدني أتلمس بشكل غير مؤكد وأقع في الأخطاء، أما أنت فلديك المعلومات الحاسمة جاهزة بكلمة واحدة.

27. إلى ريتشارد فاغنر

بازل، 2 يناير 1872

سيدي الأعز:

وأخيراً قد وصلت إليكم تهنئتي بالسنة الجديدة وهدية عيد الميلاد: متأخرة جداً بالتأكيد، ولم يكن الخطأ من فريتش أو مني. ولكن البريد الذي لا يمكن التنبؤ به في بعض الأحيان ينتمي إلى «أيدي القدر»، التي لا يمكن أن تنسج بها رابطة أبدية[1]. لقد غادرت الرزمة لايبزغ في 29 ديسمبر، وكنت أنتظر وصولها كل ساعة، حتى أتمكن من إرسال تحياتي وتمنياتي معها.

أتمنى أن يكون كتابي على الأقل ملائماً بدرجة كافية للاهتمام الذي أبديته حتى الآن في نشأته ـ وهو الاهتمام الذي يشعرني بالضعة حقاً. وإذا كنت أنا شخصياً أعتقد أني، من حيث الأسس، على صواب، فهذا يعني فقط أنك في فنك ستكون على صواب إلَى الأبد. ستجد في كل صفحة أنني أحاول فقط أن أشكرك على كل ما قدمته لي؛ والشك لا يغمرني إلا فيما إذا كنت قد تلقيت دائماً بشكل صحيح ما أعطيته. وربما في وقت لاحق، سأكون قادراً على القيام ببعض الأشياء بشكل أفضل؛ وأعني بـ «لاحقاً» وقت «الوفاء»، أي فترة بايرويت الثقافية. وفي الوقت نفسه،

(1) اقتباس من «قصيدة الجرس» لشيلر، البيتين 144 ـ 145.

أشعر بالفخر لأنني أبرزت نفسي الآن، ولأن الناس سوف يربطون دوماً بين اسمي واسمك. ليرأف الله بعلماء اللغة لو أصروا على عدم تعلم أي شيء الآن!

سأكون سعيداً، *يا سيدي الأعز*، إن كنت ستقبل هذا الكتاب، في بداية العام الجديد، باعتباره بادرة جيدة وودودة.

سأقوم قريباً بإرسال نسخ مجلّدة لك ولزوجتك.

مع تمنياتي الطيبة لك ولأسرتك، وأحر الشكر على محبتك، فأنا كما كنت وما زلت،

المخلص فريدريك نيتشه

28. إلى إرفين روده

بازل، الأحد [28] يناير 1872

صديقي الطيب العزيز:

تلقيت مؤخراً عبر سوسميل سؤالاً

محتملاً حول إن كنت سأقبل بمنصب أستاذية في غرايفسوالد، لكني رفضته فوراً لصالحك ورشحتك أنت. هل تقدم الأمر أكثر؟ لقد أحلته إلى ريبيك. على الناس هنا أن يعلموا بذلك، وقد أثار تعاطفاً شديداً معي بين الأخيار من أهل بازل. ورغم اعتراضي قائلاً بأن الأمر لم يكن عرضاً؛ بل مجرد سؤال محتمل، فقد قرر الطلاب أن يقيموا لي مسيرة بأضواء المشاعل، كمشهد يعبر عن تقديرهم واحترامهم لنشاطاتي حتى الآن في بازل. وعلى كل حال، فقد رفضت هذه المسيرة. إني أحاضر هنا الآن حول «مستقبل مؤسساتنا التعليمية» وقد خلقت ما يشبه «الظاهرة»، مثيراً حتى بعض الحماس هنا وهناك. لم لا نعيش معاً؟ ذلك أن ما يدور في خلدي وأعده للمستقبل لا يمكن أن يتعرض له في الرسائل. لقد عقدت حلفاً مع فاغنر. لا يمكنك أن تتخيل مدى قربنا الآن وكيف تتطابق خططنا. إن الأمور التي سمعتها وهي تقال حول كتابي مذهلة حقاً: ولهذا السبب فإني لن أكتب عنها أيضاً. ما هو رأيك فيه؟ إن قدراً مذهلاً من الجدية يغمرني كلما سمعت أحداً يتحدّث عنه، لأني ألمح في هذه الأصوات مستقبل ما أرمي إليه. وستصبح هذه الحياة صعبة للغاية.

يقولون إن هناك مرارة في كل مكان في لايبزغ. لا أحد يكتب لي أي كلمة من هناك، ولا حتى ريتشل. يا صديقي العزيز، علينا في وقت ما أن نعيش معاً مجدداً؛ إنها ضرورة مقدسة. فخلال بعض الوقت حالياً كان هناك تدفق عظيم للحياة من حولي: فكل يوم تقريباً يحدث شيء مذهل؛ وبالمثل، فإن آمالي ومقاصدي تصبح أعلى وأعلى. سأخبرك بسر، وأرجو منك أن تحتفظ به كسر، أني أعد ـ بين أشياء أخرى ـ لمذكرة حول جامعة ستراسبورغ، كرجاء أقدمه إلى المجلس الإمبراطوري، لينال انتباه بسمارك، أروم فيه أن أكشف عن مدى الإهانة التي ضيعت بها فرصة عظيمة كهذه لتأسيس مؤسسات تعليمية ألمانية بحق، ستبعث الروح الألمانية من جديد وتدمر «الثقافة»، كما تسمى حتى الآن. إلى الحرب حتى السكين! أو حتى فوهة المدفع!

من المدفعي الفارس ذي المدفع الأثقل

29. إلى فريدريك ريتشل

بازل، 30 يناير 1872

سيدي المشاور الأكرم:

لا أظنك ستلومني على دهشتي لأني لم أسمع أي كلمة منك حول كتابي الذي نشر مؤخراً، وآمل أيضاً ألا تلومني على صراحتي في التعبير لك عن هذه الدهشة. ذلك أن هذا الكتاب هو بالتأكيد عبارة عن بيان، وبالتأكيد فإنه يتحدى المرء أن يلازم الصمت على الأقل. ولعلك ستفاجأ، يا معلمي المحترم، لو أخبرتك بما كنت أتوقع أن يكون انطباعك: فقد اعتقدت أنه لو سبق لك أن قابلت أي شيء واعد في حياتك، فقد يكون هذا الكتاب، الواعد لدراساتنا الكلاسيكية، واعداً لما تعنيه ألمانيا، حتى لو خرب بسببه عدد من الأفراد. ذلك أني على الأقل لن أخفق في تنفيذ العواقب العملية لآرائي، وسوف تتنبأ أنت بشيء من هذه الأمور إذا قلت لك أنني أحاضر هنا حول «مستقبل مؤسساتنا التعليمية». وانطلاقاً من النوايا والاحتياطات الشخصية، فإني أشعر ـ وسوف تصدقني ـ بأني حُر إلى حد كبير، ولأني لا أسعى للحصول على شيء من أجل نفسي، فإني آمل أن أحقق شيئاً للآخرين. إن همي الأول هو الفوز بالجيل الأصغر سناً من علماء اللغة الكلاسيكيين، وأعتقد أنه من العار ألا أتمكن من فعل ذلك. ولكن صمتك يزعجني إلى حد ما. لا أشك في أي وقت من

الأوقات في اهتمامك بي للحظة ـ فأنا مقتنع به تماماً ـ لكنني قد أستنتج أنك قلق شخصياً تجاهي، وذلك على وجه التحديد يعود لاهتمامك. ولتبديد هذا القلق فإني أكتب لك[1].

لقد تلقيت الدليل إلى **متحف الراين**. أتراك أرسلت نسخة منه إلى أختي؟

وحول سؤال إن كنت سأقبل عرضاً من غرايفسوالد، فقد صرحت برفضي دون أن أتردّد للحظة.

آمل أني سأظل مطمئناً، *سيدي المشاور الأكرم*، لحسن نيتك ونية زوجتك، وأرسل إليكما تحياتي القلبية.

فريدريك نيتشه

(1) كتب ريتشل في مفكرته يوم 31 ديسمبر 1871: «كتاب نيتشه مولد التراجيديا (= انحلال ذكي عابث)»؛ وفي 2 فبراير 1872: «رسالة مذهلة من نيتشه (= جنون عظمة)»؛ وفي 15 فبراير 1872: «إلى نيتشه حول كتابه مولد التراجيديا: حبلت به أمه».

30. إلى مالفيدا فون مايزنبوغ

شوتسن غرابن 45

[بازل، 27 أغسطس 1872]

الآنسة فون مايزنبوغ الأرأف:

وهكذا فقد ترتب كل شيء ليوم السبت؛ ما أن تبلغيني بكلمة الإيجاب، سأهرع إلى المحطة. ولعلي سأكون مفيداً لك بنحو ما خلال الظهيرة. أعطيني في وقت ما، أرجوك، فرصة لأن أكون مفيداً بالمعنى الأشد حرفية وواقعية!

يحق أن أقدم أختي لك، أليس كذلك؟ إنها على الأقل ترجو مني فعل ذلك، وتود أيضاً أن تلتقي بالآنسة أولغا. فذات يوم قريب حظيت أول مرة برؤية كتاب السيد غابرييل مونود، الذي سمعت الكثير مما يقال عنه. وسأكون سعيداً جداً بمقابلة رجل نزيه الفكر كهذا شخصياً، وهو فوق ذلك يمتاز بأنه مرشح جداً لخطوبة الآنسة هيرزن[1].

إن كونك مترجمة لمذكرات هيرزن كان أمراً جديداً عليّ؛ وآسف لأني

---

(1) كان غابرييل مونو، وهو كاتب فرنسي، قد ألف كتاب ألمانيون وفرنسيون: تذكار لحملة عسكرية (باريس، 1872).

لم أفصح لك عن مشاعري حول مزايا هذه الترجمة قبل أن أدرك ذلك[1]. لقد أذهلتني براعة وصرامة التعبير، ولأني أميل لافتراض أن هيرزن حاز كل مهارة متميزة، كنت أفترض سراً أنه قد ترجم مذكراته من الروسية إلى الألمانية بنفسه. وقد أثرت انتباه أصدقائي إلى هذا العمل؛ الذي تعلمت منه أن أفكر في الكثير من الميول السلبية بنحو أشد تعاطفاً مما كنت عليه حتى الآن ولن أعود أسميها سلبية بعد الآن. ذلك أن روحاً مقدامة ومشتعلة بنبل لا يمكن أن تغذي نفسها على النفي والمقت وحده.

سأتحدث إليك قريباً جداً عن العديد من الأمور الأخرى؛ ولهذا سأسمح لنفسي هذه المرة بأن أوجز، ومرة أخرى بأن أزكي نفسي لاهتمامك الرفيق.

خادمك المخلص فريدريك نيتشه

(1). ألكسندر هيرزن، من مذكرات رجل روسي (السلسلة 1 ـ 4، هامبورغ، 1855 ـ 59). ربما كانت لمذكرات هيرزن بعض التأثير التشكيلي على أفكار نيتشه آنذاك مثل: تخفيف نزعته الشوفينية الفاغنرية المولعة بالألمان ومقته للأفكار الليبرالية الديمقراطية.

31. إلى هانز فون بولاو (مسودة)

[بازل، 29 أكتوبر 1872، أو قبيلها]

حسناً، الحمد لله، هذا ما يجب أن تخبرني به، ولا شيء سواه[1]. أعلم جيداً أي وقت غير مريح قد منحتك. ولكن فكر فقط، فحيث أن موسيقاي أمر تعلمته ذاتياً، فقد فقدت تدريجياً كل الانضباط فيها؛ لم يسبق لي أن أحظى بحكم موسيقي عليها؛ وأنا سعيد حقاً لأن أكون مستنيراً بنحو بسيط كهذا بالنسبة لطابع فترة تأليفي الأخيرة. لقد كنت أكتب الموسيقى منزلياً منذ الصغر، وأعرف نظرية الموسيقى من دراسة ألبريشتيرغر، وأكتب مقطوعات الفيوج بكثرة، ويمكن أن أؤلف بأسلوب نقي، مع درجة معينة من الصفاء. ولكن في بعض الأحيان كانت تغمرني رغبة مفرطة وحشية [في التأليف]، يتراكم فوقها العناد والسخرية، لدرجة أني أعاني صعوبة بقدرك في الإدراك الحاد لما هو جاد، لما هو هزلي، ولما هو سخرية محتقرة في موسيقاي الأخيرة.

لقد قدمتها لجيراني النزلاء (يا للرجال الطيبين) في كتيب عن موسيقى

---

(1) كان نيتشه قد تلقى، ربما قرب نهاية يوليو، رأي هانز فون بولاو في قطعة «تأمل مانفريد» خاصته، وهي تأليف لآلتي بيانو، يذكره، لأول مرة، (ليس بهذا العنوان) في رسالة إلى غوستاف كروغ، بتاريخ 2 مايو 1872. وقد عزفها أمام روده في بايرويت في وقت لاحق من شهر مايو. كان هانز فون بولاو (1830 ـ 94) أول أزواج كوزيما فاغنر، ومايسترو موسيقى مشهورا، وصديقا وثيقا لفرانز ليست، والد كوزيما.

البرنامج. وكان الوصف التلقائي للمزاج هو التوحش *cannibalido*. ولسوء الحظ فقد أوضح ذلك لي الأمر لدرجة باتت الآن القطعة بأكملها، إضافة إلى مزيجها بين الشفقة والخبث، تنطبق بنحو مطلق على مزاج حقيقي، وأني شعرت بمتعة لم أشعرها من قبل وأنا أكتبها. ولذلك فإنها نظرة حزينة إلى موسيقاي وأكثر منها بالنسبة لحالتي المزاجية. فكيف يمكن للمرء أن يصف حالة ذهنية يختلط فيها كل من البهجة والازدراء والفيض والسعادة معاً؟ هنا وهناك انتهى بي الأمر في هذه المنطقة الخطيرة التي يضيئها القمر. وفي نفس الوقت، فأنا أبعد ما أكون ـ وستصدقني في ذلك ـ من الحكم على موسيقى فاغنر أو الإعجاب بها من وجهة نظر هذه الإثارة الموسيقية نصف النفسانية[1]. أما عن موسيقاي، فأنا أعرف شيئاً واحداً فقط: أنها تمكّنني من إتقان مزاج قد يكون الأشد خطورة إذا لم يلبى حقاً. وبتكريمي لموسيقى فاغنر، فإني أشيد تحديداً بهذه الضرورة العليا ـ وحيث أني لا أدرك ذلك، نظراً لكوني موسيقياً غير لائق، فإني أفترض ذلك عن إيمان. لكن ما أعطاني أقصى درجات السعادة، في خضم الفيض الشديد، كان بالتحديد صورة كاريكاتورية لتلك الضرورة. وهذه النقطة المقابلة المنفصمة اليائسة لا بد أنها أربكت مشاعري لدرجة أنني فقدت كل قدرة على الحكم.

وتحت وطأة هذا الاضطرار، كنت شخصياً أملك رأياً أفضل في هذه

(1) يستخدم نيتشه هنا وصف «نفساني» (وللمرة الأولى) ليدل على حالات إثارة مفرطة عصبية وعاطفية يمكن التنفيس عنها بالموسيقى ـ ومن هنا يعتبر الموسيقى تطهرا. ولاحقا فقد انقلب على موسيقى فاغنر بالنظر لتأثيراتها **السُّعارية**: أي إيماءاتها المرضية والهستيرية، وليس العلاجية. راجع: الكتاب الرابع من **الفجر** (1881)، المقطع 255، «حوار حول الموسيقى».

الموسيقى ـ وهي حالة مؤسفة للغاية، أنقذتني أنت منها الآن. شكراً لك! إذن فهذه ليست موسيقى على الإطلاق؟ يجعلني هذا سعيداً جداً. لم أعد بحاجة إلى الانشغال بهذا النوع من **وقت الفراغ المعذّب** [باللاتينية]، بهذه الطريقة البغيضة تماماً لتمضية وقتي. ما أريده هو الحقيقة؛ وأنت تعرف أن الاستماع لها أمتع بكثير من قولها. ولذلك فأنا مدين لك مرتين. لكنني فقط أرجو منك أمراً واحداً ـ ألا تجعل [أوبرا] **تريستان** مسؤولة عن خطيئتي. فبعد سماع **تريستان** لم أعد أرغب في كتابة أي موسيقى ـ إن **تريستان** ستشفيني من موسيقاي لفترة طويلة. لو أن لي أن أسمعها مجدداً![1].

سأحاول إذن أخذ علاج موسيقي؛ وربما سأظل، إذا كنت أدرس سوناتات بتهوفن في نسختك، تحت وصايتك وإرشادك. إن الأمر برمته، في الواقع، تجربة مفيدة للغاية بالنسبة لي؛ فالمشكلة التعليمية، التي تشغلني في مجالات أخرى، قد طرحت الآن أمامي في مجال الفن، مع قدر خاص من الإقناع. ترى أي انحرافات مخيفة يتعرض لها الفرد المنعزل هذه الأيام!

(1) كانت أوبرا تريستان قد أديت في ميونخ يومي 10 و12 يونيو.

32. إلى ريتشارد فاغنر

[بازل، أواسط نوفمبر 1872]

سيدي الحبيب:

بعد كل ما حدث لي مؤخراً، ليس لدي الحق حقًا في أن أكون قانطاً بأي شكل من الأشكال، لأنني أعيش حقًا في خضم نظام شمسي من الصداقة المحبة، التشجيع المعزي، وإحياء الآمال. ولكن هناك نقطة واحدة تزعجني كثيرًا في الوقت الحالي: لقد بدأ الفصل الدراسي الشتوي لدينا، وليس لدي أي طلاب على الإطلاق! لم يظهر علماء اللغة لدينا! هذه في الواقع مشكلة فاضحة ويجب إخفاؤها عن العالم. أما لك، يا سيدي الحبيب، فإني أقول ذلك لأنك يجب أن تعرف كل شيء. في الحقيقة، من السهل للغاية شرح ذلك ـ لقد نلت فجأة سمعة سيئة في مجال اختصاصي لدرجة أن جامعتنا الصغيرة باتت تعاني منه! وهذا يزعجني لأنني مخلص للغاية وممتن لها، وغاية ما أريد ألا ألحق بها أي ضرر؛ لكن زملائي اللغويين الآن ـ حتى المستشار فيشر ـ يحتفلون بشيء لم يسبق له مثيل وال مسيرته المهنية. حتى الفصل الدراسي الأخير، كان عدد الطلاب في فقه اللغة الكلاسيكية ينمو باستمرار حتى الآن، وها هم فجأة ينفضّون جميعاً! ومع ذلك فإن هذا ينسجم مع ما أسمعه عن مدن الجامعات الأخرى. لايبزغ تزدهر بشكل طبيعي مجدداً بكل حسد وغطرسة. فالكل يدينني، وحتى أولئك

«الذين يعرفونني» لا يفعلون شيئاً سوى تعزيتي على هذا «العبث». لقد اكتفى أستاذ لعلم اللغة الكلاسيكي في بون، أكن له تقديراً عالياً، بإخبار طلابه ببساطة أن كتابي «مجرد هراء» وعديم الجدوى: إن شخصاً يكتب مثل هذه الأشياء يعد ميتاً أكاديمياً. وهكذا أيضًا روي لي عن طالب أراد المجيء إلى بازل، ولكنه بعد ذلك أبقي في بون وكتب مؤخراً إلى أحد أقاربه في بازل أنه يشكر الله لأنه لم يذهب إلى جامعة أدرّس أنا فيها. فهل تظن إذن أن تصرف روده النبيل يمكن أن يحدث أي شيء سوى مضاعفة الكراهية وسوء المقاصد وتوجيهها ضدنا؟ هذا على الأقل ما توقعته أنا وروده بكل تأكيد. ربما يمكن تحمل ذلك، لكن الأضرار التي ألحقتها بي جامعة صغيرة، كانت قد وضعت فيّ قدراً كبيراً من الثقة، تؤلمني كثيراً ويمكن أن تجبرني على المدى الطويل على اتخاذ قرارات خطر ت على بالي من وقت لآخر ولأسباب أخرى. بالطبع يمكنني الاستفادة من الفصل الدراسي الشتوي هذا، لأن مهمتي الوحيدة هي الآن أن أعمل كمدير مدرسة بسيط في المعهد العالي.

حسناً، كانت هذه هي «النقطة المظلمة»، وكل ما عداها أمل ونور. يفترض بي أن أكون خلداً كئيباً للغاية لئلا أقفز فرحاً حين أتلقى رسائل كرسالتك هذه. وهكذا فإنك أنت! سأحتفل بحظي السعيد وطبيب الأسنان، لأن مفاجأة كهذه تتعدى أجرأ أحلامي. أتفكر بأن تمكث في فندق الملوك الثلاثة هذه المرة؟ أعتقد أنه أفضل من أويلر؛ لقد تغديت فيه هذا الصيف مع أختي، كما قضيت يوماً طيباً هناك مع الآنسة فون مايزنبوغ والزوجين هيرزن ومونود.

إن كتابك الجديد حول الممثلين والمغنين أثار فيَّ مجدداً الأمنية القائلة

بأن على أحد أن يستجمع أبحاثك ونتائجك الجمالية، كي يثبت أن فكرة الفن بأسرها خلال ذلك الوقت قد تبدلت، تعمقت، وتعرفت بحيث لم يعد حتى في جذرها أي شيء من «الجماليات» التقليدية. في شبلوغن كنت أفكر أيضاً بالنحو الذي عرّفت به الرقصات المنسقة التراجيديا الإغريقية، وبالصلة بين النحت وإيماءات الممثلين وتجمعهم؛ وظننت أني فهمت بالضبط ذلك النحو الذي وضع به إسخيلوس نفسه المثال لما تتحدث عنه، وهكذا فحتى في نصوصنا يمكن رصد تناظرات للحركة في تقابلات عددية غريبة[1]؛ كما أنطت بأعمالك التراجيدية أملًا رفيعاً هو أنه يمكن منها أن نشتق المعيار، الهدف، والقاعدة لأسلوب دينامي ألماني، أسلوب من الواقعية المرنة. وقد حضرتني هذه الأفكار لكتابك، الذي قرأته من ثم وكأنه تجلٍّ.

ثم جاء كتاب روده؛ ألا ترى أنه كان لي حق، بعد أن ظهر الكراس، أن أدعي أني محق حتى في أصغر النقاط المتصادفة؟ من اللطيف دوماً أن أجد شخصاً آخر يؤكد هذا. ذلك أن المرء أحياناً يبدأ بالشك في نفسه حين يجمع نظراؤه في الاختصاص على معارضته. ولكن يا للأمور التي اضطر صديقي المسكين لمعاناتها في نزاعه الطويل مع «فتى أحمال» كهذا! ولو أنه استمر، فإنما كان ذلك لتفكيره بك، سيدي العزيز، الذي منحه الثقة والشجاعة. كلانا الآن سعيدان للغاية لامتلاك مثال واحد ـ وما أغبطني بموقف كهذا، ألا ترى ذلك، أعني امتلاكي صديقاً مثل روده؟

---

(1) في «مولد التراجيديا» كان نيتشه يميل لأن يعتبر نصوص التراجيديا الإغريقية (إسخيلوس وسوفوكليس) قصائد فقدت موسيقاها وتنسيقها الحركي، بوصفها نماذج أولية للعمل الفني الجماعي Gesamtkunstwerk عند فاغنر.

كنقطة لافتة أود أن أخبرك عما سألني عنه مؤخراً موسيقى ما كنصيحة حول نص أوبرا، والسبب الفعلي هو أنه رغب في أن أكتبه بنفسي[1]. وقد كتبت إليه رسالة حكيمة، أنصحه ضد تلك الفكرة؛ واقترحت أنه يجب أن يكتب أنشودة غنائية *cantata*، منطلقاً من مشهد *Walpurgisnacht* لغوته، على أن ينجزه أفضل من مندلسون! ترى هل سيأخذ بنصيحتي؟ لكن الأمر برمته مسلٍّ جداً.

على أمل أنك، خلال جولاتك في أرجاء ألمانيا الشريرة العزيزة، ستستعيد حظك القديم المجرب من بايرويت، ومع أمنية أني سأعرف عن أي استضافة ستهيأ لك هنا، سأقول الآن لك وداعاً قلبياً للغاية وحتى نلتقي مجدداً.

المخلص للأبد، ف. ن.

(1) يقصد به هوغو فون سينغر.

33. إلى ريتشارد فاغنر[1]

بازل، 18 أبريل 1873

سيدي الأكرم:

ذكريات أيام بايرويت تلازمني دوماً، والأشياء الجديدة العديدة التي تعلمتها وخبرتها في وقت قصير جداً ما زالت تتكشف أمامي بوفرة أكبر من أي وقت مضى. إن لم تبد راضياً عني حين كنت حاضراً، فأنا أتفهم ذلك جيداً؛ لكنني لا أستطيع أن أساعد ذلك، لأني أتعلم وأتصور ببطء شديد، وفي كل لحظة أكون فيها معك، أدرك شيئاً لم أفكر فيه أبداً، شيئاً أود أن ينطبع في ذهني. أعلم جيداً جداً، يا سيدي العزيز، أن زيارة كهذه لا يمكن أن تكون وقت فراغ لك، ولا بد أن تكون غير محتملة في بعض الأحيان. كثيراً ما تمنيت أن أتظاهر على الأقل بقدر أكبر من الحرية والاستقلال، ولكن دون جدوى. كفى أطلب منك أن تقبلني ببساطة كطالب إن أمكن ذلك، مع قلمي في يدي ودفتر ملاحظاتي أمامي، كطالب بعقل بطيء للغاية وليس مرناً على الإطلاق. صحيح أنني أزداد حزناً كل يوم حين أشعر بعظم

(1) في 5 أبريل، كان نيتشه قد كتب إلى غيرسدورف أنه يأمل في أن يصلح، عبر ذهابه في اليوم التالي إلى بايرويت لمدة أسبوع، ذلك الضرر الذي حصل لعلاقته مع فاغنر جراء اضطراره لرفض دعوة لرؤيته أيام عيد الميلاد. وهذه الرسالة تظهر أن الزيارة لم يكن لها ذلك المفعول المقصود.

مقدار رغبتي في مساعدتك بطريقة أو بأخرى، وأن أكون مفيداً لك، وإلى أي مدى أجدني غير قادر تماماً على القيام بذلك، لدرجة أني لا أستطيع أن أشارك إلى حد ما في تسلية بالك وإسعادك.

أو لعلي أستطيع، حين أنتهي مما أكتبه الآن، وهي قطعة تهاجم الكاتب الشهير ديفيد شتراوس[1]. لقد قرأت الآن كتابه **الإيمان القديم والجديد**، ودهشت من تعنته وسوقيته كمؤلف وكمفكر أيضاً. يجب أن تعرض مجموعة مميزة من الأمثلة على أسلوبه الأكثر ترويعاً، كي يرى الجمهور مرة وإلى الأبد ما هو هذا العمل «الكلاسيكي» المزعوم في الواقع.

بينما كنت مسافراً، أضاف زميلي في السكن أوفربيك الكثير إلى الكتاب الذي كان يؤلفه، «عن المسيحية في لاهوتنا»؛ إنه عدواني للغاية ضد جميع الأطراف، ولكنه فوق ذلك صادق ولا جدال فيه، لدرجة أنه سيُحظر هو الآخر بمجرد نشره، بوصفه رجلاً قام، على حد تعبير البروفيسور بروكهاوس، «بتدمير مسيرته». إن بازل تتجه تدريجياً إلى الهجومية.

انفصلنا أنا وصديقي روده في ليشتنفلس (حيث يقف تمثال نصفي لك في محطة السكك الحديدية). وفي عيد الفصح، ذهبنا في نزهة صباحية أخرى، إلى كنيسة القديسين الأربعة عشر، على بعد ساعة واحدة من ليشتنفلس. لدي أصدقاء ممتازون، ألا ترى ذلك؟

إلى زوجتك الأغلى والأشد احتراماً سأرسل كتاب **القديس بولس** لرينان اليوم؛ كما سأرسل الكتاب الموعود لبول لاغارد إضافة إلى كتاب أوفربيك حين يكون الأخير جاهزاً.

---

(1) وقد أصبح ذلك «ديفيد شتراوس، معترفا وكاتبا»، وهو الجزء الأول من أفكار في غير أوانها.

آسف جداً لأننا لم نلتق بالعميد على الإطلاق.

وداعاً! وداعاً، أستاذي الأغلى، لك ولكل أسرتك.

المخلص فريدريك نيتشه

34. إلى مالفيدا فون مايزنبوغ

بازل، 11 فبراير 1874

صديقتي الأغلى:

لم أكن أعرف أين قد تجدك أفكاري؛ سمعت فقط من غيرسدورف أن حياتك في بايرويت قد انتهت؛ والآن تصلني أخبار عن مكانك، وأنك وحيدة ومريضة، وكنت أتمنى أن آتي إليك فوراً، لو كان ذلك متوافقاً بطريقة ما مع وظيفة جامعتي ومهماتي[1]، لكنني أعدك بزيارتك في روما أو لعلك تفكّرين فيما إذا كانت جنيف أو لوغانو قد تحسِّن صحتك؟ كنت أفكّر من وقت لآخر في اقتراح بازل عليك، فحتى الآن كان لدينا شتاء معتدل ومشمس، ومنذ أمس فقط هطلت عندنا الثلوج وبات الطقس بارداً بالفعل. على الأقل أعلم أن هناك فرقاً كبيراً بين مناخنا هنا ومناخ بايرويت، وأن الأشجار هنا تورق قبل أربعة أسابيع من هناك. هذا الاقتراح يهدف فقط للتعبير عن رغبتي القلبية في أن أكون أقرب إليك مرّة أخرى، لأننا نتشارك معاناة لا يشعر بها الآخرون بشدة، معاناتنا بشأن بايرويت. فواأسفاه، لقد كانت آمالنا عالية جداً! حاولت في البداية ألا أفكّر أكثر في الوضع المحزن

---

(1) كانت تخطط للاستقرار في بايرويت، لكنها أصيبت بالتهاب في الأذن ألزمها بالذهاب جنوباً. وقد قضت بعض الوقت في سان ريمو وهي تخضع للعلاج (وهناك وجُّهت إليها رسالة نيتشه هذه)، ومن ثم إلى جزيرة إسكيا، وبعدئذ من إسكيا إلى روما، التي ظلت من ثم محل سكناها الرئيس.

هناك، وحيث أن هذا لم يكن ممكناً، فقد فكرت في الأسابيع الماضية في الأمر قدر استطاعتي، وراجعت بدقّة جميع الأسباب التي أدت إلى وصول المشروع إلى طريق مسدود، لماذا قد يفشل حتى بشكل كامل[1]. ربما أخبرك لاحقاً ببعض أفكاري؛ ولكن أولاً، ففي غضون أسبوعين ستتلقين شيئاً آخر مني، وهو الرقم 2 المرتقب بعنوان «حول نفع التاريخ ومضرته في الحياة». يذكرني الرقم «2» بأن ديفيد شتراوس قد دفن أمس في لودفيغسبورغ[2].

وماذا تفعل السيدة مونود؟ هل صحيح أنها أنجبت ولداً؟

سترين أنني حتى الآن كنت أملي هذه الرسالة ـ فأنا أواجه مشكلة في عيني، ولكن ليس بقدر ما مضى. آه، لو كنت فقط أستطيع مساعدتك! أو أكون مفيداً لك بطريقة أو بأخرى! أفكر فيك، يا سيدتي الحزينة، بكل تعاطف، وأنا معجب بقدرتك على تحمل الحياة. مقارنة بك أنا أمير محظوظ، وعليّ أن أخجل من ذلك. تمنياتي لكم جميعاً.

المخلص فريدريك نيتشه

(1) لم يكن لالتماس أدولف شتيرن المتفائل أي ثمار على الإطلاق.

(2) أصبح هذا البحث الحلقة الثانية من أفكار في غير أوانها، حيث كانت الأولى ذلك البحث الذي هاجم فيه ديفيد فريدريك شتراوس. في 11 فبراير كتب نيتشه إلى غيرسدورف رسالة عبر فيها عن أمله في أن بحثه هذا لم يجعل خاتمة حياة شتراوس تعيسة، وأن شتراوس قد توفي دون أن يسمع به. «فالأمر يؤثر فيّ بعض الشيء» كما قال.

35. إلى كارل فون غيرسدروف

بازل، 1 أبريل، 1847

صديقي العزيز والمخلص:

ليت رأيك فيَّ لم يكن حسناً بهذا القدر الكبير! إنني شبه معتقد في أنك ستتخلص من أوهامك عني يوماً ما؛ وسأبدأ المعالجة بنفسي، مستنداً على كامل معرفتي بذاتي، معلناً أنني لا أستحق أياً من إشاداتك. ليتك كنت تعلم كم هي قانطة وكئيبة أفكاري في جذورها حين أعدُّ نفسي شخصاً منتجاً. لست أبحث إلا عن قليل من الحرية، قليلاً من أنفاس الحياة الحقيقية، وأن أدافع عن نفسي وأثور ضد ذلك الكم ـ الذي لا يوصف ـ من القيود المتشبثة بي. لا يمكن لحديث عن إنتاجية حقيقة أن يتواجد طالما أن المرء لا يزال في الغالب حبيس القيود والشعور القاسي والمرهق لهذا الانحصار، فهل سيكون لي أن أصبح منتجاً أبداً؟ تساورني الشكوك تلو الشكوك. والهدف بعيد جداً، وحتى لو تسنى بلوغه، فستكون قوته قد استنزفت في البحث الطويل والكفاح؛ عندما يصل المرء إلى الحرية، يكون قد أنهك وكأنه ذبابة قصيرة الأجل حين يأتي عليها المساء. إنني خائف بشدة من ذلك. إنه لسوء حظ أن يكون المرء واعياً بكفاحه في وقت مبكر من حياته! ليس بإمكاني أن أسلّط أي أفعال حقيقية ضد ذلك كما يفعل الفنان أو الزاهد. فكم هو بائس ومقيت هذا التذمر المرير بالنسبة لي! لكن هذا الشعور قد فاض بي الآن.

إن صحتي، بالمناسبة، ممتازة؛ فلا تقلق حيال ذلك. لكني مستاء جداً من الطبيعة، التي كان عليها أن تهبني مزيداً من الفهم، وقلباً أكثر امتلاءً ـ فأنا دائماً ما أكون ناقصاً في أفضل الأشياء. وأن أكون على علم بذلك لهو أشد بأس ينزل برجل.

لا يزال عملي المهني جيداً كما هو، إذ أنه يجلب للمرء قدراً من الخدر فيخفف بذلك من معاناته.

وحينئذ في الخريف ـ آه، أنت تفهم ذلك «الحين»، أليس كذلك؟ علينا أن نتقابل في مجلس جنوب ألبي أو سويسري[1]. إننا في كل مرة نلتقي، يبرز رفيق يشبهنا، فلا يجد سبباً لأن يعبس. فنحن إذا ما اجتمعنا معاً نصبح كائناً بإمكانه احتساء السرور من ثديي الطبيعة[2]. أريدك أن تبعث لي بالتفصيل عن موعد قدومك. لقد أخبرني روده في خطابه الأخير أنه قادم لا محال. وكذلك قال أوفربك وروموندت (ورفيقنا المستأجر أيضاً منذ البارحة). أما أنا، صاحب الإجازة الأقصر، فأخطط إلى أن أكون متاحاً في النصف الأول من أكتوبر. فهل تمنحنا وقتك حينئذ؟ يا صديقي العزيز جداً!

هل سمعت، في أي مصادفة، أن الأستاذ بلوس بمدرسة شولبفورتا، الذي خلف فولكمان، قد ألقى محاضرة حماسية في نادي ناومبورغ عن مولد التراجيديا واللحن الشتراوسي؟ إنه لشيء لأمر ولا يصدق، أليس كذلك؟ لقد كان الدكتور فوكس صفيقاً جداً في مجلة الموسيقى

(1) يشير إلى مقابلتهم في بازل التي كان يرجوها نيتشه. وقد زاره روده وجيرسدروف كل على حدة في أكتوبر.
(2) إشارة إلى «نشيد السرور» لشيلر، السطر 25.

الأسبوعية، وقد أثار استيائي واستياء أوفربك، والأمر عينه ينطبق على سلوكه العام أيضاً. وقد أرسلت إليَّ الآنسة العزيزة مايسنبوغ وروداً ناضرة جميلة، فكانت تلك رسل الربيع من البحر المتوسط.

سأرفق لك خطاباً رائعاً من رود، ستجده مفيداً؛ أرجعه إليَّ فيما بعد...

وردتني رسائل باهرة من أهل بايرويت.

شكراً على الأخطاء المطبعية، لكنك ضيعت أهم واحدة منها، من هولدرلين إلى هولدرلين. لكنها رغم ذلك تبدو رائعة، أليس كذلك؟ لكن ما من خنزير سيفهمها.

يقال إن كتاباتي غامضة وغير مفهومة! لكنني اعتقدت أن المرء حين يتكلّم عن المحن، فإن أصحاب المحن سيفهمون. وهذا صحيح بالتأكيد، لكن أين هم الواقعون في المحن؟

لا تتوقع أن يصدر عني أي عمل أدبي الآن. لدي الكثير لأحضره من أجل محاضرات الصيف، وأنا أحب القيام بذلك فهي (عن البلاغة). والحق أني درّستها تمعّنت في جزء كبير منها منذ عيد الميلاد.

لوالديك مني أطيب تحياتي.

وبالنسبة لليت لم يكن للمرء أصدقاء! أكان بإمكان المرء أن يصمد أو يكون قد صمد؟ أشك في ذلك.

فريدريكوس

36. إلى كارل فون غيرسدورف

[بازل]، 4 يوليو 1874

والآن ، يا صديقي الطيب الأعز، لدي بعض الأشياء التي أريد أن أخبرك بها، بالرغم من حرارة شمس الصيف.

أولاً، لدي شوق للعثور على مكان بارد. وثانياً، هناك الكثير مما أنجزه في كتاب **أفكار في غير أوانها**[1].

آمل أن أنتهي من العطلة قريباً، لكنني لا أستطيع، لأن جسدي يقف في الطريق ويحتاج إلى مزيد من التشجيع. من ناحية أخرى، كل شيء سيصبح في مكانه المناسب. سيكون من المؤسف أن أفسد الأمر أو أنساه. ربما سأذهب إلى إنغادن لفترة من الوقت مع أختي. أما بالنسبة لبايرويت، فإني لن أتعدى الاحتفاظ بالنوايا الحسنة؛ ذلك أنه يبدو لي أن أسرهم وحياتهم هناك في حالة مضطربة، وأن زيارتنا الآن ستكون غير مريحة. وهم الآن غير قلقين على حالتي؛ لقد كنتم جميعاً تكثرون النظر إلى الجانب المظلم. وأخيراً، كل ما يسعني التفكير فيه الآن هو الانتهاء من الجزء الثالث وتحسينه. وبالمناسبة، يا صديقي العزيز، ترى كيف خطرت ببالك الفكرة المضحكة المتمثلة

(1) يعني به الحلقة الثالثة من أفكار في غير أوانها، «شوبنهاور مربيا»، الذي كان في الأصل سيحمل اسم «شوبنهاور بين الألمان». وكان نيتشه يتفاوض مع إرنست شمايتسنر في لايبزيغ، الذي نشر الكتاب في أكتوبر. وكان فريتش قد أغلق عمله في الصيف الماضي.

بمحاولة إجباري، عن طريق التهديد، على زيارة بايرويت؟[1] يكاد الأمر يبدو كما لو أنني لم أرغب في الذهاب بمحض إرادتي؛ ومع ذلك فقد قابلت أهل بايرويت مرتين في العام الماضي ومرتين في العام السابق، مسافراً من بازل، بالرغم من إجازاتي القصيرة المزعجة! كلانا يعرف أن طبيعة فاغنر تميل إلى دفعه للشكوك، لكنني لم أكن أعتقد أنه سيكون من الجيد إثارة شكوكه[2]. وأخيراً وليس آخراً، ضع في اعتبارك أن لديّ التزامات تجاه نفسي يصعب الوفاء بها، خاصة حين تكون صحتي في مثل هذه الحالة الهشة. والحق أنه لا ينبغي لأحد أن يجبرني على فعل أي شيء.

خذ كل هذا بطريقة ودية وإنسانية!

فكّر فقط، كيف أن فيشر العجوز قد سيق إلى فراش الموت قبل بضعة أيام، وأسرته مجتمعة من حوله. وأنت تعرف ماذا سأفقد بفقده.

لقد أخبرت للتو بوفاة القاضي كروغ والد صديقي[3]. كما أن صديقَيّ بيندر وغوستاف كروغ سيتزوجان أيضاً في الخريف ـ وستستمر الأجيال بالإزهار.

لقد أعددت للقائنا شيئاً جيداً للغاية ـ ولكن أرجو أن تحضر شيئاً آخر بنفسك أيضاً. وليكن الترجمات الإيطالية[4]!

ولكن فقط إذا كان لديك الوقت والفراغ، يا صديقي العزيز المخلص.

[بلا توقيع]

---

(1) كان غيرسدورف قد أبلغ نيتشه بأنه لن يأتي إلى سويسرا في الخريف لو لم يذهب نيتشه إلى بايرويت.

(2) يقصد أن «تهديد» غيرسدورف ربما كان سيؤثر حقا، لو أن علمه قد نمي إلى فاغنر.

(3) وهو والد غوستاف كروغ.

(4) كان غيرسدورف يترجم كتاب ماكيافيللي حياة كاستروتشيو كاستراكاني (1281 - 1328) الذي قاد حزب الغيبليين في مدينة لوكا.

37. إلى مالفيدا فون مايسنبوغ:

بازل، 25 أكتوبر، 1874

أخيراً تسنى لي يا آنستي الموقرة أن أرسل إليك بعض الأخبار عني، بأن أبعث لك شيئاً جديداً كتبته؛ وستعرفين من محتويات هذا الكتاب الأخير[1] ما كان يشغل عقلي في الوقت الحالي. وسترين أيضاً أني كنت في بعض الأحيان خلال العام في حالة مريبة وأسوأ بكثير مما يظهر الكتاب. لكن، وباختصار، فإن الأمور تجري على ما يرام، وفي تقدم مستمر، ولا ينقصني إلا إشراق الحياة؛ فحري بي بكل الطرق الأخرى القول إن أموري في أفضل صورة ممكنة. من المؤكد أنه من حسن حظي أني أمضي في مهمتي قدماً خطوة بخطوة ـ والآن قد انتهيت من ثلاثة من أصل ثلاثين فكرة، والرابعة تطارد ذهني[2]. كيف سيكون شعوري حين أخرج كل الأفكار السلبية والمتمردة بداخلي؟ ومع ذلك فإني لآمل في أن أقترب من هذا الهدف العظيم خلال خمس سنوات. وبإمكاني بالفعل أن أشعر، وفي داخلي حس امتنان حقيقي، كيف أني أتعلم الإبصار بوضوح وحدة ـ فكرية (وليتها كانت بدنية) ـ أكبر وكيف بإمكاني أن أعبر عن نفسي على نحو أكثر تحديداً ووضوحاً شيئاً فشيئاً، ودائماً ما أنجز شيئاً

(1) (شوبنهاور مربيا).

(2) في ذلك الوقت، كان المقال الرابع الذي خطّط له نيتشه هو «نحن الفيلولوجيون»، وليس ريتشارد فاغنر في بايوريت.

في كل ذلك، لولا أن يحدث لي شيء يحرفني تماماً إلى الطريق الخطأ، أو يصيبني فتور. تخيلي أن هناك سلسلة من خمسين كتاباً مثل كتبي الأربعة الحاليين، وأنها جميعاً أخرجت لضوء النهار من تجرب داخلية ـ فسيكون عليها أن تكون ذات تأثير، ذلك أن المرء سيكون قد استحث ألسنة كثيرة على الكلام، وسيكون هناك ما يكفي من الأشياء التي عبرت عنها اللغة، أشياء لا ينساها الناس بسرعة، أشياء تبدو الآن منسية، ومعدومة. وما الذي قد يحدث ليحرفني إلى الطريق الخطأ؟ حتى الإحباطات المعادية أجدها الآن مفيدة ونافعة، ذلك أنها كثيراً ما تنيرني أسرع من الأفعال الودية؛ وإني لا أرغب في شيء أكثر من الاستنارة حول النظام المعقد للغاية للتنافرات التي تشكل «العالم الحديث». من حسن الحظ أني لست صاحب طموح سياسي أو اجتماعي على الأطلاق؛ وعليه فلست في حاجة للخوف من مخاطر هذا الوسط، أو من أي إلهاءات، أو ضغوط لإجراء صفقات وأن أكون محتاطاً؛ وباختصار، فإن بإمكاني قول ما أفكر فيه بكل صراحة، وأعني بذلك أن أختبر مدى تسامح رفاقنا البشر، المتشدقين بحريتهم الفكرية، مع الأفكار الحرة. لست طامعاً في كثير من الحياة ـ ولا أطلب منها شيئاً بإفراط؛ لذلك فلربما نصل خلال السنوات القليلة المقبلة إلى شيء أو شيئين من شأنهما إثارة حسد أسلافنا وذرياتنا. لقد كان فضلاً عليَّ أن حظيت بأصدقاء ممتازين فوق ما أستحق؛ والآن، في سرية، أتمنى أن أعثر قريباً على زوجة صالحة، ومن ثم سأعدُّ أمنيات حياتي قد لبيت ـ وكل ما عدا ذلك سيكون مسؤوليتي.

صديقتي العزيزة، لقد تحدثت عن نفسي بما فيه الكفاية، ولم أعطك فكرة بعد عن القلق الودي الذي ينتابني حين أفكر فيك وفي حياتك

الصعبة. قيسي على لهجة الثقة المطلقة التي أتحدث إليك بها عن نفسي مدى القرب الذي شعرت به تجاهك وكم كنت أتمنى أن أواسيك قليلاً كل حين وآخر وأن أرفه عنك. لكنك تعيشين بعيدة أيما بعد. ربما يتسنى لي أن أنطلق بالفعل قرب عيد الفصح القادم فأزورك في إيطاليا، طالما أني أعرف أين أجدك هناك. وفي هذه الأثناء، لك مني أطيب الأمنيات لصحتك وطلبي القديم بأن يستمر ودك تجاهي.

خادمك المتواضع والمخلص، فريدريك نيتشه.

38. إلى هانز فون بولاو

[ناومبورغ]، 2 يناير 1875

سيدي الأكرم:

لقد شعرت بالسعادة والفخر بسبب رسالتك لدرجة منعتني من تجنب التفكير عشر مرات في اقتراحك حول ليوباردي[1]. لا أعرف من كتاباته النثرية إلا قليلاً جداً بالطبع؛ وقد قام أحد أصدقائي، الذي يشاركني الإقامة في بازل، بترجمة أجزاء منها وقراءتها علي، وفي كل مرة كنت مندهشاً للغاية ومفعماً بالإعجاب؛ ولدينا أحدث طبعة من ليفورنو. (بالمناسبة، ظهر عمل فرنسي عن ليوباردي، نشره دِيديِيه في باريس؛ لكني نسيت اسم المؤلف في الوقت الحالي ـ ألعله بوليه؟)[2] أعرف القصائد الواردة في ترجمة هامرلنغ. والحقيقة هي أنني لا أعرف الإيطالية جيداً إلى درجة كافية، وعلى الرغم من أنني عالم في فقه اللغة، إلا أنني مع الأسف لست لغوياً (فاللغة الألمانية تزعجني بما يكفي).

ولكن الأمر أسوأ شيء هو أني لا أملك أي وقت على الإطلاق. لقد خصصت السنوات الخمس المقبلة لأداء الأجزاء العشرة المتبقية من

(1) كان بولاو نفسه يترجم ليوباردي لبعض الوقت؛ وقد سأل نيتشه إن كان بوده أن يترجم قصائد ليوباردي.

(2) يقصد كتاب بوشيه ـ لوكليرك، **جياكومو ليوباردي، حياته وأعماله** (باريس، 1874).

أفكار في غير أوانها، وبالتالي لتخليص روحي من أكبر قدر ممكن من الفوضى السجالية. لكني في الحقيقة لا أستطيع أن أرى كيف سأجد الوقت لذلك، فأنا لست أستاذاً أكاديمياً فحسب، وإنما أدرس اللغة اليونانية أيضاً في معهد بازل العالي. وإنتاجاتي المكتوبة (أفضل ألا أقول «كتب» ولا «منشورات» أيضاً) هي ما انتزعت من نفسي تقريباً خلال الإجازات النادرة وأوقات المرض؛ اضطررت حتى إلى إملاء المقال عن شتراوس، لأني في ذلك الوقت لم أتمكن من القراءة أو الكتابة. ولكن بما أنني الآن في حالة بدنية جيدة، دون أي احتمال للمرض، ولا توفر حماماتي الباردة اليومية أي احتمال لمرضي مرة أخرى، فإن مستقبلي ككاتب شبه ميئوس منه ـ ما لم تتحقق مساعيّ الأدبية في يوم من الأيام في عقار ريفي ما.

إن مثل هذا الاحتمال المتواضع، *يا سيدي الأكرم*، هو بالطبع ليس مما يعتمد عليه عندك؛ ولذلك يجب أن أطلب منك استثنائي من خططك. ولكن ورودي على بالك على الإطلاق يظل شكلاً من أشكال التعاطف لم يكن من الممكن أن يسعدني أكثر، حتى لو كان عليّ أن أدرك أن هناك أشخاصاً أكثر جدارة وملاءمة لمكتب الوساطة بين إيطاليا وألمانيا.

أؤكد لكم احترامي وتقديري المستمر

وأظل يا سيدي خادمك الأمين

فريدريك نيتشه

39. إلى إرفين روده

[بازل، 28 فبراير 1875]

ما أشد رغبتي في أن أسمع، يا صديقي العزيز، ولو بكلمة واحدة صغيرة، كيف تجري الأمور معك! لقد أقلقني مؤخراً حلم ـ ـ ليته كان حلماً. كما طُلِب مني من بايرويت أن أبلغك بأنباء؛ وأنت تعلم ـ ولكن لا تعلم بالوضوح الكافي ـ كم يتذكرك الناس هناك بحب ودفء وكم يشعرون بالقلق. أختي حالياً في بايرويت وستمكث هناك لعدة أسابيع. سأخبرك أيضاً على الفور بطلب السيدة فاغنر لتقديمك، بأسرع ما يمكن، وبنحو عاصف بعض الشيء، إلى عمدة بايرويت لأجل السكن هناك في الصيف القادم؛ سيكون من الصعوبة بمكان أن نجد أماكن هناك لكل الزائرين، وعلينا أن نضغط على العمدة بشدة، لأن الأمور ما تزال في أسوأ حال فيما يخص أحوال السكن. ينبغي ألا تطلب أبداً «سكناً متواضعاً». فأختي ما تزال تحاول العثور على شيء لنفسها ولي أيضاً، دون نجاح حتى الآن.

الفصل الدراسي يشارف أخيراً على نهايته ـ فهناك ثلاثة أسابيع أخرى في الجامعة، وخمسة بعدها في المعهد. ثمة إثارة كبيرة هنا، لأن مجلس المدينة يتداول دستور بازل الجديد؛ كل الأحزاب تصطرع بمرارة، ولكن الشعب سيقرر في الربيع. (لقد استخدمت اليوم فقرة حول القدرة المطلقة

للدولة من الكراس هـ3 في ذلك الصراع السياسي ـ ـ مما أثار عجبي)[1].
يفتقد معهدنا في عيد القيامة غيرلاخ العجوز، الذي سيحال أخيراً للتقاعد؛ ولكن من ذا يخمن ما سيحصل عندئذ؟ لقد سئلت أن أتولى تدريس أربع ساعات من اللاتينية للمرحلة الأعلى، لكني رفضت بسبب عينيّ.

على العموم، تجري الأمور معي بشكل جيد نسبياً؛ أشعر بأني أستحيل إلى بارون إقطاعي، فنمط حياتي يصبح تدريجياً أشد تجذراً واستقلالاً من الداخل.

يفترض أن ينجز الكراس هـ4 في عيد القيامة. هل أخبرتك بأن ترجمة فرنسية للكراس هـ3 قد أنجزت، وصدرت برسالة إهداء موجهة إلي؟[2] سيأتي غيرسدورف إلى هنا لبرهة في 12 مارس ـ وأنت تعرف عن ذلك أيضاً.

ولكن إليك الآن شيئاً لا تعرفه ويحق لك أن تعرفه، بوصفك صديقي الأشد حميمية وعطفاً. نحن أيضاً ـ أنا وأوفربيك ـ نعاني مشكلة منزلية، او شبحاً في البيت. لا تسقط عن مقعدك حين تسمع أن رومونت تساوره خطط للدخول إلى الكنيسة الكاثوليكية، ويريد أن يصبح كاهناً في ألمانيا. هذا ما اتضح في الآونة الأخيرة، لكنها فكرة، كما سمعنا لاحقاً بنحو أشعرنا بالخطر الجسيم، كانت تخامره لبعض الوقت، لكنها الآن أقرب إلى التحقق من أي وقت مضى. وهذا الأمر يجرحني داخلياً إلى حد ما، وأشعر معه أحياناً بأنه أخبث شيء يمكن لأي شخص أن يفعله بي. بالطبع

(1) من كتاب (شوبنهاور مربيا).
(2) تمت الترجمة الفرنسية على يد ماري باومغارتنر، زوجة أحد الصناعيين، ووالدة أدولف باومغارتنر، الذي كان أحد طلاب نيتشه في بازل.

فإن رومونت لا يقصد ذلك بخبث. فهو حتى الآن لم يفكر في شيء سوى نفسه، وذلك التركيز اللعين الذي يضعه على فكرة «خلّص نفسك» تجعله غير مبال تماماً بكل شيء آخر، بما في ذلك الصداقة. فقد أصبح تدريجياً من المحير بالنسبة لي ولأوفربيك أن رومونت لم يعد يملك شيئاً مشتركاً معنا، وينزعج أو يمل من كل ما يلهمنا أو يشدنا. وبالخصوص فلديه نوبات من الصمت النكد، كانت قد أشعرتنا بالقلق في الوقت الماضي. وفي نهاية المطاف جاءت الاعترافات؛ أما الآن، وكل ثلاثة أيام تقريباً، فتراوده انفجارات كهنوتية. إن هذا المسكين في حالة مزرية تعسر معها مساعدته ـ فقد استهوته النوايا الغامضة لدرجة يبدو لنا فيها أنه أشبه بأمنية تمشي على قدمين. يا لمناخنا البروتستانتي النقي الطيب! لم أشعر أبداً حتى الآن بشدة اعتمادي الباطني على روح لوثر؛ وأنى لهذا الرجل التعس أن يدير ظهره الآن على كل تلك النوازع المتحررة؟

أحياناً أتساءل إن كان سليم الذهن، أو إن وجب أن يخضع للعلاج الطبي بالحمامات الباردة. فأنا أرى من غير المفهوم إلى حد بعيد أنه بعد ثماني سنوات من العلاقة الحميمة، كان الأولى بهذا الشبح قد ينتفض. وفي النهاية، سأكون أنا من ستعلق عليه وصمة هذا التحول. والله يعلم أني لا أقول هذا بدافع القلق الأناني؛ بل إني أعتقد أيضاً أنني أمثل شيئاً مقدساً، وأشعر بالخجل الشديد عندما يشك في أن لي أدنى صلة بهذا الشأن الكاثوليكي البغيض للغاية. تأمل هذه القصة المريعة وفقاً لصداقتك معي، وأرسل لي بعض الكلمات المريحة. لقد جُرحت في مسألة صداقة على وجه التحديد، وقد بت أكره الطابع المتسلل والخوان للعديد من الصداقات أكثر من أي وقت مضى، وعليّ أن أكون أكثر حذراً. سيشعر

رومونت نفسه بالرضا في هذه المؤسسة أو غيرها ـ لا شك في ذلك، لكنه وسطنا يعاني بشكل دائم، كما يبدو الآن. آه يا صديقي الأعز! إن غيرسدورف على حق حين يكثر من قول «لا شيء أشد جنوناً مما يحدث في العالم فعلاً».

صديقك المحزون فريدريك ن.

وأيضاً باسم أوفربيك ـ أحرق هذه الرسالة لو ارتأيت ذلك[1].

---

(1) لم ينته الأمر برومونت في الكنيسة الكاثوليكية، بل سرعان ما أصبح مدير مدرسة قانعا نسبيا في أولدنبورغ.

40. إلى ريتشارد فاغنر

بازل، 24 مايو، 1875

تأتي تمنياتي عرجاء ومتأخرة؛ فاعذرني، سيدي الحبيب. وأقصد بذلك الريبة تجاه حالتي البدنية الضعيفة، وإعجابي بالقوة التي قاتلت بها فوضى المهام الجديدة خلال السنوات الماضية، والمشاق، المضايقات، والإجهاد؛ لذلك فإني لا أملك الحق حتى في أن أتمنى لك شيئاً في هذا الصدد. (وليت بإمكاني بدلاً من ذلك أن أتعلم شيئاً منك!) إنني حين أفكر في حياتك، ينتابني في كل مرة شعور بأن مسارها مسرحي، وكأن كبرك في عالم الكتابة المسرحية قد جعلك تحيا في هذا القالب وتموت عليه، وذلك فقط ودائماً في نهاية الفصل الخامس. حين يضغط كل شيء ويندفع نحو هدف ما، تتلاشى الصدفة، وتصبح، كما يبدو، خائفة. ويصبح كل شيء، بسبب شدة الحركة، ضرورياً وغير قابل للكسر كما النحاس الأصفر- وهذا ما أجده في تعبيرك عن الميدالية الجميلة التي تلقيتها مؤخراً.

أما نحن الآخرين فنضطرب نوعاً ما، وعليه فحتى صحتنا ليست مستقرة.

أود أن أخبرك الآن أني وجدت نبوءة لافتة الجمال، وأحببت أن أرسلها إياك في عيد ميلادك، وهي كالآتي:

يا قلب الشعب المقدس، يا أرض الوطن! يا من تتحمل كل شيء صامتاً كأمنا الأرض.

متجاهل من الجميع، رغم أن من عمقك يستقي الغرباء أفضل ما يملكون؛ فيحصدون الفكر، ويستجمعون الروح منك، وبكل سرور يقطفون العنب، لكنهم يسخرون منك ككرمة عديمة الشكل، ولهذا فإن سيرك على الأرض جامح وعشوائي. يا أرض العبقرية السامية المخلصة! يا أرض الحب! رغم أني لك دون شك، فكثيراً ما غضبت، وبكيت، من أنك دائماً تتوارى ببلاهة وتنكر روحك. لكنك في تأخيرك، وصمتك، تحتضن عملاً مبهجاً، أي شهادتك الخاصة، تحتضن صورة جميلة، فريدة مثلك، صورة من مواليد الحب، وصالحة مثلك. أين هي ديلوس الخاصة بك، وأين أوليمبيا، أفلا نتقابل هناك فنحظى بأسمى عيد؟

أنى لابنك أن يفهم، أيتها الإلهة الخالدة، ما تخبئينه منذ وقت بعيد من أجل شعبك؟[1].

قال ذلك هولدرلين المسكين، الذي كان يمر بوقت أصعب مني، ولم يكن لديه سوى حس داخلي بما نثق فيه نحن وسنراه.

بكل صدق، سيدي الحبيب، تعني مراسلتي لك في عيد ميلادك شيئاً واحداً: أن تتمنى لنا حظاً سعيداً، وأن تتمنى لنا الصحة، لكي يتسنى لنا أن نشاركك حياتك كما يجب، فأنا أميل إلى الاعتقاد في أن اعتلال الصحة،

---

(1) هولدرلين: «الأنشودة الألمانية» (Deutschen des Gesang)، الأبيات 1 ـ 12 و53 ـ 60. بالنسبة لنيتشه فمن الممكن أن تكون الإشارات إلى ديلوس وأوليمبيا قد انطبقت على بايرويت.

والأنانية التي تندس في المرض، هما ما يجبر الناس دائماً على التفكير في أنفسهم، أما العبقري حين يكون بكامل صحته، فهو دائماً ما يفكر في الآخرين، وينشر البركة والشفاء حيثما يضع يده. إن كل رجل مريض وغد، هذا ما قرأته مؤخراً؛ ويا للأمراض الجمة التي أصابت الرجال! لعلك سمعت أثناء سفرك إلى ألمانيا عن بعض منها، كمرض «الهارتمانية» واسع الانتشار[1].

إلى اللقاء، سيدي المبجل، وحافظ على صحتك التي لا نملك مثلها[2].

خادمك المخلص، فريدريك نيتشه

(1) إدوارد فون هارتمان، مؤلف «فلسفة اللاوعي». قرأ نيتشه هذا الكتاب في لايبزغ. وقد انتقد هارتمان بسبب القسم التاسع «منافع ومضار التاريخ للحياة»، مسميا إياه أول محاكٍ فلسفي ساخر، واتهمه بتبني موقف استرضائي ساخر لاواع تجاه الوضع التاريخي الراهن. وقد تبادل نيتشه الرسائل مع ماتليد ماير من دائرة بايوريت خلال مارس 1874، وقد رحبت بنقده لهارتمان.

(2) عامل نيتشه صحة فاغنر وكأنها مثالية؛ لقد كان الأخير يعاني في السنوات الأخيرة من مشاكل هضمية لا تنتهي وإمساك مزمن. لكن في يونيو 1875، لم يكن نيتشه في الحقيقة على ما يرام أبدا؛ إذ كان الصداع يلازمه عدة أيام، وكان القيء يدوم لعدة ساعات. وخلال شهري يوليو وأغسطس، قضى بضعة أسابيع في شتاين أباد يخضع للعلاج تحت إشراف الطبيب المتميز والمتخصص في التغذية جوزف ويل، فقد كان حسب التشخيص مصابا بنزلة معوية مزمنة مع تمدد كبير في المعدة. كان التمدد مصحوبا بفرط الدم، وهو ما أعاق تدفق الدم للدماغ. وفي خطاب لمالفيدا فون مايسنبوغ، من شتاين أباد، بتاريخ 11 أغسطس، كتب نيتشه: «إن من هم مثلنا ـ أعني أنا وأنت ـ لا يتألمون أبدا من أبدانهم وحسب ـ فالألم مرتبط بعمق بأزمات روحية؛ لذا فلست أملك أدنى فكرة عما يمكن للطب وللمطابخ أن يفعلا لأسترد عافيتي مجددا».

41. إلى إرفين روده

بازل، 8 ديسمبر 1875

آه يا صديقي العزيز، لم أكن أدري ما أقول لك؛ لقد كنت صامتاً؛ كنت أخشى وأقلق عليك. لم يسعني حتى سؤالك كيف كانت الأحوال؛ ولكن كم وكم ساورتني أفكاري الأشد تعاطفاً تجاهك! فالأمور الآن بأسوأ ما يمكن أن تكون، وشيء واحد فقط يمكن أن يجعلها أسوأ: ألا يكون الوضع بذاك الوضوح الصادم الذي يتسم به الآن. من المؤكد أن أصعب الأشياء احتمالاً هو الشك، مع واقعه نصف الشبحي؛ وأنت على الأقل مرتاح من هذا الحال، الذي عانيت أنت جراءه ببشاعة أثناء وجودك هنا. ما الذي يجب علينا فعله الآن؟ إني أعتصر دماغي بحثا طريقة ما يمكن بها أن أساعدك. لقد تخيلت لفترة طويلة أن تغيير المكان قد يصبح متاحاً، وهو أمر مهم للغاية، وأنك قد تحصل على تعيين في فرايبورغ إم برايسغاو. لكن يبدو لي، فيما بعد، أنك لم تكن مرشحاً لشيء كهذا. بالطبع يظل نشر كتاباتك هو الأمر الأشد نفعاً؛ فشيء من هذا القبيل لا يخلو من الأفراح، وعلى أي حال فهو يزيد العقل تركيزاً، ومثل هذا العمل يظل ثابتاً، وقد يساعدك على اجتياز هذا الشتاء الرهيب. سأخبرك كيف تجري الأمور معي؛ فبقدر ما يتعلق الأمر بصحتي، فالحال ليس كما توقعت حقا حين غيرت طريقة حياتي تماماً هنا.

كل أسبوعين أو ثلاثة أسابيع أقضي قرابة ست وثلاثين ساعة في السرير في عذاب حقيقي، بالطريقة التي تعرفها. ربما أمر بتحسن تدريجي، لكن هذا الشتاء هو الأسوأ، مثلما ما زلت أفكر. أقضي النهار مع ضغوط كهذه؛ بحيث أنه، وفي حلول المساء، لا تعود هناك متعة في الحياة، وأظل مندهشاً حقاً من صعوبة الحياة. لا يبدو أنها تستحق كل هذا العناء. فنفع المرء لنفسه أو للآخرين أو للذات يذهب سدى جراء الضيق الذي يسببه لنفسه وللآخرين. هذا هو رأي من لا ينغمس في عواطفه ـ وبالطبع لا يشعر بالسعادة بفضلها أيضاً. حين أريح عيني، تقرأ لي أختي، وهي تقرأ والتر سكوت دوماً، الذي أسميه، كما يفعل شوبنهاور، «خالدًا»؛ إني أحب هدوءه الفني، وإيقاعه المتهادي، لدرجة أني أرشحه لك؛ ولكن ما يدق عندي على وتر حساس بالنسبة لي لا يؤثر عليك دائماً، لأنك تفكر بشكل أكثر حدة وسرعة مني؛ ولا أريد أن أتحدث عن الطريقة التي تعامل بها الروايات مشاعرنا، خاصة وأنك بحاجة إلى مساعدة نفسك من خلال العمل على «روايتك»[1]. ولكن لعلك الآن ستقرأ دون **كيخوت** مرّة أخرى ـ ليس لأنه أبهج الكتب التي أعرفها، لكنه الأكثر صرامة؛ لقد بدأت به خلال العطلة الصيفية، ومعه أصبحت كل معاناتي الشخصية تبدو أصغر بكثير ـ حتى بدت تستحق الضحك الوفير دون أن يصحبه أي عبوس. كل الجدية وكل الشغف وكل شيء يذهب إلى قلب الإنسان أمور كيخوتية. من الجيد معرفة ذلك في بعض الحالات؛ وفي حالات أخرى، فمن الأفضل عادة عدم معرفته.

غيرسدورف ينوي الشروع في خطوبة خلال عطلة عيد الميلاد.

---

(1) يشير إلى عمل روده حول فن الرواية الإغريقية.

وقد أصبح صديقنا كروغ والداً لطفل صغير؛ كما دعي الدكتور فوكس لاستخدام تذكرة ممول أختي كي يحضر دورة بايرويت في العام المقبل. يدرس هنا موسيقيان شابان وملحنان شابان هذا الشتاء، لأجل حضور محاضراتي؛ وهما صديقان لشمايتسنر [1].

أحاول العثور على ناشر ومستشرق يهتم بإصدار نسخة من التريبيتاكا البوذية. يقدم الدكتور دويسن محاضرات ملهمة هذا الشتاء حول شوبنهاور ثلاث مرات في الأسبوع، في آخن، سجّل لها أكثر من ثلاثمائة طالب. باومغارتنر يدرس فقه اللغة الكلاسيكية هنا تحت إشرافي. لدي في الندوة اللغوية ثلاثة عشر طالبا، بعضهم أناس موهوبون. وطالبي برينر معتل الصحة وكان عليه الذهاب إلى كاتانيا؛ وقد أرسلت معه تحيات إلى الآنسة فون مايزنبوغ. قد نشر الدكتور ريه، المخلص للغاية تجاهي، كتاباً صغيراً ممتازاً غفلاً من اسمه، بعنوان **ملاحظات نفسية**؛ إنه «أخلاقي» حاد للغاية، وهذه موهبة نادرة للغاية بين الألمان[2]. لقد وجدت كتاب أرنيم *Pro Nihilo* (باللاتينية: لا لشيء) مفيداً جداً[3]. يقيم الزوجان فاغنر في

(1) كان شمايتسنر ناشر أعمال نيتشه. وكان الموسيقيان هما باول هاينريش فيدمان وهاينريش كوسليتز. وقد تبنى كوسليتز لاحقا لقب بيتر غاست (1854 ـ 1918) وأصبح أحد أعز أصدقاء نيتشه وأغزرهم مراسلات معه.

(2) نشر في برلين، 1875. يحمل رد نيتشه على باول ريه، حول تلقيه للكتاب، تاريخ 22 أكتوبر 1875. وقد التقى بريه، وهو أحد أصدقاء رومونت، في مايو 1873، حين كان غيرسدورف وريه أيضا يزوران بازل وقد سمعا محاضرة نيتشه حول الفلاسفة القبل ـ أفلاطونيين. وسرعان ما أصبح ريه يتردّد على بايرويت؛ وكان هو من عرّف نيتشه على «لو سالومي» في روما في شهر مارس 1882.

(3) «لا لشيء»: مقدمات تاريخية لمحاكمة أرنيم، كان قد نشر أول الأمر بالفرنسية في سويسرا عام 1875؛ ويقال إن المؤلف هو الأمير «هاري فون أرنيم».

فينا حتى نهاية يناير. أما أنا فأعيش في عزلة تامة، برفقة أختي، وأنا مرتاح مثل ناسك لا يرغب في مزيد من الأمنيات، سوى أنه سيكون من الجيد حقاً لو انتهى كل شيء.

وداعاً إذن، عش بنحو محتمل يا صديقي الأحب، وفكر بأننا هنا دوماً نفكر بك بنحو كهذا كي نشعرك بصداقتنا، ولكن حيث لا يمكن ذلك، فاقبل منا هذه السطور الضعيفة. أختي وأوفربيك يبلغانك تحياتهما الأشد تعاطفاً، وسأظل صديقك

فريدريك نيتشه

42. كارل فون غيرسدورف

بازل، 13 ديسمبر 1875

بالأمس، يا صديقي الحبيب، جاءت رسالتك، وهذا الصباح، على نحو مناسب، في بداية أسبوع عمل ثقيل، كتبك: ينبغي للمرء بالتأكيد أن يظل في شعور جيد حين يكون لديه أصدقاء عطوفون مشفقون مثلك![1] إني أتعجب حقاً من غريزة صداقتك الرائعة ـ آمل ألا يبدو التعبير حيوانياً جداً بالنسبة لك ـ التي أفضت بك إلى أن تعثر على هذه الأمثال الهندية تحديداً، في حين أني كنت خلال الشهرين الماضيين بالضبط أبحث عن أشياء الهندية بلهفة متزايدة. فقد استعرت من السيد فيدمان، صديق شمايتسنر، الترجمة الإنجليزية لسوترا النيباتا، من الكتب المقدسة للبوذيين؛ وقد تبنّيت بالفعل للاستخدام المنزلي عبارة خاتمة آسرة لإحدى السوترات ـ «تجول بمفردك مثل وحيد القرن». إن القناعة القائلة بأن الحياة لا قيمة لها، وجميع الأهداف وهمية، تضغط على نفسي بقوة، خاصة عندما أكون مريضاً في الفراش، بحيث أحتاج إلى سماع المزيد عنها، ولكن دون أن تخلط مع عبارات يهودية ـ مسيحية، كان الإفراط فيها، في وقت أو آخر، قد أزعجني لدرجة أنني بت أحترس من الجور عليها. أما سير الحياة الآن فيمكنك أن تراه من خلال الرسالة المرفقة من صديقنا روده، وهو الذي

(1) كان غيرسدورف قد أرسل إليه كتاب **الأمثال الهندية**، بتحرير أوتو بوتلينغ، مع نصوص سنسكريتية وألمانية، نشر في سانت بطرسبرغ سنة 1870 ـ 73 (في مجلدين).

يعاني بشكل لا يوصف؛ لا ينبغي للمرء أن يعلق قلبه على الحياة ـ وهذا واضح ـ ولكن ما الذي قد يجعلها قابلة للتحمّل إن لم يرد المرء شيئا سوى ذلك! في رأيي، قد تظل إرادة المعرفة هي المقصد النهائي لإرادة الحياة، كمنطقة بين الإرادة والتوقف عن الإرادة: قليلاً من التطهير، ما دمنا غير راضين عن الحياة وننظر إليها باحتقار؛ وقليلاً من السكينة، ما دامت الروح تقترب بذلك من حالة التأمل الخالص.

إني أدرب نفسي للتخلص من عادة التسرع في الرغبة في المعرفة؛ فكل العلماء يعانون من ذلك، وهذا ما يحرمهم من الهدوء المجيد الذي يأتي من كل البصائر المكتسبة. يحدث أنني ما زلت أسيراً بشكل صارم بين المتطلبات المختلفة لعملي المحترف، بحيث أجبر في كثير من الأحيان، وضد إرادتي، على التسرع؛ إني أرغب في وضع كل شيء في مكانه الصحيح تدريجياً. وعندها ستصبح صحتي أكثر استقراراً: وهي حالة لن أصل إليها حتى أستحقها، حتى أصل لحالة الروح التي هي، كما يقال، أرضي الموعودة، حالة الصحة التي احتفظت منها الروح فقط بدفقة واحدة ـ هي إرادة المعرفة ـ وتحرّرت من جميع الدوافع والرغبات الأخرى؛ منزل بسيط، روتين يومي منظم بالكامل، لا توجد شهية مزعجة للتكريم أو للمجتمع، والحياة برفقة أختي (مما يجعل كل شيء من حولي نيتشوياً وهادئاً بشكل غريب)، والوعي بوجود أصدقاء ممتازين لطفاء، وامتلاك أربعين كتاباً جيدًا من شتى العصور والشعوب (والعديد من الكتب الأخرى التي ليست سيئة بالضرورة)، والفرح الدائم للعثور على معلمين في شوبنهاور وفاغنر، وعلى الأشياء اليومية لعملي في أدب الإغريق، والإيمان بأني من الآن فصاعداً لن أفتقر إلى طلاب جيدين ـ هذا هو ما

يشكّل حياتي في الوقت الحاضر. لسوء الحظ، يضاف إلى ذلك بؤسي المزمن، الذي يستولي عليّ زهاء يومين كل أسبوعين، وأحيانًا لفترات أطول ـ حسناً، يجب أن ينتهي هذا في يوم من الأيام.

في وقت لاحق، حين تكون قد أسست منزلك بحزم وبعناية، يمكنك أيضاً أن تعول على استضافتي لفترات طويلة في الإجازات؛ ومن الجيد أن أفكر في حياتك اللاحقة وكوني مفيداً لك مع أبنائك أيضًا. فنحن حتى الآن، يا صديقي القديم المخلص غيرسدورف، قد تشاركنا ردحاً لا بأس به من شبابنا وخبرتنا وتعليمنا وميلنا وكراهيتنا وتطلعاتنا وآمالنا. ونحن نعلم أننا سعيدان للغاية حتى لمجرد الجلوس بجانب بعضنا البعض؛ لا نحتاج إلى تقديم وعود أو عهود متبادلة، لأن لدينا إيماناً جيداً ببعضنا البعض. وأنت تساعدني حيث يمكنك ذلك ـ وأنا أعلم ذلك من خلال التجربة ـ وكلما كنت سعيداً بشأن أي شيء فإني أفكر «كم سيجعل ذلك غيرسدورف سعيداً!» ذلك لأنك تمتلك، دعني أخبرك، القوة المجيدة لتقاسم الفرح؛ وأعتقد أن هذا أمر أشد ندرة ونبلاً من قوة المشاركة في معاناة شخص ما.

وداعاً الآن، وادخل في العام الجديد من حياتك وأنت نفس الشخص الذي كنت في العام الماضي ـ لا يسعني التفكير في أي شيء آخر أتمناه لك. فبهذا النحو تكون قد ربحت أصدقاءك؛ وإذا بقيت أي نساء عاقلات في العالم، فلن يطول الأمر معك وأنت «تتجول بمفردك مثل وحيد القرن».

المخلص فريدريك نيتشه

أحر التحيات وأماني عيد الميلاد من أختي. تحياتي لوالدك المحترم.

لقد أرسلت لك برنامج روتيماير؛ وآمل أن تكون قد استلمته.

43. إلى ماتيلده ترامبداخ

[جنيف، 11 أبريل 1876][1]

آنستي الأغلى:

إنك تكتبين لي شيئاً هذا المساء؛ وأريد أيضاً أن أكتب شيئاً لك[2].

حشّدي كل شجاعة قلبك، حتى لا تخافي من السؤال الذي سأطرحه عليك: هل ستكونين زوجتي؟ إني أحبك وأشعر بأنك تنتمين لي بالفعل. لا تقولي كلمة عن مشاعري المفاجئة! فهي على الأقل بريئة. ولذلك لا يوجد شيء يجب أن يغتفر. ولكني أود أن أعرف إن كنت تشعرين كما أشعر بأننا لم نكن غرباء أبداً على الإطلاق، ولو للحظة واحدة! ألا تظنين أيضاً أن كل فرد منا في رابطتنا سيكون أفضل وأكثر حرية مما يسعه أن يكون بمفرده؛ بل ومتفوقاً جداً؟ هل تجرئين على الذهاب معي، مع شخص يسعى بكل قلبه ليصبح أفضل وأكثر حرية؟ وفي كل مسارات الحياة والفكر؟

---

(1) كان نيتشه مريضا جدا في عيد الميلاد 1875؛ وكان تعافيه بطيئا، لكنه كان قادرا على السفر إلى غرب سويسرا في أوائل مارس للتشافي في «فيتوه» قرب جنيف. وقد سافر غيرسدورف ومكث معه هناك حتى 29 مارس. وفي أوائل أبريل ذهب إلى جنيف وقضى بضعة أيام عند هوغو فون سينغر، وهو مايسترو كانت صلته به قد بدأت في بايرويت. والتقى في منزل سينغر بالآنسة فون ترامبداخ، وهي فتاة ليوفنية شابة. وكان الزواج بها في النهاية من نصيب سينغر.

(2) كانت تنسخ له قصيدة لونغفيلو «Excelsior».

كوني صريحة ولا تخفي شيئاً. لا أحد يعرف عن هذه الرسالة، أو سؤالي هذا، باستثناء صديقنا المشترك السيد فون سينغر. سأعود إلى بازل في الساعة الحادية عشر من صباح الغد على متن القطار - علي أن أعود؛ أرفق عنواني الخاص في بازل. إذا كنت تستطيعين الإجابة بنعم! على سؤالي، سأكتب على الفور لأمّك، التي سأطلب منك عنوانها. وإذا تمكنت من اتخاذ القرار بسرعة، بنعم أو لا، فإن رسالتك سوف تصلني بحلول الساعة العاشرة صباحا في فندق غارني دو لا بوست[1].

أتمنى لكم كل الخير والبركات على الدوام.

فريدريك نيتشه

(1) رفضت ماتيلده ترامبداخ عرضه؛ ورد نيتشه في 15 أبريل من بازل، معربا عن امتنانه لتعاملها مع هذا «الإجراء القاسي العنيف» بكل تسامح. وفي 26 مايو كتب إلى غيرسدورف: «إني لن أتزوج. ففي التحليل الأخير أشعر بأني أكره التقيّد والارتباط بالنظم «المتحضر» العام للأشياء، لدرجة يصعب معها أن توجد أي امرأة ذات عقل سمح بما يكفي لمتابعتي».

44. إلى مالفيدا فون مايزنبوغ

بازل، الجمعة العظيمة

14 أبريل 1876

آنستي الأغلى:

منذ أسبوعين تقريباً، كان هناك يوم أحد قضيته وحيداً قرب بحيرة ليمان وقريباً جداً منك، منذ البكور وحتى المساء المقمر؛ وقد قرأت كتابك بمشاعر مستحضرة حتى النهاية وظللت أخبر نفسي أنني لم أقضِ يوماً أكثر إخلاصاً؛ إن مزاج النقاء والحب لم يبارحني، وكانت الطبيعة في هذا اليوم مرآة لهذا المزاج.[1] لقد سرت أمامي وكأنك نفسي العليا، نفسي الأعلى بكثير ـ لكنك شجعتني بدلا من إداتني؛ وهكذا فقد سموتِ في مخيلتي، وقست حياتي بإزاء مثالك وسألت نفسي عن الصفات الكثيرة التي أفتقر إليها. إني أشكرك على أكثر من مجرد كتاب. لقد كنت مريضاً، وكنت أشك في قدراتي وأهدافي؛ وبعد عيد الميلاد، اعتقدت أنه سيتعين عليّ التخلي عن كل شيء، وخشيت قبل كل شيء من ضغوط الحياة التي تضطهدني مثل عبء وحشي ما أن أتخلى عن الأهداف العليا. أما الآن فأنا

(1) كان كتاب **مذكرات امرأة مثالية** لمالفيدا فون مايزنبوغ قد نشر عام 1875 (في جزئين) و1876 (الجزء الثالث). وكانت هذه نسخة ألمانية موسّعة من الأصل الفرنسي (المنشور عام 1869).

أكثر صحة وأكثر حرية، والمهام التي يتعين القيام بها تقف أمامي دون أن تعذبني. كم مرّة كنت أتمنى أن أكون بالقرب منك، كي أطرح عليك سؤالاً لا يمكن أن يجيب عليها إلا كائن ذو أخلاق وذات أعلى مني! والآن أتلقّى من كتابك إجابات لأسئلة محدّدة للغاية تخصني؛ وأعتقد أنه ليس لي الحق في أن أكون راضياً عن موقفي تجاه الحياة حتى أحصل على موافقتك. لكن كتابك يمثل لي قاضياً أكثر شدة مما قد تكونين عليه أنت. ما الذي يجب على المرء فعله، وصورة حياتك شاخصة قباله، إذا كان يرغب في الفرار متهماً نفسه بعدم الرجولة؟ ـ هذا ما أسأل نفسي عنه كثيراً. عليه أن يفعل كل ما فعلت، ولا شيء أكثر على الإطلاق! لكنه على الأرجح لن يتمكن من ذلك؛ فهو يفتقر إلى غريزة الحب المرشدة بأمان، وهي دوماً على استعداد للمساعدة. من بين أهم الموضوعات التي أعطيتني لمحة عنها لأول وهلة، هو موضوع الحب الأمومي بدون الرابطة الجسدية بين الأم والطفل؛ إنها إحدى أكثر تجليات *الإحسان* [باللاتينية] مجداً. أعطيني شيئاً من هذا الحب، *يا صديقتي الأغلى*، وانظري إليّ كشخص يحتاج، بوصفه ابناً، إلى مثل هذه الأم، ويحتاجها بشدة!

يجب أن نجري محادثات طويلة في بايرويت، أما الآن فيسعني الأمل في أن أتمكن مرة أخرى من الذهاب إلى هناك، بينما كان عليّ طوال عدة أشهر أن أتخلى عن الفكرة. لو أن بإمكاني أن أفعل شيئاً لك، بما أني بت الآن أفضل! ترى لم لا أعيش بالقرب منك!

الوداع، وأنا كما كنت على الإخلاص والصدق

45. فريدريك نيتشه

إني ممتن جداً لرسالة ماتزيني[1].

(1) كانت قد بعثت إليه برسالة أرسلها إليها ماتزيني.

46. إلى إرفين روده

[بازل، 18 يوليو 1876]

لتكن نحو الأفضل، يا صديقي الوفي العزيز، تلك الأنباء التي أخبرتني بها، نحو الأفضل حقاً: وأنا آمل ذلك لك من كل قلبي[1]، وهكذا فستبني عشك إذن، في سنة البركة 1876، مثل صديقنا أوفربيك، وأظن أني لن أفقدك وأنت تصبح أسعد؛ بل لعلي سأستطيع أن أفكر بك بمزيد من التأكد، حتى لو لم أتابعك في الإقدام على هذه الخطوة. ذلك أنك كنت تحتاج بشدة إلى روح واثقة تماماً، وها قد وجدتها ووجدت نفسك معها في مستوى أعلى. أما بالنسبة لي فالأمر مختلف، والسماء أعلم، أو ليست أعلم. ولا يبدو الأمر لي بتلك الضرورة، إلا في أيام نادرة.

ربما أملك هنا فجوة سيئة في نفسي؛ فرغبتي وحاجتي أمران مختلفان ـ ويصعب عليّ أن أعرف كيف أقول ذلك أو أفسره.

خطرت في بالي، الليلة الماضية، أن أنشئ قصيدة من هذا؛ لستُ بشاعر، ولكنك ستفهمني[2].

يتجوّل مسافر خلال الليل،

(1) كان روده قد أعلن عن خطوبته.
(2) النص الأصلي يمتاز بقوافٍ كثيرة.

خطوته واثقة؛

والوادي الملتوي، والهضبة الطويلة،

يأخذهما معه.

الليلة جميلة -

يستمر بالمشي، ولا يتوقّف.

لا يعرف أين يقوده طريقه.

ومن ثم يغني طير ما وسط الليل.

«آه يا طير ما الذي قد فعلته؟

لماذا تقيد فكري وخطوي،

وتصب كدر القلب الحلو

عليّ، بحيث أضطر للتوقف،

وألتزم بالاستماع، كي أفسر جيداً

أغنيتك هذه وتحيتك؟»

يكف الطير عن الغناء ويتحدّث:

«كلا أيها المسافر، كلا! لست أنت

من تحييه أغنيتي.

أغني لأن الليلة جميلة:

ولكن عليك أن تمضي في سفرك

ولن تفهم أغنيتي أبداً!

ولهذا فامض في سبيلك،

وفقط حين يصبح صوت خطوك بعيداً

سأعود للغناء من جديد

بأفضل ما بوسعي.

أما الآن فامض راشداً، أيها المسافر الحزين.»

هذا ما كنت أقوله لنفسي، في الليلة التي تلت وصول رسالتك[1].

ف. ن.

مع أحرّ التهاني من أختي.

(1) يمكن للعبارة الأصلية الملغزة «So geredet zu mir» أن تعني أيضا «هذا ما قاله صوت ما لي».

47. إلى إليزابيث نيتشه

[بايرويت، 1 أغسطس 1876]

أختي العزيزة:

الأمور معي ليست على ما يرام، وبوسعي أن أرى ذلك! الصداع مستمر، وإن لم يكن من أسوأ أنواعه، وكذلك الكسل. بالأمس تمكنت من الاستماع إلى أوبرا **الفالكيري**، ولكن في غرفة مظلمة فقط ـ لأن استخدام عيني أمر مستحيل![1] أتوق إلى الفرار؛ لا معنى للبقاء. بت أخشى كل واحدة من هذه الأمسيات الفنية الطويلة؛ ولكني أظل أذهب إليها.

وحيث أن الأمور ما تزال محزنة، أقترح أن تتحدثي مع آل باومغارتنر. قدمي للأم وابنها ثماني تذاكر للدورة الثانية من العروض، كل ذلك لقاء مائة تالر (ويمكنني نقل تذاكري للدورة الثالثة إلى آل باومغارتنر في الدورة الثانية). يمكنكم جميعاً أن تبقوا معاً في منزل جيسيل؛ فبالنسبة للإيجار الذي ندفعه، يظل أرخص نزل في بايرويت. يجب أن تسمعي عن الأسعار الأخرى!

(1) كانت أول تجربة أداء للأوبرا في 31 يوليو. وقبل بضعة أيام من ذلك، كان نيتشه قد وصل إلى بايرويت، تاركا إليزابيث في بازل لتنظيف شقتهما؛ وكان قد حصل على إجازة من بازل، وخطط للسفر في شهر أكتوبر إلى سورنتو.

سيكون عليك، هذه المرّة، أن تسمعي وتشاهدي العروض في مكاني.

سيكون من السهل الترتيب مع آل باومغارتنر بشأن السكن (لقاء حصتهم من التكاليف).

لقد ضقت ذرعاً بكل شيء!

لا أريد حتى أن أحضر الأداء الأول؛ بل أكون في مكان آخر، في أي مكان سواه، حيث لا يوجد لي فيه سوى العذاب.

ربما يمكنك كتابة بضع كلمات إلى شمايتسبنر أيضاً، ومنحه مقعداً للأداء الأول ـ أو لشخص آخر، أياً ممن تحبين، كالسيدة باخوفن على سبيل المثال[1].

سامحني على تحميلك كل المشاكل مرة أخرى! أريد أن أهرب إلى جبال فيختل أو أي مكان آخر.[2]

محبك فريتز

لا تنسي أن تبرقي خبر وصولك إلى الآنسة فون مايزنبوغ. وبطبيعة الحال، يمكنك حضور بروفة الأزياء فقد رُتب الأمر.

---

(1)وهي زوجة ي. ي. باخوفن، متعدّد المواهب والباحث في الأساطير، الذي كان نيتشه يزوره أحيانا في بازل.

(2)حين وصلت إليزابيث في 5 أغسطس، كان نيتشه قد ذهب من قبل إلى كلينغنبرون في الغابات البافارية، حيث بدأ بتدوين رؤوس الأقلام لكتاب **إنساني مفرط في إنسانيته** (1878). وعاد إلى بايرويت يوم 12 أغسطس، وهو اليوم الذي سبق العرض الأول لأوبرا الراينغولد. ثم عاد إلى بازل يوم 27 أغسطس، قبل ثلاثة أيام من انتهاء المهرجان. وقد ظلت صداعاته تعذبه في بازل، رغم دورة طبية من العلاج بالأتروبين.

48. إلى ريتشارد فاغنر

بازل، 27 سبتمبر 1876

صديقي الأرفع:

كان من دواعي سروري أن أسدي لك تلك الخدمة الصغيرة التي طلبتها مني؛ فقد ذكرتني بالأوقات التي قضيناها في تريبشن[1]. ولدي الآن وقت للتفكير في الأشياء الماضية، البعيدة منها والقريبة، حيث كثيراً ما أجلس في غرفة مظلمة لعلاج عينيّ بالأتروبين، فقد وجد أنه ضروري حين عدت إلى المنزل. والخريف الذي يلي هذا الصيف هو بالنسبة لي، وربما ليس بالنسبة لي فقط، خريفي أكثر من أي خريف مضى. فوراء الأحداث الكبرى هناك خيط من الحزن الأشد سواداً، لا يمكن بالتأكيد أن يهرب منه قريباً إلى إيطاليا أو نحو العمل المنتج، أو كليهما. عندما أفكر بك في إيطاليا، أتذكر أنك صادفت مصدر إلهامك الأول لموسيقى **الراينغولد** هناك. لتظل إيطاليا تمثل لك أرض البدايات! ولذلك فسوف تتخلص من الألمان لبعض الوقت، ويبدو أن ذلك ضروري بين الحين والآخر، بحيث يمكن للمرء أن يفعل شيئاً من أجلهم حقاً[2].

(1) كان فاغنر قد طلب من نيتشه أن يرسل له بمزيد من الملابس الداخلية من شركة ك. ك. رومبف في بازل.

(2) كان الزوجان فاغنر ذاهبين أيضا إلى إيطاليا؛ راجع الرسالة رقم 71.

ربما تعلم أنني شخصياً سأذهب إلى إيطاليا الشهر المقبل، إلى أرض لا تمثل البدايات على ما أعتقد؛ بل النهاية لمعاناتي، التي وصلت مرة أخرى إلى ذروتها. لقد حان الوقت حقاً. تعرف السلطات ما تفعله عبر إعطائي إجازة لمدة عام كامل، رغم أن هذه تضحية كبيرة بنحو غير متناسب مع مجتمع صغير كهذا؛ سيفقدونني بطريقة أو بأخرى، إذا لم يفسحوا لي هذا الطريق؛ فخلال السنوات الأخيرة، وبفضل مزاجي الصبور، تعاملت مع عذاب إثر عذاب، كما لو أنني ولدت من أجل ذلك وليس لأي شيء آخر. وإلى الفلسفة التي تدرس هذا الأمر تقريباً، فقد دفعت إتاوة عملية هائلة. إن هذا الألم العصبي فعّال بشكل مفصل، وبشكل علمي، لدرجة أنه يفحصني حرفياً كي يتعرف على مقدار الألم الذي يمكنني تحمله، وتستمر كل من تحقيقاته لمدة ثلاثين ساعة. يجب أن أعول على تكرار هذه الدراسة كل أربعة إلى سبعة أيام ـ كما ترى، فإنه مرضُ باحثٍ؛ لكني الآن لقيت من هذا العناء ما يكفي، وأريد أن أعيش في حالة صحية جيدة أو لا أعيش على الإطلاق. الهدوء التام، الجو المعتدل، المشي، الغرف المعتمة ـ هذا ما أتوقعه من إيطاليا؛ أخشى أن أرى أو أسمع أي شيء هناك. لا تظن أنني مريض نكد؛ فالناس وحدهم ـ لا الأمراض ـ هم من يمكن أن يجعلوني في مزاج سيئ، ويحيط بي دائماً أصدقاء مستَعدون جداً للمساعدة ومراعون للغاية. أولهم، بعد عودتي، كان الفيلسوف الأخلاقي الدكتور ريه؛ والآن الموسيقي كوسليتز، الذي يكتب بخطه هذه الرسالة؛ كما أود أن أورد السيدة باومغارتنر بين أصدقائي الخلص؛ وربما ستكون سعيداً لسماع أن الترجمة الفرنسية بقلم هذه السيدة لكتابي الأخير (**ريتشارد فاغنر في بايرويت**) ستُنشر الشهر المقبل.

إذا جاءت إليّ «الروح»، فسأكتب قصيدة لتبارك رحلتك؛ ولكن في الآونة الأخيرة لم يبن هذا اللقلق عشه على عاتقي، وهذا أمر مغتفر. ولذا فاقبل، بدلاً من ذلك، أحر وأطيب تمنياتي، آملاً أن تصحبك كأفضل الأصحاب؛ أنتَ وزوجتك المحترمة، يا «صديقي الأنبل»، إذا حاولت أن أسرق من بيرنايز اليهودي أحد أشد تعابيره الألمانية تقحّماً!

مع الإخلاص الدائم،

محبك فريدريك نيتشه

القسم الثالث

1877 ـ 1882

نهاية الأستاذية؛ لو سالومي؛ جنوا

1877

في سورنتو حتى أوائل مايو. يفكر في الزواج: «بامرأة طيبة ولكن غنية». الصحة لم تتحسن. زواج روده. **مايو**: من لوغانو إلى راغاز (باد فيفرز؟)، ومن ثم إلى روزنلاويباد نحو ريف بيرن لقضاء الصيف. البحث عن «هواء الجبال». **يوليو**: رسالة إلى كارل فوكس حول إيقاعات فاغنر. **سبتمبر**: العودة إلى بازل. تشاركه إليزابيث شقته وتقوم بترتيبها؛ كما ينتقل بيتر غاست ككاتب في بعض الأحيان. **محاضرات فصل الشتاء**: الأوابد الدينية للإغريق. **ديسمبر**: القطيعة مع غيرسدورف. الاستقالة من معهد التدريس، نظراً لسوء الحالة الصحية. نشر كتاب ريه «أصل المشاعر الأخلاقية».

1878

يناير: يتلقى نوتات **برسيفال** من فاغنر. **مارس**: العلاج في بادن ـ بادن. **مايو**: يرسل الجزء الأول من **إنساني مفرط في إنسانيته** إلى فاغنر؛ قطيعة علنية مع فاغنر ومريديه. يرحب بوركهارت بالكتاب الجديد بوصفه «الكتاب المهيمن». **أواخر يونيو**: انحلال منزل بازل؛ عودة إليزابيث إلى ناومبورغ. **يوليو**: في إنترلاكن، رسالة إلى ماتيلده ماير حول قطيعته مع

فاغنر واعتزاله أصدقاءه». **أغسطس**: فاغنر يهاجم نيتشه في مقالته «الجمهور والشعبية» (في صحيفة **أوراق بايرويت**). **فصل الشتاء**: ينتقل نيتشه إلى شقة على أطراف بازل. **المحاضرات**: الشعراء **الغنائيون الإغريق**؛ **مقدمة إلى دراسة أفلاطون**. ما يزال مريضاً معظم الوقت: «نصف ميت من الألم والإرهاق». صداقة وثيقة مع أوفربيك وزوجته.

1879

يونيو: تقبل استقالته من جامعة بازل. ويغادر بازل، مسافراً عبر بريمغارتن وزيورخ إلى سانت موريتز. يكتب «الجوّال وظله» (الجزء الثاني من الكتاب الثاني من **إنساني مفرط في إنسانيته**). صراع مستمر مع المرض. **أكتوبر**: إلى ناومبورغ (حتى أوائل 1880). **القراءة**: يانسن، **تاريخ الشعب الألماني**، المجلد الثاني؛ انكشاف «الرؤية البروتستانتية المزيفة للتاريخ»، الانفجار ضد لوثر («تعسف لوثر الناقم، البشع، المغرور، الحسود بكل ضآلة»)؛ وكذلك غوغول، ليرمونتوف، تواين، وبو. مائة وثمانية عشر يوماً من نوبات الشقيقة الحادة خلال هذا العام.

1880

ريه يزور نيتشه في ناومبورغ. **فبراير**: في ريفا على متن لاغودي غاردا، حيث يلتقي مع غاست. **مارس ـ يونيو**: مع غاست في البندقية. **القراءة**: **ما بعد الصيف** لشتيفتر. **يوليو ـ أغسطس**: في مارينباد، يقرأ لميريميه وسانت بوف. «كثيراً ما أحلم بفاغنر، كما كانت الأمور حين كنا صديقين». **سبتمبر**: في ناومبورغ. **أكتوبر**: يزور الطبيب أوتو آيزر في فرانكفورت وأوفربيك في بازل. يسافر إلى ستريسا عبر لاغو ماجيوري وهو شديد الإعياء. **نوفمبر**:

يصل إلى جنوا. أول شتاء في جنوا: «ساعدني في التمسك بهذا الخفاء، أخبر الناس بأني لا أعيش في جنوا... أرغب أيضا في ألا تكون لي صلة بعد الآن بطموحات «المثالية» المعاصرة، فضلاً عن المثالية الألمانية». **الكتابة: الفجر.**

1881

شتاء قارس البرد؛ غرفة غير مدفأة. صداع عنيف شبه دائم. **نهاية أبريل ـ مايو:** مع غاست في ريكوارو؛ يكتشف غاست كمؤلف موسيقي. يقرأ **هاينريش الأخضر** لكيلر. غاست يغادر في 31 مايو. **أوائل يوليو:** من سانت موريتز إلى سيلس ماريا (إنغادن العليا) للمرة الأولى. يكتشف سبينوزا. **النصف الأول من أغسطس:** رؤيا «العود الأبدي». المسودات الأولى للكتاب الأول من زرادشت. «علي حقا أن أعيش لعدة أعوام لاحقة». العزلة عن الأصدقاء. يشبّه سيلس ماريا «بهضاب المكسيك العالية». نشر كتاب **الفجر**. «إني يائس. والألم يسحق حياتي وإرادتي... طلبت خمس مرّات مجيء الطبيب الموت». **أوائل أكتوبر:** يعود إلى جنوا. نوفمبر: يسمع أوبرا **كارمن** لبيزيه للمرة الأولى. يتلقى نسخة غاست من **ميكانيكا الحرارة** لروبرت ماير (**مارس 1882:** يتمسك ببوسكوفيتش ونظرية الذرات غير المادية).

1882

الكتابة: العلم المرح («يناير المقدس» ـ «عبور خط مداري» ـ كُتب خلال أيام صحو في يناير). يرفض طلب أخته أن يذهب إلى بايرويت في الصيف: «ألم تدمر موسيقاه المحطمة للأعصاب صحتي؟» استئناف

المراسلة مع مالفيدا فون مايزنبوغ. **29 مارس**: يركب السفينة إلى مسينا (صقلية)، يكتب «**قصائد ريفية من مسينا**». ومن هناك إلى روما. يلتقي «لو سالومي» مع ريه في منزل مالفيدا فون مايزنبوغ. **8 ـ 13 مايو**: في بازل مع الزوجين أوفربيك؛ ويلتقي بوركهارت أيضا. **13 ـ 16 مايو**: في لوسيرن مع ريه ولو، ويزوران تريبشن وتلتقط لهما صورة (نيتشه وريه مربوطين بعربة صغيرة، تجلس فيها لو وهي تعبث بسوط صغير). يعرض نيتشه الزواج على لو لكنها ترفض. **يوليو ـ أغسطس**: في تاوتنبورغ: «ما هي الروح عندي؟ لا أثمّن إلا النزعات». تأتي «لو» إلى تاوتنبورغ من بايرويت مع إليزابيث (أغسطس 7 ـ 26). **أغسطس**: نشر العلم المرح. **سبتمبر**: في ناومبورغ. يضع لحناً لقصيدة لو «إلى الألم» على البيانو. تمكث إليزابيث تاوتنبورغ. يقاطعها نيتشه هي وأمه، ذاهباً إلى لايبزغ. يفكر في شتاء يقضيه في الدراسة هناك، أو فيينا، أو في باريس، مع لو وري. شقاق مع لو وري. يلتقي هاينريش فون شتاين. يتبنى نسباً بولندياً. **نوفمبر**: من بازل إلى جنوا. **23 نوفمبر**: يصل إلى سانتا مارغريتا/ رابالو. **24 ديسمبر**: يقطع مراسلاته مع أمه. إلى أوفربيك: «ما لم أكتشف الحيلة الخيميائية لتحويل هذا الحمأ إلى ذهب، فأنا ضائع».

49. إلى فرانسيسكا نيتشه

[سورنتو]، 27 يناير 1877

أفضل تمنياتي الدافئة، بادئ ذي بدء، إليك أمي الحبيبة؛ لنتمنّ معاً أن السنة القادمة من حياتك ستجنّب المزيد من مشاعر الأسى والفقد والقلق التي غمرت السنة الماضية[1].

لا يمكنني أن أكتب رسالة لائقة؛ فالأمر يضرّ بي جداً لدرجة أن عليّ التكفير عن ذلك لعدة أيام (كما حدث مؤخراً حين توجّبت عليّ الكتابة إلى السيدة ريتشل المسكينة)[2]. فقد كانت هناك المزيد من الأيام السيئة واللحظات السيئة؛ ولكني *في الإجمال* أظن أني أتقدم، مع أنه لا ينبغي لأحد الظن أن كل الأمور ستصبح على ما يرام في آن واحد. الجو بارد وعاصف الآن أيضاً. وما يزال رأسي يبدو أنه يعوزه الدم؛ فقد قمت بالتفكير أكثر مما يجب خلال الأعوام العشر الأخيرة (وذلك، كما هو معروف، أضرّ بالمرء من مجرد «الإفراط في العمل» ـ وهو مما كنت قد فعلته أيضاً)[3].

---

(1) كان نيتشه يكتب لوالدته لأجل عيد ميلادها في 2 فبراير؛ وكانت أمها، وهلمينه أولر، قد توفيت في 3 نوفمبر 1876.

(2) كان ريتشل قد توفي قرب نهاية عام 1876. وقد كتب نيتشه رسالة تعزية إلى زوجته.

(3) فيما بين نوفمبر 1876 ومارس 1877، كتب باول ريه خمس رسائل إلى أخت نيتشه وواحدة إلى أمه، يسرد فيها أوصافا مفصلة لحالة نيتشه الصحية وعلاجه (الذي تضمن تناول النشوق والتمشي في الجبال).

إلامَ وصلت الترجمة الفرنسية لكتابي عن فاغنر؟ يُقرأ عليّ الآن لورنزو بينوني، ونحن نستمتع به جميعاً[1].

لقد أرسل الدكتور ريه مخطوطته «أصل المشاعر الأخلاقية» إلى شمايتسنر. وقد كتب برينر بعض الأقاصيص اللطيفة[2]؛ والآنسة فون مايزنبوغ تعمل على رواية[3]. ومن الممكن أن ينضم الأمير ليشتنشتاين إلى تجمعنا الصغير. وفيما بعد، سيأتينا سايدلتز وزوجته في زيارة، رتب لها سلفا، وكذلك بضعة من سيدات روما[4].

سأعلمك لاحقاً كيف تطبخين الريزوتو أصبحت أعرف الآن.

وفي الختام، تقبلي أدفأ الشكر لأجل رسالتك الطويلة المسلية.

عزيزك فريتز

---

(1) وهو كتاب لجيوفاني روفيني (1807 ـ 1881)، أحد أصدقاء طفولة ماتزيني. كانت حلقة قراءة مالفيدا في فيلا روبيناتشي نشطة للغاية. وهي تذكّر في مذكراتها هذه الأعمال والمؤلفين الذين قرأ لهم ونوقشوا: مسودة محاضرات بوركهارت حول الثقافة اليونانية، هيرودوت، ثوسيديدس، الأخلاقيين الفرنسيين (مثل فولتير)، مسرحية شاكونتالا لكاليداسا، قصيدة غوته «عروس كورنثة»، ومسرحيته «الابنة الطبيعية»، ودون كيخوته.

(2) نشرت إحداها في مجلة Die neue Rundschau في شهر يوليو 1877، تحت اسم مستعار هو «ألبرت نيلسون».

(3) روايتها ذات الثلاثة أجزاء فيدرا (1885).

(4) راينهارت وإيرين سايدلتز. كان سايدلتز كاتبا ورساما، ومن مريدي فاغنر أيضا. وكانت لنيتشه مراسلات وفيرة معه.

50. إلى إليزابيث نيتشه

سورنتو، 25 أبريل [1877]

لا شيء أبهج من رسالتك، أختي العزيزة، التي طرقت المسمار في رأسي بكل نحو ممكن. لقد كنت متضايقاً للغاية! من بين أربعة عشر يوماً، قضيت ستة منها في الفراش مع ست نوبات حادة، كانت أخراها يائسة بحق. وحين شفيت، انطرحت الآنسة فون مايزنبوغ في الفراش لثلاثة أيام جراء الروماتيزم. ولكننا في أعماق بؤسنا تشاركنا ضحكة طيبة حين قرأت لها بضع فقرات مختارة من رسالتك. إن الخطّة التي تقول الآنسة فون مايزنبوغ أن عليّ وضعها أمام نظري بحرص، وعليك أن تساعديني في تنفيذها، هي هذه: إننا نقنع أنفسنا بأنه، على المدى البعيد، لا يمكن لوجودي في جامعة بازل أن يستمر، والاستمرار فيه سيعني في أفضل الأحوال التخلي عن كل مشروعاتي المهمة وكذلك التضحية بصحتي كلياً. عليّ بالطبع أن أقضي الشتاء القادم هناك، دون أي تغيير في ظروفي، لكن عيد القيامة 1878 ينبغي أن يضع حداً لذلك، إذا ما نجحت الخطوة الأخرى ـ وأعني بها الزواج بامرأة مناسبة لكنها مرفهة بالضرورة. «طيبة *ولكن* غنية» كما قالت الآنسة فون م.، وهذه الـ «لكن» تضحكنا بصوت عال. سأعيش من ثم مع هذه الزوجة في البضع سنوات القادمة في روما، وهي مكان مناسب لعدة ظروف كالصحة، المجتمع، ودراساتي. ويجب أن تنفذ الخطة في

هذا الصيف، في سويسرا، حتى أعود إلى بازل في الخريف رجلاً متزوجاً. هناك «أشخاص» شتى مدعوون للحضور إلى سويسرا، والعديد منهم غير معروفين عندك ـ مثل إليزا بولاو من برلين، وإلزبيث برانديس من هانوفر. أما بخصوص الملكات الفكرية، فإني ما زلت أجد ناتـ[الي] هيرزن هي الأنسب [1]. لقد أحسنت صنعاً في تمجيد الفتاة كوكيرت الصغيرة في جنيف! كل الشكر والتقدير لك! لكن الأمر محل شك؛ وماذا عن المال؟ ـ

لا بد أن يكون لدى روده تمثال فاغنر النصفي [2] ـ لا يسعني التفكير في أي شيء آخر، فأنا غبي جداً. أيمكنك أن تتأكدي من ذلك، برسالة صغيرة إلى روده؟

لقد دعيت إلى المحاضرة حول فاغنر في فرانكفورت. وقد رأى أناس مؤهلون أن ترجمة السيدة باومغارتنر غير لائقة. وهذا أمر سري.

أخوياً، إلى الأبد، المخلص لك

نيتشه

في المستقبل (إن عشت لعام آخر بعد هذا)، الروماني.

لقد تجنبت المشكلات التي حدثت في بايرويت؛ وهو أمر أهنئك عليه، لأن مسؤوليتك عظيمة للغاية. لولو والمدبرة تديران المنزل بأكمله. وقد أرسلت لولدي المسكينة إلى مصحة للكسور في ألتنبورغ [3].

(1) ابنة ألكسندر هيرزن، كانت من عمر نيتشه نفسه وتوفيت عام 1916.

(2) كهدية للزفاف.

(3) لولو هي دانييلا فون بولاو؛ أما لولدي فهي إيزولده فون بولاو؛ وهما ابنتا كوزيما فاغنر من زواجها السابق.

51. إلى مالفيدا فون مايزنبوغ

سورنتو، 25 أبريل [1877]

صديقتي الأغلى:

لقد خطر في بالي، وأنا أتفكر في الأمر، أن البطاقة البريدية، على أنها أخف من الرسالة، لا تسافر أسرع منها؛ ولهذا فعليك أن تتلقي مني الآن رسالة طويلة نسبياً، حول موضوع تطوافاتي الأوديسية حتى اليوم.

إن البؤس البشري خلال رحلة بحرية أمر مريع، ومثير للضحك مع ذلك، وهكذا تبدو لي صداعاتي أحياناً حين تبدو حالتي البدنية ممتازة ـ وبإيجاز، فإني اليوم مرة أخرى أمر بمزاج الإعاقة الساكنة، رغم أني على السفينة لم تخامرني سوى أحلك الأفكار، فإن شكوكي الوحيدة في الانتحار لم تخطر إلا حين كان البحر أعمق ما يكون، بحيث لا يمكن للمرء أن يستنقذ منه مجدداً ويفترض به أن يدفع لمنقذيه ديناً ممتناً بهيئة كتلة ثقيلة من الذهب. والواقع أني قد عرفت بشكل دقيق كيف كان أشنع طور من دوار البحر، بفضل الوقت الذي عذبتني به آلام المعدة الرهيبة بالإضافة إلى الصداع ـ فقد كان ذكرى من أوقات نصف متلاشية. ولكن الضيق الذي تراكم عليّ تمثل هناك بالحاجة لتغيير مكاني ثلاث إلى ثماني مرات كل دقيقة، ليلاً ونهاراً، وفوق ذلك فأنا على مقربة شديدة من روائح ومحادثات أناس يأكلون، وهو أمر يثير الغثيان بلا حد. لقد كان الوقت

مساء في مرفأ ليغهورن وكانت السماء تمطر، ولكني رغبت مع ذلك في الذهاب إلى الشاطئ، لكن وعود القبطان باردة الدم عاقتني عن ذلك. كل شيء على متن السفينة كان يتدحرج بقدر هائل من الضجيج، وأواني الطبخ تقفز وتعود للحياة، والأطفال يصرخون، والريح تعول؛ «كان الأرق الأبدي قدراً لي» كما يسوغ للشاعر أن يقول. وقد أتى النزول من السفينة بعذابات جديدة؛ فإضافة لصداع الشقيقة الذي أفعم رأسي، كنت أرتدي أقوى نظاراتي وأشك في الجميع. وجاء زورق الجمارك إلينا بعناء شديد، لكني كنت قد نسيت الأمر الأهم، وهو تسجيل أمتعتي لأجل رحلة القطار. ثم بدأت رحلة نحو *الأوتيل ناسيونال* الفاخر، مع اثنين من المارقين في مقطورة العربة، حاولا دفعي على النزول عند تراتوريا[1] زريّة؛ وكانت أمتعتي دوماً في أيدٍ غريبة، وكان هناك دوماً رجل يلهث تحت حقيبتي ماشياً أمامي. شعرت عدة مرات بالغضب واستفززت السائق، أما الرجل الآخر فتنحى عن طريقي. *أتعرفين كيف وصلت إلى الأوتيل دو لوندره؟* لا أعرف لكنه، بشكل وجيز، كان فندقاً جيداً ـ إلا أن الوصول كان مريعاً وكانت زمرة كاملة من الأفاقين تريد أن أدفع لهم. ومن ثم خلدت للفراش فوراً، وأنا أشعر بتعب شديد! وفي يوم الجمعة، في جو حالك ممطر، استجمعت قوتي في الظهيرة وذهبت إلى المعرض الفني في بالازو برينيولي؛ وبنحو مدهش، كان منظر تلك اللوحات العائلية هو ما أيقظني وألهمني من جديد؛ أحد آل برينيولي على صهوة حصان، وكل فخر العائلة يتجلى في عين حصانه الحربي المتين، وكان ذلك شيئاً مذهلاً لإنسانيتي المحبطة! في نظري، أنظر إلى فان دايك وروبنس بتقدير أكبر من أي رسام

(1) التراتوريا مطعم محلي شبه شعبي، شائع في إيطاليا. (المترجم)

آخر في العالم. أما الصور الأخرى فبقيت تجاهها بارداً، إلا لوحة كليوباترا المحتضرة لغيرتشينو.

وهكذا عدت للحياة مجدداً وقضيت بقية اليوم جالساً في فندقي، *هادئاً* وفي *حالة جيدة*. وفي اليوم التالي مررت بتجربة منهجة أخرى. حيث سافرت طوال الطريق من جنوا إلى ميلان مع راقصة باليه يافعة وجذابة جدا من مسرح ميلان؛ *كانت كاميلا لطيفة جداً* (بالإيطالية) ـ كان عليك أن تستمعي لحديثي بالإيطالية! لو كنت من الباشوات، لأخذتها معي إلى فيفرز، حيث يكون بوسعها أن ترقص لي، كلما فشلت مشاغلي الفكرية[1]. ما زلت أحياناً غاضباً بعض الشيء على نفسي لعدم بقائي لعدة أيام على الأقل في ميلان لأجلها. وأنا الآن أقترب من سويسرا وقد سافرت على طول الخط الأول من طريق قطار غوتهارد، الذي انتهي منه الآن، من كومو إلى لوغانو. كيف وصلت إلى لوغانو؟ لم أرغب حقاً في الذهاب إلى هناك، ولكن ها أنا ذا. فبعدما اجتزت الحدود السويسرية، في وابل من المطر، كانت هناك ومضة برق واحدة، تلاها رعد عنيف. وقد رأيت في ذلك فألاً حسناً؛ حيث لا أخفي عنك حقيقة أني كلما اقتربت من الجبال بت أشعر أفضل. أما في كياسو فقد قسمت أمتعتي وتركت في قطارين مختلفين؛ وكان هناك ارتباك ميؤوس منه، وفوق ذلك كان عليّ أن أمر خلال الجمارك. حتى المظلتان أطاعتا دافعين متناقضين. ومن ثم ساعدني حمال لطيف ـ تحدث معي بأول ألمانية ـ سويسرية سمعتها؛ تصوري أني تأثرت عاطفيا بسماعها، واكتشفت فجأة أني أفضل العيش بين السويسريين

(1)لعلها باد فيفرز، على بعد ميلين جنوب راغاز (في شرق سويسرا)، التي يصفها دليل بيديكر عام 1883 بأنها منتجع في أحد أبرز بقاع سويسرا، بنيت حماماته في جدران من الحجر الجيري النيموليتي.

الألمان على العيش بين الألمان. لقد اعتنى بي هذا الرجل جيدا، وتصرف بشيء من الأبوية ـ كل الآباء طائشون نسبيا ـ كي يستعيد كل شيء معاً ومن ثم سافرت إلى لوغانو. كانت العربة من الأوتيل دو بارك تنتظرني، وانبعثت هنا صيحة من البهجة داخلي ـ كل شيء جيد جدا ـ أعني، هذا أفضل فندق في العالم. لقد انغمست نسبيا مع بعض أعيان الريف من مكلنبورغ، وهم صنف الألمان الذي يناسبني؛ وفي المساء، شاهدت رقصة مرتجلة من النوع الأبعد عن الأذى ـ كل الناس إنجليز، وكل شيء مضحك جداً. ولاحقاً خلدت للنوم، عميقاً وجيداً للمرة الأولى؛ وأنا هذا الصباح أرى كل جبالي الحبيبة أمامي، كل جبال الذكريات. لقد أمطرت هنا لأسبوع. وفي هذه الظهيرة سأستفسر في مكتب البريد كيف تبدو الظروف في ممرات جبال الألب.

فجأة بت أفكر أني لم أكتب رسالة كهذه منذ سنوات، وكذلك أنك لن تقرئيها على الإطلاق.

ولذا اعتبري حقيقة هذه الرسالة علامةً على أني أصبحت أفضل. وآمل أن تستطيعي فك رموز خاتمة الرسالة[1]!

أفكر بك بأدفأ حب عدة مرات كل ساعة؛ فقد منحتني من الأمومة قدراً لا يمكنني أبداً نسيانه.

أطيب تحياتي إلى ترينا العطوفة[2].

---

(1) لقد بلغ قصر النظر بنيتشه حدا كان معه مضطرا حين يكتب لتقريب عينيه لمسافة بوصتين من الصفحة ـ وكثيرا ما جعل ذلك خطه صعب القراءة.

(2) هي خادمة مالفيدا، التي اعتنت بصحة نيتشه في سورنتو.

بتّ أثق أكثر من ذي قبل في فيفرز والجبال الشاهقة.

وداعاً! ابقي لي كما كنتِ من قبل، كي أشعر بمزيد من الحماية والأمان؛ أحيانا يغمرني شعور شديد بالفراغ أكاد معه أصرخ.

الممتن والمخلص

فريدريك نيتشه

التقرير الثالث من أوديسيوس:

ما ألطف النحو الذي جلبني به الزوجان سايدليتز إلى السفينة! لقد شعرت بأني قطعة من الأمتعة المثالية من عالم أفضل.

52. إلى مالفيدا فون مايزنبوغ

روزنلاويباد[1] يوم الأحد 1 يوليو 1877 على بعد أربعة آلاف قدم فوق سطح البحر، ولكن كم هي مكان مصون، لطيف، سار للنظر! (نزل بستة فرنكات في اليوم - جيد جداً).

صديقتي الأعز والأغلى:

لقد كان محبطاً أن أعرف أن جدول سفري المفصل الخاص بشبولغن وصل إلى فلورنسا متأخراً جداً، ولو متأخراً ليوم واحد. لم أظن أنك ستغادرينها مبكراً. (هذا الحبر مريع، رغم أني أرسلت في طلبه خصيصاً! ولكنهم ربما لم يعطوني الغرض الحقيقي؛ ما من طعام حقيقي في العالم بأسره، والحبر طعام لنا)[2].

آه، الأمر الآن أفضل!

متأسف جداً لأن رحلتك أضرت بصحتك؛ فعلى ذلك أن يتوقف، وعلى الأناس العديدين الذين يحبونك أن يتجشموا عناء قطع رحلة الألب بأنفسهم[3].

(1) منتجع جبلي صغير بين مايرينغن وغروسه شايديغ في ريف بيرن.
(2) الكلمة الألمانية للطعام هنا: «Lebensmittel» تحمل معنى «وسائل الحياة» - وهذا هو معنى كنايته.
(3) يشير إلى رحلات مالفيدا السنوية شمالا نحو بايرويت.

أظن أن إيشي ستناسبك: فالمناخ شبيه بمناخ سورنتو، لكنه بالطبع أقرب للألب بعض الشيء؛ لكنه مزيج طيب من هواء الجبال، هواء الغابة، وهواء البحر. لكنه بالنظر لحاجاتي - ما دام الفصل حاراً - ليس مرتفعاً بما يكفي؛ ولذا لن أذهب إليه إلا لاحقاً. لارتفاعات الجبال العالية دوماً تأثير مفيد فيّ. أما هنا فأنا أضطجع مريضاً في الفراش كما في سورنتو وأجر نفسي جراً من الألم، يوماً بعد آخر؛ وكلما كان الهواء أخف، سهل علي تحمله أكثر. لقد بدأت الآن علاجاً بمياه القديس موريتز، وسيشغلني ذلك لبضعة أسابيع. وقد دفعت بشدة للذهاب إلى مكان مرتفع *من بعد* علاج راغاز ولشرب *هذا* الماء، بوصفه دواءً للعصاب المتجذر بعمق، بالإضافة لعلاج راغاز بالتحديد.

أما الآن وحتى الخريف فأمامي المهمة الممتعة للظفر بزوجة. فلتجعلني الآلهة سريعاً بما يكفي لهذه المهمة! لقد قضيت عاماً كاملاً في التفكير في الأمر وجعلته يمر دون استخدام. لكني عازم على العودة إلى بازل في أكتوبر ومزاولة نشاطاتي السابقة. لا يمكنني أن أستمر دون أن أكون *مفيداً*، والناس في بازل هم الوحيدون الذين يشعرونني بأني كذلك. إن كتاباتي وتفكيري الإشكاليين للغاية قد أمرضاني دوماً حتى الآن؛ ولكني ما دمت أستاذاً كانت تلازمني الصحة؛ ثم جاءت الموسيقى التي حطمت أعصابي، والفلسفة الميتافيزيقية والقلق حول ألف شيء لا يهمني على الإطلاق. ولذا أريد أن أصبح مدرساً من جديد؛ وإن لم أستطع تحمل ذلك، فسأموت وأنا في مهنتي. لقد أخبرتك كيف ينظر أفلاطون لهذه الأشياء. أفضل تمنياتي وتحياتي لأهل بايرويت الذين لا يتعبون (أقدر شجاعتهم ثلاث مرات في اليوم). أخبريني رجاءً بأخبار مهدئة عن النتائج العامة في

لندن؛ فقد سمعت أنباءً سيئة جداً[1] كم كنت أود الحديث مع السيدة فاغنر، لقد كان ذلك دوماً من أعظم مباهجي، على أني حرمت لأعوام منه!

إن شفقتك الأمومية تمنحك الامتياز الحزين لتلقي رسائل الأسى أيضاً!

لم يكن أوفربيك ممن نصحني بالذهاب إلى بازل. لكن أختي فعلت ذلك، وهي أعقل مني بكثير.

ربما ضاعت العديد من بطاقات البريد (مني إليك) في الطريق.

وداعاً، خير وداع.

المخلص لك قلبياً،

فريدريك نيتشه

(1) كان فاغنر قد زار إنجلترا في شهر مايو 1877. وفي يوم 17 مايو استقبلته الملكة فكتوريا في قلعة ويندسور.

53. إلى كارل فوكس[1]

[روزنلاويباد]، آخر شهر يوليو 1877

عزيزي الدكتور فوكس:

لقد كنت بعيداً عن روزنلاويباد لعدة أسابيع؛ وعند عودتي وجدت أنك عاملتني بسخاء شديد بحيث تركت يومين أو ثلاثة تمر كي يرى الكنز بأكمله النور. كل شيء كتبته ذهب مباشرة إلى عقلي وحواسي؛ وأشكرك خصوصاً على وصفك «للأمسية» والتحضيرات لها؛ بل إني أظن أنه دفعني للنحيب، وأخبرك بذلك فقط كي أثبت لك أن موقفي ليس بالبعيد عن موقفك، مهما حدث ومهما قيل. وفي الإجمال، يبدو أن بعض النفع قد نتج من تنفيسي فيما سبق عن مشاعري بألفاظ مزعجة وعنيفة كهذه، ذلك لأني أشعر الآن بكل وضوح بأن موقفي تجاه قد تغير إلى موقف سعيد وواعد. (قد يقول متشكك: هكذا يرى المرء أن بضع حبات من الظلم قد تفيد في موازنة الكفتين.) ويمكن لكل شيء آخر أن ينتظر حتى نلتقي وجهاً لوجه، وهو أمر آمل ألا يطول انتظاره. حين آتي إلى بازل (في بداية سبتمبر، كما أظن)، سأكتب بنفسي إلى فولكلاند أيضا[2]. لقد *كان* هناك بعض الشك حول

(1) كان فوكس عازف بيانو وأرغن، وكاتبا حول الموسيقى. وكان نيتشه منزعجا من إلحاحه قبل وقت قريب. وهذه الرسالة الحالية تكشف عن تغير في الموقف. راجع أيضا رسائل شتاء 1884 ـ 85 وكذلك 26 أغسطس 1888 (رقم 129 و174).

(2) كان ألفرد فولكلاند مدير فرقة في بازل.

وجوب عودتي: فحتى خلال الربيع كان علي جدّياً أن أفكر في التخلي عن منصبي في بازل؛ وحتى الآن فإن التفكير في الشتاء القادم ونشاطاتي فيه يقلقني، ستكون هذه مغامرة، ومحاولة أخيرة. منذ أكتوبر وحتى مايو كنت في سورنتو مع ثلاثة أصدقاء ومع صداعاتي. وسوف أخبرك عن الصديقة الغالية التي اعتنت بي هناك: إنها مؤلفة **مذكرات امرأة مثالية مجهولة الاسم** (أرجو أن *تقرأ* هذا الكتاب الممتاز بحق، وتجعله هدية إلى زوجتك!)

إن عدّك للضربات الإيقاعية نتيجة لافتة، ذهب ثمين، تستطيع منه أن تصوغ عملات جيدة. وقد ذكرني بأني حين كنت أدرس العروض القديم عام 1870 كنت أتصيد المقاطع ذات الخمس والسبع ضربات، وأقوم بالعدّ في *Die Meistersinger* و*Tristan* [مسرحيتان لفاغنر] مما أخبرني ببضعة أشياء حول إيقاعات فاغنر. فهو شديد الفرار من أي شيء رياضي وشديد التناظر (كما يتضح في سياق صغير في استخدامه للثلاثيات ـ وأعني استخدامه المفرط لها) لدرجة أنه يفضل إطالة مقاطع ذات ضربات أربع إلى مقاطع ذات ضربات خمس، وذات ضربات ست إلى ذات ضربات سبع (في *Die Meistersinger*، الفصل الثالث، هناك إيقاع فالتس؛ تأكد منه إن لم يكن محكوماً بمقاطع ذات ضربات سبع). وأحياناً ـ مع أن هذه جريمة *إهانة للجلالة* ـ يذكّرني بأسلوب برنيني؛ فهو لا يستطيع تحمل العواميد البسيطة بل يجعلها، كما يظن، تنبض بالحياة مع منحنيات تتجه نحو الأعلى. ومن بين الآثار اللاحقة الخطرة لفاغنر، يبدو لي أن أحد أسوئها هو رغبته في جعل الأشياء تنبض بالحياة بأي ثمن، لأن ذلك في لحظة قد يستحيل لتكلف أو لحيلة.

لقد رغبت دوماً في أن يتصدى شخص مؤهل ببساطة لوصف أساليب

فاغنر المختلفة في سياق فنه بشكل عام، كي يقدم بيانا تاريخياً صريحاً حول ما يفعله هنا وما يفعله هناك. أما الآن فالمخطط الذي رسمته في رسالتك يرفع كل آمالي؛ وسيكون الوصف مقتصراً على الوقائع ببساطة وبهذا النحو تحديداً.

إن الآخرين الذين يكتبون عن فاغنر لا يقولون شيئاً بحق سوى أنهم قد سعدوا به جداً، ويقصدون الامتنان لذلك؛ ولا يتعلم المرء منهم شيئاً. لا يبدو فولزوغن موسيقياً مؤهلاً بما يكفي لهذا القصد؛ وهو مضحك ككاتب، مع تخبطه بين لغتي الفنان والنفساني[1] ألا يمكن للمرء، بالمناسبة، استخدام «رمز» بدلاً من الكلمة الغائمة «موتيف»؟ هذا ما يعنيه الأمر على كل حال. فحين تكتب «رسائلك الموسيقية»، قلل من استخدام ألفاظ ميتافيزيقا شوبنهاور قدر الإمكان، لأني أرى ـ معذرة! ـ أرى أني *أعرف* أن ميتافيزيقيته خاطئة، وكل الكتابات التي تحمل بصمتها ستصبح غير مفهومة ذات يوم. وسأخبرك بالمزيد لاحقا، وليس كتابةً. أود الحديث معك أيضاً حول بعض انطباعاتي في بايرويت، بخصوص مشكلات جمالية جوهرية، جزئياً كي أجعلك تريح دماغي. إني لشديد النهم إلى «رسائلك» لدرجة لا يمكنني معها تحديد إن كنت أفضل أن أحظى بمناقشتك لأسلوب بيتهوفن، إيقاعه، ديناميته، وما شاكل ذلك أولا، أو بدليلك المرشد إلى الأسى في النيبلونغن (لأن كل ما يخص النيبلونغن يبعث الأسى)[2]. والأفضل أن أحظى بالأمرين في وقت واحد، ومن ثم

(1)هانز فون فولزوغن، ناقد موسيقي عمل محررا لصحيفة Bayreuther Blätter.

(2)يشير إلى دراما فاغنر Der Ring des Nibelungen، التي أديت لأول مرة في مهرجان بايرويت، أيام 13 ـ 17 أغسطس 1876. ومصطلح «der Nibelungen Not» (وكلمة

سأستلقي سعيداً في الشمس، مثل حية عاصرة، وأقضي شهراً هادئاً في هضم ذلك.

لكن عينيّ تأمرانني الآن بالتوقف. هل يمكنك التخلي عن ملاحظاتك لوهلة بعد؟ أم أن الأفضل أن أرسلها مرة واحدة؟ سأمكث في روزنلاوي لأربعة أسابيع أخرى.

المخلص أكثر مما مضى،

ف. نيتشه

Not تعني «الأسى») يعود إلى الملحمة في أوائل القرون الوسطى. وفي الكناية دلالة أخرى على نفور نيتشه من مؤسسة فاغنر، التي اشتدت حدتها بلا شك في مهرجان عام 1876؛ فقد أديت Der Ring وسط حشد حافل، وفي حضور عدة ملوك والعديد من الشخصيات المبرزة، بنحو معاكس للمهرجانات الشعبية التي خطط لها من قبل في تريبشن.

54. إلى إروين روده

[روزنلاويباد، 18 أغسطس 1877]

صديقي العزيز العزيز:

كيف لي أن أصوغ ذلك بالكلمات؟ كلما فكرت فيك غمرتني المشاعر؛ وحين كنت مؤخراً أكتب إلى أحدهم أن «زوجة روده الشابة شخصية آسرة للغاية، تسطع روحها النبيلة في كل الملامح»، سحت مني بعض الدموع، ولا أملك سبباً ملموساً لذلك. فلنسأل النفسانيين ذات يوم؛ وسيفسرون ذلك في النهاية بأن الحسد هو ما يجعلني أنقم عليك سعادتك، أو لعله الانزعاج من أن شخصاً ما قد سلب مني صديقي وبات يخفيه عني - الله أعلم أين في هذا العالم، على نهر الراين أو في باريس؟ - ويرفض أن يمنحنيه مجددا! كنت مؤخرا أغني في عقلي «أنشودتي للوحدة»، وشعرت فجأة بأنك لم تعجب بموسيقاي على الإطلاق وكنت تطالب بشدة «بأنشودة للإثنينية»؛ وعزفت أنشودة كهذه في المساء اللاحق، بأفضل ما بوسعي، ونجح الأمر، لدرجة أن كل الملائكة كانت ستستمع بابتهاج، وخاصة الملائكة البشرية منها. لكن ذلك كان في غرفة معتمة، ولم يستمع لها أحد، ولذا كان علي أن أبتلع سعادتي ودموعي وكل شيء.

هل عليّ إخبارك عن نفسي؟ كيف أظل دوما على الطريق، قبل ساعتين من شروق الشمس في الجبال، وخاصة في الظلال الطويلة للظهيرة

والمساء؟ كيف فكرت في العديد من الأشياء وشعرت بالغنى الشديد في نفسي، بما أن هذه السنة قد سمحت لي أخيرا بأن أكسح عني الطحالب القديمة *للإلزام* اليومي بالتعليم والتفكير؟ نظرا للنحو الذي أعيش به هنا، يمكنني أن أتحمل ذلك برغم كل الألم ـ الذي لاحقني بالطبع حتى في تلك المرتفعات ـ لكن بين الأوقات، فهناك العديد من الإعلاءات السعيدة للفكر والشعور.

قريباً جداً كنت قد قضيت يوماً معتبرًا من التكريس وأنا أقرا *بروميثيوس بلا قيود*. إن لم يكن هذا الشاعر عبقرياً بحق، فلا أدري من هو العبقري؛ إنه رائع كله؛ وأشعر وكأني واجهت فيه نفسي، لكنها نفسي بعدما ارتقت وتسامت. أنحني للرجل الذي استطاع أن يختبر ويعبر عن أمور كهذه[1].

خلال ثلاثة أيام سأعود إلى بازل. وأختي منهمكة بالفعل هناك في تحضير كل شيء.

سينتقل الموسيقي المخلص ب. غاست إلى هناك، وسيتسلم مهمات صديق وكاتم سر مُعِين.

إني خائف بعض الشيء من الشتاء القادم؛ فالأمور يجب أن تتغير. إن من لا يملك إلا وقتاً قليلاً كل يوم لشؤونه الشخصية الأهم، وعليه أن يقضي سحابة وقته وقوته في مهمات يمكن للآخرين فعلها بنفس جِودته، شخص كهذا ليس منسجما؛ بل هو في صدام مع ذاته وفي النهاية لا بد أن يمرض. إن كان لي أدنى تأثير على الشباب، فأنا أدين به لكتاباتي؛ وأدين بكتاباتي للحظاتي المسروقة، للأوقات الوسيطة التي يسطو عليها المرض،

(1) راجع الهامش 13 للرسالة 18 في النص الألماني.

بين وظيفة ووظيفة. حسناً، ستتغير الأوضاع. «قد تكون الأمور سيئة الآن، لكنها لن تكون كذلك ذات يوم» (باللاتينية). وحتى ذلك الحين، لتتزايد وتزدهر سعادة أصدقائي، فالتفكير فيك، صديقي العزيز، يشعر قلبي بالفرح دوما (وأنا أراك الآن، بجانب بحيرة، محاطاً بالزهور، وبجعة بيضاء جميلة تسبح باتجاهك!)

مع الحب الأخوي،

المخلص ف.

55. إلى مالفيدا فون مايزنبوغ

بازل، الاثنين 3 سبتمبر 1877

شارع غيليرت 22

صديقتي الغالية الحبيبة:

ما أسعدنا بأنا سنراك هنا؛ ويا للأسف لأن آل مونود سيشرفون بازل في طريقهم فقط! ومهما حصل، نريد أن نكون في المحطة، في أي وقت؟ ألعله في الخامسة؟

حسناً، ها أنا ذا. كانت الأيام الأخيرة في روزنلاويباد، دون استثناء، مريعة؛ فقد تركت المكان مع صداع عنيف في الرابعة فجراً، لوحدي، في جنح الظلام.

الشقة، الجوار، وأختي الطيبة، كل شيء من *حولي* أجده آسراً، فتاناً، ومهدئاً، ولكن *في داخلي* تظل ديدان القلق تتحرك.

لقد حظيت بليلتين من النوم ـ جيد جداً، جيد جداً!

كانت هناك رسائل لطيفة تنتظرني قادمة من أوفربيك، السيدة أوت، والدكتور آيزر، الذي طالبني، بوصفه طبيبي، بالمجيء إلى فرانكفورت قريباً من أجل استشارة جديدة[1].

---

(1) كانت لويزه أوت زوجة النحات باول أوت. وكانت هي وزوجها يعيشان في باريس. كان نيتشه قد صادقها في بايرويت خلال يوليو وأغسطس عام 1876. وكان أوتو آيزر، طبيب العائلة، قد زار نيتشه في روزنلاويباد.

يا للأمور التي تقولينها عن سورنتو! قبل وقت غير بعيد في روزنلاوي قضيت ليلة مؤرقة وأنا أتمتع بصور الطبيعة اللذيذة وأتساءل إن لم يكن بوسعي أن أعيش بنحو ما في أناكابري. أتنهد دوماً حين أكتشف أن إيطاليا تثبطني، وتسلب مني قوتي (أي شخص كنتِ قد وجدتِ فيّ هذا الربيع! أشعر بالخزي؛ لأني لم أكن كذلك من قبل!). في سويسرا أرجع *لذاتي* أكثر، وحين أني أؤسس الأخلاق على التعريف الأشد حدة في الإمكان للذات، وليس على تبخرها، فإن...

في الألب أرى نفسي لا أقهر، خاصة حين أكون لوحدي ولا عدو لي سوى نفسي.

لقد عدت لدراساتي في الأدب اليوناني مجددا، من ذا يعلم ما سينتج عن ذلك[1]؟

وداعاً. هل وجدت الأميرة الجنية التي ستحررني من العمود الذي أوثق شدّي إليه؟

مع أدفأ وأطيب التمنيات إليك وأنت في طريقك إلى هنا.

ف. ن.

(1) خلال الفصل الدراسي الشتائي، حاضر نيتشه حول «**الأوابد الدينية للإغريق**»، وسجل ستة طلاب لأجل ذلك. وخلال الفصل اللاحق (1878) حاضر حول كتاب هسيود **الأعمال والأيام** (ثلاثة عشر طالبا) وحول محاورة **الدفاع** لأفلاطون (ستة طلاب)؛ وخلال فصل الشتاء 1878/ 79 حاضر حول **شعراء الأغنية اليونانيين** (ثلاثة عشر طالبا) وحول «**مقدمة لدراسة أفلاطون**» (ثمانية طلاب).

56. إلى راينهارد فون سايدلتز

بازل، 4 يناير 1878

إنك لطيف جداً، صديقي العزيز العزيز، بكل أمانيك ووعودك، وأنا فقير جداً. كل رسالة منك هي شيء من البهجة في حياتي، ولكن لا يسعني منحك أي شيء بالمقابل أي شيء. خلال عطلة عيد الميلاد مررت مجدّداً بأيام سيئة، سيئة بل أسابيع[1]؛ وسنرى الآن ما يمكن للسنة الجديدة فعله. هل ستجمعنا معاً؟ آمل بثقة أنها ستفعل.

وصلني *برسيفال* بالأمس، حيث أرسله فاغنر. والانطباع الأول: العمل أشبه بليست من فاغنر، ففيه روح مقاومة الإصلاح؛ وفي نظري، وأنا المعتاد جدا على كل ما هو يوناني، وعلى ما هو بشري بنحو صالح إجمالا، فإنه عمل مفرط في مسيحيته، انحصاره بالزمن، وتقيده؛ نفسانية خيالية خالصة؛ لا لحم مع الكثير من الدم (وخاصة الكثير من الدم في القربان المقدس)؛ كما أني لا أحب النساء الهستيريات؛ وكثير مما تتقبله العين الباطنة قد يفقد معظم أسباب دعمه خلال الأداء فكر في ممثلينا وهم يصلّون، ويرتجفون، بحناجر منتشية. كما أن البناء الداخلي لقلعة الكأس لا يمكن أن يكون مؤثراً على المسرح، وكذلك حال البجعة الجريحة.

(1) قرب أواخر ديسمبر عام 1877، مر نيتشه بحالة سيئة جدا للدرجة طلب معها إعفاءه من عمله في الكلية. وخلال نفس تلك الفترة المريعة حصلت قطيعته مع غيرسدورف.

كل هذه الاختراعات الرفيعة تنتمي إلى الفضاء الملحمي، وهي كما قلت مما يخص العين الباطنة. أما اللغة فتبدو ترجمة من لسان أعجمي. لكن المواقف وتتابعها، أليس هذا هو الشعر الأرفع؟ أليس هذا هو التحدي الأعظم للموسيقى؟

سيكفي ذلك لهذا اليوم. أطيب التمنيات المخلصة لك ولزوجتك العزيزة.

صديقك نيتشه.

ملاحظة: ليبينر مريد جيد لفاغنر، بالنظر إلى رسالته إليّ؛ وأضيف: يكاد المرء يتمنى لو أنه سيكتب نص *بارسيفال* من جديد[1]!

(1) كان سيغفريد ليبينر كاتبا من فينا.

57.إلى بيتر غاست

بازل، 31 مايو 1878

صديقي العزيز:

في عيد ميلاد فولتير وصلني شيئان، كلاهما حركني وأثارني: رسالتك، والهدية المجهولة، من باريس، لتمثال نصفي فولتير، مع بطاقة تقول «روح فولتير تعرب عن تقديرها لفريدريك نيتشه».

إذا أضفتك إلى الشخصين الآخرين اللذين أعربا عن ابتهاجهما الشديد بكتابي، ريه وبوركهارت (الذي يصفه تكرارا «بالكتاب المهيمن») ـ فلدي إذن أمارة ما على ما يبدو عليه الناس لو أردت لكتابي تأثيراً سريعاً[1] لكنه لن يحدث ذلك ولن يمكنه ذلك، رغم شديد أسفي لذلك الرجل الممتاز شمايتسنر. فقد حظرته بايرويت عمليا؛ وفوق ذلك، يبدو أن الحرمان الأعظم قد أعلن ضد مؤلفه أيضاً. إنهم يحاولون فقط أن يحتفظوا *بأصدقائي* ويخسروني. وهكذا فإني أتمكن من سماع أمور مختلفة تحدث ويخطط لها وراء ظهري. لقد فشل فاغنر في اغتنام فرصة جلى للتعبير عن سموّ نفسه. وعليّ ألا أجعل ذلك يقلقني تجاه رأيي فيه أو في نفسي.

من المؤكد أن المرء لو كرس لإنتاج كهذا تقديراً ووقتاً كالذي كرسته

(1) إنساني مفرط في إنسانيته، الجزء الأول، الذي نشره شمايتسنر في مايو 1878.

بوافر عطفك، فلعل شيئاً حسناً ما ينتج عنه أفكار جديدة، أعني، ومشاعر جديدة ومزاج أقوى، كما لو أن امرئ قد خرج في هواء الجبال الخفيف. يقول ريه إنه لم يمر بمزاج مشابه من الاستمتاع المنتج إلا مرّة واحدة من قبل، وكان الموقف الآخر هو **المحاورات [مع غوته]** لإكرمان، بحيث إنه قد ملأ دفاتر بأكملها بالتأملات.

لقد كان هذا أشد ما أملته، أن يحفز الآخرين لكي يكونوا منتجين و«يزيدوا قدر الاستقلال في هذا العالم» (كما قال ياكوب بوركهارت).

صحتي في تحسن؛ وبوصفي متمشياً ومجتراً وحيداً، فأنا لا أتعب. إني أستمتع بالربيع وأشعر بالسكينة، بالنحو الذي يشعر به الناس حين لا يمكن دفعهم عن المسار بسهولة. لو أن لي أن أستمر بالعيش بنحو كهذا إلى النهاية!

هذا كل ما يخصني، لأنك ترغب في أن تسمع شيئاً عني. هناك العديد من الأشياء التي أفضل عدم التحدث عنها ـ كوفاة برينر والأشهر الأخيرة المعذبة من حياته، والنفور الغريب للعديد من المعارف والأصدقاء[1].

تلطّف رجاءً معي، ولكن احتفظ بحريتك. ما أفضل فهمي «للمتقلب والعابر» فيك ـ وما أشبهك بي في ذلك! آمل لك النمو والنموّ. وعلى هذا الرجاء، سأظل دوما

صديقك ف. ن.

(1) كان ألفرد برينر تلميذا لنيتشه، وكان قد مكث في فيلا روبيناتشي.

58.إلى ماتيلده ماير

بازل، 15 يوليو 1878

آنستي الأغلى:

لا مفر من الأمر، لا بد أن أجلب القلق لكل أصدقائي عبر إعلاني في النهاية كيف استطعت *تجاوز* القلق. ذلك التشويش الميتافيزيقي لكل ما هو صحيح وبسيط، ووضع العقل *ضد* العقل، الذي ينظر لكل شيء خاص بوصفه أعجوبة وغموضاً؛ ويوازيه الفن الباروكي الذي يمتاز بالإثارة المفرطة والترف الممجد، وأنا أعني فن فاغنر؛ لقد تمكن هذان الأمران من جعلي أشد وأشد مرضاً، وأبعداني عملياً عن مزاجي الحسن واستعدادي الخاص. أتمنى لو كنت تحسين بما أحس به الآن، ما الذي يعنيه أن أعيش، كما أفعل الآن، في هواء جبال نقي كهذا، في مزاج لطيف كهذا مقارنة بكل الذين ما زالوا يعيشون في ضباب الوديان، وأنا الآن أشد إخلاصاً من كل ما مضى لكل ما هو جيد وحيوي، أقرب بكثير إلى الإغريق من كل ما مضى؛ كيف أني الآن أحيا طموحي نحو الحكمة، وصولاً لأصغر تفصيل، في حين أني اكتفيت سابقاً بتمجيد وتعظيم الحكماء وبإيجاز، لو أمكنك أن تعرفي كيف يبدو شعور الإحاطة بهذا التغير وهذه الأزمة، لما أمكنك ألا تتمني المرور بتجربة كهذه بنفسك.

لقد أصبحت واعياً لهذا بشدة في بايرويت هذا الصيف [1876]. فقد

هربت، بعد العروض الأولى التي حضرتها، هربت إلى الجبال، وهناك في قرية غابات صغيرة، كتبت أول مسودة، قرابة الثلث من كتابي، سميتها آنذاك «سكة المحراث»[1]. ومن ثم عدت إلى بايرويت، بناء على رغبة أختي، وتحليت بما يكفي من التماسك الداخلي لتحمل ما يكاد ألا يطاق ـ وبصمت أيضاً، دون أن أقول أي شيء لأي أحد.

والآن ما أن ألقيت عني بكل ما هو خارج ذاتي: الناس، الأصدقاء والأعداء، العادات، وسائل الراحة، والكتب؛ فأنا أعيش في عزلة ـ لسنوات منها، إذا تطلب الأمر حتى أستطيع مجددا، بعد أن أنضج وأكتمل كفيلسوف للحياة، أن أتواصل مع الناس (ولعلي حينها سأكون ملزماً بفعل ذلك)[2]. فهل يمكنك أن تظلي، رغم كل شيء، لطيفة معي كما كنت، أو بالأحرى هل تقدرين على فعل ذلك؟ يمكنك أن تري أني بلغت من الصراحة حداً لا أحتمل معه إلا العلاقات البشرية الصادقة بحق. فأنا أتجنب أنصاف الصداقات وخاصة العلاقات التحزبيّة؛ ولا أرغب في أي أتباع. ليكن كل رجل (وامرأة) تابعاً لنفسه فقط.

المخلص والممتن قلبياً لك

ف. ن.

(1) يقصد إنساني مفرط في إنسانيته، الذي بدأ نيتشه به في كلنيغنبرون بعد هروبه من بايرويت في أغسطس 1876.

(2) كان نيتشه قد غادر شقته في غيليرت شتراسه في نهاية يونيو؛ وكانت إليزابيث قد عادت إلى ناومبورغ. وقد ظلت تحاول أن تضمه مجدّدا لحلقة بايرويت.

59.إلى بيتر غاست

ناومبورغ، 5 أكتوبر 1879

صباح الأمس، يا صديقي العزيز، أرسلت بطاقتي البريدية إليك، وبعد ثلاث ساعات تلقيت براهين جديدة على لطفك الذي لا يكل تجاهي.

لو أن لي أن أحقق تمنياتك! ولكن «الأفكار بعيدة جدا» كما يغني [لودفيغ] تيك. لن تستطيع تخيل مدى الإخلاص الذي التزمت وفقه ببرنامج عدم التفكير حتى الآن؛ ولدي أسباب للإخلاص هنا، لأنه «خلف الفكرة يقف شيطان» يأتي معه بنوبة ألم مروعة. لقد كتبت المخطوطة التي تلقيتها من سانت موريتز بثمن غالٍ وصعب لدرجة أن لا أحد كان سيكتبها لو أمكنه تجنب فعل ذلك.

كثيراً ما أرتعد حين أقرأها، خاصة تلك الأقسام الأطول، نظراً لكل الذكريات القبيحة التي تأتي بها. وقد خطر كل ما فيها ـ سوى بضعة أسطر ـ في فكري وأنا أتمشى، وكتبتها كمسودة بقلم الرصاص في ستة دفاتر صغار؛ أما النسخة المصححة فقد دفعتني للمرض كل مرة قصدت فيها كتابتها تقريباً. لقد كان علي أن أحذف قرابة عشرين تتابع فكري طويل نسبيا، وهي للأسف ضرورية جدا، لأني لم أملك الوقت لاستخراجها من خربشاتي المريعة بقلم الرصاص؛ وكان الأمر على حاله في الصيف الماضي. أما خلال الوقت الفاصل فإن الترابطات بين أفكاري تندّ عن ذاكرتي؛ فقد كان علي أن أسرق دقائق وأرباع ساعات من «طاقة الدماغ»،

كما تسميها، أسرقها من دماغ يعاني. وأظن أحياناً أني لن أفعل ذلك مجدداً... أقرأ الآن النسخة التي أعددتها، وأجد من الصعوبة بمكان أن أفهم نفسي ـ إن رأسي *بذاك القدر* من التعب.

لقد ذهبت مخطوطة سورنتو إلى الجحيم؛ فانتقالي ومغادرتي النهائية من بازل قد تخلصا من أشياء عدة، وهي نعمة بالنسبة لي، لأن مخطوطات قديمة كهذه تحملق بي كعيون الدائنين[1].

صديقي العزيز، أما بالنسبة للوثر، فقد كنت لمدة طويلة عاجزاً عن قول أي شيء محترم بصدق عنه: وهذه نتيجة تالية لمجموعة هائلة من المواد حوله، أثار ياكوب بوركهارت إليها انتباهي. وأنا أشير إلى كتاب يانسن، **تاريخ الشعب الألماني**، الجزء الثاني، الذي لم يصدر إلا هذا العام (ولديّ نسخة). وهنا، لمرة وحيدة، لم يعد الأمر مسألة من البناء البروتستانتي المزيف للتاريخ الذي ربّينا على الإيمان به؛ بل يبدو لي الأمر الآن مجرد مسألة ذوق قومي في الشمال والجنوب هو ما يجعلنا نفضل لوثر، ككائن بشري، على إغناطيوس لويولا. فتعسف لوثر الناقم، البشع، المغرور، الحسود بكل ضآلة ـ لدرجة أنه لم يكن مرتاحاً ما لم يبصق بنقمة على أحدهم، أصابني جداً بالقرف. لا شك في أنك محق حول «ترويج الدمقرطة الأوربية» الذي تم من خلال لوثر؛ ولكن لا شك في أن هذا العدو العنيف للفلاحين (الذي دعا لضربهم حتى الموت ككلاب مسعورة، وقال للأمراء صراحة أنهم يستطيعون دخول ملكوت السماوات عبر إبادة غوغاء الفلاحين الغاشمة) كان أحد المروجين لذلك دون قصد.

(1)لا ندري إن تم التعرف على هذه المخطوطة المقصودة، ففي ذلك الوقت كان نيتشه يعمل على الجزء الأول من إنساني مفرط في إنسانيته.

أقر لك بأنك تملك الموقف الأشد لطفاً تجاهه. فامنحني وقتاً! أما بالنسبة لإشاراتك الأخرى إلى الفجوات في تفكيري، فأنا ممتن لها أيضاً، ولكن دون حول ولا قوة! آه، إني أجد نفسي أفكر مجدداً في «أعظم أمنياتي». لا بل إني فكرت مؤخراً بأن صديقي غاست ليس بكاتب حقاً، فهناك *العديد* من الطرق التي تشهد على أحوال الإنسان الداخلية، واتسامه بالصحة والنضج، خصوصاً بالنسبة لك كفنان! بعد إسخيلوس جاء سوفوكليس! لا أرغب في أن أقدم أي إشارة أدل على آمالي[1]. وبالمناسبة، إليك كلمة مخلصة عنك كعقل وقلب: يا للتقدم الذي تملكه عليّ، بالنظر لفرق السنين وما قد تأتي به السنون! ومرّة أخرى بصدق: أعتقد بأنك أفضل وأشد موهبة مني، وبالتالي فإنك تحت إلزام أكبر. في سنك كنت أبحث بتوق شديد في مولد قاموس من القرن الحادي عشر ومصادر ديوجينس اللايرتي، ولم يكن لدي أي فكرة عن كوني ذا حق في امتلاك وإعلان أفكار عامة تخصني. وحتى الآن يراودني شعور بأني مبتدئ زريّ جداً؛ فقد عودتني عزلتي ومرضي بعض الشيء على عدم التلطف في كتاباتي. ولكن على الآخرين أن يقوموا *بكل شيء* بنحو أفضل، من *حياتي* وكذلك من فكري. ولا نقاش في ذلك.

مع الحب المخلص بصدق،

صديقك الذي يؤمل فيك،

ف. ن.

---

(1) لقد كان نيتشه يكن آمالا عريضة في غاست كمؤلف موسيقي. والتشبيه هنا يتخذ شكل: إسخيلوس/ سوفوكليس = فاغنر/ غاست. وفي هذه الرسالة المعادية لفاغنر ولوثر بون بعيد عن الرسالة الفاغنرية، البروتستانتية المتسترة، التي تحمل رقم 59.

60. إلى مالفيدا فون مايزنبوغ

ناومبورغ، 14 يناير 1880

رغم أن الكتابة إحدى الفواكه المحرمة جداً عليَّ، لا بد أن أكتب رسالة إليك، لأني أحبك وأحترمك كأخت كبرى ـ وربما ستكون الرسالة الأخيرة ـ ذلك أن شهادة حياتي الرهيبة وشبه الملازمة تجعلني أتوق للنهاية، وقد كانت هناك بعض العلامات التي سمحت لي بالأمل في أن السكتة التي ستحررني لن تكون بعيدة جداً. أما بخصوص العذاب ونكران الذات، فإن حياتي خلال تلك السنوات الفائتة يمكن أن تماثل حياة ناسك من أي عصر؛ ومع ذلك فقد انتزعت الكثير من هذه السنوات من حيث تنقية وصقل الروح، ولم أعد أحتاج إلى الدين أو الفن كوسيلة لتلك الغاية. (ستلاحظين أني فخور بذلك؛ والواقع أن العزلة الكاملة لوحدها هي ما مكنني من اكتشاف مصادري الخاصة للعون الذاتي). أعتقد بأني قد أكملت عمل حياتي، ولو كأني شخص لا يملك أي وقت بالطبع. لكني أعرف أني سكبت قطرات كثيرة من الزيت الثمين، ومنحت للكثيرين إرشادا نحو كيفية الارتقاء على أنفسهم، وكيفية الوصول إلى الإنصاف والعقل الصائب. وأنا أكتب هذا الكلام كفكرة متأخرة؛ والصواب أنه لا يجب أن يقال إلا عند اكتمال «إنسانيتي». لم ولن يستطيع أي ألم أن يدفعني للشهادة زوراً على الحياة *كما أعرفها*.

لمن سواك سأقول هذا؟ أعتقد ـ وأرى من غير اللبق قول ذلك ـ أن شخصيتينا متشابهتان جداً؛ فكلانا نتسم بالشجاعة مثلاً، ولا الضغط ولا الاستنكار قد يبعداننا عن المَسار الذي نراه حقاً. كما أننا اختبرنا، داخل أنفسنا وخارجها، الإشعاع الذي لم يره إلا قلة من رجال العصر الحاضر، فلدينا *آمال* للبشرية، ونحن نقدم كقرابين متواضعة، أليس كذلك؟

ألديك أخبار طيبة عن آل فاغنر؟ لقد مضت ثلاث سنوات منذ سمعت شيئاً عنهم، فقد تخلوا عني أيضاً، وقد علمت منذ وقت طويل أن فاغنر سيكف عن مساندتي ما أن رأى الهوة الفاصلة بين طموحينا. سمعت أنه كان يكتب شيئاً ما ضدي. وآمل أن يتمكن من إكماله، فعلى الحقيقة أن ترى النور بكل نحو ممكن! لكني أفكر فيه دوماً بكل امتنان، لأني مدين له ببعض أقوى الدوافع نحو الاستقلال الفكري. أما السيدة فاغنر، كما تعلمين، فهي ألطف امرأة التقيتها أبداً، لكني لا أصلح للارتباط بهم، فضلاً عن معاودة العلاقات الودية. لقد فات الأوان...

تحياتي لك يا صديقتي العزيزة، الأخوية، والمحترمة، من رجل شاب مكتهل، لا يضمر أي ضغن ضد الحياة، رغم أنه يريد لها أن تنتهي.

فريدريك نيتشه

61. إلى بيتر غاست

مارينباد، 18 يوليو 1880 [1]

صديقي العزيز:

ما زلت أفكر مرات عدة كل يوم في النحو الذي أترفت به في البندقية، وكذلك في الرفيق الألطف الذي أترفني، وأقول بأن المرء ينبغي ألا يسمح له بأن يستمتع بذلك لمدة طويلة، وأنه يليق بي بأن أكون ناسكاً من جديد، وكذلك أن أذهب للتمشي عشر ساعات في اليوم، وأشرب المياه الكدرة وأترقب تأثيراتها. وفي الوقت ذاته سأذهب للتنقيب بحماسة في منجمي الأخلاقي، وأبدو أحياناً لنفسي وكأني تحت أرضي بالكامل ـ أشعر بأني قد عثرت على معرضي الرئيس وطريقي للخروج؛ لكن ذلك معتقد يمكن أن يملكه المرء ويرفضه مائة مرة.[2] بين وقت وآخر أصادف صدى لشوبان في عقلي، وقد ضمنت لنفسك أنه حين يحدث ذلك، فإني أفكر فيك دوماً وأضيع نفسي في دوامة التفكير في الأشياء الممكنة. لقد أصبحت ثقتي شديدة جداً، فأنت أشد صلابة مما افترضت، وبغض النظر عن الأثر الهدام

(1) كان نيتشه قد غادر ناومبورغ في 12 فبراير. وسافر عبر بوزن إلى ريفا على متن لاغو دي غاردا، حيث التقى بيتر غاست. وفي 12 مارس ذهب مع غاست إلى البندقية وبقيا هناك حتى نهاية يونيو. وهناك قرأ نيتشه رواية شتيفتر ما بعد الصيف. ثم قضى يوليو وأغسطس في مارينباد، وهي منتجع ذو صلات أدبية متعددة.

(2) لعل هذه إشارة إلى عمله في الفجر: **أفكار عن التحيزات الأخلاقية.**

الذي يتركه فيك السيد نيتشه، فإن وضعك حسن بنحو الإجمال. *وكذلك أقترح* [باللاتينية]: إن الجبال والغابات أفضل من المدن، وباريس خير من فيينا. لكن ذلك لا يهم.

في طريقي إلى هنا خضت محادثة مع رجل كنيسة مهم، بدا أنه من أبرز أنصار الموسيقى الكاثوليكية القديمة؛ وقد كانت لديه أجوبة للأسئلة الأشد تفصيلاً. وقد اكتشفت أنه كان مهتماً للغاية بعمل فاغنر في باليسترينا؛ وقال بأن القراءة الدرامية (في الليتورجيا)[1] هي بذرة الموسيقى المقدسة، ووفقا لذلك، فقد أصر على أن هذه الأوبرا يجب أن تغنى بأشد نحو ممكن من الدرامية. وريغنسبورغ، كما قال، هي المدينة الوحيدة الآن التي يمكن للمرء فيها أن يدرس الموسيقى القديمة، ناهيك عن سماعها وهي تؤدى (خاصة حوالي عيد الفصح).

أسمعت عن النار التي شبت في منزل مومسن[2]؟ وكيف دمرت كل ملاحظاته، التي لعلها أضخم مجموعة من الأعمال التحضيرية قام بها أي علامة حي؟ يقال إنه أصر على اقتحام ألسنة اللهب، وفي النهاية لم يستطيعوا إيقافه، وهو مغطى بالحروق، إلا بالقوة. إن جهودا كجهود مومسن لا بد أنها نادرة للغاية، لأنه قلما يوجد مزيج، أو بالأحرى تعاون كهذا، بين ذاكرة هائلة كهذه وبصيرة نقدية كهذه وقدرة على تنظيم مواد

(1) الليتورجيا مصطلح مسيحي يشير إلى النصوص المقدسة والتراتيل التي تؤدى بلحن خلال طقوس العبادة. (المترجم)

(2) تيودور مومسن (1817 ـ 1903)، مؤلف التاريخ الروماني، كان أحد أعاظم المؤرخين في القرن التاسع عشر. وقد أصبح رئيسا لجامعة برلين عام 1974؛ وخلال عقد 1860 كان قد انحاز إلى تريتشكه في تأييده لبسمارك. أما في عقد 1880 فقد انقلب على بسمارك وهاجم تريتشكه، المؤرخ العسكري المناصر للبروسيين، بوصفه «الممثل الحق لهذه الوحشية الأخلاقية التي تهدد حضارتنا».

كهذه. لقد جعلت هذه القصة قلبي يتلوى في جوفي، وما زلت أتأذى بدنيا حين أفكر فيها. أهو التعاطف؟ ولكن أنى يهمني مومسن؟ لست مولعا به.

منذ الأمس كان هناك ضيق شديد في هذه «الصومعة» الوحيدة في الغابات، وناسكها هو أنا. لا أعلم بالضبط ماذا حصل، لكن هذا البيت يخيم عليه ظل جريمة. أحدهم دفن شيئا ما، واكتشفه آخرون، وكان هناك صراخ رهيب، وجاء عدة ضباط شرطة، وقاموا بتفتيش البيت، وفي المساء، سمعت أحدهم يتنهد بنحو مؤلم في الغرفة المجاورة لي، ولهذا طار النوم من عيني. وكذلك، ففي جنح الليل كان هناك مزيد من التنقيب في الغابة، ولكن حصلت هناك مفاجأة، وتلاها المزيد من الدموع والصرخات. أخبرني أحد المسؤول بأنها كانت «مسألة أوراق نقدية» ـ لكني لست فضولياً بما يكفي لأن أعرف ما قد يعرفه كل من حولي. وعلى أي حال، فإن العزلة في الغابة مفزعة.

لقد كنت أقرأ قصة لميريميه، يقال فيه أنه صور شخصية هنري بايل **المزهرية الإتروسكية**. ولو صح ما قالوه، فالمقصود هو شخصية سان كلير[1]. وهذه القصة في الإجمال ساخرة، عظيمة، وسوداوية بعمق.

وأخيرا، إليك تأملا: يكف المرء عن حب نفسه بنحو صحيح حين يكف عن تمرين نفسه على محبة الآخرين، في حين ينبغي التحذير بشدة من هذا الأخير (أي الكفّ، كما تشهد تجربتي الخاصة).

---

(1)«هنري بايل» هو الاسم الحقيقي للروائي الفرنسي ستندال، الذي أعجب نيتشه بكتبه جدا. وفي ذلك الوقت كان يقرأ أيضا كتاب سانت بوف صور أدبية (من القرن التاسع عشر).

وداعاً، صديقي العزيز والثمين للغاية! فلتزدهر ليلاً ونهاراً.

المخلص، ف. ن.

في سلوكك تجاه ذلك المتهرب، قد يجد شوبنهاور برهاناً على عدم تحول الشخصية، وقد يكون مخطئاً، كما هو حاله في المعظم.

62. إلى فرانز أوفربيك

[جنوا، نوفمبر 1880](1)

لعلك الآن غارق في عملك، صديقي العزيز، لكن بضع كلمات مني لن تقلقك. يطيب لي دوماً أن أفكر فيك وأنت تعمل؛ كما لو أن قوة طبيعية صحية تعمل بنحو أعمى من خلالك، ولكنها قوة من العقل تعمل على أشد المواد خفاءً واحتيالاً، وعلينا أن نتحملها كلما تصرفت بنزق وتشكك وأحياناً بنحو يبعث فينا اليأس. إني أدين لك بعمق، صديقي العزيز، لسماحك لي برؤية مشهد حياتك من مكان قريب جدًا ـ وبالفعل فقد أهدت إليّ بازل هدية صورتك أنت وياكوب بوركهارت؛ وأظن أن هاتين الصورتين لم تكونا مفيدتين لي من ناحية المعرفة فحسب، فالكرامة واللطف اللذين اتسم بهما نمط حياة ومعرفة أصيل ومنفرد بالضرورة، هذا هو المشهد الذي «وصلني إلى الباب» بفضل قدري، وهو فضل لا يمكنني المبالغة فيه، وبالتالي فقد خرجت من ذلك البيت شخصا مختلفا عن الذي دخله.

أما الآن فمطلبي الوحيد هو أن أحقق العزلة المثالية للساكن في العلية،

---

(1) كان نيتشه قد ذهب من مارينباد إلى ناومبورغ في شهر سبتمبر. وفي أوائل أكتوبر سافر عبر فرانكفورت ومر بهايدلبرغ، بازل (ليزور أوفربيك)، ولوكارنو، ووصل إلى ستريسا الواقعة على لاغو ماجيوري. وفي ستريسا عاوده الشعور بالمرض الشديد. وكان شتاء 1880 ـ 81 هو الأول بين عدة شتاءات قضاها في جنوا.

التي ستنصف كل المطالب الضرورية والأساسية لطبيعتي، كما علمني عدد لا يحصى من الأهوال أن أعرفها. ولعلي سأنجح. إن الصراع اليومي ضد مشكلات رأسي والتعقيد المضحك لآلامي يتطلبان قدرا كبيرا من الانتباه لدرجة أني على خطر التحول *للتفاهة* في هذا الصدد حسنا، هذا هو الثقل المضاد للنزعات العامة جداً والعظيمة جدا التي قد تهيمن علي من دونه لدرجة أني أبدو كأحمق. لقد خرجت للتو من نوبة مرهقة للغاية، وبعدما نضوت عني بالكاد متاعب اليومين الماضيين، أشعر بأن حماقتي تسعى فوراً نحو أشياء مذهلة للغاية، من اللحظة التي أستيقظ فيها، ولا أظن أن ساكن علية آخر قد يرى الصبح يشرق على أشياء أحب وأروع. ساعدني في التمسك بهذا الخفاء أخبر الناس بأني لا أعيش في جنوا؛ إذ يجب علي لوقت طويل أن أعيش بدون بشر وأعيش في مدينة لا أعرف لغتها ـ يجب عليّ، كما أكرر؛ لا تخش شيئاً في هذا الصدد! أعيش وكأن القرون ليست بشيء، وأسعى خلف أفكاري دون التفكير بتاريخ اليوم والصحف.

أرغب أيضاً في ألا تكون لي صلة بعد الآن بطموحات «المثالية» المعاصرة، فضلاً عن المثالية الألمانية. لنقم بعملنا الخاص؛ ولتقرر الأجيال القادمة، أو لا تقرر، كيف يجب أن نوضع ـ كل ما أريده هو أن أشعر بالحرية ولا أضطر لقول نعم أو لا، مثلاً، لذلك الضرب من الكتب الصغيرة المثالية بإخلاص كالذي أرسله إليك[1] سيكون هذا آخر تعاملاتي مع «العقل الألماني» المعاصر المؤثر، المغرور، وسيئ الذوق للغاية في آن واحد: ولكن اقرأه مرة واحدة، مع زوجتك بالطبع! ومن ثم أحرقه

(1) يقترح شليختا أن هذا الكتاب ربما كان كتاب إدوارد فون هارتمان ظاهراتية الوعي الأخلاقي، (برلين، 1879).

واقرأ، كي تطهر نفسك من هذا الغرور الألماني، حياة بروتوس وديون بقلم بلوتارك. وداعاً، صديقي العزيز! هل تمنيت لك عيد ميلاد سعيد؟ كلا. لكني تمنيت لنفسي السعادة في عيد ميلادك. المحب والمخلص

[لا توقيع]

جنوا، يحفظ بمكتب البريد.

63. إلى إروين روده

[جنوا، 24 مارس 1881]

وهكذا تمر الحياة وتذهب بعيداً، ولا يعود أفضل الأصدقاء يرون أو يسمعون شيئاً عن بعضهم البعض! نعم، ذلك إنجاز جسيم أن تحيا وتبقي معنوياتك مرتفعة. كثر ما أجد نفسي في حالة أود فيها أن أقترض من صديقي القديم، النشيط، الصحي والشجاع روده، أحتاج فيها بعمق إلى «نقل دم» للقوة، ليس من دم الحملان بل دم الأسود!، ولكن ها هو في توبنغن، متزوجاً ومحاطاً بالكتب، غير *متاح* لي بكل نحو. آه يا صديقي، علي إذن أن أظل أقتات «من شحمي»، أو، كما يعرف كل من جرب ذلك حقاً، أشرب من دمي. فمن المهم إذن ألا يفقد الإنسان ظمأه لنفسه، كما يهم أيضاً ألا يشرب نفسه حتى الجفاف.

لكني على العموم أعترف بأني مندهش، مندهش بعدد المنابع التي يمكن أن يجريها رجل واحد في نفسه. حتى لو كان رجلاً مثلي، ليس من أغنى الناس. وأظن أني لو امتلكت الصفات التي تتفوق علي فيها، فسأكون متعجرفاً وشخصاً لا يطاق. وحتى الآن فهناك لحظات أتمشى فيها على المرتفعات التي تعلو جنوا، تمر بي ومضات ومشاعر كالتي شعر بها كولمبوس، ربما من نفس ذلك المكان، ذاهباً عبر البحر ونحو المستقبل.

حسناً، مع هذه اللحظات من الشجاعة وربما الحمق أيضاً، لا بد أن أحاول مجدداً أن أضبط توازن سفينة حياتي. ذلك أنك لن تصدق كم يوما وكم ساعة، حتى في الأيام التي تحتمل، ينبغي أن أحتملها فحسب، في أقل تقدير. وما دام ممكنا أن أخفف وأسكّن حالة صحية صعبة بفضل «حكمة» نمط حياة المرء، فلعلي أقوم بكل ما يمكن فعله في حالتي، وبهذا فإني لست عديم الفكر أو الإبداع، لكني لا أتمنى لأي أحد ذلك المصير الذي بدأت أعتاد عليه، لأني بدأت أكتشف أني مكافئ له.

أما أنت يا صديقي العزيز العزيز، فلست في مأزق تضطر معه لأن تصبح نحيفاً كي تتسلل وتخرج؛ وليس أوفربيك كذلك؛ فكل منكما يقوم بعمله الرائع، ودون الإسهاب في الحديث عنه، وربما حتى دون إيلائه مزيد تفكير، فإنكما قد حصلتما على أفضل ما يمكن لظهيرة الحياة أن تقدمه ـ مع قليل من العرق كما أتوقع. كم أود أن أسمع شيئاً عن خططك، خططك الكبار؛ ذلك أن شخصاً بمثل عقلك وقلبك يتحرك دوماً، وراء كل الأعمال اليومية وربما التافهة، وفي باله مشروع شامل *وعظيم جداً*! كم سينعشني لو رأيت أني لا أستحق الإخبار بذلك! إن أصدقاء مثلك لا بد أن يساعدوني كي أبقي إيماني بنفسي حياً؛ وأنت تقوم بذلك حين تظل تسرّ إليّ أفضل آمالك وأهدافك. ولو كان وراء هذه الكلمة طلب لكتابة رسالة، فأود بسرور، يا صديقي العزيز، أن أسمع منك شيئاً شخصياً جداً جداً، كي أحتفظ في قلبي لا بالشعور بصديقي الماضي روده؛ بل بصديقي الحاضر أيضاً، وفوق ذلك، بصديقي الآتي والمستعد ـ نعم، *الآتي والمستعد*!

المخلص قلبيا.

قل شيئاً لزوجتك في صالحي، فعليها ألا تغضب لأنها ما تزال لا تعرفني؛ وسأعوّض عن ذلك في وقت ما.

العنوان: جنوا (إيطاليا)، يحفظ بمكتب البريد.

64. إلى فرانز أوفربيك

[ختمت في جنوا في 28 أبريل 1881]

صديقي العزيز العزيز:

سأغادر جنوا يوم الأحد لعدة أشهر وأذهب إلى ريكوارو (قرب فيتشنزا)، وهي منتجع صيفي إيطالي، حيث سيقيم السيد كوستريليتز أيضاً. هل يمكنك أن ترسل لي النسخة الجديدة من هاينريش الأخضر إلى هناك[1]؟ ليس من ضروب الإرهاق طبعا أن تقرأ كتاباً جيداً كل عام (ففي العام الماضي قرأنا *ما بعد الصيف*). لقد كتب روده رسالة طويلة عن نفسه، لكن أمرين فيها كادا يؤذيانني: (1) ذاك الضرب من ضياع الفكر فيما يخص *اتجاه* حياته ومن شخص كمثله! و(2) نسبة الذوق السيئ في مفرداته واصطلاحاته (لعل ذلك في الجامعات الألمانية يسمى «ظُرفا» حفظتنا السماء منه!). أتمنى لك ولزوجتك الغالية المحترمة صيفاً طيباً وجواً جميلاً (كل شيء تقريباً يعتمد عندي على السماء، ولذا فإن الأوضاع الآن *لم* تكن بخير!)

[بلا توقيع]

(1) رواية لغوتفريد كيلر نشرت عام 1855، وظهرت آنذاك في طبعة منقحة.

65. إلى إليزابيث نيتشه

ريكوارو، 19 يونيو 1881

آه يا أختي العزيزة الطيبة، أتظنين الأمر برمته مسألة *كتاب*؟ أما *زلتِ* تفكرين فيّ ككاتب؟ لقد حانت لحظتي. وأود تجنيبك الكثير من المشاكل؛ لأنك لا تستطيعين تحمل عبئي (كفاك من سوء الحظ أنك قريبة لصيقة لي). أود أيضاً أن تكوني قادرة على القول بضمير مرتاح «لا أعرف عن آخر آراء أخي». (سيخبرك الناس حتماً بأن هذه الآراء لاأخلاقية و«فاحشة»). في تلك الأثناء، كوني مبتهجة وشجاعة، كل شخص لنفسه، وليبق الحب دائماً.

أما عنواني فهو: سانت موريس في غراوبُندن (سويسرا)، يحفظ بمكتب البريد[1]. وهذه محاولة *أخيرة* أخرى. لقد عانيت بشدة منذ شهر فبراير، ولم تبق إلا أماكن قلة أخرى تناسبني. لك الشكر الجزيل على خدماتك بخصوص R الرسام.

(1) بعدما غادر جنوا في أبريل، قضى نيتشه آخر أيام أبريل وشهور الصيف حتى أوائل يوليو في ريكوارو، قرب فيتشنزا. ومنذ 4 يوليو وحتى 1 أكتوبر بقي للمرة الأولى في سيلس ماريا؛ حيث شهد رؤياه عن «العود الأبدي». ثم عاد إلى جنوا في أوائل أكتوبر. ونبرة الرسالة الحاضرة تؤكد رأي شليختا القائل بأن الرسالتين إلى إليزابيث في 29 نوفمبر 1881 و22 يناير 1882 ليستا أصيلتين. ففيهما نبرة اتهام شديدة.

66. إلى فرانز أوفربيك

[ختمت في سيلس إنغد. في 30 يوليو 1881]

إنني مندهش حقاً، مبتهج حقاً! لدي سابقة، *ويا لها* من سابقة! لم أعرف إلا القليل عن سبينوزا: لكن ما اجتذبني إليه هو إرشاده للغريزة. فالأمر ليس فقط أن ميوله إجمالاً تشبه ميولي أن تجعل المعرفة هي الشغف الأشد قوة، بل إني أجد نفسي أيضاً في خمس نقاط رئيسة من عقيدته؛ هذا المفكر الأشد وحدة واغتراباً هو الأقرب إلي في هذه النقاط بالتحديد: فهو ينكر الإرادة الحرة، الغايات، النظام الأخلاقي للعالم، اللاأنوية، والشر؛ بالطبع فإن الفروق بيننا هائلة، لكنها في الغالب فروق في العصر، الثقافة، ومجال المعرفة. *في الإجمال:* إن وحدتي التي، وكأني فوق جبال شاهقة جداً، كثيرًا وكثيراً ما جعلتني أشهق طالباً النفس وينحسر الدم مني، هي الآن على الأقل وحدة تسع شخصين. غريب!

إضافة إلى ذلك، فإن صحتي ليست كما كنت آمل. والطقس استثنائي هنا أيضاً. هذا التقلب الدائم في الظروف المناخية سيجبرني على مغادرة أوربا. عليَّ أن أحظى بسماء *صافية* طوال شهور، وإلا فلن أنجز أي تقدم. ست نوبات سيئة حتى الآن، استمرت ليومين أو ثلاثة أيام. قلبياً،

صديقك.

67. إلى بيتر غاست

سيلس ماريا، 14 أغسطس 1881

حسناً يا صديقي الطيب العزيز! إن شمس أغسطس فوق رؤوسنا، والسنة تمر، والجبال والغابات تصبح أهدأ وأشد سلاماً. أما في أفقي، فقد ظهرت أفكار لم أرها من قبل، لن أتحدث عنها، لكنها ستحفظ هدوئي الذي لن يختل. علي حقاً أن أعيش لعدة أعوام لاحقة! آه يا صديقي، أحياناً تمر في عقلي فكرة أني أعيش حياة خطرة للغاية، لأني من تلك الآلات التي يمكن أن تنفجر. إن شدائد مشاعري تدفعني للارتجاف والضحك؛ كم مرّة لم أستطع فيها الخروج من غرفتي لسبب سخيف هو أن عيني كانتا ملتهبتين ـ من ماذا؟ في كل مرة، كنت قد بكيت كثيرًا خلال نزهتي في اليوم الماضي، لا دموع عاطفية بل دموع فرح؛ كنت أغني وأثرثر، ممتلئاً بلمحة من الأشياء التي تجعلني متقدماً على سائر الناس طراً.

في النهاية، فلو كنت عاجزاً عن استخلاص ثقتي من نفسي، وكان علي أن أنتظر تحذيرات، وتشجيعات، وتسليات من الخارج، فأين سأكون؟ وماذا سأكون؟ هناك فعلاً لحظات وفترات كاملة في حياتي (مثل عام 1878) كنت أشعر فيها بأن كلمة موافقة مشجعة، مصافحة مؤكدة، هي الكلمة الفصل في مقويات النفس، وآنذاك بالتحديد تركني الجميع في وضع حرج، كل من ظننت أني أستطيع الاعتماد عليه وأن يسدي لي نفعاً.

أما الآن فلم أعد أتوقع ذلك، ولا يخالجني إلا شعور مظلم بالمفاجأة حين أفكر مثلاً بالرسائل التي أتلقاها مثلاً؛ فكلها ضئيلة القدر جداً، إذ لم يصل أحد لتجربة أي شيء بفضلي، ولم تمر بأحد فكرة عني - كل ما يقوله الناس محترم ولطيف، لكنه بعيد، بعيد، بعيد. حتى صديقنا العزيز ياكوب بوركهارت كتب لي رسالة خاضعة كئيبة كهذه.

أنال بعض العوض من حقيقة أن هذا العام قد كشف لي عن أمرين ينتميان لي ويقتربان بشدة مني: **موسيقاك وهذا** المشهد. فهذه ليست سويسرا، وليست ريكوارو، بل أمر مختلف جدًا، وأكثر جنوبية، على الأقل، ربما يجب عليَّ أن أذهب إلى هضبات المكسيك العالية المطلة على المحيط الهادئ كي أعثر على أي شيء مشابه (مثل واخاكا)، وستكون النباتات هناك مدارية بالطبع. حسناً، سأحاول الاحتفاظ بسيلس ماريا هذه لنفسي. وأشعر بالمثل تجاه موسيقاك؛ ولو أني لا أعرف كيف أحصل عليها! لقد كان علي أن أحذف قراءة النوتات وعزف البيانو من فعالياتي للأبد. وأفكر في الحصول على آلة كاتبة، وأنا على اتصال بمخترعها، وهو دنماركي من كوبنهاغن.

ماذا ستفعل في الشتاء القادم؟ أفترض أنك ستكون في فيينا. لكن في الشتاء الذي يليه يجب أن نخطط لقاء، وإن كان قصيراً، ذلك أني أعرف جيداً أني لا أصلح لمرافقتك، وأنت تشعر بمزيد من الحرية والإنتاج حين أتركك. من جهة أخرى، فإن قلقي هو، أشد مما يمكنني القول، أن حياتك الشعورية يجب أن تصبح أشد وأشد حرية، وعليك أن تحصل على حس حميمي وفخور بالانتماء في مكان ما، في الإجمال، فإن حياتك الإبداعية ونضجك يجب أن يتقدما بأسعد نحو ممكن، لكي أستطيع التكيف بسهولة

مع الظروف التي تنتج بنحو طبيعي من حاجاتك. لم تخامرني أي مشاعر سيئة تجاهك، صدقني يا صديقي العزيز!

أخبرني بالمناسبة، بكم يباع النقد الورقي الألماني الآن في إيطاليا (لقاء النقد الورقي الإيطالي)، أعني، ما هو سعر الصرف؟

لقد نسيت عنوان الآنسة فون مايزنبوغ؛ لعلها الآن في مكان ما مع آل مونود؛ وأظن أن السيد شمايتسنر يمكنه إرسال النسخة إلى باريس[1] لقد رتب كل شيء مع السيد شمايتسنر بأشد الأنحاء تقديراً؛ وقد عزمت على جعله يتجنب أي معاناة من قفزي نحو الاستنتاجات عبر التوقع منه أكثر مما تسمح به طبيعته.

بكل صداقة قلبية وبكل امتنان

المخلص ف. ن.

لقد توعّكت أحياناً كثيرة.

---

(1) كان غاست يقدم لشمايتسنر معلومات عن الأشخاص الذي يجب أن ترسل إليهم نسخ من الفجر، الذي نشر تواً.

68. إلى فرانز أوفربيك

[ختمت في سيلس إنغد. في 18 سبتمبر 1881]

اشكر زوجتك العزيزة على معلوماتها اللطيفة والدقيقة. لا، إن قدراً بمقبض كهذا لا يناسب منزلي الذي يجب أن يكون عابراً ومتنقلاً، مثل شخصي (والطابعة التي ذكرتُها غير مناسبة أيضاً). انس ذكر الجرائد! فالمقالات التي أبحث عنها تنشر في مجلة ليبمان **التحليل**. [ورد ما يلي باللاتينية في الأصل] والآن، مع فض تلك الأمور، سأقول ما رغبت في عدم قوله ولكني أعجز عن كتمانه. إني يائس. والألم يسحق حياتي وإرادتي. أي شهور وأي صيف مرّ بي! لقد كانت آلامي البدنية عديدة ومتنوعة بقدر التغيرات التي شهدتها في السماء. في كل غمامة هناك شكل من الشحنات الكهربية التي تجتذبني فجأة وتختزلني إلى بؤس خالص. طلبت خمس مرات مجيء الطبيب الموت، وأملت بالأمس أن تأتي النهاية، عبثاً. أين ترى على وجه الأرض توجد تلك السماء الصافية دوماً، وهي سمائي؟ وداعاً يا صديقي.

[بلا توقيع]

69. إلى بيتر غاست

جنوا، 5 ديسمبر 1881

صديقي العزيز الطيب:

من وقت لآخر (ولم ذلك؟) تجتاحني نوبة عاجلة لسماع شيء عام وغير مقيد عن فاغنر، وأفضّل أن يأتي منك! وامتلاك مشاعر مشابهة حول شامفور ينبغي أن يكون مسألة شرف لكلينا؛ فقد كان رجلاً في مصافّ ميرابو، في الشخصية، الضمير، وسعة الفكر ـ وهكذا حكم ميرابو نفسه على صديقه.

لقد صدمتني بشدة معرفة أن بيزيه قد مات. فقد استمعت لكارمن، مرة ثانية، وشعرت مجدداً بانطباع أنها رواية من الدرجة الأولى، كأنها بقلم ميريميه. يا له من روح شغوفة وأنيقة! هذا العمل في نظري يستحق رحلة إلى إسبانيا، فهو عمل جنوبي للغاية! لا تضحك من ذلك، صديقي القديم، فذوقي ليس مما يضلل بسهولة.

مع الامتنان القلبي

نيتشه

في تلك الأثناء كنت مريضاً للغاية، لكن ذلك كان نتيجة لكارمن.

70. إلى إليزابيث نيتشه

جنوا، 3 فبراير 1882

هذه بضعة أسطر، يا أختي العزيزة، أشكرك فيها على كلماتك الطيبة حول فاغنر وبايرويت. لقد كانت تلك يقيناً أفضل أيام حياتي، تلك الأيام التي قضيتها معه في تريبشن ومن خلاله في بايرويت (عام 1872 لا 1876)، لكن القدرة المطلقة لمهامّنا هي ما فرّق بيننا، ولا يمكننا الآن أن نتلاقى من جديد، فقد أصبحنا متباعدين جداً.

لقد كنت سعيداً بنحو لا يوصف في تلك الأيام التي اكتشفت فيها فاغنر! لقد بحثت طويلاً عن شخص كان أفضل مني وكان بوسعه أن ينظر لأبعد مني. وظننت أني وجدت رجلاً كهذا في فاغنر. وقد كنت مخطئاً، فأنا الآن لا أستطيع حتى مقارنة نفسي به، فأنا أنتمي إلى عالم مختلف.

لقد كلفني هوسي بفاغنر غالياً. ألم تدمر موسيقاه المحطمة للأعصاب صحتي؟ وماذا عن خيبة الأمل وترك فاغنر، ألم يعرض ذلك حياتي ذاتها للخطر؟ ألم أحتج إلى زهاء ستة أعوام للتشافي من هذا الألم؟ كلا، بايرويت خارج النقاش بالنسبة لي. كان ذلك مجرد مزحة، أعني ما كتبته لك في وقت سابق [1] ولكن عليك أن تذهبي إلى بايرويت، بغض النظر. وذلك أمر مهم جداً عندي.

المخلص، شقيقك

---

(1) لقد اقترحت إليزابيث أن على نيتشه الذهاب إلى بايرويت لحضور مهرجان 1882. وردّ عليها في 30 يناير: «ولكني ـ اعذريني! ـ سآتي فقط على شرط أن يدعوني فاغنر شخصيا ويعاملني بوصفي الضيف الأشد تكريما في المهرجان».

71. إلى بيتر غاست

جنوا، 20 مارس 1882

صديقي العزيز:

ليكن كل شيء كما تريد لي أن أظنه ـ آخ! كل ذلك يمكن أن يصاغ بنحو أفضل باللاتينية، وبسبع كلمات فقط. فكر من جديد إن كنت سترفض أن تبيعني أنا واثنين من أصدقائي موسيقاك المدونة لتأليفك *Matrimonio*[1] أعرض عليك 6,000 فرنك، تسدد كأربع دفعات فصلية، كل منها 1.500 فرنك. ويمكن الإبقاء على الأمر سراً لو شئت. يمكنك أن تخبر أباك بأن ناشراً قد عرض عليك هذا المبلغ. ثم فكر كيف يمكن للمرء أن يداعب الشعور الإيطالي عبر التعويض عن «العقوق» المرتكب تجاه مؤلفهم الكلاسيكي تشيماروسا. يمكنك أن تثني على الملكة مارغريتا وتهدي العمل إليها، وتنتفع من الموقف السياسي. هذا ضرب من *البوليتيكا* (أو التلطف) الألماني تجاه إيطاليا، هكذا يجب أن يبدو الأمر. ولهذا الغرض يجب أن يكون العرض الأول في إيطاليا؛ ويفترض أن الإهداء إلى الملكة سيلفت ويعجب السيد فون كويدل بنحو معتبر. وعلى فرض أن هذه الفكرة

(1) لقد اقترح نيتشه هذا العرض لكي يساعد غاست ماليا. وكانت أوبراه المعنية توزيعا لتأليف تشيماروسا «الزواج السري» Matrimonio Segreto. وكان «صديقاه» هذان هما غيرسدورف وري. وقد رفض غاست هذا العرض.

تروق لك، أنصحك أخيراً بأن تقنع الآنسة إيما نيفاد لأداء هذا العمل، فقد استولت للتو على المسارح في روما. والإيطاليون لطفاء جداً مع كل المغنين المشاهير. لكنني لم أرهم متحمسين تجاه أحدهم إلا مرّة واحدة.

إن جمعية الأوبريتا في فيينا موجودة هنا، ولهذا فلدينا بعض المسرح الألماني. وقد منحني ذلك فكرة جيدة جداً عن كيف يجب أن تبدو شخصية سكابينه عندك. فحين يتعلق الأمر بالمرح والظُرف الأنثوي، يبدو أن نساء فيينا يبرعن في ذلك. لن تحتاج لهذا العمل، نظراً لغياب مشاهد الحركة فيه، شيئاً سوى أفضل المغنين الرئيسين. أكره التفكير في أداء ضحل ومتأدب بنحو مثالي، حسناً! صرت أتحدّث كأني مخرج مسرحي! ألتمس عفوك!

لقد قرأت شطراً من كتاب روبرت ماير. يا صديقي، إنه مختص عظيم لا أكثر. يذهلني أن أرى كم هو فج وساذج حين يتعلق الأمر بالبنى الأشد عمومية. وهو يظن دوماً أنه منطقي للغاية، لكنه في الواقع عنيد فحسب. فلو أن شيئاً ما قد فنّد بكفاءة وصواب، سيقول بأن ذلك نتيجة للتحيز «المادي»، حتى لو لم يأت ذلك التفنيد من مثالي؛ بل من رياضي، هو بوسكوفيتش. فوفقاً له لم تعد هناك «مادة» إطلاقاً إلا كمصدر للتسلية الرائجة. فقد فنّد العقيدة الذرّية حتى النهاية. والجاذبية ليست بالتأكيد «من خصائص المادة» ببساطة لأنه لا توجد مادة. وقوة الجاذبية، شأنها شأن المعاوقة *vis inertiae*، هي بالتأكيد مظهر للقوة، ببساطة لأن القوة هي كل ما هنالك! أما العلاقة *المنطقية* بين هذه الظواهر وما سواها ـ كالحرارة مثلاً ـ فما تزال غير واضحة تماماً. ولكن لو وافق امرؤ ما ماير في إصراره على المادة والذرات الصلبة المتجسدة، فلا يمكن لأحد القول

بأن هناك قوة *واحدة* فقط. فلا بد لنظرية الحركة أن تعطي الذرات، إضافة للطاقة الحركية، قوتين أخريين هما الجاذبية والتماسك. وهذا ما يفعله *كل* الفيزيائيين والكيميائيين الماديين! وكذلك أفضل أنصار ماير. لم يتخل *أي* شخص عن فكرة الجاذبية! وحتى ماير في النهاية لديه قوة ثانية في الخفاء، هي المحرك الأول ـ أي الله ـ بالإضافة للحركة ذاتها. وهو قطعا في حاجة إلى عون الله!

وداعاً، والأفضل لتزدهر، يا صديقي العزيز.

المخلص لك ف. ن.

72. إلى لو سالومي

ناومبورغ على نهر ساله، 24 مايو 1882

صديقتي الغالية لو:

أرجو أن تزوري البروفسور أوفربيك ـ عنوانهما (هو وزوجته) هو 53 زقاق أويلر.[1].

كنت في ناومبورغ حتى الآن صامتا جدا بخصوصك وخصوصنا[2]، وبهذا أظل أشد استقلالاً وفي خدمتك دوما.

تغني العنادل طوال الليل خارج نافذتي. ـ

إن ريه، بكل نحو ممكن، صديق أفضل مني ومما يمكن أن أكونه؛ لاحظي هذا الفارق جيدا.

حين أكون لوحدي، فإني كثيراً، وكثيراً جدا، ما أقول اسمك بصوت عالٍ مما يبعث فيّ بهجة عظيمة للغاية.

ف. ن.

---

(1) كانت هذه محاولة للتعريف بصديقه الأقرب. كان فرانز أوفربيك وزوجته إيدا معجبين بسالومي. ولكن رسالة أوفربيك التي عبرت عن هذه المشاعر الإيجابية مفقودة.

(2) لتجنّب رفض أسرته، وأمه بالخصوص.

73.إلى لو سالومي

ناومبورغ على نهر ساله، 28 مايو 1882

صديقتي العزيزة:

إن الأشياء التي كتبتِها قد ذهبت إلى قلبي مباشرة (وكذلك إلى عينيّ!) نعم، أنا أؤمن بك: ساعديني حتى أؤمن بنفسي دوماً وأفي لك ولشعارنا: «أن نبعد أنفسنا عن النصف، ونعيش بعزم، لأجل الكل والخير والجمال»[1].

إن خطتي الأحدث التي وددت الحديث لك عنها هي هذه:

أرغب في السفر إلى برلين في الوقت الذي تكونين أنت فيه هناك، ومن هناك سألتجئ فورا إلى إحدى الغابات الجميلة العميقة التي تحيط ببرلين، وعلى مقربة كافية منها بحيث يمكن أن نلتقي متى ما شئنا، ومتى ما شئتِ. أما برلين نفسها فهي محال بالنسبة لي. ولهذا سوف أظل في غرونفالد [الغابة الخضراء][2] وأجلس في مكاني طوال الوقت، في حين تقضين بعض الوقت في شتيبه[3]، ومن ثم سأكون في خدمتك لأي خطط أخرى: ربما سأجد كوخا لائقاً لحارس غابة، أو بيت قسٍّ في الغابة نفسها، حيث

(1) من قصيدة «اعتراف عام» لغوته.

(2) غابة تقع غرب برلين.

(3) كي تزور باول ريه وأسرته.

يمكن أن تعيشي بضعة أيام بقربي. ذلك أني بصراحة أود بشدّة وفي أقرب وقت ممكن أن نكون مرّة بمفردنا. إن أناساً منعزلين مثلي يحتاجون إلى التعوّد تدريجياً، حتى على الناس الذين يعتزون بهم حقا؛ ولذا تسامحي معي هنا أو تقبّليني بعض الشيء! ولكن إن كنت ترغبين بالاستمرار في الترحال، فيمكننا أن نجد على مقربة من ناومبورغ معتزلاً آخر في الغابة (قرب قلعة ألتنبورغ، فهناك يمكنني أن أستدعي أختي إن شئت)[1]، (وإن كانت كل الخطط المتعلّقة بالصيف ما تزال قائمة، فإني أود أيضا أن أستمر في التزام الصمت حين يتعلق الأمر بعائلتي، وذلك ليس رغبة مني في السرية؛ بل حذراً من «معرفة الناس»). صديقتي العزيزة لو، سأشرح لك شخصيا عن «الأصدقاء»، وخاصة عن صديقنا ريه: فأنا أعرف جيدا ما أعنيه حين أعتبره صديقا أفضل مني ومما يمكن أن أكونه.

يا لذلك المصوّر الخبيث! ومع ذلك: أي ظلال جميلة تصاحب تلك العربة الصغيرة اللطيفة! ـ سوف نقضي الخريف ـ كما أظن ـ في فيينا؟ أي أداء تودين الحضور إليه في بايرويت؟ لدى ريه تذكرة للعرض الأول، على حدّ علمي. وبعد بايرويت، أيجدر بنا أن نبحث عن مكان وسيط يناسب صحتك؟ ليس الآن وقتاً مناسباً للحديث عن صحتي أنا.

تحياتي القلبية

المخلص ف. ن.

يقول الناس إني لم أكن مبتهجاً أبدا في حياتي كما أنا اليوم. وأنا واثق بقدري...

---

(1)لتكون برفقة نيتشه ولا يظل بمفرده مع امرأة غريبة، كما كانت العادات في القرن التاسع عشر.

74.إلى باول ريه

ناومبورغ، 29 مايو 1882

صديقي العزيز، كيف تجري الأمور؟ وإلى أين تجري؟ وهل تجري على الإطلاق؟ ما هي خططكَ لفصل الصيف؟ أخبرت لو بالأمس عن خطتي الأخيرة: وهي أني سأنتقل إلى غرونفالد قرب شارلوتنبورغ، وسأمكث هناك ما دامت لو برفقتك في شتيبه[1]؛ ثم أتلقاها وأصطحبها، ربما إلى مكان في غابة ثورنجيا، حيث يمكن أن تأتي أختي أيضا (وليكن قلعة هوملشاين). وحتى الآن، ما دام كل شيء غير محسوم، فقد وجدت من الضروري أن ألتزم الصمت[2].

هل تخليت عن مقعدك في بايرويت؟ ربما لأجل لو؟ هل سيكون ذلك في العرض الأول؟ ستكون أختي هناك يوم 24 يوليو[3].

بالأمس كان رومونت برفقتي، وهو في الواقع أحد المحظوظين.

ما زلت أشعر بشعور رائع، وأنا مبتهج ومجدّ ـ تثبت المخطوطة أنها

(1)موطن أسرة ريه في غرب بروسيا (يقع حاليا ضمن بولندا)، حيث كان والده مالك أراض ثرياً.

(2)كان نيتشه يحذر من إفشاء خططه لأمه وأخته.

(3) لافتتاحية أوبرا برسيفال لفاغنر.

«عصية على التحرير» بغرابة[1] وذلك نابع من مبدأ أني «أكتب لأجل نفسي» [باللاتينية]-!

كثيرا ما أضحك من صداقتنا الفيثاغورية، خصوصا جانب «الأصدقاء شركاء في كل شيء» [باليونانية] النادر فيها. فهي تمنحني تصورا أفضل لنفسي، حيث أني قادر حقاً على صداقة كهذه. ـ لكن ذلك يظل مسلياً، أليس كذلك؟

مع وافر الود

المخلص ف. ن.

(1) يقصد مخطوطة العلم الجذل، وذلك لسوء خطه.

75. إلى لو سالومي

[ناومبورغ، حوالي 10 يونيو 1882]

أجل، يا صديقتي الغالية، إني على البُعد والنأي لا أتجاهل الذين يجب ضرورة أن يلقّنوا مبادئ ما نحن بصدده؛ لكني أرى أن علينا أن نقرر بحزم ألا *نلقن* إلا الأفراد الضروريين. إني أحب الحياة الخفية وأتمنى من كل قلبي ألا نصبح أنا وأنت من موضوعات النميمة الأوربية. كما أني أعلق أمالاً جسيمة جداً على خططنا للعيش معاً بحيث لا تترك معها كل العوارض الضرورية أو التصادفية أقل انطباع عليّ الآن؛ *ومهما* يحدث، فعلينا أن نتحمله معاً ونلقي بحمل المشكلات بعيداً كل مساء *معاً*، أليس كذلك؟

لقد جعلتني كلماتك حول الآنسة فون مايزنبوغ أقرر أن أكتب لها رسالة في أقرب وقت.

أعلميني كيف تخططين لترتيب وقتك بعد بايرويت، وعلى أي مساعدة مني سوف تعوّلين. أما الآن فأنا في حاجة شديدة للجبال والغابات ـ ذلك أن صحتي، وأكثر منها كتاب العلم المرح، يدفعانني إلى العزلة. وأرغب في الانتهاء منه.

هل سيناسبك لو غادرت الآن إلى سالزبورغ (أو بيرختسغاردن)، ومن ثم اتجهت إلى فيينا؟

حين نكون معاً سأكتب شيئاً لك في الكتاب الذي أرسله[1].

وأخيراً، فأنا عديم الخبرة والمراس في كل ضروب التصرف، ولم أضطر لسنوات لأن أفسر أو أبرر للآخرين أي شيء مما فعلته. وأفضل الإبقاء على خططي سرية؛ أما الأمور التي *فعلتها* فليتحدث الجميع عنها كما شاءوا! ولكن الطبيعة منحت كلاً مِنّا أسلحة دفاع شتى ومنحتك أنت صراحة الإدارة المجدية. يقول يندار في مورد ما: «تحول للكائن الذي هو أنت!»

بكل ولاء وإخلاص،

ف. ن.

(1) وهو كتاب **الفجر**.

76. إلى لو سالومي

[تاوتنبورغ، 2 يوليو 1882]

صديقتي الغالية:

الآن باتت السماء فوقي صافية! وشعرت ظهيرة الأمس وكأن اليوم عيد ميلادي. لقد *أرسلتِ* لي قبولك، وهو أروع هدية يمكن لأحد أن يمنحني إياها لآن؛ وأرسلت أختي بعض الكرز؛ وأرسل توبنر تجارب الطباعة الثلاث الأول **للعلم الجذل**؛ وفوق ذلك كله، فقد انتهيت توًا من الجزء الأخير من المخطوطة وكذلك عملي الذي استغرق ستة أعوام (1876 ـ 82)، *وحرية روحي* بأكملها[1]! يا لتلك الأعوام! أي عذابات من كل نوع، أي عزلة وعناء مع الحياة! وبالرغم من ذلك كله، وكأني ضد الموت والحياة، قد حضرت دوائي هذا، هذه الأفكار التي يظلها شريط صغير من *السماء غير الغائمة*. يا صديقتي الغالية، كلما فكرت بالأمر، أحس بالبهجة والتأثر ولا أعرف كيف أتيح لي النجاح في فعل ذلك، ويملأني التعاطف مع الذات والشعور بالنصر. ذلك أنه نصر، ونصر كامل حتى إن صحتي البدنية قد ظهرت مجدّداً، لا أعرف من أين، ويخبرني الجميع بأني أبدو أصغر من

(1) وهو مرادف مستخف نسبيا «لحرية الفكر»، ذلك النوع الراديكالي، النقدي من تفكير القرن التاسع عشر الذي يدفع به نيتشه إلى مستوى خاص من الحدة في إنساني مفرط في إنسانيته، والفجر، والعلم المرح.

ذي قبل. لتحفظني السماء من فعل أي حماقات، ولكن من الآن فصاعداً! ومتى ما نصحتني، ستكفيني هذه النصيحة ولن يراودني الخوف.

أما بخصوص الشتاء، فقد بت أفكر جدياً وحصراً في فيينا؛ وخطط أختي للشتاء مستقلة جداً عن خططي، ولهذا يمكنني إخراجها من الاعتبار. وجنوب أوربا الآن بعيد عن أفكاري. لا أود البقاء وحيداً لمدة أطول، بل أن أتعلم مجدداً أن أكون إنساناً. آه، عليّ الآن عملياً أن أتعلم كل شيء!

تقبلي شكري، صديقتي الغالية. سيكون كل شيء على ما يرام، كما قلت لي.

أفضل الأماني لعزيزنا ري!

المخلص كليا، ف.ن.

77.إلى فرانسيسكا نيتشه

تاوتنبورغ، 11 يوليو 1882

أمي العزيزة،

كنت يوم الأحد مريضاً ـ وعليّ فعل الكثير. تأخر طويل في الطباعة ـ [1].

حين غادرتك مؤخرا صادفت الواعظ الرئيس في محطة القطار مع سوزي؛ مع كثير من الضحك. أما اليوم فلديّ طلب، وهو عاجل بعض الشيء!

لقد أقامت جمعية تجميل المدن هنا أريكتين جديدتين في أرجاء من الغابات أحب فيها أن أتجول بمفردي. وقد وعدتهم بأن أصنع وأثبّت يافطتين عليهما. هل يمكنك أن تعتني بفعل ذلك، وفورا؟ تحدثي حول الأمر مع خبير في أمور كهذه، عن أي نوع من اليافطة والنقش سيدوم لأطول مدة.

على إحداهما ينبغي أن يكتب[2]:

الرجل الميت ـ ف. ن.

(1) يعني طباعة العلم الجذل.

(2) «غابات الرجل الميت»: هي الاسم القديم للجزء من الغابة الذي أحب نيتشه التمشي فيه. والاسم يعود إلى حرب الثلاثين عاما.

وعلى الأخرى:

العلم الجذل ـ ف. ن.

ينبغي أن يكون شيئا أنيقا وفاخرا، فذلك سيشرّفني. مع أطيب التحايا.

ابنك فريتز

78. إلى بيتر غاست

تاوتنبورغ، 13 يوليو 1882

صديقي العزيز:

ما من كلمات يسعدني سماعها منك أكثر من «الأمل» و«الإجازة». وها أنا الآن أفرض عليك مهمة التنقيح المضنية، تحديداً في الوقت الذي يفترض بك أن تشعر وكأنك في الجنة.

أتعرف تلك القصائد القصيرة البسيطة التي كتبتها في مسينا[1]؟ أم أنك لم تقل عنها شيئاً من باب التأدب تجاه المؤلف؟ كلا، وبغض النظر، كما يقول نقار الخشب في القصيدة الأخيرة، فإن كتابتي للشعر لا تمضي جيداً. ولكن أَيَهُمّ ذلك! على المرء ألا يشعر بالخزي من أخطائه، وإلا فلن تكون لحكمته قيمة تذكر.

تلك القصيدة، *«An den Schmerz»* [«إلى الألم»]، ليست بقلمي، بل هي من الأشياء التي تستحوذ عليّ جداً؛ ولم أتمكن من قراءتها دون أن تغرورق عيناي بالدموع؛ والأمر يبدو كأنه صوت كنت أنتظره وأنتظره منذ الطفولة. هذه القصيدة لصديقتي لو، التي لم تسمع عنها بعد. لو هي: ابنة جنرال روسي، وعمرها عشرون عاماً؛ إنها حذرة كالصقر وشجاعة

(1) يشير إلى «قصائد ريفية من مسينا» التي كتبت في أبريل 1882.

كالأسد، ومع ذلك تظل طفلة مغناجاً للغاية، وربما لن تعيش طويلًا. وأدين للآنسة فون مايزنبوغ وريه لمعرفتي بها. وهي حالياً تزور ريه؛ وبعد بايرويت ستأتي إلى هنا في تاوتنبورغ، وفي الخريف سنذهب معاً إلى فيينا. وهي مستعدة بنحو مذهل جداً لطريقة تفكيري وأفكاري.

صديقي العزيز، أثق بأنك ستحترمنا بما يكفي لإبعاد فكرة علاقة الحب عن الصلة فيما بيننا، فأنا وهي *صديقان*، وسأحتفظ بهذه الفتاة وبهذه الثقة فيّ كشيء مقدس؛ وفوق ذلك فإنها شخصية مكتملة بنحو مذهل، وتعرف بنفسها ما تريد دون أن تسأل كل العالم أو تقلق حول العالم.

هذا لك وليس لأحد سواك. ولكن لو جئتَ إلى فيينا، فسيكون الأمر *حسنا*!

المخلص، صديقك ف. ن.

79. إلى اروين روده

تاوتنبورغ، قرب دورنبورغ

ثورينجيا [15 يوليو 1882]

صديقي القديم العزيز:

لا نفع في الأمر، لا بد أن أعدك اليوم لكتاب جديد لي؛ وما زالت أمامك أربعة أسابيع على الأكثر قبل أن أزعج راحتك[1]! إحدى أوجه الراحة هي أنه سيكون الكتاب الأخير لعدة أعوام قادمة، ذلك أني في الخريف سأذهب إلى جامعة فيينا وأبدأ مجدداً كطالب، بعد سنواتي الدراسية السابقة، المجهضة بعض الشيء، نظراً لتأكيدها المتحيز على الفيلولوجيا الكلاسيكية. أما الآن فلدي خطة دراستي الخاصة، ومن ورائها هدفي السري الخاص، الذي كرست لأجله ما تبقى من حياتي - ومن العسير جدا عليّ أن أعيش ما لم أحققه بأفخم أسلوب. وأنا أستحفظك هذا السر يا رفيقي القديم. فمن دون هدصف أعده مهماً بنحو لا يوصف، ما كنت لأبقي نفسي في النور وفوق الزوابع السوداء! وهذا في الواقع هو عذري الوحيد لأجل تلك الأشياء التي كنت أكتبها منذ 1876؛ فهي وصفتي ودوائي المحضر منزلياً ضد الإرهاق في الحياة. أي أعوام كانت! وأي ألم ممض! أي تقلبات، وثورات، وانعزالات داخلية! من *ذا* تحمل

---

(1) يعني **العلم المرح**؛ ففي عام 1881 لم يقر روده بوصول نسخة **الفجر** التي أرسلها إليه نيتشه.

قدر ما تحملت؟ ليس ليوباردي بالتأكيد. ولو أني وقفت الآن فوق ذلك كله، تغمرني بهجة المنتصر وتحيطني خطط جديدة صعبة ـ وكذلك، كما أعرف نفسي، وعود بعذابات ومآسٍ جديدة، أشد صعوبة، وأشد عمقا في الداخل، وبالشجاعة اللازمة لمواجهتها! ـ فلن يلومني أحد على إحساني الظن بدوائي. *لقد كتبت لنفسي* [باللاتينية]، وهنا ينتهي الأمر؛ ولهذا فعلى كل شخص أن يعمل لنفسه أحسن ما بوسعه، هذه هي أخلاقي، والأخلاق الوحيدة المتبقية لدي. وحتى لو استرددت صحتي البدنية، من الذي يجب علي شكره لذلك؟ لقد كنت في كل الأنحاء طبيبي الخاص؛ وكشخص لا ينفصل فيه شيء عن آخر، كان علي أن أعالج الروح والعقل والبدن معاً في آن واحد وبنفس العلاجات. لا شك أن آخرين قد يهلكون لو استخدموا نفس هذه العلاجات؛ ولهذا أبذل قصارى جهدي في *تحذير* الآخرين مني. وخاصة في هذا الكتاب الأخير، الذي يدعى **العلم المرح**، فإني سأطرد العديد من الناس عني، ولعلك أنت أيضاً، صديقي القديم العزيز روده! ثمة صورة من نفسي فيه، وأنا أعلم يقيناً أنها ليست بالصورة التي تحملها في قلبك.

ولهذا تحلّ بالصبر، ولو لأجل أن عليك أن تفهم أن الأمر عندي مسألة *حياة كهذه أو موت* [باللاتينية].

من كل قلبي، المخلص نيتشه

80. إلى لو سالومي

تاوتنبورغ [حوالي 20 يوليو 1882]

حسناً، يا صديقتي العزيزة، كل شيء حسن حتى الآن، وفي السبت القادم سنلتقي مجدداً. لعلك لم تتلقي رسالتي الأخيرة؟ لقد كتبتها يوم الأحد قبل أسبوعين. سيكون ذلك مؤسفاً؛ لأني أصف لك فيها لحظة سعيدة جداً ـ حيث جاءت إليّ عدة أشياء جيدة في آن واحد، وكان «أجود» تلك الأمور رسالة موافقتك! [ــ](1).

لقد فكرت فيك كثيراً، وشاركتك في التفكير بكثير مما كان راقياً، مثيراً، ومبهجاً، لدرجة بات معها الأمر أشبه بالعيش مع أصدقائي الأعزاء. لو أنك تدرين كم يبدو الأمر جديداً وغريباً على ناسك عجوز مثلي! وكم مرة جعلني أضحك على نفسي!

أما بالنسبة لبايرويت، فقد رضيت بعدم الذهاب إلى هناك، ومع ذلك ليتني أكون قربك بشكل شبحي، أتمتم أشياء متفرقة في أذنك، بل حتى أجد موسيقى **برسيفال** مستساغة (وإلا فهي ليست كذلك). أود لك أن تقرئي قبل ذلك عملي الصغير **ريتشارد فاغنر في بايرويت**؛ وأتوقع أن صديقي ريه يملكه. لقد مررت بتجارب كثيرة مع هذا الرجل وأعماله، وكان ذلك شغفاً استمر مدة طويلة والشغف هو الوصف الوحيد اللائق. أما النبذ الذي تطلبه الأمر، وإعادة

(1) حذف من الأصل بقدر بسطر وربع في نسخة الأصل الألمانية، حافظت عليه الطبعات اللاحقة.

اكتشاف نفسي التي باتت ضرورية في النهاية، فقد كانا من أصعب وأشد الأمور التي مرت بي سوداوية. وردت آخر كلمات كتبها إلي فاغنر في نسخة تقديمية نفيسة من برسيفال: «إلى صديقي العزيز فريدريك نيتشه. ريتشارد فاغنر، عضو في المجلس الكنسي.»[1] وفي الوقت نفسه بالضبط تلقى مني كتابي إنساني مفرط في إنسانيته وبذلك اتضح كل شيء، ووصل أيضاً إلى نهايته.

ترى كم مرة اختبرت فيها بكل نحو ممكن هذا الشعور بعينه أن يتضح كل شيء، ويصل أيضاً إلى نهايته!

مع أطيب التمنيات لك في سفرتك.

صديقك نيتشه

الروح[2]؟ ما هي الروح عندي؟ ما هي المعرفة عندي؟ لا أثمّن شيئاً سوى النزعات، وأكاد أقسم بأننا نشترك في هذا الأمر. انظري لما بعد هذا الطور، الذي عشت فيه لعدة سنوات انظري لما بعده! لا تخدعي نفسك بخصوصي؛ فأنت بالتأكيد لا تظنين أن «المفكر الحر» هو مثالي[3]! فأنا...

عذراً، عزيزتي لو!

ف. ن.

---

(1) في الأصل: Oberkirchenrat. وهذه الكلمة تظهر ميل فاغنر الساخر للتأثر بعداء نيتشه للمسيحية («وخاصة الإكثار من شرب الدم في القربان المقدس»، الرسالة رقم 79).

(2) راجع الهامش هـ للرسالة 96.

(3) إن كلمة Geist الألمانية تشير إلى قيم لا تملكها كلمة الروح، التي قد لا تكون مقابلا مضبوطا. فهنا تشير Geist بالتأكيد إلى عالم مضاد للنزعات والعواطف غير المتأمل فيها. وبغض النظر عن ادعاء نيتشه هنا أنه لا يثمن سوى النزعات، فإن لو لم تقتنع به قبل أن تلتقي فريدريك بينيلس (1895 ـ 96).

81. إلى بيتر غاست

تاوتنبورغ، الثلاثاء 25 يوليو 1882

صديقي العزيز:

هكذا سأتمتع بموسيقى الصيف أيضاً! ـ لقد باتت الأمور الجيدة تنصب عليَّ هذا الصيف، وكأن لدي نصراً يستحق الاحتفال[1]. وبالفعل، تأمل في الأمر: لقد كنت في عدة جوانب، جسداً وروحاً منذ 1876، معركة أكثر من إنسان.

لن تكون لو مستعدة لأداء جزء البيانو؛ ولكن في اللحظة المناسبة، كما لو جاء من السماء، ظهر السيد إغيدي، وهو رجل جاد ومعتمد وموسيقي أيضا، يصادف أنه يمكث أيضاً في تاوتنبورغ (وهو من تلامذة كيل)؛ بالصدفة التقيته لنصف ساعة، وبصدفة أخرى، حين عاد لمنزله من هذا اللقاء، وجد رسالة من صديق كانت بدايتها «لقد اكتشفت للتو فيلسوفاً رائعاً، يدعى نيتشه...».

ستكون *أنت* بالطبع محاطاً بأشد تكتم؛ وسأقدمك كصديق إيطالي يظل اسمه سراً.

إن كلماتك السوداوية، «المخطئة للهدف دوماً»، قد استقرت في قلبي.

(1) كان غاست قد أرسل له النصف الأول من نوتات البيانو لأوبراه أسد البندقية.

فقد مرّت عليَّ أوقات كنت أفكّر فيها بالنحو نفسه بالضبط حول نفسي؛ ولكن بيني وبينك، بغض النظر عن سائر الفروق، فهناك فارق هو أني لم أعد أسمح لنفسي بأن «أدفع هنا وهناك» ـ ***sich schubsen lassen***، كما يقولون في ثورينجيا.

كنت يوم الأحد في ناومبورغ، كي أجهز أختي قليلاً **لبرسيفال**. وقد بدا الأمر غريباً بما يكفي. وأخيراً قلت لها: «أختي العزيزة، هذا النوع من الموسيقى تحديداً هو ما كنت أكتبه حين كنت صبياً، في الوقت الذي كتبت فيه الأوراتوريو خاصتي»؛ ومن ثم أخرجت المخطوطة القديمة، وبعد كل تلك السنوات، عزفتها حقاً لقد كانت هوية الطابع والتعبير مذهلة! نعم، كانت بضعة أجزاء، مثل «موت الملوك» تبدو لنا أشد تأثيراً من أي شيء عزفناه من **برسيفال**، لكنها كانت برسيفالية كلياً! أعترف بأني ارتعبت جداً لاكتشافي مدى قربي الشديد من فاغنر. ولن أخفي هذه الحقيقة الغريبة عنك فيما بعد، وستكون أنت محكمة الاستئناف النهائية في هذه المسألة ـ فهي غريبة جداً لدرجة أني لا أثق في نفسي للحكم عليها. وستفهم، يا صديقي العزيز، أن ذلك لا يعني أني أمتدح **برسيفال**!! أي *انحطاط* مفاجئ! وأي *كاليوسترية*[1]!

إن ملاحظة في رسالتك جعلتني أكتشف أن كل مقطوعاتي التي أعرف كنت قد كتبتها قبل لقائي مع لو (وكذلك *العلم المرح*). ولكنك لعلك تشعر أيضاً، «كمفكّر» و«شاعر» أيضاً، بأني كنت أملك حدساً مسبقاً ما عن لو؟ أم أن الأمر «مصادفة»؟ أجل! إنها مصادفة لطيفة.

(1) الكاليوسترية قد تعني هنا «السحر الزائف»، نسبة للساحر ذائع الصيت الذي جاب أوربا في أواخر القرن التاسع عشر.

هذه الكوميديا يجب أن نقرأها معًا؛ فعيناي الآن مشغولتان جدًا بالفعل[1]. ستصل لو يوم السبت. أرسل لي عملك بأسرع ما يمكن - إني أحسد نفسي على الامتياز الذي تغمرني به!

قلبياً، صديقك الممتن نيتشه

(1) كان غاست يكتب موسيقى مصاحبة للمسرحية الهزلية Michel Perrin، التي ألفها ميليفيل ودوفيريه؛ وقد أرسل نص المسرحية لنيتشه.

82. إلى ياكوب بوركهارت

ناومبورغ، أغسطس 1882

آمل، يا *صديقي العزيز الرفيع* ـ أو كيف يجب أن أناديك؟ ـ أن تتقبل بحسن نية ما أرسله إليك ـ بحسن نية مقررة سلفا؛ ذلك أنك إن لم تفعل، فلن تشعر بشيء سوى السخرية تجاه هذا الكتاب، *العلم المرح* (فهو شخصي جدًا، وكل شيء شخصي هزلي فعلاً).

وبعيداً عن ذلك، فقد وصلت لنقطة *أعيش* عندها كما *أفكر*، ولعلي تعلمت خلال ذلك الوقت حقاً كيف أعبر عما أفكر فيه. وفي هذا الصدد سأعتبر حكمك بمثابة إدانة؛ وبالخصوص، أريد منك أن تقرأ «يناير المقدس» (الكتاب الرابع)، كي ترى إن كان *يوصل نفسه* ككل منسجم.

وماذا عن أشعاري؟

كلي ثقة بك، مع أفضل التمنيات

المخلص فريدريك نيتشه

ملاحظة: وما هو عنوان السيد كورتي، الذي تحدثت عنه في لقائنا الأخير والمبهج جداً[1]؟

---

(1) كان نيتشه قد التقى ببوركهارت في بازل خلال إقامته لخمسة أيام هناك بين 8 ـ 13 مايو.

83. إلى لو سالومي

ناومبورغ، نهاية أغسطس 1882

عزيزتي لو:

غادرت تاوتنبورغ بعدك بيوم واحد، وأنا فخور *جداً* في قلبي، وبمعنويات عالية *جداً* ـ لماذا؟

تحدثت قليلاً جداً مع أختي، لكن حديثي كان كافياً لإرسال الشبح الجديد الذي ظهر مجدداً نحو الخواء الذي جاء منه.

في ناومبورغ استولى عليّ *شيطان* الموسيقى مجدداً ـ وقد ألفت لحناً لقصيدتك «صلاة لأجل الحياة»؛ وصديقتي من باريس، لويزه أوت، ذات الصوت المعبر والبارع في قوته، ستغنيه يوما ما لي ولك.

وأخيراً، عزيزتي لو، أكرر رجائي القديم العميق الصادق: كوني الكائن الذي أنت عليه! فأولًا، على المرء أن يواجه عناء انعتاقه من أغلاله هو؛ وأخيراً، على المرء أن ينعتق من ذلك الانعتاق أيضاً! على كل منا أن يعاني، ولو بطرق مختلفة جداً، من داء الأغلال، حتى بعد أن حطم المرء أغلاله.

مع شغف شديد بمصيرك، لأني فيك أحب *آمالي* أيضاً[1].

ف. ن.

(1) يظهر وصف لو لنيتشه في ذلك الوقت في كتابها فريدريك نيتشه في أعماله Friedrich Nietzsche in seinen Werken (1894)، ص 11: «هذه العزلة، هذا الشعور بالتفرد السري، كان ذلك أول انطباع قوي عن مظهر نيتشه. ما كان الملاحظ العابر ليلحظ فيه أي شيء باهر؛ فهو متوسط الطول، بسيط الزي، لكنه شديد العناية به، مع ملامحه الهادئة وشعره البني الممشط بأناقة للوراء، ويمكن بسهولة ألا يملأ العين. كانت الخطوط الدقيقة والمعبرة جدا لفمه مغطاة بشكل شبه كلي بشاربه الضخم الذي مشط للأمام فوق فمه؛ كانت له ضحكة رقيقة، أسلوب حديث لا صدى له، ونمط حذر متفكّر من المشي، مع أكتاف هابطة نسبيا؛ يصعب جدا على المرء أن يتخيل هذا الرجل وسط جمع ما فقد كان يحمل شارة المغترب والمنفرد. كانت يدا نيتشه جميلتين بلا مثيل ونبيلتين في هيئتهما، بحيث يصعب ألا يثيرا الانتباه، وكان هو نفسه يعتقد بأنهما يفصحان عن عقله...».

84. إلى لو سالومي

[لايبزغ، ربما 16 سبتمبر 1882]

عزيزتي لو:

إن فكرتك عن اختزال النظم الفلسفية في وضع السجلات الشخصية لمؤلفيها لهي حقاً فكرة من «دماغ توأم». لقد كنت أدرّس تاريخ الفلسفة القديمة بهذا النحو عينه، وكان يطيب لي أن أقول لطلابي: «لقد فنّد هذا النظام ومات، لكنك لن تستطيع تفنيد الشخص الذي يقف خلفه ـ فالشخص لا يمكن أن يقتل»، كأفلاطون مثلًا.

أرفق اليوم رسالة بعث بها البروفسور ياكوب بوركهارت، الذي سترغبين في مقابلته ذات يوم. فهو أيضاً يملك شيئاً في شخصيته لا يمكن تفنيده؛ ولكن نظراً لأنه مؤرخ أصيل للغاية (بل أهم مؤرخ حي)، فإن نوع الكائن والشخص الذي تجسّد فيه للأبد تحديداً هو ما يجعله غير راضٍ؛ ولن يسعد أبداً إلا لو استطاع مرّة أن ينظر بأعين الآخرين، وبعينيّ مثلاً، كما تكشف هذه الرسالة غريبة. وبنحو المصادفة، فإنه يتوقع أن يموت قريباً، وفجأة، وبالسكتة الدماغية، كما يحدث في عائلته؛ ألعلّه يريدني أن أخلفه في كرسيه؟ ولكن مسار حياتي مقرر سلفاً.

وفي تلك الأثناء فإن البروفسور ريدل، رئيس الجمعية الموسيقية الألمانية، قد أسرته «موسيقاي البطولية»، وأعني بها قصيدتك «صلاة

للحياة» ـ وهو يريد لها أن تؤدّى؛ وليس من المحال أن يقوم بإعدادها لأجل جوقته البديعة (وهي من أفضل الجوقات في ألمانيا، وتعرف بجمعية ريدل). ولن يكون هذا إلا نحوًا واحداً بسيطاً يمكننا به معاً أن نصل للأجيال اللاحقة دون إغفال الأنحاء الأخرى.

أما بخصوص قصيدتك «توصيف لنفسي»، وهي على صواب ـ كما كتبتِ ـ فقد ذكّرتني بأبياتي الصغيرة من **العلم المرح** تحت عنوان «رجاء». هل لك أن تخمني، يا عزيزتي لو، ما الذي أرجوه؟ لكن بيلاطس يقول: «ما هي الحقيقة؟»[1].

كنت سعيداً ظهيرة الأمس؛ فقد كانت السماء زرقاء، والجو طيباً وصافياً، وكنت في مسرح روزنتال، حيث أخذت بلبّي موسيقى كارمن. فقد جلست هناك لثلاث ساعات، وشربت كأسي الثاني من الكونياك لهذا العام، تذكاراً للأول (هع! كم كان طعمه رديئاً!)، وتساءلت بكل براءة وخبث إن كان لدي أي ميل إلى الجنون. وفي النهاية قلت: كلا. ثم

(1)هذه هي الأبيات كما ترد في قسم التمهيد (وهي مقفاة في الأصل الألماني):
لعدد من الناس أَخبِرُ العقول
وما خبرت أنا من أكون!
فعيني مني أدنى!
وما أراه ليس أنا،
لا ولا أكثر ما رأيت.
كنت أغنم أكثر
لو كان المدى بيني وبيني،
طبعا، أقل بعدا من عدوي!
ومن أقرب الأصدقاء أكثر بعدا
لكن الوسط بيني وبينه.
أكشفتم عما أرجوه؟

بدأت موسيقى كارمن، وغرقت لنصف ساعة في الدموع وخفقان القلب. لكنك حين تقرئين هذا ستقولين في النهاية: نعم! وتكتبين ملاحظة لأجل «توصيف لنفسي».

تعالي إلى لايبزغ قريباً! لماذا فقط في الثاني من أكتوبر؟ وداعاً، عزيزتي لو.

المخلص ف. ن.

85. إلى فرانز أوفربيك

العنوان: لايبزغ، آونشتراسه 26

الطابق الثاني [سبتمبر 1882]

صديقي العزيز:

ها أنا ذا إذن، عائد إلى لايبزغ، بلدة الكتب القديمة، لكي أكتسب الألفة مع بضعة كتب قبل أن أعود للميدان مجدداً. ويبدو غير راجح أن حملتي الشتائية في ألمانيا ستقود لأي شيء ـ فأنا في حاجة للجو الصحو، بكل ما يعنيه ذلك[1]. نعم، يبدو أن لهذه السماء الألمانية الغائمة شخصية، بنحو ما، مثلما تملك موسيقى برسيفال شخصية، لكنها شخصية رديئة. أمامي على الطاولة الفصل الأول من موسيقى **الزواج السري** *Matrimonio Segreto* ـ موسيقى ذهبية، لامعة، جيدة، *جيدة جداً*[2]. لقد أحسنت إليّ أسابيع تاوتنبورغ، وخاصة الأواخر منها؛ ويحق لي إجمالاً أن أتحدث عن التعافي، رغم أني كثيراً ما أذكّر *بالتوازن الحرج* لصحتي. ولكن لا بد من سماء صافية تظللني! وإلا فإني سأفقد الكثير من وقتي وقوتي.

إن كنت قد قرأت «يناير المقدس» فإنك ستلاحظ أني قد عبرت خطاً

---

(1) في كتابها عن نيتشه (ط 2، ص 17، 128) كتبت لو أن نيتشه كان يخطط آنذاك للتوقف عن الكتابة لعشرة أعوام ودراسة العلوم الطبيعية لكي يمنح فلسفته أساسا راسخا.

(2) ألفها بيتر غاست (مقتديا بتشيماروسا).

مدارياً: كل ما يقف أمامي جديد، ولن يطول الوقت قبل أن أبصر أيضاً ذلك الوجه *الرهيب* لمهمة حياتي الأبعد. لقد كان هذا الصيف الطويل الغني وقت اختبار لي؛ وقد قضيت إجازتي فيه وأنا فخور وبأفضل شعور، لأني شعرت بأنه خلال ذلك الوقت كانت الهوة القبيحة بين الاستعداد والإنجاز قد ردمت بالنسبة لي. لقد فُرِضت مطالب صعبة على إنسانيتي، وقد أصبحت مكافئاً لأصعب المطالب التي فرضتها على نفسي. هذه الحالة الوسيطة بين ما كان وما سيكون، هي ما أسميه «في وسط الحياة»؛ وقد دفعني شيطان الموسيقى، الذي زارني مجدداً بعد سنوات طويلة، للتعبير عن ذلك بالنغمات أيضاً.

لكن أنفع نشاطاتي هذا الصيف كانت الحديث مع لو؛ فهناك وئام عميق بيننا في الفكر والذوق، وهناك في أنحاء أخرى فروق لا تحصى لدرجة أننا نبدو راصدين ومرصودين مفيدين جدا لبعضنا البعض. لم ألتق من قبل بأي أحد يستطيع أن يشتق هذا العدد من البصائر الموضوعية من التجربة، ويعرف كيف يستنتج الكثير من كل ما تعلمه. لقد كتب لي ريه بالأمس، «لقد طالت لو بالتأكيد بضع بوصات في تاوتنبورغ»، حسناً، فلعلي نموت أنا أيضاً، وأود أن أعرف لو كانت هناك أبداً أي *حماسة فلسفية* كالتي اتقدت بيننا. ترقد لو الآن خلف الكتب والعمل؛ وأعظم خدمة أسدتها لي حتى الآن هي إقناعها ريه بمراجعة كتابه على أساس إحدى أفكاري الرئيسة. أما صحتها، كما *أخشى*، فلن تدوم سوى ست أو سبع سنوات أخرى[1].

(1) في الواقع كانت لو ستصبح إحدى أبرع النساء الناشطات والمتميزات في عصرها. أما «الست أو سبع سنوات» فهي بالضبط ذلك الوقت المتبقي قبل انهيار نيتشه ذاته. وهنا أيضا، كما في مسألة «النزعات» (راجع تعقيبه على الرسالة 99)، تبدو وكأنها شبيه لصيق

لقد منحت تاوتنبورغ لو *هدفاً*، فقد تركت لي قصيدة مؤثرة، «صلاة للحياة».

وللأسف فإن أختي أصبحت عدواً أبدياً للو؛ فقد كانت مستفزة أخلاقياً من البداية للنهاية، وهي الآن تدعي معرفة ما تدور حوله فلسفتي. حيث كتبت إلى أمي: «في تاوتنبورغ رأت فلسفتي تنبعث للحياة وأرعبها ذلك: أنا أحب الشر، لكنها تحب الخير. ولو كانت كاثوليكية صالحة، لذهبت إلى دير راهبات وكفرت عن كل الأذى الذي سينجم عنها». وبإيجاز، فإن «تقوى» ناومبورغ تقف ضدي؛ وهناك قطيعة حقة فيما بيننا؛ حتى إن أمي في لحظة ما نسيت نفسها لدرجة أنها قالت الشيء الوحيد الذي دفعني لحزم حقائبي والمغادرة باكرا في الصباح التالي نحو لايبزغ. أما أختي (التي لم ترغب في المجيء إلى ناومبورغ ما دمت هناك، وهي ما تزال في تاوتنبورغ) فقد قالت ساخرة في هذا الصدد «هكذا بدأ سقوط زرادشت»[1]. والواقع أنها فاتحة البداية. وهذه الرسالة لك ولزوجتك العزيزة لا تظن أني مبغض للبشر. من كل قلبي

المخلص ف. ن.

أفضل التمنيات للسيدة روتبليتز وأسرتها[2]! لم أشكرك بعد على رسالتك الطيبة:

لنيتشه، ويبدو هو كعاشق يتعثر بظله؛ فما رآه فيها لم يكن سوى تبلور لدوافعه وأحلامه ورغباته غير المعروفة بعد.

(1) لقد كتب نيتشه رسالة ودية إلى أخته بعيد وصوله إلى ناومبورغ (مؤرخة في بداية سبتمبر). وعبر فيها عن أمله في أن تبدأ بالإعجاب بلو، وشكرها على اللطف الذي أسدته إليه خلال الصيف. أما رسالتها التي يقتبس منها هنا فيفترض أنها ملأى بالتوبيخ.

(2) كانت لويزه روتبليتز والدة زوجة أوفربيك.

86. إلى فرانز أوفربيك

[لايبزغ، أكتوبر 1882]

صديقي العزيز:

هكذا تمضي الأمور! لم أكتب لأني كنت أنتظر أن تتقرر عدة أمور، وأنا اليوم أكتب فقط كي أخبرك بذلك، لأنه لم يتقرّر أي شيء حتى الآن حتى فيما يخص خططي للسفر والشتاء. ما تزال باريس أمراً وارداً[1]، ولكن لا يتطرق شك إلى أن صحتي قد ساءت تحت تأثير هذه السماء الشمالية؛ ولعلي لم أقض ساعات سوداوية أكثر من هذا الخريف في لايبزغ رغم أن الأشياء من *حولي* تمنحني سببا يكفي لأن أشعر بالسعادة. يكفي. لقد مرت بي أيام سافرت فيها بعقلي من بازل نحو *البحر*. لكني خائف بعض الشيء من ضجيج باريس، وأود أن أعرف إن كان فيها ما يكفي من السماء الصافية. ومن جهة أخرى، فإن تجدد عزلتي الجينوية قد يكون أمراً خطراً. أعترف لك بأني سأسعد للغاية بإخبارك أنت وزوجتك مطولاً عن تجارب هذا العام، فهناك الكثير مما يقال والقليل مما يكتب.

إني ممتن لك جداً على كتاب يانسن؛ فهو يعرّف بنحو ممتاز كل ما يميز رؤيته عن الرؤية البروتستانتية (والمقصد الرئيس من الأمر

(1) كتب نيتشه إلى لويزه أوت يسألها عن احتمال العثور على غرفة في باريس.

برمته هو هزيمة البروتستانتية الألمانية). وعلى أي حال، هزيمة «تدوين التاريخ» البروتستانتي [1]. ولم يتطلب ذلك مني أن أراجع آرائي حول الموضوع. في نظري، يظل عصر النهضة يمثل قمة هذه الألفية؛ وما حدث منذئذ ليس سوى ردة عظمى لكل ضروب غرائز القطيع ضد «فردية» تلك الحقبة.

قد غادرت لو وري مؤخراً أولاً للقاء والدة ري في برلين؛ ومن ثم سيذهبان إلى باريس. لو في حالة صحية مزرية؛ وأنا الآن أخمن لها وقتاً متبقياً أقل مما فعلت في الربيع الفائت. ولكل منا حصة من القلق، لكن ري هو الرجل المناسب لمهمته في هذا الشأن. وبالنسبة لي شخصياً، فإن لو *نادرة* بحق؛ فقد حققت كل توقعاتي، ولا يمكن لشخصين أن يكونا أوثق صلة مما نحن عليه.

أما عن كوسليتز (أو لنقل: السيد «بيتر غاست»)، فهو أعجوبتي الثانية لهذا العام. ففي حين تتفرد لو باستعداها للجزء الذي لما ينشر بعد من فلسفتي، يمثل كوسليتز التبرير الفلسفي لعملي الجديد وإعادة ولادتي برمتها، لو لخصنا الأمر بشيء من الغرور. هو ذا موزارت جديد ـ هذا هو شعوري الوحيد تجاهه؛ فالجمال، الدفء، السكينة، الغنى، الإبداع الفياض مع لمسة الإتقان الخفيفة بالمقابل ـ كلها صفات لم تمتزج من قبل؛ ولن أرغب في سماع أي موسيقى سوى موسيقاه. هل ستؤدى أوبراه «مزح، حيلة، وانتقام» هنا؟ أظن ذلك، لكني لا أعلم بعد [2].

---

(1) راجع الرسالة رقم 82.

(2) كانت هذه أوبرا غنائية ألفها غاست. والعنوان يماثل العنوان الذي وضعه نيتشه للثلاثة والستين شاهدا شعريا، التي مثلت «التمهيد» لكتاب **العلم المرح**.

يمكنك عرض الصورة التي أرفقها على طاولة هدايا عيد ميلادك (فجودتها كصورة تستحق الإعجاب جداً).

هل تلقت السيدة روتبليتز كتابي الأخير؟ نسيت عنوانها الدقيق.

مع أطيب وأحر التهاني لك على عامك القادم،

صديقك نيتشه

87. إلى باول ري

سانتا مارغريتا [نهاية نوفمبر 1882]

ولكن، يا صديقي العزيز العزيز، ظننت أنك ستشعر بضد ذلك وتكون سعيداً بهدوء بالتخلص مني لوهلة! لقد كانت هناك مائة لحظة خلال هذا العام، منذ أورتا فصاعداً، حين شعرتُ بأنك «تدفع ثمنا أغلى مما يجب» لصداقتك معي. لقد استفدت بالفعل الكثير جداً من اكتشافك الروماني (وأعني به لو)، وقد بدا دوماً لي، خاصة في لايبزغ، أنه كان لديك حق في أن تكون متكتماً تجاهي بعض الشيء.

فكر بي، يا صديقي الأعزّ، بألطف ما يمكن، واسأل لو أن تقوم بالمثل. فأنا أنتمي إليكما بأعمق مشاعري الصادقة، وأعتقد أن بوسعي إظهار ذلك عبر غيابي أكثر من اقترابي.

كل ذلك القرب يجعل المرء مدققاً جداً، وأنا، في التحليل الأخير، رجل مدقق للغاية.

من وقت لآخر سيرى أحدنا الآخر مجدّداً، أليس كذلك؟ لا تنس أني، *من هذا العام فصاعداً*، قد أصبحت فجأة فقيرًا إلى الحب، وبالتالي شديد الحاجة إلى الحب.

اكتب لي التفاصيل الدقيقة لكل ما يخصنا الآن، لما قد «حدث بيننا» كما تقول.

مع كل حبي

المخلص ف. ن.

88. إلى هايثريش فون شتاين

[سانتا مارغريتا] بداية ديسمبر 1882

ولكن، يا عزيزي د. فون شتاين، ما كنت لتجيبني بنحو ألطف مما فعلت عبر إرسال مخطوطتك. يا لها من مصادفة محظوظة! لا بد أن يكون هناك دوماً فأل حسن كهذا في اللقاءات الأولى.

نعم، أنت شاعر. أحس عندك بالمشاعر وتغيراتها، ناهيك عن ترتيب المشهد، فهو كفؤ ومعقول (وكل شيء يعتمد على ذلك!).

أما عن «اللغة»؛ فدعنا نناقش ذلك حين نلتقي ذات يوم؛ فالأمر لا تسعه رسالة. وأنت بالتأكيد تقرأ الكثير من الكتب أصلاً، خاصة الكتب الألمانية! كيف يمكن للمرء أن يقرأ كتاباً ألمانياً!

آه، اعذرني! لقد كنت أقوم بذلك للتو، وقد دفعني للبكاء.

أخبرني فاغنر ذات مرة أني كتبت باللاتينية لا الألمانية: وهو صحيح للغاية، ويبدو جيداً في مسامعي. فأنا على كل حال لا أملك إلا شطراً بسيطاً من شؤون ألمانيا، لا أكثر من ذلك. تأمل في اسمي: لقد كان أسلافي نبلاء بولنديين وحتى أم جدتي كانت بولندية[1]؛ فإني أعتبر كوني نصف ألماني

(1) لعل أسلاف نيتشه من جهة أبيه جاءوا فعلا من بولندا في القرن الثامن عشر؛ ولكن الادعاء بأنهم كانوا نبلاء قد لا يكون ذا وزن؛ حيث أن أعيان الريف الفقراء، وحتى الفلاحين، كانوا في تلك الأيام يملكون ألقابا لا تعني شيئا. وكان «الأرستقراطي» البولندي في أوائل القرن الثامن عشر أبعد ما يكون عن الأرستقراطي الفاضل الذي عده نيتشه مثالا. ومن هنا فصاعدا، يستخدم نيتشه أصوله البولندية المفترضة كمنطلق لمهاجمة كل شيء ألماني، بما في ذلك الألماني في داخله.

فضيلة، وأدعي أني أعرف المزيد حول فن اللغة مما هو ممكن لِلألمان. فإليك هذا أيضاً ـ إلى أن نلتقي مجدداً!

أما عن «البطل»، فأنا لا أراه بعين التعظيم كما تفعل. وبغض النظر، فإنه الشكل الأشد قبولاً للوجود البشري، خاصة حين لا يملك المرء خياراً آخر.

فالمرء يبدأ بحب شيء ما، وما أن يبدأ بحبه بعمق حتى يقول الطاغية في داخلنا (الذي نبدو جميعاً مستعدين لتسميته «بالأنا الأعلى»):«ضحّ بهذا الشيء تحديداً لأجلي». لنتخلى من ثم عن هذا الشيء، ولكن ذلك قساوة مع الحيوانات وأشبه بالشيء على نار هادئة. إن الأمور التي تتعامل معها هي مشكلات عن القسوة، لا أكثر ولا أقل، أيمنحك ذلك بعض الإشباع؟ أقول لك بصراحة أني أملك في ذاتي الكثير من هذا المزاج «التراجيدي» الذي يمكنني من عدم *لعنه*؛ فخبراتي، الصغيرة منها والكبيرة، تتخذ نفس الطريق دوماً. ولذا فإن أشد ما أرغب فيه هو نقطة عالية يمكنني منها أن أرى هذه المشكلة التراجيدية واقعة تحتي. وأود أن أزيل من الوجود الإنساني بعض من طابعه المأساوي والقاسي. ومع ذلك فلكي أستطيع الاستمرار هنا، علي أن أكشف لك ما لم أكشفه لأحد أبداً ـ أي المهمة التي تواجهني، مهمة حياتي. كلا، لا يصح أن نتحدث عن ذلك. وبالأحرى، حيث إننا شخصان مختلفان جداً، ربما لن نظل صامتين معاً حول هذه النقطة.

المخلص لك قلبياً وبكل امتنان،

ف. نيتشه

أنا الآن مجدداً في مسكني بجنوا أو قريباً منه، أقرب للناسك من كل ما مضى: سانتا مارغريتا، ليغوره (إيطاليا) (يحفظ بمكتب البريد).

89. إلى لو سالومي وباول ري [كسرة من النص][1]

[أواسط ديسمبر 1882]

عزيزَيّ لو وري:

لا تنزعجا من نوبات «تعاظمي» أو «غروري الجريح»، وحتى لو صادف يوماً أني انتحرت جراء انفعال ما أو آخر، فلن يكون هناك الكثير مما تأسيان عليه. فما الذي تعنيه خيالاتي لكما؟ (حتى حقائقي لم تعن لكما شيئاً إلا الآن.) ليتصورني كل منكما وكأني نصف مجنون برأس متورم، ذهبت العزلة الطويلة بصوابه تماماً.

وبالنظر لهذه البصيرة *المعقولة*، كما أظن، حول حالة الأوضاع التي توصلت إليها بعد تناول جرعة هائلة من الأفيون، جراء يأسي. ولكن بدلاً من فقدان صوابي نتيجة لذلك، يبدو أني أخيراً قد *توصلت* للصواب. وبالمصادفة، فقد كنت مريضاً جداً لعدة أسابيع؛ ولو أخبرتكما بأني مررت بعشرين يوماً من أجواء أورتا هنا، فلن أحتاج لقول المزيد.

صديقي ري، اسأل لو أن تغفر لي كل شيء.. وستمنحني فرصة لأن أغفر لها أيضاً. ذلك أني لم أغفر لها حتى الآن.

إن المغفرة لأصدقاء المرء أصعب من المغفرة لأعدائه.

و«تبرير» لو يخطر في بالي...

---

(1) هذه الكسرة إحدى العلامات الأولى على تداعيات تآمر ونميمة إليزابيث ضد لو وري.

90. إلى فرانز أوفربيك

[ختمت في رابالو، 25 ديسمبر 1882]

صديقي العزيز:

لعلك لم تتلق رسالتي الأخيرة؟ كانت *لقمة سالحياة* الأخيرة هذه أصعب ما كان عليّ مضغه، وسيظل ممكنا أني قد *أختنق* بها. لقد عانيت من الذكريات المذلة والمعذِّبة لهذا الصيف وكأنها نوبة جنون، وقد أخفى ما أشرت إليه في بازل وفي رسالتي الأخيرة أشد الأمور أهمية. فهو يتضمن توتراً بين مشاعري المتضاربة التي لا أستطيع التوافق معها. وهذا يعني أني أبذل كل أوقية من تحكمي بذاتي؛ ولكني قد عشت في العزلة أطول مما يجب، وتغذيت من «شحمي» أطول مما يجب، وهكذا فإني الآن أتكسر، بنحو لا يسع أي رجل آخر، على عجلة عواطفي الخاصة. لو أن لي أن أنام! ولكن أقوى جرعات المنوم لديّ لا تساعدني أكثر من ست إلى ثماني ساعات من التمشي يومياً.

ما لم أكتشف الحيلة الخيميائية لتحويل هذا الحمأ إلى ذهب، فأنا ضائع. ولدي الآن أعظم فرصة كي أثبت أنه في نظري «كل التجارب مفيدة، كل الأيام مقدسة، وكل البشر إلهيون»!!!

كل البشر إلهيون.

إن فقداني للثقة هائل حالياً، كل شيء أسمعه يشعرني بأن الناس يحتقرونني. خذ مثلاً رسالة حديثة جاءتني من روده. يمكنني أن أقسم بأننا *لو لم* تكن بيننا علاقة صداقة فيما مضى، لصرح اليوم بأشد الأحكام احتقاراً عليّ وعلى أهدافي.

كما أني قد قطعت بالأمس كل المراسلات مع أمي؛ لا يسعني أن أتحمل المزيد، وربما كان من الأفضل أني لم أتحمله كل تلك المدة. أما عن *المدى* الذي انتشرت به الأحكام العدائية لأقاربي خارج البلاد وساهمت في تخريب سمعتي، فسأظل أفضل أن أعرفه على أن أعاني من هذا الريب.

إن علاقتي مع لو تلفظ أنفاسها المعذّبة الأخيرة، هذا على الأقل ما أفكر فيه اليوم، ولاحقاً ـ إن كان هناك أي «لاحق» ـ سأقول شيئاً ما حول ذلك أيضاً. الشفقة، يا صديقي العزيز، نوع من الجحيم، مهما قال أتباع شوبنهاور.

لا أسألك هنا «ماذا أفعل؟» لقد فكرت عدة مرات في استئجار غرفة في بازل، وزيارتك من وقت لآخر، وارتياد المحاضرات. كما فكرت عدة مرات في فعل النقيض: الإمعان في العزلة والتخلي، حتى أصل إلى نقطة اللاعودة، ومن ثم حسناً، ليكن الأمر كما يشاء! صديقي العزيز، أنت وزوجتك الرائعة العاقلة، أنتما عملياً آخر موطئ قدم لي على أرض صلبة. أمر غريب!

لتنعما بالازدهار! محبكما ف. ن.

القسم الرابع

1883 ـ 1889

زرادشت؛ قلب كل القيم؛ تورين

1883

يناير: يكتب القسم الأول من زرادشت. **فبراير**: «لقد تحطمت حياتي بأسرها أمام ناظريّ: هذه الحياة الغريبة، السرية المنعزلة عمدا، التي تخطو خطوة كل ستة أعوام...». **13 فبراير**: وفاة فاغنر في البندقية. **مارس**: «لم أعد أرى لماذا يجب أن أعيش لستة أشهر أخرى ـ كل شيء ممل، مؤلم، مقرف [بالفرنسية]». إلى مالفيدا: «أنا... نقيض المسيح». يفكر في قضاء الشتاء التالي في برشلونة. **4 مايو ـ 16 يونيو**: في روما مع مالفيدا فون مايزنبوغ وأخته إليزابيث، يتصالحان. الكتابة: **زرادشت**، القسم الثاني. **24 يونيو**: يصل إلى سيلس ماريا. شقاق متجدد مع إليزابيث جراء تشويهها المستمر للو وري. نشر القسم الأول من زرادشت. إعداد خطط (هجرت لاحقاً) للمحاضرة في لايبزغ. **سبتمبر**: في ناومبورغ. خطوبة أخته رسمياً من برنهارد فورستر، مدير المدرسة الفاغنري الناقد لليهود. **أكتوبر (؟)**: نشر القسم الثاني من **زرادشت**؛ زيارة أوفربيك. العودة إلى جنوا. **أواخر نوفمبر**: من فيلافرانكا (فيلفرانش) إلى نيزّا (نيس). **شتاء 1883 ـ 84**: محاورات مع يوليوس بانيت من فيينا.

1884

18 يناير: ينتهي من القسم الثالث من **زرادشت** (الذي ينشر قرب نهاية أبريل): «النهاية المذهلة الرائعة لقصة هذا الملاح بأسرها». في نيس حتى 20 أبريل. **21 أبريل ـ 12 يونيو**: في البندقية مع غاست. **15 يونيو ـ 2 يوليو**: يزور أوفربيك في بازل ويقع طريح الفراش. **12 ـ 15 يوليو**: في زيورخ، يزور ميتا فون ساليس وريزا فون شيرنهوفر. **16 يوليو ـ حوالي 25 سبتمبر**: في سيلس ماريا. محادثات مع الآنسة منصورروف، التي كانت من تلامذة شوبان. **26 ـ 28 أغسطس**: زيارة من هاينريش فون شتاين. **أكتوبر**: في زيورخ مع إليزابيث (يتصالحان مجدداً). يلتقي بغوتفريد كيلر. يرتب فريدريك هيغار عرضاً خاصاً محدداً لمقدمة أوبرا غاست **أسد البندقية**. **نوفمبر**: في منتون، يكتب القسم الرابع من **زرادشت**. **بداية ديسمبر**: يصل إلى نيس. رسالة إلى كارل فوكس عن تريستان، وإيقاعات *الانحطاط*.

1885

طباعة خاصة للقسم الرابع من **زرادشت**. «موسيقى ر. فاغنر... كم أستبشع هذه الموسيقى الغائمة، الدبقة، وفوق ذلك المتوترة والمتعاظمة. إنها بشعة مثل... فلسفة شوبنهاور مثلاً». **القراءة: الاعترافات** للقديس أوغسطين. يفكر في قضاء الصيف في دير روماني. **10 أبريل ـ 6 يونيو**: في البندقية مع غاست. **22 مايو**: زواج إليزابيث وبرنهارد فورستر. **7 يونيو ـ أواسط سبتمبر**: في سيلس ماريا. **الكتابة: ما وراء الخير والشر. أواسط سبتمبر**: في ناومبورغ، مع بعض الوقفات القصيرة في لايبزغ (حتى نهاية نوفمبر). نشر كتاب **تشكل الوعي** لري وفي **الكفاح لأجل الله** للو. **بداية**

نوفمبر: يزور راينهارت وآيرين فون سايدلتز في ميونخ. **أواسط نوفمبر**: إلى نيس. نزهة في يوم عيد ميلاد إلى رأس سانت جان.

1886

الكتابة: ما وراء الخير والشر، إضافة لمقدِّمات طبعات جديدة من كتب سابقة (تنشر بين 1886 ـ 87). تغادر أخته وزوجها إلى البارغواي. **مايو**: أسبوع بمفرده في البندقية، ثم إقامة قصيرة في ميونخ. **أواسط مايو ـ 27 يونيو**: في ناومبورغ ولايبزغ. تقرأ له أمه رواية كيلر **قصيدة الشاهد**. آخر لقاء مع روده في لايبزغ. كما يلتقي مع غاست هناك ويستمع لسُباعيته. **أواخر يونيو**: في بلدة كور. **يوليو ـ 25 سبتمبر**: في سيلس ماريا. طباعة **ما وراء الخير والشر**. صحبة آل فين، هيلين تسيمرن، والآنسة منصوروف. **سبتمبر**: مراجعة تقريظية **لما وراء الخير والشر** بقلم ي. ف. فيدمان. **أكتوبر**: رسالة من تاين. السفر إلى جنوا وروتا. **22 أكتوبر**: في نيس. عمل هائل بغرض تنظيم فلسفته.

1887

يناير: يستمع في مونتي كارلو لافتتاحية **برسيفال** ويعجب بها بعمق. يقرأ إبكتيتوس بوصفه فيلسوفاً زائفاً بدائياً («خوري قرية») للمسيحية: «وذلك كله ذنب أفلاطون! سيظل أعظم خيبة لأوروبا!» **القراءة**: دستويفسكي (**رسائل من تحت الأرض**)؛ وكذلك **أصول المسيحية** لرينان **والثورة الفرنسية** لبسيبيلون. «ألمانيا المعاصرة... تمثل أغبى، أخرب، وأفشل شكل من *الروح* وجد على الإطلاق». **23 ـ 24 فبراير**: هزة أرضية في نيس. مايو: لو سالومي تعلن خطوبتها من فريدريك كارل أندرياس. **أبريل ـ يونيو**:

رحلات إلى كانوبيو، زيورخ، آمدن، كور، ولينزرهايده. **12 يونيو ـ 19 سبتمبر**: في سيلس ماريا. صحة سيئة للغاية واكتئاب: «آثار كتلك الناجمة عن مرض نفسي حاد». **7 يوليو**: يكتب إلى هيبوليت تاين. **10 ـ 30 يوليو**: يكتب في **جينالوجيا الأخلاق** (ويُنشر في سبتمبر؟). وفاة هاينريش فون شتاين. تقضي ميتا فون ساليس وصديقها الآنسة كيم عدة أسابيع في سيلس ماريا. **سبتمبر**: زيارة من دويسن وزوجته. **20 سبتمبر**: يزور آلٍ فين في ميناجيو، الواقعة على لاغو دي كومو.

22 أكتوبر: في نيس. تطبع توزيعة غاست للأوركسترا «لأنشودة الحياة» خاصته. يثار اهتمامه في الموسيقى الإيطالية والفرنسية من القرن الثامن عشر (غلوك، بيتشيني)؛ يقرأ للأب غالياني؛ وكذلك مجلة الأخوين جونكور (المجلد 2). **26 ديسمبر**: رسالة من غيورغ براندس. تجدد الصداقة مع غيرسدورف (حيث ظلت المراسلة متقطعة منذ 1877). آخر رسالة (تتعلق بتاين) إلى روده. ترسل أمه موقدا نطرونيا ـ كربونيا بلا دخان. رسالة إلى غاست حول المفاضلة بين روسو وفولتير.

1888

رسالة إلى سايدلتز: «أنا الآن وحيد... في... صراعي الخفي الحثيث ضد كل شيء قدسه وأحبه البشر حتى الآن». اكتشاف بودلير وفاغنر كأرواح متآلفة. **الكتابة**: **قضية فاغنر** (نشرت في أكتوبر). يغادر نيس في 2 أبريل ويسافر عبر جنوا إلى تورين.

5 أبريل ـ 5 يونيو: أول فترة في تورين. يسمع عن محاضرات براندس حوله في كوبنهاغن. يقبل غاست تعييناً كمعلم موسيقى في منزل فون كراوزه في برلين. مايو: يقرأ الترجمة الفرنسية **لقوانين مانو الهندية**. **6**

يونيو ـ **20 سبتمبر**: في سيلس ماريا. صحته سيئة للغاية. يقرأ ستندال مجدداً. يرسل دويسن هدية دون اسم قدرها 2,000 مارك كي يساعده في نفقات الطباعة؛ وتمنحه ميتا فون ساليس 1,000 فرانك لنفس الغرض. زيارة من دويسن ص. **الكتابة: شفق الأوثان** (نُشر في يناير 1889). محادثات مع كارل فون هولتن حول فاغنر وريسمان. رسائل إلى فوكس حول العروض الكلاسيكي و«البربري». **21 سبتمبر**: يعود إلى تورين. **الكتابة: نقيض المسيح** ـ «الكتاب الأول في قلب كل القيم». **أكتوبر**: يكتب **هذا هو الإنسان**. «إني الآن أشد البشر امتناناً في العالم... فهذا هو وقت حصادي العظيم». عودة مفاجئة للصحة البدنية. **نوفمبر**: شقاق مع مالفيدا فون مايزنبوغ حول فاغنر. **الكتابة: نيتشه ضد فاغنر**. يفكّر في قضاء الشتاء في باستيا الواقعة على كورسيكا. مراجعات تقريظية **لقضية فاغنر** بقلم غاست وكارل شبيتيلر. **القراءة: المتزوجون والأب** لستريندبرغ. حضور متكرّر في الحفلات. **نهاية نوفمبر ـ 7 ديسمبر**: أول تبادل للرسائل مع ستريندبرغ ـ مسألة العبقرية المجرَمة (برادو، شامبيج).

يفشل في العثور على مترجم فرنسي لكتاب **هذا هو الإنسان** (الذي أرسل أخيرا للمطبعة يوم 8 ديسمبر). «أحياناً لا أجد هذه الأيام أي سبب لتعجيلي بالكارثة المأساوية التي هي حياتي، التي تبدأ مع هذا هو الإنسان... لم أكتب أبداً أي جملة لم أكن حاضراً بكلي فيها»؛ «حيث أن الإله القديم قد تنازل، فسأحكم العالم من الآن فصاعدا». «أعامل هنا كأمير صغير... فبائعتي... لن ترتاح حتى تعثر لي على أشد أعنابها حلاوة». **يصحح** التجارب الطباعية **لنقيض المسيح**. **31 ديسمبر**: بداية الانهيار. رسائل إلى أمبرتو ملك إيطاليا، أسرة هوهنزولرن، وسكرتارية الدولة بالفاتيكان.

1889

3 يناير: الانهيار في ساحة كارلو ألبرتو. **4 يناير**: آخر بطاقات بريدية إلى غاست، براندس، أوفربيك، بوركهارت، وكوزيما فاغنر. **5 يناير**: يكتب آخر رسالة إلى بوركهارت. **8 يناير**: يصل أوربيك إلى تورين. **9 ـ 10 يناير**: يعيد أوفربيك وميشر نيتشه إلى بازل ويأخذانه إلى المصحة النفسية. **13 يناير**: تصل أم نيتشه إلى بازل. **17 يناير**: يسافر نيتشه مع أمّه من بازل إلى مصحة يينا النفسية.

91. إلى فرانز أوفربيك

[تلقاها في 11 فبراير 1883، من رايالو]

لقد تلقيت المال، وفكرت مجدداً في المتاعب المزعجة التي سببتها لك طوال هذه السنين[1] ولعل الأمر لن يطول بعد الآن.

لا أخفيك سراً أني في حال سيئة. فالليل يلفني مجدداً؛ وأشعر بأن البرق قد ومض وخبا، فقد كنت لوقت قصير بكامل جوهري ونوري. لكن الأوان قد فات. أظن أني سأتفتت حتماً إلى قطع، ما لم يحدث شيء ما ـ لا أملك أي فكرة عن كنهه. لعل أحدهم سيسحبني بعيداً عن أوربا؛ فأنا، بنمط تفكيري المادي، أرى نفسي اليوم ضحية اضطراب جغرافي ومناخي، تتعرض له أوربا الآن. كيف أطيق أن أملك عضو حس جديداً، ومصدراً جديدا رهيباً للمعاناة! حتى التفكير بهذا النحو يأتيني بالراحة، فهو يجنبني اتهام الناس بتسببهم في بؤسي. رغم أني *أستطيع* فعل ذلك! وفي أحيان كثيرة *أفعله* حقا. كل ما أشرت لك إليه في رسائلي فإني فعلته عَرَضاً؛ إذ عليّ أن أتحمل هذا العبء *المضاعف* من الذكريات المعذِّبة الرهيبة.

لم أستطع، ولو للحظة، أن أنسى مثلا أن أمي قد وصفتني بالعار لوالدي الراحل[2].

(1) كان أوفربيك هو من يرسل لنيتشه دفعات من تقاعده السنوي من جامعة بازل.
(2) كان ذلك سيجرح نيتشه، في سعيه شبه الدائم «للبحث عن الأب»، في أشد نقاط ضعفه.

لن أخبرك عن سائر الأمثلة، لكن فوهة المسدس باتت عندي مصدراً لأفكار طيبة نسبياً.

لقد تحطمت حياتي بأسرها أمام ناظريّ: هذه الحياة الغريبة، السرية المنعزلة عمدا، التي تخطو خطوة كل ستة أعوام، ولا تريد فعلًا سوى خطو تلك الخطوة[1]، أما كل ما عدا ذلك، وكل علاقاتي الإنسانية، فكانت تحدث مع قناع لي، وعليّ أن أكون أبداً ضحية لعيش حياة خفية بالكامل. لا بد أني تعرضت لأقسى المصادفات أو أني أنا من حول كل تلك المصادفات إلى قسوة.

هذا الكتاب، الذي كتبت لك عنه، عصارة الأيام العشر، يبدو لي أشبه بآخر عهد ووصية[2]، فهو يحتوي صورة لي بأدق تركيز، كما أنا حقاً، *ما أن ألقي* عني عبئي بأسره. إنه شعر، وليس تجميعاً من الشذرات.

إني خائف من روما[3]، ولا يمكنني أن أقرر. من يعرف أي عذاب سينتظرني هنا! ولهذا فقد عزمت على أن أكون أنا ناسخي الخاص.

(1) كانت الأطوار ذات الست سنين (إجمالا) هي: 1864 ـ 1869 (سنوات الدراسة في بون ولايبزغ)؛ 1869 ـ 1876 (الأستاذية في بازل، فاغنر، والقطيعة مع فاغنر)؛ 1876 ـ 1887 («الروح الحرة»؛ لو سالومي)؛ وتليها 1883 ـ 1889 من زرادشت حتى الانهيار. وهذه الرسالة، في مصادفة غريبة، كتبت قبل حوالي أربعة أيام من وفاة فاغنر في 13 فبراير في البندقية.

(2) هكذا تكلم زرادشت، الكتاب الأول (تعود المسودات الأولى إلى أغسطس 1881، في سيلس ماريا).

(3) في رسالة إلى أوفربيك مؤرخة في فبراير 12، كتب نيتشه أنه يتوقع وصول أخته إلى روما، ربما إلى منزل مالفيدا فون مايزنبوغ. وقد كان شخصيا في روما بين 4 مايو و16 يونيو. وخلال ذلك الوقت ألف القسم الثاني من زرادشت؛ وهناك رأبت أخته الصدع فيما بينهما إلى أن حدثت مشكلة جديدة في علاقتهما في أواخر صيف 1883.

ما عساني أن أفعل تحت هذه السماء ومع هذا الجو المتقلب! واهاً لهذا الخوف! وفي نفس الوقت فإني أعرف، نسبياً، «أن الوضع أفضل» عند البحر!

مع أدفأ الامتنان، متمنياً لك ولزوجتك الغالية كل الخير.

ف. ن.

92. إلى بيتر غاست

رابالو، 19 فبراير 1883

صديقي العزيز:

كل رسالة من رسائلك الأخيرة كانت أشبه ببركة لي، وأشكرك لذلك من كل قلبي.

كان هذا الشتاء الأسوأ في حياتي؛ وأعد نفسي ضحية اضطراب في الطبيعة. إن أوروبا القديمة من أيام الطوفان العظيم تكاد تقتلني؛ لكن أحداً ربما يأتي لإنقاذي ويجرني إلى هضاب المكسيك. لكني لوحدي لن أستطيع القيام برحلات كهذه: فعيناي وأمور أخرى تمنعني من ذلك.

إن العبء الهائل الذي يقع عليّ نتيجة للطقس (حتى جبل إتنا قد بدأ بالانفجار) قد استحال إلى أفكار ومشاعر كان ضغطها عليّ رهيباً؛ ومن الإلقاء المفاجئ لهذا العبء، نتيجة لعشرة أيام صحوة ونقية كلياً في يناير، ظهر زرادشتي للوجود، وهو الأشد تحررًا بين كل نتاجاتي. توبنر يطبعه الآن؛ وقد جهزت المبيضة بنفسي. وبالمناسبة، يذكر شمايتسنر أن كل كتاباتي خلال العام الماضي قد حققت مبيعات أفضل، وتصل مسامعي تعابير شتى تشير إلى تزايد الاهتمام. حتى إن أحد أعضاء الرايخستاغ

ومؤيدي بسمارك (دلبروك) يقال إنه عبر عن سخطه لأني لا أعيش في برلين بل في سانتا مارغريتا[1]!

اعذر هذا اللغط، فأنت تعرف أن أمورًا أخرى تشغل الآن عقلي وقلبي. لقد كنت مريضاً بعنف لعدة أيام، وكان صاحب المنزل وزوجته قلقين بشدة. أما الآن فأنا معافى مجدداً، وأظن حتى أن وفاة فاغنر قد جلبت لي أعظم ارتياح ممكن[2]. لقد كان صعباً أن أظل لستة أعوام خصماً لرجل أعجب به المرء فوق من سواه، ولم تكن بنيتي خشنة بما يكفي لذلك. وفي النهاية، فإن فاغنر القديم هو من احتججت ضده للدفاع عن نفسي؛ أما فاغنر الحقيقي، فسأكون بنحو منصف خليفة له (كما كنت كثيراً ما أقول لمالفيدا). في الصيف الماضي شعرت بأنه سلب مني كل شخص في ألمانيا يستحق التأثير فيه، وأنه قد بدأ بجرهم إلى الشرور المتخبط والمنحل لشيخوخته.

وبنحو طبيعي، فقد كتبت إلى كوزيما.

أما عن ملاحظاتك حول لو، فقد أضحكتني حقاً. أتظن إذن أن ذوقي

---

(1)كان هانز دلبروك Hans Delbrück (1848 - 1929) خليفة تريتشكه على كرسي التاريخ في برلين. وقد بدأ محافظا متشدّدا («مع الإمبراطور، ضد البابا، ضد الفيدرالية، ضد البرلمانية، وضد الرأسمالية»، لكنه أصبح بعد مطلع القرن أكثر ليبرالية في توجهه، وكان خلال حياته النشطة ناقدا حادا للممارسات غير الأخلاقية في السياسة، خاصة ما يتعلق بالسياسة تجاه الأقليات (كالبولنديين).

(2)توفي فاغنر في البندقية يوم 13 فبراير. وكان من بين عذابات نيتشه خلال الشتاء (و «الذكريات المعذِّبة» [في الصيف]؛ رقم 110) خشيته من سخرية حلقة فاغنر بعد مرحلة لو. ولعل مؤامرات أخته قد جعلته يشك في أنه قد أخطأ في ظنه بلو، وأن أفكاره الأشد سرية، التي أفصح عنها لها في تاوتنبورغ، ربما أساءت هي تفسيرها ونشرتها كثرثرة هازئة في كل عواصم أوربا ـ قارن خشيته على «سمعته» في رقم 109.

في هذا يختلف عن ذوقك؟ كلا، بالطبع لا! ولكن في هذه الحالة، فالأمر ليست له أدنى علاقة «بالفاتن أو غير الفاتن»؛ فالمسألة كانت إن كان يجب لإنسان ذي مكانة فعلية أن يهلك أو لا.

أيمكنني إرسال تجارب الطبع إليك مجدداً، يا صديقي القديم المعين؟

شكراً جزيلا على كل شيء.

ف. ن.

93. إلى فرانز أوفربيك

[ختمت في رابالو، 22 فبراير 1883]

صديقي العزيز:

الأوضاع سيئة جداً بالفعل. فقد عادت صحتي إلى حالها قبل ثلاثة أعوام. كل شيء خرب، وخاصة معدتي لدرجة أنها ترفض المسكنات، ونتيجة لذلك فقد قضيت ليالي مؤرقة ومعذبة للغاية، ونتيجة لاحقة لذلك، أصابتني عصبية عميقة. آه، لقد جهزتني الطبيعة بشكل رائع جدا لكي أصبح معذباً لذاتي! من الخارج يبدو الأمر وكأني أحيا حياة معقولة للغاية. لكن خيالي (وكل شيء من جنسه) في العقل أقوى من فكري.

أما عن روما، فقد كتبت لهم بالأمس؛ ولا أرغب في الحديث لأي أحد الآن. كما أني سمعت خلسة أنه يتوقّع وصول أختي إلى روما، وأنها ستذهب إلى هناك عبر البندقية.

سأنتقل يوم السبت إلى جنوا؛ وعنواني من ثم هو (*رجاءً لا تعطه لأي أحد*): جنوا (إيطاليا) ساليتا ديلي باتسيستني 8 (داخل رقم 6).

أرغب في أن تعود صحتي بنفس النحو السابق، في عزلة تامة. وكان خطئي في العام الماضي هو التخلي عن العزلة. فعبر التواصل المستمر مع صور وعمليات فكرية أصبحت حساساً لدرجة أن التواصل مع أناس

من العصر الحاضر يجعلني أعاني وأتنازل عن الكثير جداً؛ وفي النهاية سيجعلني ذلك قاسيا وغير منصب، باختصار، فهو لا يناسبني.

لقد كان فاغنر *أكمل* إنسان عرفته حتى الآن، وفي هذا الصدد، فقد كان علي التنازل عن الكثير لمدة ستة أعوام. ولكن شيئاً ما يقارب الإساءة القاتلة حدث بيننا؛ وربما كان سيحدث شيء رهيب لو عاش لمدة أطول.

لو هي *أفطن* إنسان عرفته على الإطلاق. ولكن هلم جرا وهلم جرا.

كتابي **زرادشت** في طريقه للطبع الآن.

لقد كتبت لكوزيما بأسرع ما أمكنني، وهذا يعني: بعد بعض من أسوأ الأيام التي قضيتها أبداً في الفراش.

كلا! *هذه* الحياة! أنا داعية الحياة!

لا شيء يساعد؛ لا بد أن أساعد نفسي، وإلا فأنا منته.

كيف صحتك وكيف زوجتك الطيبة؟

صديقك ف. ن.

94. إلى فرانز أوفربيك

[تلقاها في 24 مارس 1883، من جنوا]

صديقي العزيز:

أشعر كأنك لم تكتب لي لوقت طويل. ولكن لعلي مخطئ؛ فالأيام طويلة جداً لدرجة أني لم أعد أعرف ما أفعله باليوم، لا «اهتمامات» لدي على الإطلاق. ففي أعماقي سوداوية قاتمة بلا حراك. وإرهاق. في الفراش معظم الوقت، هذا أفضل شيء لصحتي. لقد أصبحت نحيلاً للغاية ـ بنحو أدهش الناس؛ وحيث أني وجدت الآن تراتوريا جيدة، فسأغذي نفسي مجدداً. لكن الأمر الأسوأ هو: لم أعد أرى لماذا يجب أن أعيش لستة أشهر أخرى، كل شيء ممل، مؤلم، مقرف [بالفرنسية]. إني أتحمل وأعاني الكثير، وعلي أن أفهم، بنحوٍ يتجاوز كل فهم، حجم النقص، والأخطاء، والكوارث الحقيقية في حياتي الفكرية السابقة بأكملها. لقد فات الأوان على إصلاح الأمور الآن؛ ولن أستطيع أبداً فعل أي شيء صحيح أبداً. فما الهدف من فعل أي شيء؟

وهذا يذكرني بحماقتي الأخيرة، وأعني زرادشت[1] (أتستطيع قراءة خطي؟ إني أكتب كالخنزير). كل بضعة أيام أتجاهله؛ لكن الفضول يدفعني

(1) كان يقصد القسم الأول من هكذا تكلم زرادشت.

لمعرفة إن كانت له أي قيمة؛ ففي هذا الشتاء كنت عاجزاً عن إصدار أي حكم، وقد أكون مخطئاً بشكل حاد بأي من الحالين. وبالصدفة، فإني لم أر أو أسمع شيئاً عنه: لقد كانت السرعة القصوى شرطي الوحيد للطباعة. ولم يوقفني شيء سوى إرهاقي العام، يوماً بعد يوم، من إرسال برقية لإلغاء الطباعة كلياً؛ لقد كنت أنتظر أكثر من أربعة أسابيع كي تصل التجارب الطباعية ـ من الصلف معاملتي بهذا النحو. ولكن من ذا ظل مؤدباً معي؟ ولذا تركته يمر.

لقد تمطى الشتاء هذا العام لشهر أو اثنين إضافيين. وإلا فإني سأتمكن من التفكير في الذهاب قريباً إلى الجبال وتجربة هواء الجبال. ليست جنوا بالمكان الطيب لي؛ هذا ما يقوله د. برايتينغ.

لم أخرج ولو لنزهة واحدة. وأنا أتعرق في الليل. نوبات الصداع اليومية أقل حدة، لكنها ما زالت تأتي بشكل منتظم.

لقد زرت آل ليبرمايستر مؤخراً في أوتيل دو جين؛ وهما في سانتا مارغريتا الآن[1].

آمل أنك وزوجتك العزيزة سعيدان؛ وحياتك بالتأكيد ليست فشلاً ـ فأنا أفكر فيها بسعادة.

صديقك ف. ن.

(1) كان كارل ليبرمايستر بروفسورا في الكلية الطبية بجامعة بازل.

95. إلى مالفيدا فون مايزنبوغ

[جنوا، نهاية مارس 1883]

في هذا الوقت اتخذت خطوتي الحاسمة كل شيء في مكانه. ولكي أعطيك فكرة عما يدور الأمر حوله، أرفق رسالة من «قارئي» الأول ـ صديقي البندقيّ الممتاز ـ الذي يعمل مجدداً كمعاون لي في الطباعة(1).

سأغادر جنوا في أقرب وقت ممكن وأذهب إلى الجبال لا أرغب هذا العام في التحدث لأي شخص.

أتريدين معرفة اسم جديد لي؟ يوجد في لغة الكنيسة، فأنا... نقيض المسيح.

علينا ألا ننسى كيف نضحك!

بكل إخلاص، محبك ف. نيتشه

جنوا، ساليتا ديلي باتسيستني 8، داخل رقم 4.

---

(1) لا بد أن تكون الرسالة المرفقة من بيتر غاست، الذي كان يعيش في البندقية. وتاريخ «نهاية مارس» لهذه الرسالة إلى مالفيدا ليس بالدقيق، لو كانت رسالة غاست المقصودة هي الواردة بتاريخ 2. أبريل، التي كتبها غاست معلما بوصول التجارب الطباعية للقسم الأول من زرادشت. ففي هذه الرسالة، كتب غاست باستفاضة حول عمل نيتشه الجديد بوصفه عملا يجب أن يتجاوز رواجه رواج الكتاب المقدس. «لا شيء يشبهه، لأن الأهداف التي دللت عليها لم تقدم، ولا يمكن أن تقدم، للبشرية قبل الآن».

96. إلى بيتر غاست

جنوا، 6 أبريل 1883

صديقي العزيز:

ما أن قرأت رسالتك حتى اعترتني رعشة. فلو كنت محقاً، ألن تكون حياتي مجرد خطأ؟ وخاصة الآن بالتحديد، حين بت أفكر في الأمر أكثر من ذي قبل؟

من جهة أخرى، فقد منحتني رسالتك شعورا بأني لن أعيش طويلا وسيكون ذلك صحيحا وعادلا. لن تصدق، يا صديقي العزيز، فيض المعاناة الذي صبته علي الحياة، في كل الأوقات، منذ الطفولة المبكرة فصاعدا. لكني جندي ـ وهذا الجندي، في النهاية، أصبح أبا لزرادشت! كانت هذه الأبوة أمله؛ وأظنك الآن تفهم معنى البيت الذي يخاطب يناير المقدس: «أنت يا من بِرُمحٍ من اللهب تذيب جليد روحي، حتى تنساب هادرة إلى بحر رجائها الأسمى»[1].

وكذلك معنى عنوان «مستهلّ التراجيديا».

يكفي ذلك. ربما لم أعرف في حياتي بهجة أكبر من تلك التي أتتني بها رسالتك.

---

(1)هذه هي الأشطار الأربعة الأولى من أصل ثمانية التي تتصدر مقطع «يناير المقدس» (الكتاب الرابع) من العلم المرح (يعود هذا المقطع إلى يناير 1882، وقد اعتبره نيتشه علامة فارقة، بوصفه تسجيلا «لعبور خط مداري»؛ قارن رقم 104 وكذلك رقم 101).

أما الآن فأسد لي بعض النصح. فأوفربيك قلق عليّ (وعليك أن تثق به أيضاً فيما يخص زرادشت)، وقد اقترح مؤخراً أن عليَّ العودة إلى بازل، ليس إلى الجامعة ولكن ربما كمدرس في المعهد مجدداً (يقترح أن أكون «مدرّساً للألمانية»). وذلك يفصح عن مشاعر طيبة ونبيلة من جانبه ويكاد ذلك يغريني؛ ولكن حججي ضده تتعلق بالطقس والرياح وما شاكل.

يقول أوفربيك أنه ستكون هناك «فرص متاحة» لو وافقت؛ فالناس يذكرونني بكل خير، وأنا بصدق لم أكن أسوأ المدرسين. ولكن ينبغي أن تؤخذ بالاعتبار حالة عينيّ وعدم تحملي لفترات طويلة من الكد العقلي، وكذلك القرب من ياكوب بوركهارت، الذي أشعر حقاً وأنا برفقته بالسعادة والراحة. أروم هذا الصيف أن أكتب بضع مقدمات لطبعات جديدة من كتاباتي السابقة: ليس لأن هناك من يعد بطبعات جديدة، ولكن ببساطة كي أنجز في الوقت المناسب ما يجب إنجازه. وأود جدا أن أصقل وأوضح أسلوب كتاباتي القديمة؛ لكن ذلك لا يمكن فعله إلا ضمن حدود معينة.

إلام وصلت رقصة الرعاة الأبوليين؟

يثير مقتي التفكير بأن زرادشت سيظهر إلى العالم كقطعة من التسلية الأدبية؛ فمن ذا يملك الجدية الكافية له! لو كانت لدي سلطة «فاغنر المتأخر»، لكانت الأمور أفضل. ولكن لا شيء يمكن أن ينقذني من أن ألقى بين كتاب الأدب الرفيع. اللعنة!

المخلص والممتن،

صديقك نيتشه.

97. إلى كارل فون غيرسدورف

سيلس ماريا [28 يونيو 1883][1]

صديقي العزيز القديم غيرسدورف:

عرفت مؤخراً أنك أصبت بفاجعة كبرى هي فقدان والدتك. وحين سمعت بذلك، أسعدتني حقا معرفة أنك لم تكن لوحدك في الحياة، وتذكرت الكلمات الدافئة والممتنة التي وصفت بها زوجتك حين كتبت إلي آخر مرة. لقد عانينا الكثير خلال شبيبتنا، أنا وأنت ـ ولو لأسباب مختلفة؛ وسيكون جميل ومنصفا لو أننا، في سنوات رجولتنا، صادفنا بعض العطف والراحة والتجارب السعيدة.

أما أنا، فقد تركت ورائي فترة طويلة صعبة من النسك الفكري، تبنيتها بنفسي إرادياً ولم تكن ما توقعه أي أحد من نفسه. وقد كانت الأعوام الستة الماضية في هذا الصدد سنوات فتوحاتي الذاتية الأكبر ـ تاركاً من هذه القصة ارتقائي على أمور كالصحة، العزلة، عدم الفهم، والبغضاء. يكفي. لقد ارتقيت أيضاً على هذه المرحلة من حياتي وعليّ أن أخصص ما تبقى من الحياة (وهو قليل كما أظن) لتعبير كامل وواسع عما عانيت لأجله في

---

(1) وصل نيتشه إلى سيلس ماريا يوم 24 يونيو. وكان قبلها في روما منذ 4 مايو وحتى 16 يونيو؛ حيث حصل وفاق (ندم عليه جدا فيما بعد) بينه وبين أخته؛ وقد سافرا معا نحو الشمال حتى وصلا إلى كومو.

الحياة أصلاً. لقد فات أوان الصمت ـ وسيظهر لك كتابي زرادشت، الذي سيرسل إليك خلال الأسابيع القليلة القادمة، كيف حلقت إرادتي عالياً[1]. لا يخدعنك الجو الأسطوري لهذا الكتاب الصغير: فوراء كل الكلمات البسيطة والغريبة تقف جديتي الأعمق وفلسفتي بأسرها. هذا الكتاب بداية إفصاحي عن نفسي ليس أكثر! وأنا أعرف جيداً أنه لا يوجد شخص حي قد يقوم بأي شيء على نهج زرادشت.

صديقي العزيز القديم، عدت مجدداً إلى إنغادن العليا، للمرة الثالثة، وأشعر مجددًا بأني هنا لا في أي مكان آخر أجد موطني الحق وأرض تناسلي. آه، كم من الأشياء الخفية فيّ تنتظر أن يعبر عنها بكلمات وأشكال! لا حد للهدوء، والارتفاع، والعزلة التي أحتاجها حولي كي أستمع لأصواتي الداخلية.

أود أن أملك ما يكفي من المال لبناء كوخ مثالي لكلب من حولي، أعني بيتاً خشبياً من غرفتين، يقع على شبه جزيرة تهبط إلى بحيرة سيلس، وكان عليها فيما مضى حصن روماني؛ فأنا لا أستطيع على المدى البعيد أن أستمر بالعيش في بيوت الفلاحين هذه، كما فعلت حتى الآن؛ فالغرف واطئة ومكتظة جداً، وهناك دوماً بعض الاضطراب هنا أو هناك. ينظر إليّ أهل

(1) لقد أجل نشر القسم الأول من زرادشت، بنحو أثار انزعاج نيتشه جدا، بسبب طباعة 500,000 كتاب ترانيم. وقد أرسل نسخا مبكرة، في طيها رسائل، في مايو ويونيو إلى كارل هيلبراند، ياكوب بوركهارت، وغوتفريد كيلر. وقد أجلت طباعة القسم الثاني من زرادشت في أغسطس وسبتمبر حين كان شمايتسنر مسافرا في شؤون تتعلق بنقد اليهود. وفي 10 يوليو كتب نيتشه لشقيقته رسالة غاضبة جدا، يهدد فيها بالقطيعة مع شمايتسنر ما لم تدفعه للبدء في صف حروف الكتاب فورا. وكانت إليزابيث تميل لجانب شمايتسنر، فقد كان برنهارد فورستر، زوجها المستقبلي، أحد نقاد اليهود الذين كان ينشر لهم شمايتسنر. وعادت العلاقات بين نيتشه وشمايتسنر لنفس درجة السوء عام 1885.

سيلس ماريا بلطف شديد، وأنا أحبهم. أتناول طعامي في أوتيل إيدلفايس، وهو مطعم ممتاز جداً، أجلس فيه وحيداً بالطبع، وبثمن لا يتضارب جداً مع ميزانيتي الضئيلة. لقد أتيت معي بسلة ضخمة من الكتب، ستكفيني خلال الأشهر الثلاثة القادمة. ففيها تحيا ملهماتي: وفي «الجوال وظله» كنت أقول فعلاً أن هذه المنطقة «قريبة لي بالدم وحتى أكثر من ذلك».

حسناً، ها قد أخبرتك بشيء عن صديقك القديم، الناسك نيتشه ـ وقد دفعني حلم رأيته الليلة الماضية لفعل ذلك.

كن لطيفاً ووفياً معي! ـ فنحن رفاق قدماء ونشترك في الكثير!

المخلص فريدريك نيتشه

98. إلى فرانز أوفربيك

[صيف 1883، من سيلس ماريا]

صديقي العزيز أوفربيك:

أود أن أكتب إليك بضع كلمات صريحة، تماما كما فعلت مؤخراً لزوجتك الغالية. إن لدي هدفاً هو ما يدفعني للاستمرار بالحياة، ولأجله عليّ أن أتحمل حتى أشد الأمور إيلاما[1]. ومن دون هذا الهدف كنت سآخذ الأمور بنحو أشد خفة؛ أي أني سأكف عن العيش. إن أي شخص يرى ويفهم ظروفي عن كثب، ليس خلال الشتاء الماضي فحسب، كان يملك الحق في أن يقول: «سهّل الأمر على نفسك! مُتْ!»؛ ففي الأوقات السابقة أيضاً، في سنيّ العذاب والمعاناة البدنية، كان الحال كما هو عندي. وحتى سنواتي في جنوا كانت سلسلة طويلة جداً من الفتوحات الذاتية لأجل ذلك الهدف، وليس لإرضاء ذوق أي إنسان أعرفه (أما بخصوص عذاباتي الجسدية، ومدتها، وشدتها، وتنوعها، فيمكنني أن أعد نفسي بين أشد الناس خبرة وحنكة؛ أهو نصيبي أن أكون خبيراً محنكاً بنفس القدر في عذابات الروح؟). وبنحو متسق مع نمط تفكيري وفلسفتي الأحدث، فلا بد لي من أن أنال نصراً مطلقاً، أي تحويل الخبرة إلى ذهب واستخدامها بأفضل شكل.

(1) يبدو أن هذه الرسالة إلى أوفربيك على صلة بتجدد العداء بين نيتشه وأخته، الذي أثاره تشنيعها المستمر على لو. راجع رقم 118 أيضا.

وفي هذه الأثناء فإني ما زلت حلبة مصارعة متجسدة، ولذا فإن الطلبات الأخيرة لزوجتك العزيزة جعلتني أشعر وكأن شخصا يطالب لاكوئون العجوز بأن يُقدم على هزيمة ثعابينه[1].

إني وأقاربي قوم مختلفون جداً. ولم يعد بوسعي الحفاظ على الامتناع الذي التزمته عن تلقي أي رسائل منهم منذ الشتاء الماضي (فلست بتلك الصلابة). ولكن كل كلمة حاقدة تكتب ضد ريه أو الآنسة سالومي تجعل قلبي يقطر دماً؛ ويبدو أني لم أخلق لأكون عدواً لأي شخص (في حين كتبت أختي مؤخراً أني يجب أن أكون بمعنويات جيدة، وأن هذه كانت «حربا خفيفة وسعيدة»).

لقد استخدمت أقسى الوسائل التي أعرف لإبعاد عقلي عن الأمر، وبالخصوص فقد صممت على أشد وأصعب مستوى من الإنتاجية الشخصية. (وفي تلك الأثناء، فقد انتهيت من مسودة «أخلاق للأخلاقيين»). آه يا صديقي، إني بلا شك أخلاقي قديم يجيد التصرف والتحكم بالذات. ولم يفتني إلا القليل في هذا الصدد، كما فعلت في الشتاء الماضي حين كنت أعالج الحمّى العصبية التي أصابتني. لكني لا أملك أي دعم من الخارج؛ بل على العكس، يبدو كل شيء متآمراً كي يبقيني سجيناً في هوّتي الجو المريع للشتاء الماضي، الذي لم يشهد ساحل جنوا شيئاً مثله أبداً، وكذلك هذا الصيف البارد الممطر الكئيب.

لكن الخطر شديد. فطبيعتي مفرطة التركيز، وكل ما يضربني ينفذ حالاً إلى قلبي. وما خيبة العام الماضي بأعظم قدراً من الهدف والقصد الذي

(1)«لاكوئون» كاهن أسطوري من طروادة، عاقبته الآلهة على جريمة ما بإرسال ثعابين تطوّقه وتلدغه حتى الموت. (المترجم)

يهيمن عليّ؛ فقد كنت، وأصبحت كذلك، شديد الشك في أن لي حقا في تحديد هدف كهذا لنفسي، حيث استولى عليّ حسي بالضعف في اللحظة ذاتها التي كان يجب على كل شيء، كل شيء أن يمنحني الشجاعة!

فكرَ في نحو ما، يا صديقي العزيز أوفربيك، يمكنه أن يأخذ بعقلي بعيداً عن الأمر كلياً! أظن أن الطرق الأقوى والأقسى هي المطلوبة لا يمكنك تخيل كيف يعصف فيّ هذا الجنون، ليلاً ونهاراً.

كان يجدر بي أن أفكر وأكتب أبهج وأهدأ الأمور في هذا العام، مرتقياً عدة أميال فوق نفسي وبؤسي، وهذا من أشد الأمور التي أعرفها حيرة واستعصاء.

وبالقدر الذي يمكنني تخمينه، فعليّ أن أظل حياً خلال العام القادم ساعدني على التمسك لخمسة عشر شهراً آخر.

إن أمكنتك رؤية أي طريقة لتحقيق فكرتك عن لقائنا في شولس، فأخبرني رجاءً ـ وأنا شديد الامتنان بأي حال لاقتراحك ذلك[1].

المخلص لك، نيتشه

(1) وقد التقيا حقا في شهر أغسطس.

99. إلى مالفيدا فون مايزنبوغ

سيلس ماريا، إنغادن، سويسرا، نهاية أغسطس 1883

صديقتي العزيزة فائقة الاحترام:

أم أن من الوقاحة أن أخاطبك هكذا؟ لدي شيء وحيد أكيد لدي ثقة لا حدود لها فيك؛ ولذا فهي لا تعتمد جداً على الكلمات.

لقد مررت وما زلت أمر بصيف سيئ؛ فقد بدأت القصة المؤسفة للعام الماضي من جديد. واضطررت إلى سماع الكثير من الأشياء التي دمرت هذا العزلة المجيدة للطبيعة بالنسبة لي وحولتها عمليا إلى جحيم[1] فوفقا لكل ما سمعته الآن وبعد فوات الأوان للأسف! ـ فهذان الشخصان (ريه ولو) لا يستحقان لعق حذائي. اعذري هذه الاستعارة الرجولية جداً! إنها لمصيبة طويلة الأمد أن يكون ر. هذا، وهو كذاب دقيق وتشهيريّ مقيت، قد صادفني في الطريق. وكذلك المدة الطويلة التي عاملته فيها بصبر وتعاطف! «إنه شخص ضعيف، وعلى المرء أن يشجّعه»، وكم مرة قلت هذا لنفسي كلما أصبت بالقرف من أسلوبه الضحل الخداع في التفكير والمعيشة! لا أنسى الانزعاج الذي شعرت به عام 1876 عندما سمعت أنه سيأتي معك إلى سورنتو. وقد عاودني هذا الانزعاج بعد عامين حيث

(1) في يونيو (؟) من عام 1884، كتب نيتشه إلى مالفيدا يعتذر عن الرسالة الحالية؛ راجع ترجمة الرسالة المزورة، والقسم المقتطع من رسالة يونيو 1884 هذه ـ رقم 125.

كنت هنا في سيلس ماريا، وجعلني إعلان أختي أنه قادم أشعر بالمرض. يجب على المرء أن يثق بغرائزه أكثر، حتى بغرائز المقت. لكن «شفقة» شوبنهاور كانت دوماً السبب الرئيسي للمتاعب في حياتي، وبالتالي فلديّ كل الأسباب التي تجعلني أميل إلى الأخلاقيات التي تنسب بعض الدوافع الأخرى إلى الأخلاق ولا تحاول اختزال فعاليتنا الإنسانية بأكملها في «مشاعر الأخوّة». لأن هذا ليس مجرد رخاوة كان أي يوناني سيضحك عليها، فهو أيضاً خطر عملي كبير. على المرء أن يظل متمسكاً بمثله الأعلى؛ وعليه أن يفرض مثله الأعلى على إخوانه في البشرية وعلى نفسه بقوة هائلة، ليمارس من ثم تأثيرًا خلاقاً! ولكن للقيام بذلك، يتعين على المرء أن يكبح جماح تعاطفه مع الآخرين، وأن يعامل أي شيء يتعارض مع مُثُلنا (كشخصيات واطئة من أمثال ل. ور.) كعدوّ. ستلاحظين أن هذا هو النحو الذي «ألقي به درساً أخلاقياً» على نفسي، ولكن نيل هذه «الحكمة» كاد يكلفني حياتي.

كان الأفضل لي أن أقضي الصيف معك ووسط حلقة أصدقائك النبيلة، لكن الأوان قد فات الآن!

مع أدفأ الإخلاص والامتنان

نيتشه

100. إلى بيتر غاست

سيلس ماريا، نهاية أغسطس 1883

أولاً، صديقي العزيز القديم، إليك ذكرى من زمن كنت أعمل فيه، بحماسة كافية، على نصوص ديموقريطية وأبيقورية، وهي عالم من الأبحاث لم يستنفد بعد، حتى بالنسبة للفيلولوجيين الكلاسيكيين!

كما تعلم، فإن مكتبة هيركولانيوم[1]، التي تستنطق بردياتها ببطء وعناء، هي مكتبة رجل أبيقوري؛ ولذا فهناك آمال في اكتشاف نصوص موثوقة لأبيقور! لقد فكت رموز جزء من أحدها، مثلاً، على يد غومبيرز (في تقارير أكاديمية فيينا)؛ وهي تختص «بحرية الإرادة» و(لعلها) تظهر أن أبيقور كان معارضاً عنيفاً للجبرية، لكنه كان في الوقت ذاته حتمياً ـ وهو مما سيرضيك!

(في تلك الأيام كنت أدرس العقيدة الذرية وصولاً إلى صحائف بوسكوفيتش اليسوعي، الذي كان أول رجل يثبت رياضياً أنه، بالنظر

(1) «هيركولانيوم» مدينة رومانية قديمة، تقع في جنوب إيطاليا بالقرب من مدينة بومبي الأثرية على مشارف خليج نابولي. تعرضت المدينة إلى الدمار إثر ثوران بركان فيزوف الهائل عام 79م، وهي تضم «قصر البرديات» الذي ربما كان يملكه حمو يوليوس قيصر، لوسيوس كالبورنيوس بيسو، أو الشاعر والفيلسوف الأبيقوري فيلوديموس. وعلى لفائف البردي المتفحمة التي استخرجت منها يعلق نيتشه آماله في اكتشاف المزيد عن الفلسفة الأبيقورية. (المترجم).

لعلم الميكانيك المنضبط، فإن فكرة الذرات *المادية الصلبة* فرضية *لا نفع لها*: وهي مسلمة باتت صالحة *كقانون* بين علماء الطبيعة المتمرسين في الرياضيات. أما لأغراض البحث، فهي ليست هنا أو هناك.)

لقد وصلتني صفحات تجارب طباعية للقسم الثاني من **زرادشت** من ناومان؛ وعند قراءتها وجدت أربعة تصحيفات. وفيما عدا ذلك فإن الكتاب جميل ومرتب. لم أكون بعد انطباعاً موضوعياً عن الأمر برمته؛ لكنني أشعر بأنه يمثل انتصاراً غير ضئيل على «روح الجاذبية»، بالنظر لمدى صعوبة عرض المشكلات التي ينطوي عليها. ونظراً لأن القسم الأول يشتمل على حلقة من المشاعر التي تمثل أساساً لحلقة المشاعر في القسم الثاني، فإن ذلك يبدو لي أمراً سهل الملاحظة و«عملاً متقن الصنع» (لو تحدثت كنجار). وبغض النظر عن ذلك، فإن الصعوبات كلها وأسوأ الصعوبات ما تزال أمامي.

لو كنت لأقدم تخميناً دقيقاً نسبياً للبنية بأسرها، فسيتبقى لدي القدر نفسه تقريباً حوالي مائتي صفحة. وإن استطعت تحقيق ذلك، كما يبدو أني حققته مع القسمين الأولين (رغم مشاعر العداء الشديدة التي تراودني تجاه تركيبة **زرادشت** بأسرها) فسأقيم عندئذ حفلاً وأموت من البهجة وسط الاحتفالات. اعذرني!

ربما كنت، بدوافع فنية، سأختار ألواناً أشد عتمة وغماً وفظاعة للقسمين الأولين، لو أني أبقيت روحي صافية مشرقة هذا العام فقط لأجل ما يحدث في النهاية. ولكن في هذا العام فإن السلوان بالألوان الأشد صفاء وهوائية كان مهما لي للغاية؛ ولهذا فإني في القسم الثاني كنت أتوثّب بنحو أشبه ببهلوان مهرج، والتفاصيل تتضمن قدراً كبيراً من التجربة الشخصية

والمعاناة التي لا يفهمها أحد إلا أنا فقد كانت هناك صفحات بدت لي وكأنها تقطر بالدم.

تبدو لي حقيقة غامضة جداً أني تمكنت من إنجاز كلا القسمين هذا العام: فها هي شخصية تظهر في كل كتاباتي عملياً ـ «القائم مرتقياً على نفسه» ـ قد أصبحت واقعاً. آه لو كنت تعلم ما يعنيه ذلك بحد ذاته! كنت ستعظّمني مائة مرة يا صديقي غاست!

[بلا توقيع]

101. إلى فرانز أوفربيك

[تلقاها في 28 أغسطس 1883، من سيلس ماريا]

(هذه الرسالة لك وحدك)

صديقي العزيز:

لقد ألقى بي فراقك في أعمق اكتئاب، وطوال رحلة العودة خيمت علي أفكار شريرة سوداء؛ كان من بينها بغض صادق لأختي، التي سرقت مني نجاحي في أفضل فصول فتوحاتي الذاتية لمدة عام كامل، عبر البقاء صامتة في الأوقات الخاطئة والتحدث في الأوقات الخاطئة، وهكذا أصبحت في النهاية ضحية رغبة بلا هوادة في الانتقام، بالضبط حين تخلى تفكيري الأعمق عن كل خطط الانتقام والعقاب. هذا الصراع يقربني خطوة بعد أخرى من الجنون ـ وأشعر بذلك بنحو مخيف للغاية ـ ولا أظن أن رحلة إلى ناومبورغ ستخفف من هذا الخطر؛ بل على العكس، فقد يؤدي ذلك للحظات مقيتة؛ كما أن هذا البغض المتخمر طويلاً قد ينفجر بالقول وبالفعل، وسأخرج أنا بأسوأ شكل ممكن.

وكذلك فإن كتابة رسائل إلى أختي ليست مما أنصح به الآن، إلا الرسائل التي لا تضر إطلاقاً (فقد كتبت لها مؤخراً رسالة مشحونة بالأشعار المسلية). ولعل تصالحي معها كان الخطوة الأشد فتكاً في القصة بأسرها،

وأنا الآن أرى أن ذلك دفعها للاعتقاد،بأن لها حقاً في الانتقام من الآنسة سالومي[1] اعذرني!

بعد أن اتفقنا على الإشكالات في خطة لايبزغ، كان من حسن حظي أن أتلقى رسالة من هاينزه وضعت حداً للأمر بأسره، فقد كان ذلك فعلاً يائساً من جانبي[2] سأرفق لك الرسالة، وكذلك أول تصريح علني حول القسم الأول من **زرادشت**؛ ومن الغريب أن تكتب رسالة كهذه في سجن. لكن ما يرضيني أن هذا القارئ الأول قد لحن فوراً ما كانت تدور حوله: نقيض المسيح الموعود منذ وقت طويل. لم يكن هناك منذ فولتير هجوم مكشوف كهذا على المسيحية ولو أردنا الصدق، فحتى فولتير لم تراوده فكرة أنه يستطيع مهاجمتها بهذا النحو.

أما عن القسم الثاني من **زرادشت**، فإن كوسليتز يكتب: «ز. مذهل للغاية؛ لكن من الجرأة بمكان أن أقول أي شيء عنه: فقد أبهرني، وما زلت مذهولاً».

أترى!

في تلك الأثناء، فخلال الوقت الذي قضيناه معاً حاول كروغ، صديق دراستي القديم، أن يزورني (وهو «مدير إدارة سكك الحديد الملكية في كولونيا»، هكذا تقرأ بطاقة زيارته).

تتضمن رسالة كوسليتز ملاحظات عن أبيقور (كانت رسالة سابقة

---

(1)يشير إلى الوفاق الذي تم في روما، مايو 1883.

(2)كان نيتشه يخطط لتقديم محاضرة في لايبزيغ في الخريف، تمهيدا للتدريس في جامعة لايبزيغ لمدة لا تقل عن أربعة فصول. وقد كانت هذه الخطة جزءا من خطة أوسع لفرض مزيد من النفوذ على الدوائر الفكرية في ألمانيا.

تخص سينيكا) تكشف عن إحاطة بشرية وعميقة بشكل لا يوصف بفلسفته؛ وهو يلمح إلى أن لديه «فيلولوجيين شخصيين»[1]، يقتادهم إلى المكتبة كي يعثروا عما ورد عن أبيقور عند الكتاب من آباء الكنيسة وسائر حملة القلم.

أي نعمة كانت لي أن تكون أنت وثقتك الدافئة قريباً مني لمرة واحدة! وما أفضل النحو الذي فهمنا به ويفهم أحدنا الآخر! ليكن حسك السليم الأشد استقراراً ويظل سنداً لرأسي المتزن الآن بنحو قلق.

قلبياً، صديقك نيتشه.

(1) في الأصل: «Leibphilologen»، على غرار «Leibarzt»، أي الطبيب الشخصي للملك.

102. إلى إروين روده

[نيس، 22 فبراير 1884][1]

صديقي العزيز القديم:

لا أدري لماذا، حين قرأت رسالتك الخيرة، وخاصة حين رأيت صورة طفلك الفاتنة، شعرت وكأنك ضغطت على يدي ونظرت إلي بحزن، وكأنك تريد القول: «كيف يمكن أننا نتشارك في أقل القليل ونعيش وكأننا في عوالم مختلفة! ومع ذلك فما أن ـ».

وهذا هو الحال، يا صديقي، مع كل الذين أحب: فكل شيء قد انتهى، وبات من الماضي، والصبر؛ ما زلنا نلتقي، ونتحدث، لئلا نظل صامتين؛ ما زلنا نتبادل الرسائل، لئلا نظل صامتين. لكن النظرة في العيون تقول

(1) في سبتمبر، كان نيتشه قد ذهب إلى ناومبورغ، حيث ألحت عليه أمه وأخته للعودة إلى التدريس في الجامعة، واتهمتاه بمصاحبة أناس «غير لطاف». وفي سبتمبر أيضا، عقدت خطوبة أخته على برنهارد فورستر، مدير المدرسة الفاغنري، ومروّج الدعايات الناقد لليهود. وفي أوائل أكتوبر، أمضى نيتشه بضعة أيام مع أوفربيك في بازل، ثم ذهب إلى جنوا. وفي نهاية نوفمبر، انتقل إلى نيس، التي كانت بلدة إيطالية آنذاك (تدعى نيزا). وفي 1 فبراير كان يشكو لغاست من «إزعاج» أخته له برسائل ناقدة لليهود. وكان عداؤها لليهود منذئذ وصاعدا مصدرا للألم الشديد له «سببا للقطيعة الجذرية بيني وبين أختي»، كما كتب لأوفربيك في 2 أبريل 1884.
[فقرة تترجم لاحقا]

الحقيقة: وهذه النظرة تخبرني (وقد سمعتها بما يكفي!) «صديقي نيتشه، إنك وحيد كلياً الآن!»

وهذا هو ما وصلت إليه حقاً.

في هذه الأثناء فإني أمضي في طريقي؛ والواقع أنه رحلة، رحلة بحرية، وليس عجباً أني عشت لأعوام في مدينة كولومبوس.

لقد انتهى كتابي **زرادشت**، وهو من ثلاثة أقسام: الأول منها لديك. آمل أن أتمكن من إرسال القسمين الآخرين خلال أربعة أو ستة أسابيع[1]. وهو أشبه بهاوية للمستقبل ـ شيء يجعل المرء يرتعد، خاصة عنصر البهجة فيه. وكل شيء فيه ملكي، بلا نظير، شقيق، أو سابق؛ ومن يعيش ضمنه سيعود للعالم وهو يرى الأمور بنحو مختلف.

ولكن عليّ ألا أتحدّث عن ذلك. أما عنك أنت، بوصفك «إنساناً مثقفاً *homo literatus*»، فلن أخفي عنك اعترافاً؛ فنظريتي تقول بأني مع **زرادشت** هذا قد ارتقيت باللغة الألمانية إلى حالة من الكمال. فبعد لوثر وغوته، لا بد من أخذ خطوة ثالثة، انظر وشاهد، يا حريفي القديم، لو كانت الحماسة والمرونة والفصاحة قد ترافقت أبدا بهذا الحسن في لغتنا من قبل. اقرأ غوته بعد قراءة صفحة من كتابي وستشعر بأن هذه الصفة «المتموّجة» التي يختص بها غوته كرسام لم تكن غريبة على مشكّل اللغة

(1) كان نيتشه قد أنجز القسم الثالث من زرادشت في يوم الجمعة 18 يناير، وفقا لرسالة تلقاها أوفربيك في 26 يناير. فقد كتب نيتشه إلى أوفربيك: «كان الأسبوعان الأخيران هما الأسعد في حياتي؛ فلم أبحر بأشرعة كهذه في بحر كهذا، وهذه المغامرة المذهلة الغامرة لحكاية هذا الملاح بطولها، التي كانت تجري طوال مدة معرفتك لي، منذ عام 1870، قد وصلت لأوجها».

أيضاً؛ فأسلوبي متفوّق على أسلوبه في القوة والرجولة، دون أن يصبح فظاً كما فعل لوثر. إن أسلوبي رقصة لعب بالتناظرات من كل الأنواع، وتراكب وسخرية من تلك التناظرات. وهنا تدخل أصوات العلة.

اغفر لي! علي أن أحذر من الاعتراف بهذا لأي شخص آخر، لكنك أعربت مرة (وأظنك الوحيد في ذلك) عن الابتهاج بلغتي.

على أي حال فقد بقيت شاعراً، بالمعنى الأشد جذرية للكلمة، رغم أني قد عذبت نفسي بقدر كبير مما يناقض الشعر.

آه يا صديقي، أي حياة مجنونة صامتة قد عشت! وحيدة، وحيدة جداً! بلا «طفل» جداً.

فكر بي بمودة، كما أفكر أنا بك.

المخلص ف.ن.

103. إلى فرانز أوفربيك

[نيس، 7 أبريل 1884] الاثنين

شكراً جزيلاً وافراً، يا صديقي العزيز! لقد جاءت إشارتك إلى ميتسكيفيتش أيضاً في أوانها: أشعر بالخزي لقلة ما أعرفه عن البولنديين (الذين يظلون، على كل حال، «أسلافي» بحق!) ـ فكم أود أن أعثر على كاتب يجاري شوبان ويؤثر في جيدًا كما يفعل شوبان! كما وصلتني معلومات دقيقة جداً عن ليبينر مؤخرًا، فهوَ في الظاهر «شخص ناجح»[1] أما في سائر الأنحاء فهو إظلاميّ نمطي معاصر، قام بتعميد نفسه، معاد لليهود، ومتورع (شن مؤخراً هجمة شعواء ضد غوتفريد كيلر، واتهمه بفقدان «المسيحية والإيمان الحق»!). يقال إن ليبينر يخرب كل الشباب الذين يخضعون لنفوذه، فهو يدفعهم نحو «الباطنية» ويجعلهم يمقتون التفكير العلمي وهو رجل ذو مقاصد «عملية» جانبيا، ويستغل «أشراط هذا الزمن». ومعلوماتي عنه تأتي من عالم طبيعي من فيينا، كان يعرفه منذ كان طفلاً[2].

(1) لقد ذكر سيغفريد ليبينر، الكاتب من فيينا، من قبل في رقم 79 (كتعقيب).

(2) لا بد أن مصدره كان يوليوس بانيت. ففي حوار مع بانيت، لاحظ نيتشه هذه الانتهازية عند فاغنر أيضا: «ومن ثم تحدث عن فاغنر، وقال إن فاغنر قد مر بكل تحولات المزاج العام لذلك العصر، لكنه ظل متقدما بعدة أعوام على كل من سواه. وحين كان على صلة بفاغنر، لم تكن المسيحية تذكر إلا من باب التحكم [وهو تلميح إلى برسيفال] ... كان

لا أملك أي أخبار عن شمايتسنر. وهذا السؤال هو الأشد إزعاجاً لي، لأني كنت أظن أني سأسدي خدمة حقيقية لأمي وأصلح الأمور فيما بيننا بنحو ما، لكن عداءه لليهود لا يلبث يضايقني مجدداً![1].

سأغادر نيس عن قريب: وأرغب في الانتظار حتى تصل النسخ الأولى من كتابي **زرادشت**. إني آمل أن تصل، ولكن يمكن أن يحدث تأخير لمدة شهر مجددا، كما حصل في العام الماضي. لكني أترقب، سراً، أن يسقط شمايتسنر في الإفلاس. ماذا سيحدث عندئذ لكتبنا!

لقد تدبرت أمري إجمالاً بالنسبة للشتاء القادم: ربما سأقيم في المنزل ذاته والغرفة ذاتها. ولعلي سأنجح في تشكيل جمعيتي الخاصة هناك، التي لن أكون فيها «منعزلاً» بالكامل. فالمناخ الريفي الساحلي يناسب طبيعتي بنحو مدهش؛ إذ لم يمكنني أن أضع اللمسة النهائية على كتابي **زرادشت** إلا على هذا الساحل، في موطن «العلم المرح». إن لانسكي (وهو شاعر بالمناسبة) عازم فعلاً على المجيء؛ وأود في إقناع كوسليتز، وربما الدكتور ريه والآنسة سالومي أيضاً، اللذين أرغب معهما في تصحيح بضعة أخطاء ارتكبتها أختي[2] لقد كانت لدي أنباء تخص كلًا منهما، وأنباء طيبة أيضاً (وهما الآن في ميران). يقال إن الآنسة س. ستنشر شيئاً هذا الربيع حول

فاغنر يرغب دوما بأن يشعر بالحماس تجاه بسمارك، لكنه لم يتمكن من ذلك، فقد كان يغار من بسمارك» [زيارة 26 مارس).

(1) كان نيتشه يرغب أن يسلم شمايتسنر لأمه كل الحقوق المتراكمة من كتاباته حتى 1 أبريل، لكن بطاقته البريدية في تاريخ 2 أبريل إلى أوفربيك ترجّح أن دعاية شمايتسنر المناهضة لليهود كانت تستهلك وقت شمايتسنر، وكذلك دخله القادم من مطبوعاته (بما فيها كتب نيتشه).

(2) كان ياول لانسكي كاتبا ألمانيا يعيش في فالومبروسا، قرب البندقية.

«العواطف الدينية»، وكنت أنا من اكتشف هذا الموضوع فيها، وأنا سعيد للغاية لأن جهودي في تاوتنبورغ ستؤتي أكلها على كل حال.

لقد توفرت لي رفقة هذا الشتاء بفضل الساكنين في البيت الذي أقيم فيه: جنرال بروسي عجوز بصحبة ابنته، وهو مشيري في كل الأمور العملية؛ زوجة مسنة لقسيس أميركي، يترجم لي عن الإنجليزية قرابة الساعتين يومياً؛ ومؤخراً فقد كان ألبرت كوخلين وزوجته (من لوراش) مفرطي اللطف تجاهي. أما الآن فلديّ زائرة، لعشرة أيام تقريباً، وهي طالبة شابة؛ قد تجد هذا الأمر مسلياً، فزيارتها جيدة لي، وتهدئني بعض الشيء، بعد «الاندفاعات الكبرى» في داخلي خلال الأشهر الأخيرة. وهي صديقة لإيرما فون ريغنر ـ بلايليبن؛ ويبدو أنها والآنسة سالومي معجبتان ببعضهما؛ كما أنها وثيقة الصلة بالكونتيسة دونهوف ووالدتها، وبنحو طبيعي مع مالفيدا أيضاً، وهكذا فلدينا ما يكفي من الأشياء الشخصية المشتركة. وقد ذهبنا بالأمس إلى مصارعة ثيران إسبانية معاً[1].

يا للسماء! لقد بدأت أتلقى صنفاً غريباً جداً من الرسائل، ذلك النوع من الأسلوب التمجيدي الذي أشاعه ريتشارد فاغنر بين الشباب الألماني؛ وما تنبأت به منذ وقت طويل هو الآن في بدايته؛ أني سأصبح في بعض الأنحاء وريثاً لفاغنر.

كنت خلال الأشهر القليلة الماضية أقرأ «تاريخ العالم»، ببهجة عظيمة ولو مع بعض النتائج الرهيبة. هل أريتك من قبل رسالة ياكوب بوركهارت التي دفعتني بقوة نحو «تاريخ العالم»؟

(1) كانت الفتاة هي ريزا فون شيرنهوفر.

إذا وصلت إلى سيلس ماريا في الصيف، فسأعمل على مراجعة آرائي الميتافيزيقية والمعرفية. وعلي الآن أن أتقدم خطوة بخطوة في سلسلة من المجالات، ذلك أني قررت أن أقضي الأعوام الخمسة القادمة على «تفصيل» فلسفتي، التي شيدت رواقها في كتابي زرادشت.

عند قراءتي للفجر والعلم المرح، التفتت إلى أني لم أجد فيهما سطرًا لا يصلح كمقدمة، تمهيد، وتفسير لزرادشت المذكور آنفاً. والواقع أني كتبت التفسير قبل كتابة النص.

كيف حال إمرسون وزوجتك العزيزة؟

صديقك ن.

ما السر في أنك لا تقول أي شيء حول صحتك؟

104. إلى فرانز أوفربيك

البندقية، سان كانشيانو كالي نووفا

[تلقاها في 2 مايو 1884][1]

صديقي العزيز أوفربيك:

إنه من الرائع جوهرياً أننا لم نتباعد عن بعضنا خلال هذه الأعوام الأخيرة، ولا حتى بفضل **زرادشت** كما يبدو. أما عن كوني وحيدًا حين أصل لسن الأربعين ـ فلم تراودني أي أوهام حول ذلك وأنا أعرف أمراً آخر أيضاً ـ أن العديد من المساوئ ستظل تمر بطريقي؛ وسرعان ما سأكتشف الثمن الذي على المرء أن يدفعه، مستخدماً اللغة البلهاء والباطلة *للطامحين*، لأجل «السعي وراء أسمى الأكاليل».

وفي تلك الأثناء سأستخدم وأستغل الموقف الذي أمسكت به: فأنا الآن، على الأرجح، الشخص الأشد استقلالاً في أوربا. وأهدافي ومهماتي أشد اشتمالاً مما لدى أي شخص؛ وما أسميه سياسة عظيمة يمنحني على الأقل منطلقاً جيداً ورؤية عين الصقر للأمور الحاضرة.

أما بالنسبة لكل الأمور العملية في الحياة، فأنا أطلب منك، يا صديقي الوفي المجرّب، أن تضمن لي من الآن فصاعداً أمراً واحداً وهو أشد استقلال وحرية ممكنة من الاعتبارات الشخصية. أظن أنك تعرف ما يعنيه

(1) كان نيتشه قد أقام عند غاست منذ 21 أبريل وحتى 12 يونيو.

تحذير زرادشت، «كن صلباً!» في حالتي. ففكرتي القائلة بأن العدل يجب أن يحقق لكل شخص بعينه، وأني يجب أن أعامل، في التحليل الأخير، ما هو أشد عداءً لي بأعظم لطف ممكن، متطورة بنحو غير متناسب وتجر خطراً بعد خطر، ليس عليّ فحسب؛ بل على مهمتي أيضاً: فهنا تعد الصلابة ضرورية وكذلك، من ناحية تعليم الآخرين، بعض القساوة أحياناً.

آسف! لا يبدو الأمر جيداً دوماً حين يتحدث المرء عن نفسه، كما لا تفوح منه دوماً رائحة حسنة.

وبالنظر لصحتي، فيبدو أني قد كبرت في السن. سأقضي الشتاءات في نيس؛ أما في الصيف، فأحتاج لمدينة ذات مكتبة كبيرة أعيش فيها غفلاً بلا ذكر (لقد فكرت في شتوتغارت ـ فما رأيك؟)

ما زلت أفكر هذا العام بالذهاب إلى سيلس ماريا، حيث تمكث سلة كتبي على فرض أني سأعرف أكثر من العام الماضي كيف أدافع عن نفسي ضد تدخلات أختي. لقد أصبحت بحق شخصاً مضراً للغاية؛ ثمة رسالة تطفح بأشد الاتهامات سمّية عن شخصيتي، وصلتني منها في شهر يناير، كقطعة مرافقة لطيفة لرسالتها إلى السيدة ريه، قد كشف لي هذا بوضوح كاف لا بد أن تذهب إلى الباراغواي. أما من جهتي، فأنوي قطع الصلات مع أي شخص ينحاز لأختي؛ ومن الآن فصاعداً، لا مكان عندي لأنصاف الحلول.

أنا الآن مقيم في منزل كوسليتز، وسط سلم البندقية وهدوئها، أستمع إلى الموسيقى التي تمثل بحد ذاتها في عدة أنحاء بندقيةً مثالية. لكنه يحرز تقدماً، نحو فن أشد رجولة: فالافتتاحية الجديدة لأوبرا الزواج لامعة، دقيقة، ونارية.

صديقك نيتشه

105. إلى فرانز أوفربيك

البندقية، 21 مايو 1884

صديقي العزيز:

لقد أقلقتك رسالتي الأخيرة أكثر مما أردت: فأنا في الإجمال أكتب رسائل حمقاء للغاية. علي أن أضع حداً لهذه المسألة مع أقاربي فقد قضيت عامين وأنا أتعب نفسي بأشد الجهود حسن نية لأجل تصحيح الأوضاع وإراحة بالهم، ولكن دون جدوى. كما أن هذا القدر من عدم التوافق، في حد علمي، هو الوضع المعتاد لرجال بمثل مكانتي. وذلك مما يسوؤني كفاية أن أكتشفه أخيراً! لا بد لي من القول بأن معظم علاقاتي القائمة حتى الآن تعاني وتستعصي جراء عيب لا علاج له في الجذور. ولكن في النهاية، فإن بؤسي الحقيقي يكمن في مكان آخر وليس في وعيي بهذا الاستعصاء: وهو بؤس من العظم والعمق بحيث إني أتساءل دوماً إن كان أي شخص آخر قد قاسى مثله. فمن ذا حقاً يشعر كما شعرت بما يعنيه أن تحس بكل شعرة من وجدانك بأن «ثقل كل الأشياء يجب أن يحدد من جديد»! أما ما يمكن أن ينتج من هذا الموقف، في غمضة عين، من شتى أشكال الخطر المادي، والسجن وما شاكل، فهو الأمر الأقل أهمية في نظري؛ والأحرى أنه سيريحني لو وصلت الأمور لهذا الحد. إني أطالب نفسي بالكثير لدرجة عدم رضاي عن أفضل الأعمال التي قمت بها

حتى الآن؛ ولو أني لم أمض لهذا الحد بحيث تعقد ألوف السنين أيمانها الأسمى باسمي، فإني لم أحقق شيئاً بعد في نظري، ولكني حتى الآن لا أملك تلميذاً واحداً.

إلى الأمام! لنتحدث عن أمور أخرى.

لقد حان الوقت آنذاك لمجيئي إلى البندقية؛ ذلك أن مؤلفنا البارع لا يمكن إقناعه بمغادرة المكان، وهو يظن أنه لا يحتاج لأكثر من كتابة النوتات بين وقت وآخر. وقلما يضع اعتباراً للأداء وإمكانية الأداء، وقد اكتشفت الآن بأثر رجعي كم كان مهماً أن أستدعيه إلى لابزيغ في الخريف قبل عام ونصف ـ رغم أن الأمر بدا بادئ الأمر عبثياً. لكنه لم يكن عبثياً؛ فلو أنه لم يذهب إلى هناك، لظل لعامين آخرين يكتب موسيقى مستحيلة. وقد أوضحت له في آن واحد كيف أن «خطته» مع شركة لوكا الميلانية غير موفقة كخطته مع الشركة البندقية، مستدلاً برسالة الشركة ذاتها، التي كانت رفضاً غير مشروط. وكذلك أن موسيقاه، في الوقت ذاته، عصية على الإيطاليين، كما أنها ستطعن في تقديرهم لمؤلفهم تشيماروسا. باختصار، فقد حدثت ثورة في كل النواحي، بما في ذلك النص ـ نص فينالي - والعديد من المسائل الشكلية، التي تتعلق بتأثير الموسيقى. وكي ألخِّص لك النتيجة، انظر لهذا الإعلان المسرحيْ:

أسد البندقية

أوبرا كوميدية من خمسة فصول

من تأليف بيتر غاست

لعل العرض الأول سيكون في دريسدن قرب عيد الميلاد. ألم يكن ذلك حسناً؟

على العموم، فكل شيء يجري بنحو ممتاز معه؛ بل جيد بشكل مذهل أعني، بالقدر الذي يخص تطور قدراته؛ ولو أنه استطاع، خطوة بخطوة، أن يجرد نفسه من بواقي الذوق الضحل، والتضخم السكسوني الصيني لطيب النوايا وما شاكل، فلسوف نعيش حتى نرى مولد موسيقى كلاسيكية جديدة، جديرة باستحضار أرواح الأبطال الإغريق. وفي هذا الوقت، فقد منح البندقية نصباً تذكارياً بعمله المذكور آنفاً؛ ومن الممكن أن يختلط عشرون لحناً آسراً منه ذات يوم مع فكرة واسم «البندقية». لدي الآن فرصة فريدة للتبشير بأخلاقي الجمالية، وليس لمن لا يسمع حقاً! على المرء أن يحرر قضية ريتشارد فاغنر العظيمة من عيوبه الشخصية، عيوبه التي استحالت إلى مبادئ؛ وبهذا المعنى فإني أعني وضع اليد، بكل سرور، على أعماله ومن ثم الإثبات، بأثر رجعي، لأننا لم نلتق «بالصدفة» فحسب.

أرحب بكل بهجة بحديثك عن «المنشقين الأسطوريين»؛ فقد كنت مؤخراً أقول لكوسليتز أنه لا توجد «ثقافة ألمانية» ولم توجد أصلاً إلا بين النساك الباطنيين، بمن فيهم بتهوفن وغوته بالتأكيد!

صديقك وصديق زوجتك نيتشه

106. إلى بيتر غاست

سيلس ماريا، 2 سبتمبر 1884 [1]

في النهاية، *يا صديقي العزيز الغالي* ـ مهما وقفت أمور مزعجة في طريقنا ـ فإننا ننتمي إلى الإبد إلى أخوية الفرسان «*للعلم الجذل*» ويمكن أن نستمد راحة عميقة من هذه السنة الطيبة، التي أسقطت **أسدك** وزرادشتي من الشجرة عينها[2]. أما الباقي فهو الانتظار، عندك كما هو عندي.

بالنسبة للمستقبل، فأنا أرعى الأمل في أن جماعة صغيرة جيدة للغاية لهذا الإيمان *بالعلم المرح* ستتشكل في نيس، وفي أفكاري، فقد لقبتك سلفاً بالفارس الأول، من أجل تقديس تلك الرتبة. علينا أن نقسم ونلعن «بحق الميسترال!»[3]، ولا أستطيع التفكير بأي واجب آخر، لأن كل شيء بين أناس مثلنا «بات مفهوماً».

أنا الآن مبعد عن نيس في حجر صحي مزدوج (أي لمدة أسبوعين)، ونظراً لأن الكوليرا لن تتلاشى إلا مع رياح الخريف ـ وبالتالي قرابة النصف الثاني من أكتوبر، فإن أشواقي تتأرجح بشدة نحو الشمال ـ وبالأخص نحو

(1) كان نيتشه قد وصل إلى سيلس ماريا في 16 يوليو، بعدما زار ريزا فون شيرنهوفر وميتا فون ساليس في زيورخ بين 12 و15 يوليو. وبقي في سيلس ماريا حتى قرابة 25 سبتمبر.

(2) يشير إلى أوبرا غاست **أسد البندقية**.

(3) رياح باردة تهب على جهة جنوب الشرق من فرنسا، حيث تقع مدينة نيس. (المترجم)

دريسدن. ما أن تتلقى بنفسك أخباراً عن «وعد بالأداء» (أو حتى احتمالية هذا الوعد)، فأرسل لي برقية رجاءً. أما هنا، وأنا دون موقد، منجمد تماماً، بيدين باردتين، لن أستطيع التحمل لمدة أطول ما لم أشتر موقداً.

وبعيداً عن ذلك، فقد انتهيت عملياً من المهام الرئيسة التي وضعتها لنفسي في هذا الصيف؛ فالأعوام الستة القادمة ستخصص لرسم مخطط أعددته «لفلسفتي»[1]، وقد تقدمت فيه جيدًا ويبدو واعداً. يملك زرادشت في الحاضر أهمية شخصية لكونه كتابي المخصص «لمحاورات تربوية ومشجعة»، أما عدا ذلك، فهو مظلم وخفي ومضحك لكل الناس.

لقد أخبرني هاينريش فون شتاين، وهو شخص ورجل مذهل، ابتهجت لمعرفته، بصراحة بأنه فهم «اثنتي عشرة جملة لا غير» من زرادشت. وقد أسعدني ذلك جداً[2].

أخبرني عما يجري مع ترجمتك.

أما عن صحتي فهي قلقة؛ لقد كانت أفضل في البندقية، وأفضل منها في نيس. يوم واحد جيد في كل عشرة، هذه هي إحصاءاتي، فليعَبث بها الشيطان!

لا أحد هنا يقرأ لي! في كل مساء تخيم السوداوية على غرفتي واطئة السقف، وأسناني تصطك برداً، أنتظر ثلاث أو أربع ساعات حتى يسمح لي بالذهاب للفراش!

---

(1) قارن الرسالة التي تلقاها أوفربيك في 25 يوليو: «... إني في خضم مشاكلي؛ وعقيدتي، القائلة بأن عالم الخير والشر ليس سوى عالم من المظاهر والتصوّرات، لهو من الإبداع بحيث يفقدني السمع والبصر عند التفكير فيه...». وقد نشر **ما وراء الخير والشر** عام 1886، وفي **جينالوجيا الأخلاق** عام 1887.

(2) راجع الهامش هـ للرسالة رقم 127.

اليوم تغادرني أفضل رفيقة لي خلال الصيف، جليستي في الطاولة، الآنسة فون منصورروف، وصيفة الشرف لإمبراطورية روسيا، آه، كم كان لدينا أمور كي نتحدث عنها، ويا لبؤسي لأنها ستغادر! تصور فقط، إنها تلميذة صادقة لشوبان، ملؤها الحب والإعجاب بهذا الرجل «المغرور المتواضع»[1].

سيلس ماريا في الدرجة الأولى كمشهد طبيعي، وستظل كذلك فيما بعد، كما قيل لي، بفضل «ناسك سيلس ماريا».

كما ترى ها أنا أقوم مجددا «بادعاء من الدرجة الأولى».

المخلص، صديقك نيتشه.

(1) يقصد بذلك شوبان.

107. إلى هاينريش فون شتاين(1)

سيلس ماريا، 18 سبتمبر 1884

عزيزي د. فون شتاين:

تحية أخيرة من سيلس ماريا، حيث أصبح الجو خريفياً للغاية ـ حتى النساك بدأوا بالمغادرة.

كانت زيارتك إحدى أمور ثلاث أشعر تجاهها بالامتنان العميق في عام **زرادشت هذا**.

---

(1) كان هاينريش فون شتاين (1857 ـ 87) قد كتب أول مرّة إلى نيتشه قرب نهاية عام 1882، حيث أرسل له مخطوطة كتابه الأبطال والعالم. كان فون شتاين فاغنريا وباحثا في الجمال؛ وفي رسالة لأوفربيك، بتاريخ 14 سبتمبر 1884، كتب نيتشه عنه: «وأخيرا، وأخيرا جاء رجل جديد، ينتمي إلي ويحترمني غريزيا! صحيح أنه ما يزال الآن فاغنريا جدا، ولكن بفضل التهذيب العقلاني الذي اكتسبه من قربه الشديد من دوهرينغ، فهو مستعد جدا لي. وأنا أشعر بشكل حاد جدا عند حضوره بماهية المهمة العملية التي ينطوي عليها جهد حياتي، لو أن لي أن أمتلك ثلة كافية من الشباب من نوعية خاصة جدا».
كان شتاين قد وعد بالانتقال إلى نيس ما أن يتوفى والده. ولكنه كتب بعد عدة أشهر من برلين يدعو نيتشه للانضمام إليه مع صديقين آخرين، ضمن مناقشة بالمراسلة حول فاغنر؛ وكان المراد منهم أن يقرأوا ويناقشوا مقالات في موسوعة عن فاغنر. وقد شك نيتشه آنذاك في أن شتاين ربما يكون طُعما فاغنريا، مكلفا باستعادته إلى حلقة فاغنر. وفي ديسمبر 1884، كتب إلى شتاين: «لا تدع حبك لريتشارد فاغنر يخبو أبدا بسببي. عليك أن تفهم أني أرفض المساواة والمقارنة به، فأنا لست من الهستيريين...»، وخلال 1885 بردت علاقتهما، وحدث لقاؤهما الأخير في خريف ذلك العام. وفي وقت لاحق قال نيتشه بأنه لم يلتق إلا بثلاثة رجال عدهم من أنداده: روده، فاغنر، وشتاين.

لعلك جئت بحال أسوأ؟ من يدري ـ ربما اقتربت بشدة من العثور على فيلوكتيتس على جزيرته، وحتى شيء من ذلك الاعتقاد بفيلوكتيتس، «من دون سهمي، لن تفتح إيليوم!»

في لقاءات كلقائنا، كثير من التداعيات كامنة دوماً، وكثير من الضحايا. ولكن ثق بأمر واحد: من الآن فصاعداً، فإنك تنتمي للقلة الذين يرتبط مصيرهم، حسناً كان أو سيئاً، بمصيري.

المخلص دوما، نيتشه.

ملاحظة: إن احتجت أي شيء، هذا عنواني الأبدي: نيزا، *يحفظ* بمكتب *البريد*.

108. إلى فرانسيسكا نيتشه

زيورخ، 4 أكتوبر 1884

بنسيون نبتون

أمي العزيزة:

خلال هذا الوقت ستكون قد وصلتك أخبار وافرة عن الوفاق الذي حدث مجددًا بين ولديك وسعادتهما في كل نحو[1]، ولكن لا يمكن في هذه اللحظة الحكم على المدة التي سيقضيانها معا؛ فالعمل الذي أخطط له يتطلب العزلة فوق كل اعتبار، والقدم العرجاء التي أجرها معي ـ أعني كتبي التي تزن 104 كيلوغراماً ـ لن تدعني أطير بعيداً جداً عن هنا.

ولهذا فمن المحال أن يرى أحدنا الآخر مجدداً هذا العام؛ وآمل بعمق أن ذلك لن يزعجك على الإطلاق.

أرحب بكل امتنان بالنيات الطيبة التي عبرت عنها في رسالتك الأخيرة كأن أتجول بالعالم بملابس أشد أناقة نسبياً؛ والواقع أن ذلك الجانب

---

(1) كان نيتشه قد قضى معظم شهر أكتوبر في زيورخ، حيث التقى بأخته وتصالحا (وقد تزوجت فورستر في 22 مايو 1885، ولعل المغادرة إلى الباراغواي هي ما شجع نيتشه على دفن الضغينة). وفي زيورخ، التقى نيتشه أيضا بغوتفريد كيلر، الذي أعجب به جدا؛ وليس من المفاجئ ألا يحدث شيء لافت بين الكاتب الجديد الذي نصب نفسه مشكّلا للنثر الألماني، والروائي الذي ناهز السبعين، المتقن لأسلوب غوته المتموج. ومنذ أواسط سبتمبر حتى نهاية نوفمبر، كان نيتشه في ناومبورغ، ثم عاد إلى نيس.

يعوزني بعض الشيء، ونتيجة لرحلاتي وتغيراتي الكثيرة، فإني مكشوط جداً كما يبدو، أشبه بخراف الجبال.

ما زالت صحتي تسبب لي المشاكل؛ فأي مكان غريب وأي روتين يومي لم أتعود عليه يزعجانني دوماً. لكن مظهري جيد وليس مختلفاً عما بدوت عليه في العام الفائت.

مع وافر الشكر، المخلص ف.

109. إلى كارل فوكس

نيس، شارع فرنسوا دو بول 26، II

[شتاء 1884 ـ 85]

سيدي الدكتور العزيز الحبيب:

صدقني، حتى لو لم أعبر عن ذلك كتابياً (فعيناي لا تسمحان بهذا كل عام)، ما من شخص يتابع تحقيقاتك ولطائفك باهتمام أشد تعاطفاً مني. لو أن «الاهتمام المتعاطف» يكفي! لكني أفتقر إلى المعرفة والكفاءة في كل تلك المجالات التي تكمن فيها موهبتك المتنوعة بشكل ملحوظ. فقبل كل شيء، تمر السنوات دون أن يعزف أحد لي الموسيقى، حتى أنا. كان آخر عمل درسته جيداً هو أوبرا كارمن لبيزِّيه وليس من دون أفكار كثيرة، غير مشروعة جزئياً، عن الموسيقى الألمانية برمتها (التي أحكم عليها كما أحكم على الفلسفة الألمانية قاطبة)؛ وإضافة إلى ذلك، فهي موسيقى عبقرية غير مكتشفة، تحب الجنوب كما أحب، وتلبي الحاجة إلى النغم وموهبة النغم بالإضافة إلى بساطة الجنوب. إن تدهور الإحساس بالنغم، الذي ألاحظه عند كل اتصال بالموسيقيين الألمان، والاهتمام المتزايد بلفتة معينة من العاطفة (أعتقد أنك، عزيزي الدكتور فوكس، تسميها «العبارة»؟)، وبالمثل فإن تزايد المهارة في أداء التفاصيل في الوسائل الخطابية للموسيقى، في الفن الانفعالي المتمثل بتشكيل اللحظة بشكل مقنع قدر الإمكان هذه الأشياء،

كما يبدو لي، ليست متوافقة فقط؛ بل أنها مترابطة أيضاً. وهذا سيء بما فيه الكفاية! كل شيء جيد في هذا العالم يجب ألا يشترى إلا بسعر باهظ! إن تعبير فاغنر «النغمة اللامتناهية» يعبر بأجمل شكل ممكن عن الخطر، وعن تدمير الغريزة وحسن النية، وعن الضمير الجيد. إن الغموض في الإيقاع، وأثره هو أن المرء لا يعرف، ولا يجب أن يعرف، إن كان هناك شيء ما بهذا النحو أو ذاك الطريقة، هو بلا شك تقنية يمكنها الحصول على تأثيرات رائعة ـ وتريستان زاخر بذلك، ولكنه، كعرض من الأعراض لفن بأسره، فهو لا يزال أمارة على الانحلال؛ فالجزء يهيمن على الكل، والعبارة تهيمن على اللحن، واللحظة تهيمن على الوقت (والإيقاع أيضاً)، وتهيمن المشاعر على الروح (أي السجية، أو الأسلوب، أو أي شيء تريد تسميته)؛ وأخيراً، حتى الحسّ يهيمن على «المعنى». سامحني! لكن ما أعتقد أنني أستطيع اكتشافه هو التغير في المنظور؛ فالجزئي بات ينظر إليه بحدة شديدة، وينظر إلى الكلي بنحو متقلب للغاية، والإرادة لهذا الضرب من المظاهر واضحة في الموسيقى، وقبل كل شيء، فالموهبة لذلك حاضرة! لكن هذا هو *التهتك* [بالفرنسية]، وهي كلمة، كما اتفقنا، لا ترفض شيئاً بل تصفه فقط. فصاحبك ريمان علامة لذلك، وكذلك هانز فون بولاو، وأنت بالنحو ذاته ـ فأنت المترجم الأكثر خفة للحاجات والتغيرات في *الروح الموسيقية* [باللاتينية] التي، قد تكون في النهاية بنحو عام، أفضل جزء من *الروح الحديثة* [بالفرنسية][1] أنني أسيء التعبير عن نفسي بنحو لعين ـ على عكسك تماماً؛ فما أقصده هو أنه، حتى

(1) كان هوغو ريمان، عالم الموسيقى، قد ابتدع لفظة Phrasierung («الصياغة») ونادى باستخدام الصياغة في النوتات الموسيقية. ويذكره نيتشه بوصفه فاغنريا معتبرا في الفصل الثاني من قضية فاغنر.

في *التهتك*، فهناك عدد هائل من الصفات الجذابة والقيمة والجديدة والأشد إثارة للإعجاب فموسيقانا الحديثة، على سبيل المثال، يمكن لأي شخص قد يكون رسولها الصداق والشجاع، كالثلاثة الذين ذكرتهم آنفا. سامحني لو أضفت: فالذوق المتهتك هو أبعد ما يكون عن شيء واحد، ألا وهو الأسلوب العظيم: الذي يتميز به قصر بيتي مثلاً، وليس السمفونية التاسعة، فالأسلوب العظيم هو الشكل الأكثر شدة لفن اللحن[1].

وأخيراً، إليك كلمة حول فرق نظري كبير جداً بيننا ـ أعني فيما يتعلق بالعروض الكلاسيكي. أقر بأنه لا يحق لي أن أتحدث عن هذه الأمور بعد الآن، مع أنه كان يحق لي في عام 1871، ذلك العام الذي قضيته في قراءة كتب مرعبة عن العروض اليوناني واللاتيني، وكانت النتيجة غريبة جداً. ففي ذلك الوقت، شعرت أنني كنت العروضي الأشد عزلة من بين جميع الفيلولوجيين الكلاسيكيين، لأنني أوضحت لطلابي أن التطور الكامل لنظرية العروض من بنتلي إلى ويستفال كان تاريخاً لخطأ جوهري. فقد قاومت بقوة الفكرة القائلة بأن البحر السداسي في اللغة الألمانية، على سبيل المثال، على صلة ببحر يوناني. فما قلته حينها (مستخدماً نفس المثال مجدداً) أن اليوناني الذي يتلو بيتاً لهومر لا يستخدم نبرات غير نبرات الكلمات؛ أي أن المهم إيقاعياً يكمن بالتحديد في المدد الزمنية وعلاقاتها وليس، كما هو الحال مع البحر السداسي الألماني، في *دن ـ دا* للوزن ـ بصرف النظر عن حقيقة أن *الداكتيل*[2]

(1) لقد تطورت الآراء الواردة في هذه الفقرة في رسالة نيتشه إلى فوكس بتاريخ 26 أغسطس 1888؛ والتشبيه بالفن المكاني المرئي ترد أيضا في رسالة يوليو 1877 (رقم 76) وكذلك رسالة عام 1888.

(2) «الداكتيل» وحدة من وحدات الشعر الإغريقي (أشبه بالتفعيلة في عروض الشعر العربي)، تتكون من مقطع طويل يليه مقطعان قصيران. (المترجم)

الألماني يختلف اختلافاً جوهرياً عن *الداكتيل* اليوناني أو اللاتيني في مدة الوقت. لأننا نقول «Pfingsten, das liebliche Fest, war gekommen, es grünten und blühten» [«ها قد جاء عيد العنصرة الحبيب، ومعه الخضرة والأزهار»] مع إيقاع مناسب، ربما حتى كثلاثة نغمات معاً، ولكن بالتأكيد ليس كأزواج نغمات هادئة، يكون للمقطع الطويل فيها مدة مقطعين قصيرين. ذلك أن ما جعل الشعر يمتاز عن الكلام اليومي في العالم القديم هو بالذات التقيد الصارم بمدة مقطع لفظي، وهو ما لا ينطبق علينا أبداً معشر الشماليين. فمن الصعب علينا جداً أن نكون شعوراً بنمط إيقاعي كمي بحت، لأننا معتادون جدا على النمط الإيقاعي العاطفي المتمثل في الإيقاعات القوية والضعيفة، التصعيد والتضاؤل، لكن بنتلي (وهو المبتكر العظيم؛ أما ج. هيرمان فهو تابع له ليس إلا)، وكذلك الشعراء الألمان الذين اعتقدوا أنهم يقلدون العروض الكلاسيكي، قد حولوا ببراءة نمط الإحساس الإيقاعي لدينا يبدو هو الوحيد و«الدائم»؛ أي النمط الإيقاعي في حد ذاته بالنحو نفسه الذي نميل به لأن نعتبر أخلاقنا الإنسانية والمتعاطفة هي الأخلاق، ونسقطها على أخلاقيات أقدم ومختلفة اختلافاً جوهرياً. ما من شك في أن شعراءنا الألمان، وعبر «العروض الكلاسيكي»، قد جلبوا إلى الشعر باقة متنوعة من الاهتمامات الإيقاعية التي كان يفتقر إليها (أما إيقاع رقاص الساعة لدى شعراء القوافي لدينا فهو، على المدى البعيد، شيء مريع). لكن أياً من سكان العالم القديم ما كان ليستمع لأي من هذه البدائع؛ ناهيك أن يظن أنه يستمع لبحوره الشعرية. يدرك الفرنسيون بسهولة أكبر إمكانية تأليف عروض يقيس مدد الزمن خالصة: حيث يشعرون بأن عدد المقاطع هو الوقت. هذه أطول رسالة كتبتها منذ سنوات؛ فاقبلها على علاتها وكذلك بأي معنى آخر كإشارة

إلى أنني لا أنسى «المِنّة»، *سيدي الدكتور الكريم*، يا من أكرمتني مرتين حتى الآن بأطباق نفيسة جدا. من أين بحق السماء نلت موهبتك *للحديث في الأدب* [بالفرنسية]؟ أهناك أي دم فرنسي في عروقك؟

وأخيراً، فلدي كلمة غاضبة حول ناشرك وطابعك. ما هذا! «غرزات»؟ الغرزات لا تغرز! ـ هذا لزوم ما لا يلزم.[1] اعذر هذه النكتة من عالم كلاسيكيات قديم، وتذكره مع ذلك بلطف.

المخلص جدًا

د. فريدريك نيتشه

أستاذ اللغات الكلاسيكية سابقاً، بما فيها العروض.

اقرأ رجاءً كتاباً لا يعرفه الكثيرون عن الموسيقى للقديس أوغسطين ـ لتعرف كيف فهم الناس واستمتعوا آنذاك ببحور شعر هوراس، وكيف سمعوها «تقطّع الوقت»، وأين وضعوا الوقفات، وهلم جرا (وما الوتد الخفيف والثقيل *arsis and thesis* إلا إشارات إلى النغمات).

عنواني لكل الأوقات هو: ناومبورغ على نهر ساله. وكل شيء يرسل إلي من هناك. أما أنا شخصياً «فهارب شريد على وجه الأرض».

(1) في الأصل «'Hefte'? Hefte, die nicht haften, die nicht gehefte sind!» تعني «Heft»: الكراس، «haften»: يشدّ، يربط (وهنا تعني «يخيط أو يغرز» لعدم وجود كلمة تمثل فعلا واسما معا). ويبدو أن الكراس الذي أرسله فوكس قد تداعى. تصعب ترجمة الجناس الذي استخدمه نيتشه.

110. إلى كارل فون غيرسدورف

نيزا، بنسيون جنيف،

زقاق سانت إتيان،

12 فبراير 1885

صديقي القديم العزيز:

إني أعيش حياة محتجزة للغاية ولم أعد أسمع أو أرى شيئاً عنك. لكني مضطر هذا العام، لأسباب عائلية، للعودة إلى ألمانيا مجدداً(1). وأظن أننا يجب، تحسباً لذلك، أن نفكر في لقاء صغير، ربما في لايبزغ.

أود اليوم أن أقدم لك، وليس بدون تردد، بعض الأنباء التي تستدعي سؤالاً لك. هناك قسم رابع (وأخير) من زرادشت، أشبه بنهاية عظمى، ليست موجهة للعامة (في نظري، فإن كلمة «عام»، حين تتعلق بكتاب زرادشت بأسره، تبدو أشبه بـ «مبغى» أو «فاجرة» ـ اعذرني!)(2)، لكن هذا الجزء يجب ويلزم أن يطبع الآن عشرين نسخة، لأجلي ولتوزيعه بين أصدقائي، وبسرية تامة. ولا يمكن أن تكون تكاليف طبعة كهذه (عند ك.غ. ناومان، الذي طبع الأقسام الأخيرة) باهظة جداً؛ لكني شخصياً، بفضل

(1) كان للأمر صلة بزفاف إليزابيث؛ لكن نيتشه لم يذهب في النهاية.

(2) في طريق نيتشه عائدا إلى نيس، حيث وصل في مطلع ديسمبر، كان قد قضى بضعة أيام في منتون، حيث كان يعمل بالفعل على القسم الرابع من زرادشت.

الـ [ـ][1] الشديد لناشري، مفلس كما أنا دوماً (وأعني بذلك أنه يدين لي بستة آلاف فرنك، ويخبرني محاميّ بأن من المحال أن نقيم دعوى ناجحة ضده)، بعبارة أخرى، فحتى عامي الأربعين، لم «أجنِ» حقاً فلساً واحداً من كتاباتي المختلفة، وهو الجانب الساخر (وكذلك الفخور لو شئت) من الأمر برمته.

لكني لن أقول أكثر. أبلغني، يا صديقي القديم العزيز، وفي أقرب وقت ممكن، بجوابك على هذا، بجواب صريح (يمكن للمرء أن يكون صريحاً معي كصراحته مع «الله العظيم» ذاته بفرض وجوده أصلاً).

وفوق كل ذلك، لنكن ونظل بمعنويات طيبة: فهناك مائة سبب للشجاعة في هذه الحياة.

صديقك نيتشه.

---

(1) الشرطة تدل على الحذف (ربما على يد إليزابيث) من الأصل. كان شمايتسنز يتعامل مع طباعين: هما تويبنر وناومان. وكان تويبنر قد طبع القسم الأول من **زرادشت**، وتكفل ناومان بالقسمين اللاحقين. وقد طبعت أربعون نسخة من القسم الرابع بشكل خاص عام 1885.

111. إلى مالفيدا فون مايزنبوغ

نيزا، 13 مارس 1885

صديقتي الغالية:

هل كنت تتساءلين لماذا توقفت عن الكتابة إليك؟ لقد كنت أتساءل عن ذلك أيضاً، لكني في كل مرة بدأت فيها، كنت أضطر في النهاية لترك القلم جانباً. ولو علمت أنا السبب، لما تساءلت من ثم، ولكني ربما سأظل عندئذ حزيناً.

لم أكن بخير طوال هذا الشتاء بأسره (فقد افتقدت الهواء الجاف، بفضل الطقس غير المعتاد لهذا العام)، وحين جاءت رسالتك العطوفة، كنت شديد المرض وطريح الفراش. لكن هذه قصة قديمة، وقد اكتفيت من كتابة الرسائل حول صحتي. «مساعدة» من ذا يمكنه مساعدتي! إني بنحو عام أفضل طبيب لي. والجانب الإيجابي، لذلك ـ وهو أن بوسعي تحمل الأمر وفرض إرادتي ضد كل هذه المقاومة ـ هو البرهان عليه.

خلال هذا الشتاء كان هناك ألماني يحف بي، «ويعاملني بتبجيل» شكراً للسماء على ذهابه! لقد أملّني، وخلال محادثاتنا كنت مضطراً للصمت حول الكثير من الأمور[1] واهاً *للتارتوفية* الأخلاقية لهؤلاء الألمان

(1) وهو باول لانسكي، الذي كان نيتشه يعتمد عليه لأجل «جمعيته الطيبة» أو أخوية *العلم المرح*.

المباركين[1] لو أن لك أن تعديني برجل كالأب غالياني في روما! ذلك رجل يناسب ذوقي ـ وكذلك ستنذال. أما عن الموسيقى، فقد اختبرت في الخريف الماضي، عن عمد وفضول، كيف موقفي الآن تجاه موسيقى ريتشارد فاغنر. ما أبشع شعوري تجاه موسيقاه الغائمة الدبقة ـ وفوق ذلك: المتوترة والمتعجرفة! فهي بشعة مثل ـ مثل ألف شيء ـ لنقل مثلاً فلسفة شوبنهاور. إنها موسيقى ألفها موسيقيّ ورجل ضلّ طريقه ـ لكنه ممثل عظيم ـ وأقسم على ذلك. لكني أرحب بالموسيقى الشجاعة البريئة لتلميذي وصديقي بيتر غاست، وهو موسيقي أصيل؛ وسيعمل هو لضمان أن الممثلين وأشباه العباقرة لن يخربوا ذوق الناس لمزيد من الوقت، وأسفا على شتاين! إنه يظن حتى إن ر. فاغنر فيلسوف!

لماذا أتحدث عن ذلك؟ لا أقصد إلا أن أعطيك بعض الأمثلة. من أوجه السخرية في موقفي أنه يخلط بيني وبين البروفسور السابق في بازل د. فريدريك نيتشه! ليذهب إلى الشيطان! ما علاقتي بهذا الشخص!

للتأكيد، *يا صديقتي الغالية*، فهذه الرسالة ستظل «فيما بيننا».

أعطيني رجاءً عنوان هذا الدير! فلعلي أحاول زيارة روما في وقت ما من الخريف، بضمان أن بوسعي أن أعيش هناك غفلاً ولا شيء غير طبيعي قد يفرض على طبيعتي كناسك[2].

---

(1) نسبة إلى شخصية تارتوف التي اخترعها المسرحي الفرنسي موليير، وهو متشدّد ديني منافق يستغل مظهره لإغواء امرأة غنية متزوجة. (المترجم)

(2) كانت مالفيدا قد أخبرت نيتشه عن دير يمكنه المكوث فيه في روما. وقد يكون قوله «لا شيء غير طبيعي» نكتة عابرة بحقه هو (ما دام الناس لا يعرفون أن هذا الناسك غريب الأطوار). ونظرا لشعوره بأن ذلك قد يكون غير لائق في رسالة إلى مالفيدا، يحاول نيتشه تغطية آثاره بالجملة اللاحقة، التي توحي بمعنى «ستفهمين بالتأكيد لو تباعدت عنك، في حال بقيت في هذا الدير».

أتعلمين بالتأكيد كم أنا مخلص لك؟

المخلص ن.

لا أحب هذا الساحل. فأنا أكره نيس، لكنها في الشتاء تمتاز بالهواء الأشد جفافاً في أوربا.

112. إلى فرانسيسكا وإليزابيث نيتشه

نيس، 31 مارس 1885

يوم السبت

وأخيراً يا عزيزتيّ ـ وأعني بذلك منذ ساعة مضت ـ فأنا مستعد لإخباركما بخططي لهذا الربيع. لم تعد زيورخ في جدولي، نظراً لقرار مفاجئ من جانب السيد غاست؛ فقد سمعت منه هذا الصباح أنه لم يعد بوسعه أبداً أن يحتملها وهو الآن في طريقه إلى البندقية. ولكني فعلاً بحاجة إلى لقاء السيد غ. الآن، لأن لدينا خططاً مشتركة؛ وكذلك فبالنسبة لحالة عينيّ الآن، فإن البندقية تعد أفضل الأماكن يكفي ذلك؛ فأنا سعيد جداً بهذا الانعطاف في الأحداث، الذي أراحني من عناء الرحلة نحو زيورخ.

لقد واجه السيد غاست في زيورخ نفس المشاكل التي واجهتها في بازل (وأعني بذلك: طوال عشر سنين من شبابي!): فالطقس في هاتين المدينتين يتضارب مع قدراتي الإبداعية، وهذا العذاب المستمر يمرضنا. ومن هذا الجانب فقد كانت بازل مصدر بؤس كبير لي، وما زلت أعاني من الآثار اللاحقة المريعة لتلك الفترة (ولن أتعافى منها أبداً).

إن المرء يعاقب بشدة على جهله. فلو أني، في اللحظة المناسبة، شغلت نفسي بمشكلات طبية، مناخية، وما شاكل، بدلاً من انشغالي مع ثيوغنيس

وديوجينس اللايرتي، لما تحوّلت إلى الشخص نصف المتهدم كما هو حالي اليوم.

وهكذا يخسر المرء شبابه، وهو الآن يتجاوز الأربعين لكنه ما يزال يقوم بتجاربه الأولى مع ما يحتاج المرء إليه وتلزمه الحاجة إليه قبل عشرين عاماً.

ستلاحظان أني الآن مجدداً في حالتي العقلية الأشد هدوءً؛ والسبب الرئيس لذلك هو مغادرة السيد لانسكي. إنه رجل معتبر جداً ومخلص لي للغاية، ولكن ما حاجتي لأي من هذين الأمرين! فهو يمثل لي ما أسميه «الجو الغائم»، «الجو الألماني»، وما شاكل. والواقع أنه ليس في الأحياء أحد ممن أقيم له وزناً؛ فكل الذين أحبهم قد توفوا منذ وقت طويل جداً مثل الأب غالياني، هنري بايل، أو مونتين.

أما بالنسبة لمستقبل أختي، فلدي أفكاري الخاصة، وأعني بذلك أني لا أرى من الحسن للد. فورستر أن يعود إلى الباراغواي؛ فأوروبا ليست بذاك الصغر؛ وإن لم يرغب المرء بالعيش في ألمانيا (وأنا مثله في هذا الأمر)، فلن يحتاج المرء للذهاب بعيداً جداً، ولكني بالطبع لا أمتلك حماسته تجاه «كل شيء ألماني»، فضلا عن الحفاظ على هذا العرق «المجيد» نقياً. بل على العكس، على العكس ـ اعذراني ـ يمكنكما أن تريا كم أنا هادئ. ربما نلتقي مجدداً هذا العام. ولكن ليس في ناومبورغ؛ فأنتما تعرفان أن ذلك لا يناسبني، وهذا المكان لا يضرب أي أوتار في قلبي؛ فأنا لم «أولد» هناك ولم أكن «في منزلي» هناك.

كانت نيس في هذا الشتاء أقل إشراقاً وجفافاً من المعتاد. لكني لن أتمكن من المغادرة حتى نهاية مارس.

مع الود، محبكما ف.

نسيت يا أمي الغالية أن أشكرك على رسالتك التي تقاطعت مع رسالتي. لم يخطر على بالي ولو للحظة أن «آخذ» أي شيء على محمل «سيئ»؛ بل على العكس!

113. إلى فرانز أوفربيك

[31 مارس 1885]

وصل كل شيء بأمان. شكراً لك، يا صديقي العزيز القديم، لكل هذا العناء والعناية التي تكبّدتها لأجلي. إنك لا تكتب أي شيء عن صحتك أو صحة زوجتك. وأرى من الفأل الحسن أنك قد تحملت هذا الشتاء مع حظ أفضل مني. أما أنا فقد كان أمامي الكثير مما يجب قهره، والعديد من أيام المرض. استمرت عيناي بالتدهور. ولم تساعدني أدوية شيسن. ومنذ الصيف الماضي حدث تطور جديد لا أفهمه ـ بقع، تشوش، ودمع سائل أيضاً. علي حقاً ألا أمكث مجدداً في نيس: فخطر الدهس في الشارع شديد للغاية. وكان على أحدهم دوماً أن يخدمني على المائدة؛ ولا أرغب بأن آكل وسط رفقة ما دامت هذه الحالة دائمة.

لعلي سأجنب نفسي عناء هذه الرحلة نحو الشمال؛ فمخاطر وانفعالات السفر وحيداً قد أصبحت الآن أعظم مما أطيق. لقد عاد د. فورستر من الباراغواي ـ مع ابتهاج عظيم في ناومبورغ. لعل زواج أختي سيعود علي ببعض النفع؛ فسيكون لديها الكثير مما يجب فعله وشخص آخر يمكنها أن تثق به كلياً وتكون مفيدة حقاً بالنسبة له، وهما أمران لم يكونا متاحين دوماً بالنظر لما يخص شخصي.

لم أسمع أي أنباء عن مجريات القضية ضد [شمايتسنر]. وقد حدد

أخيراً لنفسه موعداً نهائياً هو أول يناير ولكنه، كما سبق، تجاوزه دون أن يحدث همهمة حتى. ربما ما زال بوسعي أن أستل منه، وبالتالي من «العموم»، الأجزاء الثلاثة الأولى من كتابي **زرادشت**، وهو ما أريده أكثر من كل شيء.

بالطبع فإني لم أعثر على ناشر للقسم الرابع من زرادشت. حسناً، أنا راضٍ بذلك؛ بل وأستمتع به كضربة حظ جديدة. ما أشد العناد الذي كان علي مقاومته دوماً، بالنسبة لكل منشوراتي! لو كان المرء سيدون خلاصة حياة عميقة وخفية، كما كنت أفعل، فإن النتيجة يجب أن تقدم لعيون وضمائر النخبة الأثيرة من الناس فقط. يكفي ذلك، فلكل شيء أوان. إن رغبتي في الطلاب والوراث تشعرني بنفاد الصبر بين وقت وآخر، وقد جعلني ذلك، كما يبدو، أرتكب خلال الأعوام الماضية حماقات خطرة بشكل قاتل. وفي النهاية فإن الثقل الهائل لمهمتي يعيد إلي توازني دوماً، وأنا أعرف جيداً جداً ما هي الضرورة الأهم.

لقد كنت أقرأ، كضرب من الاسترخاء، الاعترافات للقديس أوغسطين، وكلي أسف لأنك لست معي. واهاً لهذا البلاغي القديم! أي أباطيل، وأي استخفاف! لكم ضحكت! (على سبيل المثال، ما يخص «سرقة» شبابه، وهي ببساطة قصة طالب مبتدئ). يا للأكاذيب النفسية! (على سبيل المثال، حين يتحدث عن موت صديقه الأقرب، الذي تشارك معه روحاً واحدة، فقد «عزم على الاستمرار بالعيش، حتى يمكن بهذا النحو لصديقه ألا يموت كلياً». فهذه الأمور زائفة بشكل مقرف). قيمته الفلسفية صفر! أفلاطونية للسوقة، وأعني بذلك: نمطاً من التفكير كان قد اخترع لأسمى نبلاء الروح، كيّفه هو كي يناسب طبائع العبيد. وإضافة لذلك، فالمرء يمعن

النظر في أحشاء المسيحية في طيات هذا الكتاب. وأنا أكتب ملاحظاتي عنه بفضول طبيب وفسيولوجي راديكالي.

إن الاختفاء المفاجئ لموسيقيّنا «الناكص»، الذي أزعجني أيضاً ببطاقة بريدية، قد أثار غضبي. لا نفع في الأمر - علي أن أذهب إلى البندقية مجدداً، كما في العام الماضي، وأرى ما هو الأمر حقاً. وعلى كل حال، فعلينا أن نكون منصفين؛ فقد كان لأعوام يعيش حياة كلب محتقر بوصفه ناسخاً موسيقياً - ولذا ليس من المفاجئ أن يخلع العنان ولو مرة! إن نسخ مقطوعات ضخمة، وكتابة نوتات للبيانو، خلال السنوات المنتجة من حياة رجل منتج، حين كان أحوج إلى أمر مختلف، يعد بؤساً في نظري. لم يمر ريتشارد فاغنر بوقت سيئ كهذا، وحتى السيد بونغرت يستعين بموسيقيين ونساخ آخرين لأغراض كهذه. لكنه بلا مال، *هذا* هو *الأمر!* [بالفرنسية] ولهذا فعلى «أسد البندقية» هذا أن يزأر في العلن أولا. وأنا أرغب في فعل ما أستطيع لمساعدته.

لقد ضحكت من تحذيرات الآنسة فون ساليس. وذلك أمر ينتمي إلى دقائق أفكار *الناشطين المحرضين* (بالفرنسية)؛ فقد أرادت بالضبط ما تمكنت من تحقيقه - وهو الرفض - كي تملك أساساً «للتحريض»[1].

تحياتي الودية إليك وإلى زوجتك العزيزة؛

المخلص دوماً ف. ن.
نيس، 31 مارس 1885

(1) كانت قد طلبت السماح لها بحضور محاضرات ياكوب بوركهارت في بازل؛ وقد دعم بوركهارت بشدة هذا الطلب في اجتماع للأوصياء في 19 مارس، لكن طلبه رفض خلال التصويت. ولم يسمح للنساء بحضور محاضرات الجامعة آنذاك.

114. إلى إليزابيث نيتشه

البندقية، 20 مايو 1885[1]

عزيزتي لاما:

في هذا اليوم الحاسم من حياتك (الذي لن يتمنى فيه أحد لك السعادة والرفاه والحظ السعيد والمعنويات الطيبة أكثر مني). في هذا اليوم علي أن أعد حساباً لحياتي[2]، فمن الآن فصاعداً سيكون قلبك وعقلك، قبل كل شيء، مشغولين بأمور مختلفة جداً عن هموم أخيك ـ وذلك أمر صحيح وجيد ـ وبالمثل فمن الطبيعي أن تقتربي أكثر فأكثر من نمط تفكير زوجك ـ مهما وجدت فيه أشياء جديرة بالتقدير والإعجاب. وهكذا سيكون لديك في المستقبل نوع من الدلائل على المدى الذي ستتطلّبه منك أحكام أخيك من حيث الحكمة وحتى الصبر أيضاً، كما أصفه لك اليوم، بوصفه علامة على عظيم المودة، وكذلك الطبيعة السيئة والصعبة لحالتي. لم أجد حتى الآن، منذ طفولتي المبكرة، أحداً يملك نفس احتياجات القلب والضمير التي أملك. ولا يزال هذا يدفعني اليوم، كما هو الحال في جميع الأوقات، إلى تقديم نفسي بأفضل ما يمكنني، مع شعور سيء للغاية غالباً، بين نوع أو آخر من أنواع البشر المقبولة والمفهومة هذه الأيام. ولكن عدم استطاعة

(1) كان نيتشه يقيم مع غاست في البندقية منذ 10 أبريل إلى 6 يونيو.
(2) تزوجت إليزابيث من برنهارد فورستر في 22 مايو.

المرء أن ينمو حقاً إلا بين أناس من ذوي العقلية المتشابهة والإرادة المماثلة، هو أمر يعد بالنسبة لي من مسلّمات الإيمان (وصولا حتى للنظام الغذائي ومتطلبات الجسم)؛ ومن سوء حظي أني لم أرزق مثل هؤلاء الناس. كان وجودي في الجامعة محاولة مرهقة للتكيف مع بيئة مزيفة؛ وكان نهجي تجاه فاغنر عين ذلك النهج، ولكن في الاتجاه المعاكس. لقد نتجت كل علاقاتي الإنسانية تقريباً عن نوبات الشعور بالعزلة: مثل أوفربيك، وكذلك ريه ومالفيدا، فقد كنت سعيداً لدرجة مضحكة لو وجدت، أو ظننت أني وجدت، في شخص ما قطعة أو زاوية صغيرة من الاهتمام المشترك.

إن عقلي مثقل بآلاف الذكريات المخزية عن لحظات ضعف كهذه، لم أكن فيها أستطيع أبداً أن أتحمل العزلة لوقت أطول. وهذا فضلاً عن مرضي، الذي يثبطني دوماً بأشد الأنحاء رعباً؛ فأنا لم أكن مريضاً بهذا العمق دون سبب، وأنا الآن مريض بنحو الإجمال وما أزال ـ أعني أني مكتئب ـ كما أقول، ببساطة لأني كنت أفتقر للبيئة المناسبة، وكان علي دوماً أن أتظاهر بدلاً من أن أنعش نفسي بصحبة الناس. ولهذا السبب فإني لا أعتبر نفسي بأي حال شخصاً كتوماً أو متحفظاً أو شكاكاً؛ بل على العكس! فلو كنت كذلك، لما كنت لأعاني لهذا الحد! ولكن المرء لا يستطيع ببساطة أن يتواصل فحسب، مهما رغب في ذلك؛ فعليه أن يعثر على شخص يصبح معه التواصل ممكناً. فالشعور بأن هناك شيء قصيّ وغريب جداً حولي؛ بأن كلماتي تملك ألواناً مختلفة عن نفس الكلمات وهي صادرة من آخرين، بأن لدي واجهة أزخر بالألوان، وهو أمر خادع، هذا الشعور بالتحديد، الذي باتت تصلني حوله مؤخرًا شهادات من شتى الجوانب، يمثل رغم ذلك أدق درجات «الفهم» التي حققتها حتى الآن.

كل ما كتبته حتى الآن واجهة؛ أما الأمر الحقيقي فلا يبدأ عندي إلا مع شرطات قصيرة.

إني أبحث في أخطر الأمور؛ أما كوني أرشح للألمان بين وقت وآخر، بنحو رائج، أن يعودوا لشوبنهاور أو فاغنر أو يفكروا في **زرادشت** ـ فهذه الأشياء ترفيه بالنسبة لي، لكنها فوق كل شيء أماكن اختباء، يمكنني أن أجلس خلفها مجددًا ولو لوقت قليل.

ولهذا فلا تحسبي أني مجنون، يا لاما العزيزة، واغذريني بالخصوص لعدم مجيئي إلى زفافك، فإن فيلسوفاً «مريضاً» سيكون من الشؤم أن يقوم بتسليم العروس!

مع ألف من أطيب الأماني الودَية،

المخلص ف.

115. إلى فرانسيسكا نيتشه

[البندقية، نهاية مايو 1885]

أمي العزيزة الطيبة:

لقد شعرت طوال هذا الوقت بقدر ما كنت تشعرين به؛ وقد نفذ الأمر برمته من خلالي مثل السكين. ونظراً لأن ابنك يعاني من صحة معتلة، فقد كان مريضاً؛ هذا الربيع هو أحد أشد المواسم حزناً في حياتي. أفتقد للترويح والأناس الوديين. في يوم الزفاف، كان من حسن حظي أن أذهب في رحلة إلى ليدو مع عائلة من بازل أعرفها من أيامي في نيس؛ وكان من المريح حقاً أن أضطر إلى التحدث مع أشخاص كانوا يتصرفون بلطف وهم مع ذلك نصف غرباء بالنسبة لي.

ربما انتهى كل شيء كما ينبغي؛ فقد تصرف كلانا (أعني الدكتور فورستر ونفسي) بشكل صحيح وبحسن نية تجاه بعضنا البعض. لكنه وضع خطير، ويجب أن نكون حذرين بعض الشيء؛ فبالنظر لذوقي الشخصي، يستحيل أن أكون صلات أكثر حميمية مع محرض كهذا. ولعل نفس الشعور يراوده؛ حيث كتب إليَّ في رسالته الأخيرة، «أتجرأ على الشك فيما إذا كانت علاقة شخصية تكونت قبل مغادرتنا سوف تشعرنا بالرضا الدائم». وأنت تفهمين.

لا أفهم تكوين مستقبله، وأنا من جهتي أشد أرستقراطية من أن

أكون على قدم المساواة قانونياً واجتماعياً مع عشرين أسرة زراعية، كما يقول في برنامجه. ففي مثل هذه الظروف، يتصدر الشخص ذو الإرادة الأقوى والذكاء الأفضل؛ ولأجل هاتين الصفتين على وجه الخصوص، فالرجال المتعلمون الألمان غير مستعدين للغاية. والنظام الغذائي النباتي، الذي يتطلبه الدكتور فورستر، يجعل هذه الطبيعة أشد عرضة للتهيج والكآبة. انظري فقط إلى «آكلي اللحوم» الإنجليز؛ فحتى الآن، كان هذا هو العرق الذي يجيد حقاً تأسيس المستعمرات. الجرأة ولحم البقر المطبوخ، كانت هذه، حتى الآن، هي الوصفة لمثل هذه «الإنجازات».

ما زلت لا أعرف ماذا سأفعل هذا الصيف. ربما أعود لسيلس ماريا القديمة، بالرغم من الذكريات المروعة التي عندي من كل إقاماتي هناك. فقد كنت مريضاً دوماً، ولم يكن لدي شيء من الطعام الذي أحتاجه حقاً، وأشعر بالملل الشديد بسبب ضعف البصر قلة والناس ـ وكان اليأس ينتابني دوماً حين يجيء سبتمبر. أما هذه المرة فقد قمت بدعوة سيدة عجوز تعيش في زيورخ؛ لم أسمع عنها شيئاً بعد حول هذا الموضوع. إن السيدات الشابات ـ على الأقل كل اللاتي ينتشرن حول مالفيدا فون مايزنبوغ ـ لسن حسب ذوقي؛ وقد فقدت كل رغبة في البحث عن وسائل الترفيه هناك؛ بل صرت أفضل حتى صحبة الأساتذة الألمان؛ فهم على الأقل قد تعلموا شيئاً صلباً وصادقاً، وبالتالي يمكن للمرء أن يتعلم منهم شيئاً.

تزداد عيناي سوءاً يوماً بعد آخر، وما لم يأت أحدهم ويساعدني، فربما أفقد البصر بحلول نهاية العام؛ ولذلك سوف أقرر عدم القراءة

والكتابة على الإطلاق، لكن المرء لا يمكنه أن يصمد عندما يكون وحيداً تماماً.

مع الحب دوماً،

ابنك ن.

يزعجني دوماً أن صحتي الحمقاء وناومبورغ ومنزلك فيها أمران لا يتلاءمان مع بعضهما البعض. ولو أمكنك أن تكوني معي لنلت بذلك راحة كبيرة حقاً.

البندقية (إيطاليا) (يحفظ بمكتب البريد).

116. إلى بيتر غاست

سيلس ماريا، 23 يوليو 1885[1]

صديقي العزيز:

كان بوسعي أن أراهن على أنك سترد بنفسك على خطاب «صرخة الغوث» خاصتك بهذا النحو، كما تظهر بطاقة اليوم البريدية ـ بنحو أفرحني جداً، كما أعترف بسعادة، فأنا وحدي أعرف جيداً ـ من خلال تجربتي الخاصّة ككاتب رسائل، الظاهرة التي أسميها «الرد على النفس»، وكذلك كيف يمكن أن يرتكب المرء خطأً أحمق، وقلة ذوق أيضاً، لو تدخل المرء ـ بوصفه المستلم للرسالة ـ مع اعتراف سريع بالتعاطف مع هذا «القرار» الطبيعي (أي استعادة السيادة الشخصية). ها أنا ذا أتحدث كالمتحذلق! ولكني أشعر بذلك كصديق، صدقني!

لقد لاحظت بالأمس، من أجل تقوية نفسي خلال المسار الذي أسلكه في الحياة، عدداً من السمات التي أكتشف بها «التميز» أو «النبالة» لدى الناس، وعلى العكس، ما الذي يتعلق «بالرعاع» في طباعنا. (في كل حالات مرضي أشعر، بشكل مرعب، بنوع من الهبوط إلى ضعف الرعاع، رفق الرعاع، وحتى فضائل الرعاع، هل تفهم هذا؟ أنت مثال للصحة!) من المتميز أن تقدم انطباعاً ثابتاً عن التفاهة، يخفي وراءه صلابة وضبط

(1) كان نيتشه في سيلس ماريا منذ 7 يونيو وحتى أواسط سبتمبر.

نفس رواقيين. من المتميز أن تسير ببطء، في كل الأنحاء، وأن تكون ذا وقع بطيء. ومن الصعب علينا أن ننبهر بالأشياء. فلا يوجد الكثير من الأشياء القيمة؛ وتلك القيمة حقاً تأتي إلينا من تلقاء نفسها، بل تريد أن تأتي إلينا. من المتميز أن تتفادى الأوسمة الصغيرة ولا تثق بأي شخص يسارع في الإطراء. من المتميز أن تشك في قابلية توصيل المشاعر؛ العزلة أمر متميز غير المختارة بل الممنوحة. [من المتميز] أن تكون مقتنعاً بأن الفرد لديه واجبات تجاه أقرانه فقط، ويتصرف تجاه الآخرين كما يراه مناسباً؛ أن تشعر دوماً بأن لدى المرء تقديراً يمنحه، ونادراً ما تقر بأن لدى شخص آخر تقديره الذي يعنينا به؛ أن تعيش معظم الوقت متنكراً، وأن تتنقل في خفاء - لو صح التعبير[1] - حتى تتجنب الكثير من العار أن تكون قادراً على الخمول *otium* وليس فقط أن تكون مشغولاً مثل الدجاج - تقاقئ، تضع بيضة، وتقاقئ مرّة أخرى، وهلم جرا، وهلم جرا! يا صديقي القديم، أني أمتحن صبرك، ويمكنك بالتأكيد أن تخمن ما يرضيني ويسرني في حياتك وما أود أن أشدد عليه أكثر وأكثر.

إن فكرتك عن السيد فيدمان[2] مما أرحب به بأشد حرارة، أرسل إليه نسخة[3] بنحو يفصح له عن اهتمامي الودي به، كشكل من التهنئة على

---

(1) قارن هذا بجملة وردت في رسالة إلى أوفربيك، بتاريخ 2 يوليو 1885: «حياتي تتمثل الآن في تمني أن كل شيء سيصبح مختلفا عن النحو الذي أفهمه به، وأن أحدهم سيجعلني لا أصدق «حقائقي»».

(2) باول هاينريش فيدمان: كان هو الموسيقي الذي أتى مع غاست، لأول مرّة، إلى بازل لزيارة نيتشه. وكان غاست مسؤولا عن إرسال نسخ من القسم الرابع من زرادشت.

(3) هامش من نيتشه: كنت أتساءل إن كان القسم الرابع من زرادشت قد قاومك. وهو بالفعل غير مفهوم، مع مشاهده «وأحداثه العالمية» البعيدة؛ لكنها حدثت حقا، وليست اعتباطية أبدا. وهذه معلومات تخصك، بوصفك «فردي» الخاص.

إنجازه لعمله. لا أعلم بالأمر، لكن ما تشير إليه بخصوص «التوازنات» و«القوة التي لا تتحطم» ينتمي أيضاً إلى بنود عقيدتي. لكن دوهرينغ[1] يقف ضدنا؛ وقد وجدت بالصدفة توّاً هذه العبارة الرائعة: «إن الحالة الأصلية للكون ـ أو بنحو أدق ـ الحالة اللامتغيرة للمادة التي لا تقتضي أي تراكم زمني للفروق، هي مسألة لن يستخف بها إلا عقل يرى قمة الحكمة في التضاعف الذاتي لقواه التوليدية». وهكذا فإن هذا «الميكانيكي» من برلين يعتبرنا، يا صديقي العزيز، مغنيين مخصيين *castrati*[2]، لكني على الأقل آمل أن نملك شيئاً من التعويض عن النقص الذي يشير إليه في قدرتنا على «الغناء بنحو أفضل» من السيد دوهرينغ. إن نبرته وأسلوبه هما الأشد إثارة للمقت في حد علمي. وقد أخبرتك برأيي ذات محادثة: أن الفضاء «المحدد» ـ وأعني به الفضاء المقيد ـ نتيجة لا مفر منها لرؤية العالم الميكانيكية، وأن استحالة وضع التوازن بالنسبة لي يبدو متلازماً مع مسألة شكل الفضاء الكلي ـ وهو بالتأكيد ليس «كروياً».

إن صحتي متقلبة بنحو مقلق بين خطر كبير أو آخر. لقد غادرت السيدة رودر قبل أسبوعين، بذكرى طيبة[3]! وقد أعانتني على تجاوز شهر سيئ مع أفضل المعنويات.

الجو حار، حار بعبثية، حتى هنا.

صديقك نيتشه

---

(1) أويغن دوهرينغ (1833 ـ 1921) فيلسوف مادي من برلين.

(2) الكاستراتي طائفة من المغنين كانوا يخصون في صغرهم كي يظل صوتهم رفيعا كأصوات النساء، وكان بعضهم يعين في جوق المرتلين الخاص بالبابا. وقد انقرضت هذه الطائفة في القرن التاسع عشر بعد شيوع المعرفة بالأخطار الطبية للخصاء. (المترجم)

(3) يعني لويزه رودر ـ فيدرهولد، من كارلسروه.

117. إلى فرانز أوفربيك

لايبزغ [أكتوبر 1885]

آونشتراسه، 48/ II يميناً

صديقي العزيز:

تحية من لايبزغ! سوف يفاجئك الأمر، لكنني لم أستطع مقاومة القدوم إلى ألمانيا مرّة أخرى هذا الخريف (رغم أنه لم يتبق لي شيء هنا، بالجسد أو «الروح»)، من أجل رؤية والدتي وأختي معا، مرّة أخرى، ومن يدري، فلعلها المرة الأخيرة. ذلك أن «المستعمرين» الجدد سيغادرون، إما في يناير أو فبراير القادم، وليس بمفردهم لحسن الحظ بل بصحبة آخرين، وكلهم أناس رائعون ومحترمون. لم أر الدكتور فورستر بعد، لأنه ما يزال في ويستفاليا، يتحدث ويتجول على حصانيه بالتناوب (وهما الباراغواي ومناهضة اليهود)، وسوف يفعل الشيء ذاته في ولاية سكسونيا في نوفمبر. ليس لدى أمثالنا أدنى فكرة عن قدرة العمل والدعاية المرتبطة بهذه المهام. لكن ما يسرّي عني هو الإجماع على مدح شخصيته (لأنني كنت مهتمّاً خفية بالتوصل عبر سؤال الأصدقاء والأعداء، إلى السمعة التقريبية لهذا «القريب» غير المتوقع للغاية).

هناك بالتأكيد أسباب وجيهة بما يكفي لعدم الثقة بشكل عام في مناهضي

اليهود بنحو أكبر مما يمكن للمرء أن يراهم به. فقضيتهم أكثر شعبية بكثير مما يفترض المرء عن بعد - والنبلاء البروسيون أجمعهم في حالة نشوة بالفعل. أما فكرة الاستعمار في الباراغواي فهي شيء درسته شخصياً، على فرض أنه قد يكون لي ملجأ هناك أيضاً يوماً ما. وكان استنتاجي رفضا غير مشروط؛ فاحتياجاتي المناخية هي عكس ذلك تماماً. ولكن من جوانب أخرى، فهناك مزايا جيدة لهذه الفكرة؛ فهي تربة رهيبة للفلاحين الألمان، ويمكن لأهل وستفاليا وبوميرانيا أن يبحروا إلى هناك وعقولهم في راحة، ولكن دون توقعات خلابة جداً. أما إن كان ذلك هو المكان المناسب لأختي وزوجي أم لا، فهذه مسألة أخرى؛ وأنا أعترف أني ووالدتي كثيراً ما نشعر بالقلق حيال ذلك. وبقاء والدتي من ثم لوحدها هو مصدر قلق آخر بالنسبة لي. ربما ستقضي معي جزءاً على الأقل من كل عام، ربما في البندقية. وستكون هذه فائدة كبيرة بالنسبة لي، نظراً لحالتي الجسدية ونصف العمى، فوجود ممرضة محترمة (إنك ستدرك أن والدتي تريدني أن أتزوج [-][1]، لكن أمانيها تذهب ضياعاً) يصبح أمراً ضرورياً بنحو متزايد، ناهيك عن عزلتي الداخلية التي لم تستطع أقوى إرادة في العالم حتى الآن أن تنتزعني منها. أتقبّل هذه العزلة بوصفها نصيبي، وأرغب أيضاً في أن أتعلم تحملها دون اعتبارها مأساة.

في واقع الأمر، فإن ما أفتقده الآن هو شخص يضع المساحة والمسافة المناسبة من حولي، بنحو أشبه بمنظم الاحتفالات، من شأنه أن يجنبني *الأضرار* التي لا لزوم لها والتي تعرضت لها خلال السنوات الأخيرة، كما أني بت أتعرض لها الآن مرة أخرى. يبدو أنه يجب إثارة ضجة كبيرة حولي

(1) تشير الشرَطة إلى حذف من المحرّر (كما يرد لاحقا في هذه الرسالة).

مرة واحدة في الشهر على الأقل، خاصة من قبل النساء غير المتزوجات، اللائي صرن يفقدن في عصرنا هذا رقة قلوبهن وتواضعهن بشكل رهيب. حسناً، على أي حال، لعل السماء تمنحني هبة أن ينساني الناس تدريجيا، وتكف وحدتي عن أن تكون ذريعة للثرثرة المخزية. لا تزال خططي لسيلس ماريا قائمة: فقد توفر ما تحتاجه عيناي بأفضل نحو هناك، من خلال إنشاء مسارات مظللة وإعادة ترتيب الأثاث في غرفتي. لم يحسم أي شيء لفصل الشتاء حتى الآن. ربما أذهب إلى البندقية، والتي ستكون متاحة لي كناسك بعد رحيل كوسليتز (إلى فيينا). أما قضية شمايتسنر فهي شاغلي الأول [ـ ـ]. كيف حالك يا صديقي العزيز؟

نيتشه

في منتصف الشهر سأكون في ناومبورغ مرة أخرى. لا أستطيع في الوقت الحالي أن أقدم لك تفاصيل رغباتي النقدية.

118. إلى هاينريش فون شتاين

لايبزغ، 15 أكتوبر 1885

سيدي العزيز والحبيب:

كانت رسالتك، التي اكتشفت وصولها في مكتب البريد بالأمس، أخاذة جداً ـ وأنت محق، فأي نفع سيأتي به إثبات أنه، من جانبي على الأقل، قد حل بك الظلم؟ إني أتصرف كالحيوانات المريضة وأختبئ بعيداً في «كهفي»، ولايبزغ أقرب إلى الكهف في هذا النحو مقارنة بناومبورغ. لم تكن الرحلة نحو الشمال ناجحة ـ فقد كانت صحتي دوماً مرهقة ومثقلة؛ وقد ظلت بضع مسائل مالية، يبدو أنها عاجلة، تستعصي على الفض. وهلم جرا.

رأيت بالأمس كتاب ريه عن الوعي، كم هو فارغ، وممل، وباطل[1]! على المرء ألا يتحدّث إلا عن الأمور التي تنبع من خبرته.

لكني شعرت بنحو مختلف جداً تجاه الرواية القصيرة بقلم *أخته الملازمة* [بالفرنسية] سالومي، التي يمكنني فوراً تصورها بشكل تهكمي[2]، فكل جانب شكلي منها يبدو أنثوياً، ناعماً ـ وحين تتظاهر بأن رجلاً عجوزاً هو من يقص القصة ـ فهو كوميدي ببساطة. لكن للأمر نفسه

---

(1) يقصد **تشكُّل الوعي** (برلين، 1885).

(2) **في الكفاح لأجل الله** (برلين، 1885)، تحت الاسم المستعار «هنري لو».

جانبه الجاد وحظه من الرفعة؛ وحتى إن لم يكن المبدأ الأنثوي الأبدي هو ما يحرك هذه الفتاة، فلعله المبدأ الذكري الأبدي.

نسيت أن أقول كم يسعني أن أقدر الشكل البسيط، الواضح، شبه الكلاسيكي لكتاب ريه. فهذه هي «العباءة الفلسفية»، ومن المؤسف أنه لا يوجد الكثير من المحتوى في طيّ عباءة كهذه! ولكن لا يمكن أن يكون هناك مديح أرفع من ذلك بين الألمان، كما يخمن المرء، مثلما فعل ريه دوماً، إنه الشيطان الألماني الحقيقي، عبقري أو جني الغموض. فالألمان يظنون أنهم عميقون.

ولكن ما الذي أفعله أنا؟ لقد بدأ دب الكهف بالزئير لنلازم مواقعنا بشجاعة، ومع بعض الاهتمام ببعضنا بعضاً أيضاً؛ لأن ما يناسب الواحد لا يناسب الجماعة. وفوق ذلك كله، عدنا لا نزأر إلا بأقل قدر ممكن!

المخلص نيتشه

(سأغادر خلال ساعة إلى ناومبورغ، حيث سألتقي أخيراً بالد. فورستر).

119. إلى فرانز أوفربيك

[17 أكتوبر 1885]

لايبزغ، آونشتراسه 48/ II يميناً

صديقي العزيز:

كل شيء بأمان بين يديّ، وكذلك تهنئتك بعيد ميلادي، التي وصلتني للتو، بأمان في قلبي. لقد كانت هذه هي التهنئة الوحيدة على الورق التي تلقيتها هذه المرّة؛ وقد فكرت في هذه الحقيقة من حياة طالت واحداً وأربعين عاماً لمدة طويلة. فهي بالطبع نتيجة بنحو ما وربما ليست محزنة بنحو الإجمال، على الأقل حين يملك المرء حقاً في العزم على أن معنى حياته يتلخص في المعرفة. فإلى المعرفة ينتمي الاغتراب، والابتعاد، وربما التجمد حتى. لقد كانت لديك فرصة وافرة لملاحظة كيف كاد مقياس «المشاعر المنجمدة» يصبح تخصصي حصراً؛ فذلك ينتج عن العيش مطولاً «في الأعالي»، «على الجبل»، وكذلك بنحو منصف «طائراً في الهواء»؛ فالمرء يصبح حساساً لأخفى لمسات الدفء، وحساساً أكثر فأكثر؛ بل يصبح المرء ممتناً جداً للصداقة، يا صديقي القديم العزيز!

قضيت يومين في ناومبورغ، «للاحتفال» بعيد ميلادي. وكنت معتل الصحة طوال الوقت ـ ولم أستطع معرفة إن كان سبب ذلك من الخارج

نحو الداخل أو من الداخل فحسب. كانت السماء كثيفة مضببة، ولعلها آخر زيارة لي إلى ناومبورغ.

لم أجد د. فورستر بالرجل المزعج؛ فثمة شيء ودي ونبيل فيه، ويبدو حقاً ممن خلق كي يعمل. لقد فاجأني أن أرى كم من الأمور يتعامل معها دوماً وكم بدا ذلك سهلاً عليه؛ أما أنا فأمري مختلف. وقيمه، كما هو المعقول، لا تتلاءم وذوقي. كل شيء عنده ينجز بسرعة، وأظن أننا (أي أنت وأنا) نجد هذا النوع من العقول عجولاً. ثمة وصف قرأته لفورستر قبل شيء من الوقت، كان منشوراً في صحيفة التايمز، أجد الآن أنه تقييم منصف.

وفي الوقت ذاته فقد ظلت قضية شمايتسنر تطول وتطول ـ ولا يحق لي القول بأنها كانت تتقدّم «للأمام» على الإطلاق. فمنذ الاثنين الفائت، عقدت العزم على اتخاذ أشد قراراتي حسماً ـ وهو *الصمت* الأعمق. لا شيء في الأفق سوى المزاد الإجباري؛ فمنذ شهر يونيو كان انشغاله بالنشر إجمالاً قد فرض علي قانونياً كتعهد. وبافتراض انعقاد هذا المزاد، ستتم محاولة لاسترداد كل كتاباتي إلي، حتى أستطيع تحويلها إلى ناشر جديد وأجدر (لعله فايت وشريكه، أي السيد كريدنر في لايبزغ). وهذه هي الخطة. لن أتمكن من المغادرة حتى يحسم الأمر.

تلقيت بالأمس من بائع الكتب نسخة من كتاب ريه تشكل الوعي، وبعد نظرة سريعة إليه شكرت نجوم الحظ على أني رفضت قبل عامين أو ثلاثة أن أتقبل إهداء هذا الكتاب، الذي كان موجهاً إلي. هذا الكتاب فقير، و«خَرِف» بشكل غير مفهوم. وفي الوقت نفسه، وبصدفة ساخرة، وصلني كتاب الآنسة فون سالومي، الذي كان تأثيره في معاكساً. شتان ما

بين الشكل الأنثوي الشاعري والمحتوى العازم والمتضلع! ثمة رفعة في هذا الكتاب؛ وإن لم يكن المبدأ الأنثوي الأبدي هو ما يدفع هذه الآنسة الزائفة للأمام دوماً، فلعله إذن المبدأ الذكري الأبدي. وفي طياته أجد مائة صدى لمحادثاتنا في تاوتنبورغ.

أفضل التحايا مني إلى زوجتك (بالمناسبة، أخبرني فورستر عن لقاء لطيف للغاية جمعه بكما، وقد كنت أظن أنه كان غريباً تماماً عنكما!)

المخلص نيتشه

لايبزغ، 17 أكتوبر 1885.

120. إلى برنهارد وإليزابيث فورستر - نيتشه

نيزا، بعد عيد الميلاد 1885

يا عزيزيّ:

الجوّ بديع هنا؛ ولذا فعلى حيوانكما أن يلبس وجهاً سعيداً مجدداً، رغم أنه مر بأيام وليال شديدة السوداوية. ولكن عيد الميلاد أصبح يوم احتفال. لقد تلقيت هداياكما اللطيفة ظهرًا، وفوراً علقت السلسلة حول رقبتي، وتسلل التقويم الصغير الجميل إلى جيب معطفي. ولكن حين كان ذلك يحدث، فإن «المال» قد اختفى، لو أنه كان هناك مال في الرسالة (فرسالة أمنا تقول ذلك). سامحا حيوانكما الأعمى الذي فتح أغراضه في الشارع؛ لا بد أن شيئاً ما قد سقط، لأني بحثت بحرص عن الرسالة. آمل أن تكون هناك امرأة فقيرة ضعيفة بالقرب مني، وجدت من ثم هديتها «من يسوع الطفل» واقعة في الشرق. ومن ثم ذهبت إلى شبه جزيرة سانت جان، وتمشيت لمدة طويلة حوالي الساحل بأكمله، وجلست أخيراً بين بعض الجنود الشباب الذين كانوا يلعبون *البُول*[1] الورود والغرانيق اليانعة تزدهر في الأسيجة، وكل شيء أخضر ودافئ ليس وردياً على الإطلاق! ومن ثم شرب حيوانكما ثلاثة أقداح كبيرة من خمر حلو محلي وكاد يصبح سكراناً *قليلًا*؛ واتجهت من ثم إلى الموجات وقلت حين شخرت لي بنحو غير

(1) لعبة قمار فرنسية تشبه الروليت. (المترجم)

متحفظ، كما يقول المرء للدجاج، «كش، كش، كش!»، ومن ثم عدت إلى نيس مجدداً، وأكلت عشاء أميرياً في بنسيوني؛ وكانت هناك شجرة ميلاد مشرقة كبيرة أيضاً. تخيلي فقط، لقد تمكنت من العثور على محل مخبوزات فاخر يعرف ما هي كيكة الرائب؛ وقد أخبرني بأن ملك ورتمبرغ قد طلب واحدة منها لعيد ميلاده. وقد ذكرتني كلمة «أميريّ» بذلك.

كنت معتل الصحة لبضعة أيام. ولهذا تركت الرسالة غير ناجزة. وفي ذلك الوقت أبلغني أوفربيك بأن روده قد عرض عليه منصب في لايبزغ. أتساءل: هل سيقبل به؟ الغريب أني أجد من المؤثر أن أفكر في أن كل شيء لا يدفعني للشعور بالتشرد التام يتجمع الآن في لايبزغ أو قربها. في الواقع، لقد كان من اللطيف أن أزور لايبزغ مجدداً في الخريف الماضي، مع شيء من السوداوية، لكنها سوداوية من النحو الذي يتبّل كل مباهج الحياة لأناس مثلنا مع عطر وردة قديمة باهت لما هو عسير المنال.

لن تصمد عيناي، على المدى البعيد، إلا في الغابات؛ ولكن على الأصدقاء القدامى أن يعيشوا أيضاً قرب تلك الغابات. ألن يسمي المرء ذلك، بالنظر لكل الأمور، «روزنتال»[1]. لقد أعلن مجلس مدينة لايبزغ مؤخراً الحرب على الثوم (وهو الشكل الوحيد من مناهضة اليهود الذي تبدو رائحته طيبة لحريشكما[2] ذي الأفق العالمي) ـ معذرة.

مع الحب للأبد

المخلص فريدريك

---

(1) اسم لحديقة كبرى، كانت آنذاك في النواحي الشمال غربية لمدينة لايبزيغ.

(2) الحريش أو أحادي القرن هي الترجمة العربية لـ unicorn، المخلوق الخرافي المعروف. (المترجم)

يا للسماء! نسيت أن أتمنى لكما حظاً طيباً وصحة وقوة بلا حد وأفكاراً حسنة وأصدقاء مخلصين للعام القادم.

ملاحظة: لقد تعلّمت أن أنام مجدّداً (دون مهدئات).

121. إلى إروين روده

[23 فبراير 1886] نيس (فرنسا)

شارع القديس فرانسوا دو بول، 26/ II

صديقي القديم العزيز:

أخبرتني أمي مؤخراً عن تعيينك في لايبزغ؛ وقد جعلتني هذه الأنباء أسعد مما كنت عليه لوقت طويل.

منذ ذلك الحين كنت أفكر وأفكر في أن هذا العام لا بد أن يجمعنا. ربما يمكن الترتيب لذلك في الربيع. أفضل من ذلك كله أني أود أن أشهد، بعينيّ وأذنيّ وقلبي، حفل تنصيبك. لا يسعني أن أخبرك كم يهدئني هذا الأمل وينعشني. في الخريف الماضي، أمضيت بعض الوقت في لايبزغ، كما لو كانت فكرة مسبقة؛ آه، قضيته بهدوء، أشبه بالمختبئ، دائم الوحدة تقريباً، لكني أشعر بالدفء لمجرد تذكري لك ولرفقتنا القديمة في هذا المكان. لقد اقتضت الصدفة أن أسمع شيئاً من المشروع الذي يخصك؛ فقبيل الاجتماع الذي نوقش فيه الأمر برمته، كنت برفقة هاينزه وزارنكه. بدا الأمر لي أشبه بحلم، وكأني ربما كنت ذات يوم نوعاً مماثلاً من الحيوانات الحالمة، *فيلولوجيا* بين *فيلولوجيين* [باللاتينية]. لم يسفر الأمر عن شيء، أو كما لعلكم تخبرون بعضكم بعضاً أنت وزملاؤك، «لم يأت الرجل بشيء». وعلاوة على ذلك، فإني لم أصبح أغنى بالأصدقاء؛ فقد

فرضت الحياة علي واجبي، بضغط أكبر وأكبر، مع شرط رهيب هو أن علي تأدية هذه المهمة وحيدًا. فمن الصعب على الناس أن يتابعوا مشاعري؛ وعلي أن أفترض الآن، حتى بين معارفي، أني سأكون عرضة لسوء الفهم المفرط، وأصادق الآن وديا على أي شكل من رقة التفسير، وحتى النية الحسنة لتلك الرقة، فأنا أحمق ـ ولا شك في ذلك. صديقي العزيز القديم روده، يبدو لي أنك تفهم الحياة أفضل، عبر جعل نفسك في وسطها؛ أما أنا فأراها عن بعد أكثر وأكثر ـ وربما بوضوح أكثر وأكثر أيضاً، وبفزع أكثر وأكثر، وبنحو أوسع، وبانجذاب أكبر وأكبر. ولكن الويل لي إن توقفت أبداً عن القدرة على تحمل هذا الاغتراب! فالمرء يشيخ، والمرء يشتاق للأشياء؛ وأنا بالفعل بحاجة للموسيقى كالملك شاؤول، ولكن السماء لحسن الحظ قد منحتني شخصاً شبيهاً بداوود. إن رجلاً مثلي، *في أعمق ضروب البؤس* [بالفرنسية]، لا يمكنه تحمل موسيقى فاغنر على المدى الطويل. فنحن بحاجة إلى الجنوب، وإلى أشعة الشمس «بأي ثمن»، وإلى السعادة ولطف النغمات الموزارتية البريئة. وفي الواقع، ينبغي لي أن أحيط نفسي بأناس يمتلكون نفس مزاج الموسيقى التي أحب ـ ذلك النوع الذي يمكن للمرء معه أن يأخذ إجازة من نفسه ويضحك على نفسه، ولكن لا يمكن للجميع أن يبحثوا عمن يود أن يعثر عليهم ـ ولذا فأنا أجلس وأنتظر، ولا شيء يأتي؛ وقد وصل الأمر حتى هذا الحد، أي أني ينبغي ألا أحذر من إخبار صديقي القديم بأني وحيد.

ها هي رسالتك الأخيرة أمامي؛ ولعلي لم أجب عليها إلا الآن، رغم أن قدراً معتبراً من الوقت قد فات عليها (فالرسالة تحمل تاريخ 22 ديسمبر 1883). كن محسناً لصديقك قليل الكلام، الذي يعيش حياة صعبة من عدة

أنحاء، وقد تعلم أن يخاف من فتح فمه. فقبل أن يدرك المرء ذلك، تنفلت منه شكوى ولا شيء على وجه الأرض أسخف من الشكوى. فهي تهيننا، حتى عند أفضل أصدقائنا.

أرسل لي كلمة تثبت أنك ما تزال تحبني، يا صديقي القديم روده. ومرّة أخرى، فإني أبتهج بحسن حظك أكثر من حسن حظي. بلغ زوجتك أفضل من الدب والناسك المجهول، ومسد رؤوس أطفالك نيابة عني.

مع الحب

صديقك المخلص نيتشه
23 فبراير 1886

122. إلى فرانز أوفربيك

[ربيع 1886] نيس (فرنسا)

شارع القديس فرانسوا دو بول، 26/ II

الخميس

صديقي العزيز:

إن كتاباً صغيراً أحمر أرسلته إليك بالأمس سيخبرك أن فكري كان معك في بازل في وقت مقارب للوقت الذي كنت تكتب فيه إليّ ما أجمل أن نتمكن من الضحك معاً وفيما بيننا حول طرائف كهذه (وحتى أن نغضب معاً)! آه، يا لصحتي الحمقاء التي تبعدني عن أصدقائي! إن الأخبار التي أوردتها حول صحتك (في رسالتيك الأخيرتين)، وكذلك حول عينيك، تجعلانني أتعجب من النحو الذي تستمر فيه بشجاعة هناك في بازل. ولكن بالطبع، والفضل لزوجتك، فالأمور عندك أفضل مائة مرة مما عندي ـ فلديكما عش معاً؛ أما أنا فلدي كوخ في أفضل الأحوال، مهما حاولت التقلب والتململ. يقول لي الناس هنا أنني كنت، طوال فصل الشتاء، في «مزاج رائع»، على الرغم من عدة مشاكل؛ لكنني أقول لنفسي أنني قضيت الشتاء وأنا أشعر *بأعمق ضروب البؤس* [بالفرنسية]، معذبا بمشاكلي ليلاً ونهاراً، وكأني وسط الجحيم ولست في كهفي ـ وأن التواصل صدفة مع الناس أشبه بعطلة بالنسبة لي، وتوبة «منّي» عليّ. يا للنحو الذي يسيء به

الناس فهم السكينة السعيدة! لقد كتبت إلي مالفيدا، تلك الروح العزيزة، التي حافظت بسطحيتها الوردية دوماً على نفسها «في الصدارة» خلال حياة صعبة، ذات مرة بنحو بعث فيّ أمرّ ضروب البهجة، أنها تستطيع الآن أن ترى من خلال قراءتها لزرادشت ذلك المعبد الهادئ يلوح من بعيد، ذلك المعبد الذي سأقيمه على هذا الأساس. حسناً، يكفي ذلك لجعل المرء يموت من الضحك؛ وقد رضيت الآن بعدم اكتراث الناس، وعدم رؤيتهم لنوع «المعبد» الذي أبنيه.

التعافي، يا صديقي القديم العزيز لا أحتاج الآن شيئاً سوى التعافي؛ لكن تحقيقه بات أصعب وأصعب. وموسيقى كوسليتز الخفيفة المنعشة تنتمي إلى ذلك ـ ترى كم عليّ أن أقدم شكراً لقاء هذه اللقية المحظوظة! (ولكنِ لماذا لم تقل لي شيئاً عن رسالة ك التي أرفقتها برسالتي الأخيرة إليك؟ آمل أن شيئاً ما لم يفقد. لقد كتبت إليك ما أن وصلني المال؛ ولم أسمع شيئاً منك منذئذ). لقد مر هذا المسكين بوقت عصيب لأجل ذلك في فيينا، كما في درسدن؛ وقد طلب مني أن أفعل له ما بوسعي مع موتل في كارلسروه[1]. وهذا الأخير، رغم أنه غير معروف لدي شخصياً، قد كتب لي مؤخراً رسالة مفعمة باللطف؛ فقد أقام وزناً كبيراً لتوصيتي («إنها توصية شخص أعجب به بحماس»). وآمل أن تكون أفعاله بحجم أقواله. إن ما تقوله عن نواياك الأدبية يبهجني؛ فأنا أحب القراءة لك جداً، بمعزل حتى عما يمكن أن أتعلمه منك؛ فأنت تبتلع أفكارك بشكل لطيف، وأكاد أقول بشكل محترف، كرجل عارف بالدقائق، لأن ذلك هو ما أنت عليه. لتباركك السماء على ذلك، في عصر يتجه للرثاثة كل يوم.

(1) راجع الهامش هـ للرسالة رقم 161.

في هذه الأثناء كان الناس يحاولون حثي لمعاودة النشاط الأكاديمي. والفكرة هي أن علي أن أحاضر في التاريخ الثقافي - غريب! وهذه الفكرة مألوفة جدا عندي الآن كمجرد وسيلة للتعافي. لكنها تتضمن إساءة تقييم.

أرجو أن ترسل إلي، في أقرب ما يمكنك، المبلغ الذي سيحل أوانه (نصفه بالعملة الفرنسية، ونصفه بالإيطالية، إن لم يثقل عليك ذلك). وسأظل هنا حتى 13 أبريل. لن تسمح لي عيناي بالبقاء مدة أطول. ومن ثم سأذهب إلى البندقية، مع أزقتها المظلمة؛ ثم إلى إنغادن؛ وفي الخريف عليّ أن أذهب وأسرّي عن أمي العجوز المسكينة بنحو ما.

يستعد السيد كريدنر لنشر «مجلد ثان من **الفجر**»؛ وقد كتب أنه يرغب في أن «يعدّ بين المعجبين بي». لم أجد أبداً إيماناً كهذا في إسرائيل. ولا فرق عندي - .

آه، كم ذا بوسعنا أن نتحدث عنه، وكم ذا بوسعنا أن نناقشه معاً، يا صديقي العزيز! أوصل أفضل تمنياتي لزوجتك وأقاربها. سيأتي بي هذا العام مجدداً إلى ميونخ.

صديقك المخلص نيتشه

إني أعمل بجد شديد. ولكن لا داعي للقلق؛ فلن يكون هناك مجلد ثان من **الفجر**.

123. إلى فرانز أوفربيك

سيلس ماريا، 5 أغسطس 1886 [1]

صديقي العزيز:

إليك بعض الأنباء مع طلب! لقد أرسل فريتش للتو برقية من لابزيغ: «وأخيرًا ضمن التحصيل» - وهي كلمات أبهجني سماعها[2] ها هو خطأ قاتل من أيامي في بازل (لعله «ثقة مفرطة»، كما كان الحال كثيراً خلال حياتي) قد صحح أخيراً. ما أنجح رحلتي إلى ألمانيا هذا الربيع! ولكن

(1) كان هذا هو الصيف الخامس الذي قضاه نيتشه في سيلس ماريا. وكان خلال شهر مايو قد قضى أسبوعا في البندقية، ثم ذهب إلى ناومبورغ بعدما مكث لمدة وجيزة في ميونخ. وأقام في ناومبورغ حتى 27 يونيو؛ وخلال هذا الوقت التقى برومه في لابزيغ للمرة الأخيرة. ثم وصل إلى سيلس ماريا في أوائل يوليو، بعدما مكث في كور، وبقي هناك حتى 25 سبتمبر. وكان ما وراء الخير والشر، وهو «الكتاب الجديد» في هذه الرسالة، قيد الطبع خلال تلك المدة، على نفقة نيتشه الخاصة.

(2) كان فريتش يتفاوض مع شمايتسنر كي يحصل منه على حقوق كتب نيتشه. وقد عبر نيتشه عن انزعاجه من شمايتسنر في رسالة إلى أوفربيك تعود لصيف 1886: «طوال أعوام عشرة، لم ترسل أي نسخة إلى بائعي الكتب، ولا نسخ مراجعة أيضا؛ ولا حتى موزع في لابزيغ، ولا مراجعات، وباختصار، فإن كتاباتي منذ إنساني مفرط في إنسانيته هي محض «نوادر». ولم يبع من أجزاء زرادشت سوى ستين أو سبعين نسخة لكل منها، وهلم جرا، وهلم جرا». وقد استولى فريتش على حقوق كل الأعمال التي نشرها شمايتسنر سوى القسم الرابع من زرادشت وما وراء الخير والشر. وفي عام 1888، قبيل انهياره، حاول نيتشه أن يسترجع حقوقه من فريتش؛ وذلك لأنه لم يملك أي ثقة إلا في طبّاعيه الأخوين ناومان.

علي أن أكرر أني، نظراً لأن الأمر كشف لي وجهاً لوجه عن موقفي تجاه الناشرين والجمهور، قد تعاملت أيضاً مع الأخوين ناومان الممتازين. ولذا فإن الكتاب الجديد، وهو نتيجة ما كان يمكن التوصل إليها عن بعد، أصبح جاهزاً الآن؛ وقبل عدة أيام، منحت توجيهات كي ترسل إليك نسخة في بازل. والآن إلى الطلب، يا صديقي العزيز: اقرأ الكتاب، من الجلدة للجلدة، ولا تجعله يصيبك بالمرارة أو الاغتراب؛ بل «استجمع كل قوتك»[1] كل قوة نيتك الحسنة تجاهي، نيتك الحسنة الصبورة التي أثبتت مائة مرة؛ وإن كان هذا الكتاب عسيراً بالنسبة لك، فلعل مائة تفصيل فيه لن تتعسر عليك! ولعله أيضاً سيتمكن من تسليط بعض أشعة النور على كتابي زرادشت، وهو كتاب غير مفهوم، نظراً لأنه يقوم على تجارب لم أشارك فيها أحداً. لو أن بوسعي منحك فكرة عن شعوري بالعزلة! فبين الأحياء، كما بين الأموات، لا أملك أحداً أمت له بأي قربى. والأمر يصيبني بالرعدة، بنحو لا يوصف؛ ووحده تمرسي في تحمل هذا الشعور وتطويري التدريجي لذلك منذ طفولتي المبكرة قد مكناني من فهم كيف أن ذلك لم يَقتلني بعد. أما بالنسبة لسائر الأمور، فيمكنني أن أرى بوضوح تلك المهمة التي أحيا لأجلها، كشكل من الحزن الذي لا يوصف، لكن وعيي قد حوّله بحيث بات ينطوي على بعض العظمة، لو كانت هناك عظمة أبداً في مهمة رجل فان.

سأقيم هنا حتى بداية سبتمبر.

بكل ولاء، المخلص ف.ن.

(1) اقتباس من قصيدة لودفيغ أولاند «العنة المغنّي».

124. إلى ياكوب بوركهارت

سيلس ماريا، إنغادن العليا،

22 سبتمبر 1886 [1]

سيدي البروفسور الكريم:

يحزنني ألا أراك ولا أتحدث معك طوال هذا المدة! فلو لم أتحدث إليك، فمن ذا بقي كي أرغب في الحديث معه؟ إن «الوجوم» المخيم حولي يستمر بالرسوخ.

آمل أن ك. غ. ناومان قد أنجز واجبه في هذه الأثناء، وأن كتابي الأخير، ما وراء، هو الآن بين يديك الكريمتين. أرجو أن تقرأ هذا الكتاب (ولو أنه يقول نفس الأشياء الواردة في كتابي زرادشت ـ ولكن بنحو مختلف ـ مختلف جداً). لا أعرف أحداً يشاركني هذا العدد من التحيزات غيرك؛ ويبدو لي أنك قد واجهت نفس المشكلات في الرؤية ـ أنك تعمل على نفس المشكلات بنحو مماثل، وربما بنحو أشد قوة وعمقاً مني، لأنك أقل

(1) كان هذا هو الصيف الخامس الذي قضاه نيتشه في سيلس ماريا. وكان خلال شهر مايو قد قضى أسبوعا في البندقية، ثم ذهب إلى ناومبورغ بعدما مكث لمدة وجيزة في ميونخ. وأقام في ناومبورغ حتى 27 يونيو؛ وخلال هذا الوقت التقى بروده في لايبزيغ للمرّة الأخيرة. ثم وصل إلى سيلس ماريا في أوائل يوليو، بعدما مكث في كور، وبقي هناك حتى 25 سبتمبر. وكان ما وراء الخير والشر، وهو «الكتاب الجديد» في هذه الرسالة، قيد الطبع خلال تلك المدة، على نفقة نيتشه الخاصّة.

استفاضة مني. ولكني مع ذلك أصغر سناً... إن الظروف الغامضة لأي نمو في الثقافة، والعلاقة المحيرة جداً بين ما يعرف «بتطوير» الإنسان (أو حتى «الأنسنة») وتضخم الصنف البشري، وفوق كل شيء، ذلك التناقض بين كل فكرة أخلاقية وكل فكرة علمية عن الحياة ـ كفى، كفى ـ فهنا مشكلة لا نتشاركها لحسن الحظ إلا مع أشخاص معدودين، أحياءً كانوا أو أمواتاً. ولعل التعبير عنها هو أخطر مغامرة على الإطلاق، ليس للشخص الذي يغامر بها بل للذين يتحدث معهم عنها. ولكن سلواني أنه، في الوقت الحاضر، ما من آذان تسمع اكتشافاتي الجديدة سواء أذنيك، أيها الرجل العزيز والمحترم جداً؛ ومجدداً فإن اكتشافاتي لن تكون عندك شيئاً جديداً!

المخلص لك د. فريدريك نيتشه

العنوان: جنوا، *يحفظ* بمكتب *البريد*[1].

(1) وقد مرّ نيتشه بجنوا فعلًا في شهر أكتوبر، في طريقه إلى نيس.

125. إلى مالفيدا فون مايزنبوغ

سيلس ماريا، 24 سبتمبر 1886

صديقتي الغالية:

هذا يومي الأخير في سيلس ماريا؛ فقد طارت كل الطيور؛ والسماء «حالكة» بنحو خريفي؛ والبرد في ازدياد، ولهذا فإن «ناسك سيلس ماريا» لا بد أن يغادر.

لقد بت أرسل التحايا في كل الاتجاهات، مثل شخص يصفي حسابه لهذا العام برفقة أصدقائه أيضاً. وخلال فعلي لذلك خطر ببالي أنك لم تسمعي مني لوقت طويل. ولم أتلق جواباً لطلبي عنوانك في فرساي، الذي أرسلته إلى الآنسة ب. رورل في بازل، بكل أسف. ولهذا أرسل هذه السطور إلى روما، التي أرسلت إليها كتاباً قبل وقت قريب أيضاً. وهو بعنوان **ما وراء الخير والشر: تباشير فلسفة للمستقبل** (اعذريني! عليك ألا تقرئيه، فضلاً عن أن تعبِّري لي عن مشاعرك حوله. لنفترض أن الناس لن يسمح لهم بقراءته إلا حوالي العام 2000...).

إليك أدفأ الشكر نظراً لسؤالك عني في رسالتك إلى أمي، التي سمعت عنها هذا الربيع. فقد كنت في وضع سيئ آنذاك: فالحرارة، التي لم أكن معتاداً عليها كمجاور للأنهار الجليدية، كادت تسحقني. كما أني أشعر في ألمانيا وكأنك رياح معادية تنفخ بوجهي، دون الشعور بأي بهجة أو إلزام

كي أنفخ ضدها. فهي ببساطة بيئة غير مناسبة لي. وما يشغل الألمان اليوم لا يشغلني ـ وهو بنحو طبيعي ليس سبباً للقلق حيالهم[1].

حتى ليست العجوز، مع ولعه بالحياة والموت على الأسلوب العظيم، قد أوصى بدفنه، لو صح التعبير، داخل قضية فاغنر وعالمه ـ كما لو أنه ينتمي هناك بنحو لا يحول ولا ينفك[2]. وقد جعل ذلك قلبي يقطر دماً على كوزيما؛ فما ذلك إلا كذبة جديدة تحيط بفاغنر، وإحدى إساءات الفهم التي لا يفوقها شيء التي تتنامى وتتفاقم وسطها شهرة فاغنر اليوم. وبالحكم على الفاغنريين الذين عرفتهم حتى الآن، فإن قضية فاغنر بأسرها تبدو توجها غير واع نحو روما، تقوم باطناً بنفس الأمر الذي يقوم به بسمارك ظاهراً[3].

وحتى صديقتي القديمة مالفيدا ـ آه، إنك لا تعرفينها ـ هي بكل غرائزها كاثوليكية في الجوهر، وإلى ذلك تنتمي قلباً وقالباً لامبالاتها للصيغ والعقائد. وحدها *الكنيسة المقاتلة* [باللاتينية] تحتاج للتعصّب؛ فكل سكينة عميقة وإيمان يقيني يفسحان مجالاً للشك، اللطف بالآخرين، وسائر المشاغل...

---

(1) يظهر أيضا عداء نيتشه لألمانيا والألمان في رسالة إلى أوفربيك تعود لصيف عام 1886: «... أجد الحياة في ألمانيا الحالية لا تطاق للغاية فهي ذات تأثير مسمم ومشلّ لي؛ ويتنامى مقتي للبشر هناك إلى مديات خطرة...» وقد هاجم الحياة الجامعية الألمانية هناك أيضا: «في مناخ الجامعات هذا، تتدهور حتى أفضل العقول؛ وأنا أشعر باستمرار بأن الخلفية والملاذ الأخير، حتى لطبائع مثل روده، هو موقف لاأبالي متغلغل لعين، وانعدام تام للإيمان بما يقوم به المرء...».

(2) كان فرانز ليست قد جاء إلى بايرويت يوم 21 يوليو لحضور أداءات فاغنر، وتوفي هناك جراء ذات رئة مضاعفة يوم 31 يوليو. وقد طلب أن يدفن في بايرويت. وقد حضر جنازته يوم 3 أغسطس العديد من الفاغنريين، النبلاء، ومندوبي الكنيسة الكاثوليكية.

(3) بمعنى «تراكم المزيد والمزيد من السطوة الفارغة».

في النهاية، سأكتب لك بعض الكلمات عني التي ظهرت في صحيفة *Der Bund* (بتاريخ 16 و17 سبتمبر)، بعنوان: «كتاب نيتشه الخطر»[1].

«إن أكداس الديناميت التي استخدمت لبناء نفق غوتهارد كانت علامتها راية سوداء، تدل على الخطر القاتل. وبهذا النحو حصراً نتحدث عن الكتاب الجديد للفيلسوف فريدريك نيتشه بوصفه كتاباً خطراً. فهذا الوصف لا يحمل أي أثر من التأنيب ضد المؤلف وعمله، مثلما لا يراد من الراية السوداء أن تؤنب المتفجرات. كما أنا لا نفكر بإسلام هذا المفكر الوحيد لغربان قاعة المحاضرات ورخمات المنابر عبر الإشارة إلى خطورة كتابه؛ فالمتفجرات الفكرية، كنظيرتها المادية، قد تخدم أهدافاً مفيدة جداً؛ وليس من الضروري لها أن تستخدم لغايات إجرامية. لكن المرء يحسن به أن يقول بوضوح، حيث تخزن متفجرات كهذه، ‹ثمة متفجرات هنا!›».

ولذا كوني ممتنة لي، صديقتي الغالية، لأني أظل نائياً عنك بعض الشيء!... ولأني لا أحاول أن أستدرجك إلى طرقي و«مخارجي». ومقتبساً مجدداً من صحيفة *Der Bund*: «نيتشه أول رجل يتوصل لمخرج، ولكنه قام بذلك على نحو مرعب لدرجة يبعث معها الخوف حقاً أن يراه المرء يسلك هذا الطريق الوحيد وغير المجرّب حتى الآن!»...

وباختصار، تحيات وديّة من ناسك سيلس ماريا.

العنوان بإيجاز: جنوا، *يحفظ بمكتب البريد*.

[بدون توقيع]

(1) كانت هذه المراجعة بقلم ي. ف. فيدمان، محرر **Der Bund**، وهي دورية كانت تنشر في بيرن، سويسرا.

126. إلى غوتفريد كيلر

روتا ليغوري، 14 أكتوبر 1886

سيدي الأجل:

بناء لمقتضى ميل وعادة قديمة، بادرت مؤخراً بإرسال كتابي الأخير إليك؛ على الأقل، كنت قد وجهت ناشري ناومان بإرساله إليك. ولعل هذا الكتاب، ومحتواه الذي يمثل علامة استفهام، قد لا يروق لذوقك؛ ولعل شكله سيروق لك. إن رجلاً قد كرس نفسه بجدية وإخلاص للغة الألمانية لا بد أن يمنحني شيئاً من الإنصاف؛ فذلك سيهب النطق لمشاكل صامتة صمت أبي الهول كمشاكلي.

في الربيع الماضي طلبت من أمي المسنة أن تقرأ عليّ روايتك **قصيدة الشاهد**[1]، وقد باركناك لأجلها من كل قلبنا (وبصوت جهير أيضاً، لأننا ضحكنا كثيراً)؛ كم كان نقياً، جديداً، وصلباً مذاق هذا العسل.

معجبك المخلص،

بروف. د. فريدريك نيتشه

---

(1) كانت رواية كيلر هذه قد نشرت عام 1882.

127. هيبوليت تاين إلى نيتشه

موتان سان برنارد، سافوي العليا

17 أكتوبر 1886

(مترجمة عن الفرنسية)

سيدي:

لقد وجدت الكتاب الذي تفضلت بإرساله إلي وهو ينتظر عودتي إلى المنزل من رحلة. إنه، كما تقول، مليء «بالمعاني الخفية». كما أن شكله الحيوي والأدبي، وأسلوبه الحماسي وتحولاته المفارقة المتكررة ستوفر منظارا لأي قارئ يرغب في فهم معانيك. أود أن أوصي الفلاسفة بالخصوص بالجزء الأول عن الفلاسفة والفلسفة [**في ما وراء الخير والشر**]؛ على الرغم من أن المؤرخين والنقاد سيجنون بالتأكيد حصادا غنيا من الأفكار الجديدة (على سبيل المثال الشذرات 28، 58، 209). إن ما تقوله عن موضوع الشخصية الوطنية في مقالتك الثامنة موحٍ للغاية. سأقرأ هذا الجزء مرّة أخرى، على الرغم من أنك تفرط في مدحي. يشرّفني وضعك إياي في رسالتك إلى جانب البروفيسور بوركهارت من بازل، وهو رجل أكن له إعجابا كبيرا. أعتقد أنني كنتُ أول شخص في فرنسا يلفت الانتباه في الصحافة إلى عمله العظيم حول «ثقافة عصر النهضة في إيطاليا».

أرجو منك أن تقبل خالص شكري وأطيب التحيات.

سأظل المخلص لك

هـ. تاين

128. إلى فرانز أوفربيك

[ختمت في نيس، 9 يناير 1887]

صديقي العزيز:

لقد أرسلت إليك بطاقتي قبيل مجيء رسالتك، التي أشكرك عليها كثيراً. آمل أن صحتك تتحسن مع العناية الحذرة التي تتلقاها؛ فخاصة حين تتأثر العينان، يبدو على الأقل حسناً أن «يترك المرء وحده». الشتاء قاس هنا أيضاً ؛ فبدلاً من الثلج، مرت علينا أيام كاملة من المطر ـ أما رؤوس التلال فقد كانت بيضاء لبعض الوقت (ويبدو ذلك حياءً من ناحية الطبيعة، في مشهد مشبع للغاية بشتى الألوان). وهذا التنوع يشمل أصابعي الزرقاء كالعادة، فضلاً عن أفكاري السوداء.

لقد كنت للتو أقرأ، مع أفكار من هذا النوع، شرح سمبلكيوس على إبكتيتوس؛ وهنا يمكن للمرء أن يرى أمامه ذلك المخطط الفلسفي الشامل الذي اندمجت فيه المسيحية، وهكذا فإن كتاب هذا الفيلسوف «الوثني» يقدم أشد انطباع مسيحي يمكن تخيله (سوى أن عالم العواطف والباثولوجيا المسيحي برمته مفقود ـ «كالحب» كما يتحدث عنه بولس، «خوف الله»، وهلم جرا). إن تفنيد الأخلاق لكل شيء حقيقي يتجلى هناك بأفضل هيأة: نفسانية تعيسة، اختزال «الفيلسوف» إلى مكانة «خوري ريفي». وذلك كله ذنب أفلاطون! سيظل أعظم خيبة لأوروبا!

المخلص نيتشه

129. إلى بيتر غاست

نيس (فرنسا)، رو دي بونشيت 29 [1]

في البداية [21 يناير 1887]

صديقي العزيز:

أراحتني حقاً معرفة أنك عائد إلى البندقية. أما رسالتك ـ آه، لقد جعلتني في حال حسنة! ويبدو أنها تنطوي على وعد بأن الأمور يجب أن تكون أفضل عندي أيضاً ـ أفضل بمعنى أشد إشراقاً، وسكينة، وأشد جنوبية، وأقل مشكلات، وآمل أن تكون أيضاً «غير أدبية» أكثر، لأن محاولة «مسرحة» كتاباتي القديمة بأسرها قد أضرت بي بقساوة وجعلتني «شخصياً» بقساوة أيضاً[2] لست بذلك الشخص الذي «يجترّ» الحياة. فأنا الآن أبعث البهجة والراحة في نفسي بفضل أبرد أنواع النقد العقلاني، الذي يصيب المرء بأصابع مزرقة (ويسلبه بالتالي متعة الكتابة). وستنتج عن ذلك هجمة واسعة النطاق على فكرة السببية بأسرها في الفلسفة حتى الآن، إلى جانب قلة من الأمور الأسوأ.

ليتك سمحت بتأدية جزء من الأوبرا التي ألفت. لو أراد المرء أن ينتج نفسه، فعليه أن ينتج الشيء الأمسّ اختصاصاً به ـ أي الأشد غرابة. ولو

---

(1) كان نيتشه في نيس منذ 22 أكتوبر 1886 حتى 2 أبريل 1887.

(2) يشير إلى كتابة نيتشه مقدّمات للطبعات الجديدة لكتبه القديمة.

أنك تركت ليفي يؤدي مقطوعتك السباعية لكان ذلك فعلاً من باب التأدب أكثر من أي شيء آخر (وأمرا «سكسونيا» ـ اعذرني يا صديقي القديم!)[1] وأفضل جزء من القصة أن سباعيتك قد تلقيت بالنحو الذي قد وصفته؛ فلو أنها أعجبت الناس، لظننت أن شيئاً ما قد فسد.

لقد منحني ليفي أفضل الانطباعات في الربيع. كما أن ما سمعته من مصادر أخرى في ميونخ في تلك الأثناء يؤكد أنه لم يفقد (ولا يرغب في أن يفقد) شكلاً من الصلة بي (وهو يسميه امتناناً)، وهو بالمناسبة أمر يصح على كل الفاغنريين (رغم أني لا أعرف كيف أصفه). لقد انتظروا مجيئي إلى ميونخ في الخريف الماضي «بترقب محموم»، كما أعلن سايدليتز (وهو الرئيس الحالي لجمعية فاغنر). وفي إنغادن، والشيء بالشيء يذكر، تشاركت طاولة مع أخت **حلاق بغداد**: هل تفهم هذا الاختصار[2]؟

وختاماً فقد استمعت مؤخراً للمرة الأولى إلى مقدمة **برسيفال** (وكان ذلك في مونتي كارلو!). وحين ألتقيك مجدداً، سأخبرك بدقة ما الذي مكنتني من فهمه، ولكن بغض النظر عن كل الأسئلة غير المهمة (فأي هدف يمكن للموسيقى أو يجب أن تملكه؟)، وبمعايير جمالية صرف: ترى هل ألف فاغنر أي شيء أفضل؟ أدق ذكاءً وتعريف نفساني لما يجب أن يقال هنا، يعبر عنه، ويوصّل، وأوجز وأشد شكل مباشرة لذلك، وكل خفايا المشاعر مختزلة بهيئة نقش؛ وضوح في الموسيقى كفنّ وصفي،

---

(1)في يونيو الماضي في لايبزغ، كان نيتشه قد التقى غاست ورتب لأداء خاص لسباعية غاست. ثم كتب إلى أوفربيك أن الموسيقى لم تبدُ جيدة («كانت سميكة جدا»). وكان هيرمان ليفي قائد فرقة في ميونخ.

(2)يعني شقيقة «بيتر كورنيليوس». كان كورنيليوس مؤلِّف وكاتب الأوبرا الكوميدية **حلاق بغداد** (1858).

يحضر في الذهن صورة تُرس يحمل تصميماً بارزاً؛ وأخيراً، شعور وتجربة سامية واستثنائية، تحدث في الروح على أساس الموسيقى، وتمنح فاغنر أرفع تقدير، كتوليفة من الحالات التي تبدو غير متوافقة للعديد من الناس، وحتى الناس «الأرفع»، مع قساوة حاكمة، و«ارتفاع» بالمعنى المرعب للكلمة، مع إحاطة ووضوح حميمين يشقان في الروح كالسكينة ـ ومع تعاطف تجاه ما يُرى ويُحكم عليه، يحدث شيء من هذا النوع عند دانتي ـ ولا أحد سواه. ترى هل صوّر أي رسام أبدا نظرة حب سوداوية كالتي رسمها فاغنر في النبرات الأخيرة من مقدمته؟

المخلص، صديقك نيتشه

130. إلى فرانز أوفربيك

(الأربعاء) [نيس، 9 يناير 1887]

صديقي العزيز:

لن أكتب اليوم أكثر من شكري لرسالتك والمال الذي أرسلته، الذي أراح عقلي بنحو معتبر؛ ذلك أني لم أصل أبداً في حياتي لهذا الحد من نفاد الصبر[1]. وإضافة لذلك فإني معتل للصحة، أسعل بنحو منتظم [بالفرنسية]، وأرتعد وطوال الوقت فإن كرنفال نيس الصاخب يحدث على القرب من نافذتي...

أرفق إليك رسالة من مايسترو البندقية[2]، ستسعدك كما أظن. لقد كنت قلقا للغاية! لكن الأمور سوف تتجه للأفضل. فثمة خطة صغيرة لي - غير مباشرة للغاية، هي دفعي السيد هيغار في زيورخ لإسداء معروف له - يبدو أنها كانت ناجحة بافتراض أني سأجيئ إلى زيورخ هذا الربيع وأجد السيد هيغار مستعداً لأن يؤدي لي مقطوعة ميزكا - تشارداش[3]، لن أتردّد عن إرسال دعوة لك.

---

(1) يستخدم نيتشه عبارة so sehr am Ende meines 'Lateins'، التي تعني أيضا «كاد عقلي يذهب».

(2) يعني به بيتر غاست.

(3) من تأليفات غاست.

كما أني لم أعرف شيئاً عن دوستويفسكي حتى بضع أسابيع مضت، ذلك أني شخص غير مثقف، لا يقرأ أي «دوريات»! ففي أحد محال الكتب صادف أن استقرت يدي على رواية **رسائل من أعماق الأرض**، في ترجمة فرنسية حديثة (وهي نفس الصدفة التي عرّفتني بشوبنهاور في عمر الحادية والعشرين، وعلى ستندال في الخامسة والثلاثين!)[1]. لقد حركتني غريزة المودة (أو كيف أسميها؟) وتحدثت لي فوراً - وأصبحت بهجتي بلا حدود؛ فمنذ لقائي الأول برواية الأحمر والأسود لستندال لم أعرف بهجة كهذه. (يتكون الكتاب من روايتين، الأولى في الواقع قطعة من الموسيقى، وهي موسيقى أجنبية جداً، وغير ألمانية جداً؛ والثانية بارقة عبقرية نفسانية، وهي شكل من السخرية الذاتية من حكمة *اعرف نفسك* [باليونانية].) وبالمناسبة؛ فاليونانيون يتحملون قدراً كبيراً من الذنب؛ إذ كان التزييف صنعتهم الحقيقية؛ والنفسانية الأوربية بأسرها مريضة بالسطحيات اليونانية، ناهيك عن قليل من اليهودية، وهلم جرا، وهلم جرا.

قرأت هذا الشتاء أيضاً كتاب رينان **أصول [المسيحية]**[2]، مع كثير من المقت وقليل من الفائدة. فهذا التاريخ بأسره للظروف والمشاعر في آسيا الصغرى يبدو لي وكأنه معلق بنحو ساخر في الهواء. ومن ناحية جذرية، فإن شكي يمضي إلى حد التساؤل إن كان التاريخ ممكنا أصلا. ما الذي يريد الناس إثباته أهو أمر لم يكن مثبتاً بحد ذاته في اللحظة التي حدث

(1) في رسالة إلى غاست، بتاريخ 6 مارس، يذكر نيتشه بعض تفاصيل حياة دوستويفسكي، ويقول عن **بيت الموتى** (ترجمت للعربية بعنوان: **ذكريات من منزل الأموات**)، الذي قرأه بالفرنسية، أنه «أحد أشد الكتب إنسانية أبدا». وتذكر نفس الرسالة أنه قرأ أيضا، بتوصية من أوفربيك، رواية **مذلون مهانون** (بترجمة فرنسية أيضا).

(2) المقصود أرنست جوزيف رينان (1823 ـ 1892) وهو فرنسي، وكتابه (**أصول المسيحية**).

فيها؟ صديقي العزيز، لن أقول ولا كلمة عن ألمانيا، التي نحن معاصروها! كنت للتو أقرأ عمل سيبيل العظيم بترجمة فرنسية (بعد دراسة المشكلات ذات العلاقة في مدرسة دو توكفيل وتاين)، الذي صادفت فيه مثلاً هذه الفكرة الفخورة: «إن النظام الإقطاعي، وليس انهياره، هو ما ولد الأنانية، الجشع، العنف» والقسوة، التي قادت إلى فظائع مجازر سبتمبر»[1] أعتقد أن هذه هي «الليبرالية» وهي تتعرف على ذاتها؛ ومن المؤكد أن حقداً فاضحاً كهذا للنظام الاجتماعي في العصور الوسطى بأكمله يتجاوب بنحوٍ ممتاز مع المعالجة الأشد تفهماً للتاريخ البروسي، كما يخص تقسيم بولندا مثلاً. (أتعرف عن كتاب **رهبان الغرب** لمونتالمبير؟ أو بالأحرى، أتعرف أي عمل أمتن وأقل تحيزاً منه، لكنه يبدي القصد ذاته، أي إظهار أي منافع يدين بها المجتمع الأوربي للأديرة؟)[2].

هذا الشتاء يعاملني حسناً، فهو أشبه بفترة تفصل بين المَشَاهد والتأمل. وذلك مذهل! فخلال الأعوام الخمسة عشر الماضية أقمت ثقافة كاملة على قدميها وأخيراً «فرغت منها» بالمقدمات والإضافات، وبنحو كامل

(1) هاينريش فون سيبيل (1817 ـ 95)؛ وعنوان العمل المقصود: **تأريخ الفترة الثورية بين عامي 1789 و1795.**

(2) يبدو أن منطق هذه الفقرة مرتب كما يلي: إن نظام بسمارك في بروسيا يقوم على مقدمات إقطاعية؛ لكن الليبراليين، الذين يبغضون الإقطاع القروسطي، يلتزمون رؤية متفهمة تجاه التاريخ البروسي. فكيف يصح ذلك؟ إن التقارب الليبرالي مع بسمارك ينبع من خشية الليبراليين من سطوة كهذه، وهي خشية تعبر عن نفسها كبغض حين تتعامل مع الصيغة القروسطية منها. ولهذا فإن نيتشه يرصد في الليبراليين خوف البرجوازيين المنافقين: «فالأنانية»، «الجشع»، «العنف» و«القسوة» هي تشويهات ليبرالية لواقع الحياة القروسطية: فالحيوية، الإنتاجية، الوفرة، والإبداع الخلاق كانت هي صفاتها الحقة (بنظر نيتشه)، كما ينبغي أن يتضح من التقييم «الصارم والنزيه» للمنافع المتحصلة من الأديرة.

لدرجة أني أستطيع رؤيتها كشيء منفصل جداً عني، ويمكن أن أضحك عليها، كما أضحك أساساً على تأليف الكتب. وفي الإجمال، فلم أقض سوى أتعس سنوات حياتي في تأليفها.

المخلص، صديقك القديم نيتشه

الإنسان غير القارئ [باللاتينية]

131. إلى راينهارت فون سايدلتز

نيزا، الخميس 24 فبراير 1887

رو دو بونشيت، 29، الأول

لحسن الحظ، يا صديقي العزيز، فإن رسالتك لم تثبت على الإطلاق في شأنك *ما ينبغي إثباته* [باللاتينية]، ولكني أقر في الجوانب الأخرى بكل ما قلته؛ فالآثار القاتلة للسماء الغائمة، والبرد الملازم الرطب، ووجود البايوفار والبيرة البافارية. إني لأعجب من أي فنان يمكنه أن يواجه أعداء كهؤلاء، فضلاً عن السياسة الألمانية، التي تعد ببساطة شكلاً آخر من الشتاء الدائم والطقس السيئ. يبدو لي أن ألمانيا قد أصبحت، خلال الأعوام الخمسة عشر الأخيرة، مدرسة عالية للتحجر؛ فالماء والوحل والقذر في كل مكان [ـ][1]؛ هكذا يبدو الأمر عن بعد. سامحني، كما طلبت منك لألف مرة، لو آذى الأمر مشاعرك المرهفة، ولكن تجاه ألمانيا المعاصرة، المدججة بالسلاح كما هو حالها اليوم، فإني لم أعد أكن أي تقدير. فهي تمثل الشكل الأغبى والأشد تفككاً وزيفاً *للروح* الألمانية على الإطلاق، وقد كانت هذه *الروح* في عصرها تتوقع بالتأكيد كل أشكال انعدام *الروح*. لا أعذر أي شخص يتساوم معها، وإن كان اسمه ريتشارد فاغنر، وخاصة

(1) الشرَطة تدل على الحذف من الأصل (ربما على يد إليزابيث).

إن تم هذا التساوم بتلك الدرجة من التكتم والخداع التي توصل إليها في سنواته الأخيرة ذلك الممجد الذكي، بل مفرط الذكاء، «للحماقة الصرفة».

أما في أرضنا المشمسة، فيا للأمور المختلفة التي نحتاج للتفكير فيها! لقد انتهت نيزا للتو من كرنفالها الدولي المطول (وكانت أكثرية الحضور بنات إسبانيات بالمناسبة). وبعيد ذلك، بعد ست ساعات من فرقعة آخر جيراندولا، جاءت إلينا مباهج حياة جديدة نادراً ما تجرب. فنحن في الواقع نعيش على توقع لافت هو أننا قد نموت ـ بفضل هزة أرضية حسنة النية، دفعت الكلاب للعواء في كل مكان، ولم تقتصر على الكلاب. فما أبهج أن تهتز البيوت العتيقة فوق رؤوسنا كمطاحن القهوة! وحين تكتسب قنينة الحبر حياة خاصة بها! وحين تمتلئ الشوارع بشخوص نصف لابسة وأجهزة عصبية محطمة! في الليلة الماضية، بين الساعة الأولى والثالثة، تجوّلت ـ *شجاعاً* [بالفرنسية] كما تعرفني في أحياء المدينة المختلفة كي أرى أين يكمن الخوف الأكبر، لقد خيم السكان خارجاً ليلاً ونهاراً ـ بنحو بدا لطيفاً وعسكرياً ـ والآن حتى في الفنادق؛ حيث حصل قدر كبير من الضرر ولذا فقد ساد ذعر عارم. فقد وجدت كل أصدقائي، رجالاً ونساءً، ممددين بشكل بائس تحت الأشجار الخضراء، ومدثرين بملابس قطنية ثقيلة، لأن الجو كان بارداً بمرارة، وتراودهم أفكار مظلمة عن النهاية كلما حدثت هزة بسيطة.

لا شك عندي في أن هذا يمثل نهاية مفاجئة للموسم؛ فالجميع يفكرون بالمغادرة (بافتراض أن بوسع المرء أن يغادر، وأن سكك الحديد لم تكن أول ما «تمزق»). حتى في مساء الأمس لم يمكن إقناع نزلاء الفندق الذي آكل عنده بأن يأخذوا *طاولة الضيوف* [بالفرنسية] خاصتهم إلى الداخل

فقد ظل الناس يأكلون ويشربون في الخارج؛ وباستثناء سيدة مسنة ورعة جداً، على ثقة بأن الإله الطيب لا يحق له أن يمسها بأي أذى، فقد كنت الشخص المبتهج الوحيد وسط حشد من الأقنعة و«القلوب الحساسة».

لقد عثرت تواً على صفحة من جريدة قد تمنحك وصفاً أشد تصويراً لأحداث الليلة الماضية مما يستطيع صديقك وصفه. وسأرفقها طياً؛ وأرجو منك أن تقرأها لزوجتك العزيزة وتتذكرني بشكل لطيف.

المخلص لك نيتشه

(سامحني على تعجل ولهوجة خطي، لأن على هذه الرسالة أن تغادر في القطار القادم).

132. إلى فرانز أوفربيك

[نيس، الخميس 24 مارس 1887]

صديقي العزيز:

لقد تلقيت أخبارك للتو وحيث أني سأغادر (ويجب أن أغادر) في نهاية الأسبوع القادم، فهذا سبب جيد آخر للإجابة على رسالتك فوراً. أتمنى لو كان بوسعي كتابة «حتى نلتقي مجدداً»، لكن صحتي حالياً تمنعني من زيارة زيورخ وكل ما تعنيه زيورخ. إن صحتي معتلة بنحو غريب، طوال الوقت، وأنا مرهق، وضعيف عقلياً وبدنياً، ولا أصلح لشيء، كما يسهل استفزازي بالضجيج وسائر الإساءات الصغيرة للحياة لدرجة أني أرغب في الالتجاء لمكان هادئ وبعيد جداً، أي في مكان زاخر بالشجر، صالح للمشي عند لاغو ماجيوري، يدعى كانوبيو.

يقع قربه نزل يدعى فيلا باديا، كان قد رشح جيداً لي؛ ومالكوه سويسريون. لقد حجزت غرفة هناك بدءاً من 4 أبريل. لقد كانت البندقية، التي تفضل التقاليد زيارتها في أوائل الربيع، وأحبها بصدق (وهي المكان الوحيد على الأرض الذي أحبه)، سيئة لي في كل عام، والسبب في ذلك عوامل مناخية محددة، أعرفها بشكل عميق جداً. هل يمكن أن يصل إليَّ مبلغ الألف فرنك بحلول الأربعاء أو الخميس في الأسبوع القادم؟

ثمَّ رجل يدعى د. آدامز هنا؛ يقيم هنا منذ حوالي شهر، وهو كما يبدو عالم كلاسيكيات موهوب ومقتدر، وتلميذ سابق لروده وغوتشميت، لكنه مشمئز

بشدة من كل الدراسات الكلاسيكية وعازم حقاً على تكريس نفسه للفلسفة، وهذا هو سبب حجه إلى هنا، كي يزور «معلّمه». ولعلي سأتمكن من تبديد أوهامه وتخليصه من غموض مقاصده؛ فقد كنت أرشده بلطف نحو تاريخ الفلسفة (وكان قد عمل على كتاب *De fontibus Diodori*)، ولعله ليس من المحال أن يكمل أعمالي المهملة حول ديوجينس اللايرتي! إن الأمر برمته شاق حقاً علي، ويذكرني بأمر سابق (تاوتنبورغ، صيف 1882)؛ وعلىّ كل حال، فأنا أعرف عن العالم ما يكفي لإدراك ما هي الجائزة التي يدخرها لي في حالات كهذه. وأنا لا أحب «الشباب» على الإطلاق.

إليك الآن حقيقة ساخرة، تبدو أوضح وأوضح في ناظري أن لدي «نفوذاً» خفياً جداً، بالتأكيد. فأنا أتمتع بتقدير غريب وشبه غامض لدى كل الأجنحة الراديكالية (كالاشتراكيين، العدميين، مناهضي اليهود، المسيحيين الأرثوذكس، الفاغنريين). ذلك أن الجرأة الشديدة للجو الذي وضعت نفسي فيه أمر مُغرٍ... فبوسعي حتى أن أسيء استعمال صراحتي، وحتى أن أطعن وأندد، كما في كتابي الأخير الذي أحزن بعض الناس؛ ربما سيحاولون «التماسي»، لكنهم لن يستطيعوا الفرار مني. ففي مجلة **المراسلات المناهضة لليهود** (التي ترسل بنحو خاص عبر البريد، وإلى «أفراد الحزب» الموثوقين فحسب)، يرد اسمي في معظم أعدادها. إن مناهضي اليهود مفتونون بزرادشت، الرجل الإلهي؛ وهناك تفسير خاص مناهض لليهود لهذه الشخصية يضحكني جداً.

بالمناسبة، فقد أدليت «في جمع متمكن» باقتراح أن علينا إنشاء قائمة لكل العلماء، الفنانين، الكتاب، الممثلين، والموسيقيين ذوي الأصل اليهودي كلياً أو جزئياً ـ فذلك سيمثل مساهمة جيدة في تأريخ الثقافة

الألمانية، وفي نقدها أيضاً. (وفي ذلك كله، والكلام فيما بيننا، لا يلعب زوج أختي أي دور؛ فتعاملاتي معه مهذبة جداً لكنها متباعدة ومتفرقة قدر الإمكان. لكن مشروعه في الباراغواي إلى ازدهار، والأمر يحدث؛ وكذلك وضع أختي).

إن لم يكن حالي أحسن في كانوبيو، فإني أفكر في تجربة علاج قصير بالماء البارد في بريستنبرغ. آه، إن كل شيء في حياتي متقلب ومهزوز، إضافة لصحتي المريعة دوماً! من جهة أخرى، فهناك حاجة بوزن مائة رطل تلح وتضغط علي بأنْ أخلق نسقاً فكرياً منسجماً خلال الأعوام القليلة القادمة ـ ولتحقيق ذلك فأنا بحاجة إلى خمسة أو ستة شروط، يبدو أنها جميعاً مفقودة أو غير متاحة الآن. إن الطابق الرابع من بنسيون دو جنيف، حيث كتبت القسم الثالث والرابع من زرادشت، يتم الآن هدمه، بعد الأضرار غير القابلة للإصلاح التي ألحقتها به الهزة الأرضية. وهذا المرور العابر للأشياء يؤذيني. ما تزال الأرض تمر برعدة بين وقت وآخر.

مع خالص التحايا والأماني القلبية، إليك وإلى زوجتك العزيزة،

المخلص نيتشه

آمل أن هناك أنباء طيبة من تناريف[1]؟

[ملاحظة في الهامش:] لديّ نسخة من كتاب ليكي، لكن الإنجليز من أمثاله يفتقرون «للحس التاريخي» ولبضعة أشياء إضافية أخرى. والأمر ذاته يصح على الأميركي دريبر، الذي يترجم ويقرأ له الكثيرون.

---

(1) في أوائل ديسمبر 1886، كان زوج أخت أوفربيك، وهو جيولوجي، قد غادر إلى جزيرة تناريف برفقة والدته وشقيقته، لأسباب صحية.

133. إلى مالفيدا فون مايزنبوغ

العنوان: صكور (سويسرا)، روزنهوغل

حتى 10 نيو، ومن ثم: سيليرينا،

إنغادن العليا [12 مايو 1887][1]

صديقتي الغالية:

غريب! هذه الفكرة اللطيفة جداً التي عبرتِ عنها، أننا معاً قد نجد من المربح والمريح الآن أن نصل بين عزلتينا معاً ونصبح جارين لصيقين وديين، هي فكرة كثيراً ما خطرت علي وتأملتها في أوقات قريبة، فقضاء شتاء آخر معاً، ربما مع عناية ترينا وخدمتها لنا ـ ذلك حقاً أمل ومنظور جذاب للغاية، لا يمكنني أن أعبر عن امتناني الشديد له! ربما في سورنتو مجدداً (كما يقول الإغريق، «كل الأشياء الجيدة تأتي أزواجاً أو ثلاثاً»!). أو على كابري، حيث سأؤلف الموسيقى لك مجدداً، وأفضل من المرة الماضية! أو في أمالفي، أو كاستيلاماري. وربما حتى في روما (رغم أن

(1) هكذا تنقل نيتشه خلال شهور الربيع والصيف: أبريل، في كانوبيو على لاغو ماجيوري؛ 28 أبريل حتى 6 مايو، في زيورخ (مع وقفة وجيزة في آمدن، قرب بحيرة فالن)؛ 8 مايو إلى 8 يونيو، في كور؛ 8 ـ 12 يونيو، في لينزرهايده؛ 12 يونيو إلى 19 سبتمبر، في سيلس ماريا. كانت صحته معتلة مجددا خلال معظم الصيف؛ وكان يعاني أيضا من موجات اكتئاب.

عدم ثقتي بالمناخ الروماني ومناخ كل المدن الكبرى قائمة على أسباب جيدة ولا يسهل أن أعكسها). كانت العزلة مع طبيعتي المنعزلة جداً حتى الآن سلواني وعلاجي؛ أما هذه المدن الملأى بالمجريات الحديثة، مثل نيس وحتى زيورخ (التي جئت منها للتو)، فتجعلني على المدى البعيد منزعجاً، حزيناً، غير واثق، يائساً، غير منتج، وغير مرتاح. أما ما احتفظت به من إقامتي الهادئة هناك فهو نوع من التوق والتطير، وكأنني، ولو للحظات قليلة، قد تنفست هناك بشكل أعمق من أي مكان آخر مررت به في حياتي. على سبيل المثال، في تلك الرحلة الأولى في نابولي، حيث ذهبنا معاً نحو بوسيليبو[1].

بالنظر لكل الأمور، في النهاية، فأنت الآن الشخص الوحيد الذي قد يدفعني لامتلاك هذه الأمنية؛ أما بالنسبة للآخرين، فأشعر بأني محكوم عليّ بالعزلة والتحصن. لم يعد أمامي أي خيار؛ فالمهمة الغريبة الصعبة التي تأمرني بالمضي في العيش هي التي تأمرني بتجنب الناس وعدم ربط نفسي بأي أحد مجدداً. وقد يكون الأمر نتيجة لحالة الصراحة الهائلة التي دفعتني إليها هذه المهمة أني لم أعد أستطيع شم «البشر»، خصوصاً «الشباب» الذين يضايقونني بشكل متكرّر؛ (فهم ملحون ومتخبطون، تماماً كجراء الكلاب!)[2] في ذلك الوقت السابق في سورنتو، كان برينر

(1) بوسيليبو لسان بحري على بعد تسعة أميال جنوب غرب نابولي، يوصل إليه عبر الطريق الساحلي. يكتب نيتشه nach dem Posilippo zu، وهي عبارة يمكن أن تعني إما «نحو اللسان البحري» أو «تجاه حديقة بوسيليبو»، التي يمكن منها النظر من خليج نابولي إلى جبل فيزوف وجزر كابري، بروسيدا وإسكيا، وفي الاتجاه الآخر، نحو نيسيدا وعبر خليج بوزولي إلى ميسينو. وهو يشير هنا إلى رحلته مع مالفيدا من نابولي إلى سورنتو.

(2).. كانت إحدى هذه الزيارات من هاينريش آدامز (راجع رقم 151)، الذي أتى إلى

وريه أكثر من طاقتي؛ وأتخيل أني كنت شديد التكتم تجاههما، حتى في موضوعات لم أتحدث لأي أحد سواهما عنها.

أمامي على الطاولة الطبعة الجديدة (في مجلدين) من إنساني مفرط في إنسانيته، الذي كنت أعمل على الجزء الأول منه في تلك الفترة ـ غريب! غريب! وقريب من نفسك الأثيرة! خلال «المقدمات» الطويلة التي رأيتها ضرورية لإعادة إصدار كتاباتي أجمع، هناك أشياء غريبة، تمتاز بصراحة لا هوادة فيها حول نفسي. والغرض من ذلك إبقاء «الجموع» مرة وللأبد على مسافة ذراع، لأنه ما من شيء يزعج الناس أكثر من ملاحظة شيء من القسوة والصرامة التي يعامل بها المرء، كما عامل من قبل، نفسه تحت ضغط مثاله الأشد تفردا. ولمعادلة ذلك، فقد صغت كتابي «للقلة»، وحتى عندئذ فقد فعلت ذلك بكل صبر؛ إن أفكاري لهي من الغرابة والخطورة التي لا توصف بحيث لا بد أن يمر وقت طويل قبل أن توجد آذان لسماعها، ولن يحدث ذلك بالتأكيد قبل 1901.

أن أذهب إلى فرساي ـ آه لو كان ذلك ممكنا بنحو ما! ذلك أني أقدر حلقة الأشخاص الذين تعثرين عليهم هناك (وهو اعتراف لافت من ألماني؛ لكني أشعر أني في أوربا اليوم على صلة بالمثقفين الفرنسيين والروس فحسب ولست على صلة أبداً بمواطنيّ المثقفين، الذين يزنون كل الأمور بمبدأ *ألمانيا فوق الجميع.*) ولكن لا بد من عودتي لهواء إنغادن البارد؛ فالربيع يضرني بنحو مذهل ـ لا أرغب في الاعتراف بأي هاوية

نيتشه لاجئا من الفيلولوجيا الكلاسيكية الألمانية في مارس 1887. وقد أخبر نيتشه بأن كتبه كانت تقرأ بحماس بين طلاب اللاهوت في المعهد الشهير بتوبنغن، المعروف باسم Tübinger Stift.

من اليأس أخوض حالياً تحت وطأته. وجسمي يشعر (كما تشعر فلسفتي أيضاً) بأنه ملتزم بالبرد بوصفه عنصره الحافظ، ويبدو ذلك أمراً محيراً وغير مريح، لكنه الحقيقة الأوثق برهاناً في حياتي.

وهذا لا يكشف بأي حال عن طبيعة باردة وأنت تفهمين ذلك يقينا، *يا صديقتي المخلصة الغالية! ...*

مع الحب والامتنان الدائم

المخلص نيتشه

أخبرتني الآنسة سالومي أيضاً عن خطبتها؛ لكنبي لم أرد عليها، مهما كنت أتمنى لها السعادة والرفاه. فعلى المرء أن يتجنب أمثالها من عديمي التقدير.

في زيورخ التقيت بالآنسة فون شيرنهوفر المتميزة، العائدة تواً من باريس، غير الواثقة من مستقبلها، هدفها، أو غايتها، لكنها مثلي شديدة الحماس تجاه دوستويفسكي.

134. إلى هيبوليت تاين

سيلس ماريا، إنغادن العليا،

4 يوليو 1887

سيدي الكريم:

هناك العديد من الأسباب التي تجعلني ممتناً لك: كاللطف الذي اتسمت به رسالتك، التي كان فيها الاستماع لكلماتك حول ياكوب بوركهارت مريحاً بنحو خاص[1]، ووصفك الرصين والبسيط لنابليون في مجلة *Revue*[2]، التي وقعت في يديّ بنحو أشبه بالصدفة في شهر مايو الماضي. (لم أكن في الواقع غير مستعد لأسلوبك، بفضل قراءتي لكتاب حديث للسيد باربي دورفيلي[3] كان الفصل الأخير منه ـ المختص بكتب حول نابليون ـ يبدو كصيحة شوق طويلة، ولكن شوق لأي شيء؟ لا شك أنه شوق لذلك الضرب من التفسير والحل للمشكلة الهائلة لما هو لاإنساني وفوق أنساني التي قدمتها لنا). يجب ألا أنسى أيضاً أني سعدت بالعثور على اسمك في إهداء الرواية الأحدث بقلم السيد بول

(1) كان تاين قد كتب ملاحظة إلى نيتشه في أكتوبر 1886، شاكرا إياه على ما وراء الخير والشر.

(2) المجلة الثقافية *Revue des deux mondes* (مراجعة العالَمين)، المجلد 79، 1887، ص 721 ـ 52.

(3) كتاب *Le XIXe siècle: Les œuvres et les hommes* (القرن التاسع عشر: الأعمال والرجال)، المجلد 8 (باريس، 1887)، ص 379 ـ 431.

بورجيه[1]، رغم أن الكتاب لم يعجبني؛[2] فالسيد بورجيه لن يتمكن أبداً من جعل ثقب نفساني حقيقي في صدر رجل ما يبدو أمراً معقولاً (فهذا الصنف من الأمور ليس سوى شيء اعتباطي فحسب [بالفرنسية]، آمل أن يمنعه منه ذوقه الجيد الحساس من الآن فصاعداً. ولكن ألا يبدو أن روح دستويفسكي لا تدع هذا الروائي الباريسي يشعر بسلام؟). أما الآن فتحلّ بالصبر يا سيدي الكريم، وتقبل بلطف اثنين من كتبي ظهرا مؤخراً بطبعات جديدة. إني رجل معتزل، كما ستعرف، ولم أعد أقلق كثيراً حول القراء ووجود من يقرأ لي؛ ومع ذلك فمنذ كنت في عشريناتي (وأنا الآن في الثالثة والأربعين)، لم أفتقر أبداً لقلة من القراء الممتازين والمخلصين للغاية (وقد كانوا من الكهول دوماً)، أذكر منهم مثلاً الهيغلي العجوز برونو باور، زميلي المحترم ياكوب بوركهارت، وذلك الشاعر السويسري الذي أعتبره الشاعر الألماني الحي الوحيد، غوتفريد كيلر[3] وسيسعدني حقاً أن ينضوي إلى قرائي فرنسيون أكن لهم عظيم الاحترام.

هذان الكتابان عزيزان عليّ. كتبت الأول منهما، الفجر، في جنوا في وقت كنت فيه شديد المرض والألم، وتخلى عني الأطباء، وكنت أواجه

(1) أندريه كورنيليس (باريس، 1887).

(2) تعليق نيتشه: «لا أعرف عنوانه للأسف».

(3) كان نيتشه قد أرسل القسم الأول من زرادشت إلى كيلر من روما عام 1883، وما وراء الخير والشر عام 1886. وما من إشارة إلى أن كيلر قد قرأ أيا من الكتابين؛ بل يحتمل أنه وجد زرادشت متباهيا من أول نظرة وقرر ألا يقرأ نيتشه على الإطلاق. كما لم يذكرهما أبدا. كانت ابتسامة كيلر الرؤوفة الجميلة هي كل ما لاحظته إليزابيث حين وصفت اللقاء بين الرجلين في زيورخ في أكتوبر 1884. والواقع أن نيتشه لم يقرأ له أولئك الكتاب الذين أعجبوه جدا؛ بل ثمَّ شك في أن بوركهارت قد قرأ له أصلا. وكان برونو باور (الذي ولد عام 1809) قد توفي عام 1882.

الموت، ووسط عزلة وحرمان لا يوصفان؛ لكني لم أرغب عنه بأي نحو آخر، وكنت رغم ذلك في صلح مع نفسي وثقة بها. أما الآخر، وهو العلم المرح، فأدين به للومضات الأولى لشمس صحتي المستردّة؛ وقد كتب بعد عام من ذلك، في جنوا أيضاً، خلال بضعة أيام صافية ومشرقة بشكل أنيق في يناير. والمشكلات التي يدور حولها الكتابان هي مما يدفع المرء للوحدة. هل يمكن أن أطلب منك تقبلها بحسن نية؟

مع كل آيات التقدير الشخصي العميق، فإني سأظل

مخلصا لك، فريدريك نيتشه

135. هيبوليت تاين إلى نيتشه

جنيف، 12 يوليو 1887

(مترجمة عن الفرنسية)

سيدي:

أنا آسف للغاية لأنني كنت بعيدا عن المنزل عندما وصل كتاباك. ما زلت في جنيف أخضع لعلاج بالماء، ولذلك يجب أن أرجئ متعة قراءة عملك حتى عودتي. إن معرفتك بالأدب الفرنسي المعاصر أكثر حداثة مني، لأنني لم أسمع قط بالمقال الذي ذكرته للمسيو باربي دورفيلي. أنا سعيد للغاية لأن مقالاتي حول نابليون بدت لك صادقة. لا شيء يمكن أن يلخص مشاعري عنه بشكل أفضل من الكلمتين الألمانيتين اللتين تستخدمهما - الوحش والإنسان الأعلى.

أرجو يا سيدي أن تقبل خالص شكري وتأكيد تقديري العميق،

خادمك المخلص

هيبوليت تاين

136. إلى بيتر غاست

سيلس ماريا، الاثنين

[18 يوليو 1887]

صديقي العزيز:

إليك إجابة فورية لرسالتك التي وصلتني توًا، وسط أمطار غزيرة بدت لي (وسط عتمتها الرقيقة) منعشة بعض الشيء. لعلك تحظى بمثلها في البندقية أيضاً ـ ولذا فقد ألقيت عن نفسك بعضاً من الكوابيس التي جثمت على روحك بمجيء الصيف. وأنت محق؛ فعلي حقا أن أقدّر مسكني الصيفي البارد (لقد عانيت هذا العام أحياناً من الحرارة الشديدة حتى في الشمال هنا فما ظني بسوء الحال عندك!). وبنحو معتاد، ثق بي، فالمرء يستطيع التكيف مع أي شيء ما دام بصحة بدنية جيدة، وإن كان معتل البدن، فلن يعود أي شيء في نظره جيداً، وستلقى أفضل عطايا السماء جانباً ببرود وأسى. إن قيداً فسيولوجياً قد حرمني خلال العام الماضي، دون مبالغة، من أي يوم جيد، وقد كشف عن نفسه بكل أشكال الجبن، الوهن، عدم الثقة، والعجز عن العمل ـ وكلها آثار أشبه بمرض نفسي شديد، رغم يقيني بأني محق في اتهام *الطبيعة* بوصفها المذنب، وهو ألم آمل، يا صديقي العزيز، أن الرب الطيب قد جنبك إياه. وللإنصاف، فإني أعترف بحدوث تغير حقيقي خلال الأسبوع الماضي، لكن عدم ثقتي تتوغل عميقاً، وأيام

نوباتي المريعة للغاية متكررة جداً، لدرجة أني أشعر بأن الغد سيشهد عودة لنفس حالة الأوضاع القديمة.

لقد استغللت فوراً مجيء هذه الأيام الأفضل وكتبت كراسة سجالية صغيرة[1] ستركز بحدة، كما أظن، على مشكلة كتابي الأخير؛ لقد شكا الجميع من أني «غير مفهوم»، والمئة نسخة تقريباً التي بيعت قد أوضحت لي بنحو كافي أني غير مفهوم. تأمل فقط، لقد أنفقت قرابة خمسمائة تالر على تكاليف الطباعة خلال الأعوام الثلاثة الماضية ـ دون أن تدفع لي أي أتعاب بالطبع ـ وأنا في عامي الثالث والأربعين، بعدما نشرت خمسة عشر كتاباً! وإضافة لذلك، فبعد جرد دقيق لكل الناشرين المحتملين والعديد من المفاوضات المؤلمة للغاية، تظهر حقيقة واحدة لا تنكر ـ أنه ما من ناشر ألماني يرغب فيّ (حتى لو لم أطالب بأتعابي). ولعل هذه الكراسة السجالية الصغيرة ستساعدني في بيع بضع نسخ من كتاباتي الأقدم (بصراحة، يؤذيني دوماً التفكير في فريتش المسكين، الذي يتحمل الآن العبء بأسره). آمل أن ينتفع ناشريّ من ذلك؛ ذلك أني أعرف جيداً أني لن أكون ذا نفع حين يبدأ الناس بفهمي...

لقد كتب أوفربيك أنه قد قرأ المقدمات واحدة تلو الأخرى بوصفها «أشد الرحلات إثارة خلال عالم الأفكار». ستتزوّج ماري روتبليتز من النقيب (المتقاعد) فون دير مارك، الذي أتذكّر أخته من أيام نيس بوصفها رفيقة مائدة طيبة للغاية.

ثمة جيئة وذهاب هزلية تحدث، رسائل واستفسارات بين فايمار والمختصين بغوته هناك وبين أسرتنا؛ فقد اكتشفت هوية «موتغن» (إحدى

(1) يعني بها في جينالوجيا الأخلاق.

الألغاز في مذكرات غوته) حتى إن كبير الأرشيفيين بوركهارت قد أفصح عنها فهي جدتي. وفي هذه الأثناء تلاعبت قليلاً مع هؤلاء السادة عبر إثارة اعتراض؛ «يبدو من غير المحتمل لي أن تكون «موتغن» (إيردموت كراوزه) كانت صديقة للشاعر الشاب عام 1778»، لأن... موتغن لم تر النور إلا في ديسمبر من ذلك العام! يا للعجب العجاب! والآن بات الناس يفترضون أنها لا بد أن تكون أم موتغن. وعلى أي حال، فإن العلاقة بغوته أكيدة بما لا يدع مجالاً للشك. فقد كان غوته هو من جاء بشقيق موتغن، وهو بروفسور اللاهوت كراوزه، من كونيغسبرغ إلى فايمار كي يخلف هيردر (كمشرف عام على الكنائس في المنطقة).

صديقي العزيز، ليست الطباعة هي ما يجري الآن فحسب (مع ناومان)؛ بل والنقش أيضا (مع فريتش) أتشعر بالوخزة؟...[1] على الأقل ستراها عن قريب.

ولكن لا تكن ملائكياً (كما اعتادت الكونتيسة دونهوف أن تقول) وأرسل إلى بولاو ما ينبغي إرساله... يا صديقي العزيز ـ رجاءً ـ [2]

أمر لافت يستحق التضمين: لقد كتب د. فيدمان من صحيفة *Der Bund* إلي رسالة متحمسة، تخص برامز أيضا، الذي يرافقه حاليا

---

(1) يقيم نيتشه كناية هنا: «es wird gestochen... fühlen Sie den Stich?»، يعني تعبير den Stich fühlen في الواقع «أن تشعر بالآثار (الوخيمة) لشيء ما». الإشارة هنا إلى تأليف نيتشه «أنشودة للحياة»، المعد للأوركسترا والجوق المختلط، وهو تلحين لقصيدة أعطته إياها «لو» في شهر أغسطس 1882. وقد استلم النوتات من غاست في أواخر يونيو 1887؛ أما لحنه هو للبيانو فقد تم في سبتمبر 1882.

(2) ربما يشير هنا إلى أسد البندقية لغاست، الذي أرسل نيتشه نفسه الجزء الأول منه في النهاية إلى بولاو بعد ثلاثة عشر شهرا.

(والأخير «مهتم جدًا بما وراء [الخير والشر]»، وعلى وشك أن يوجه انتباهه إلى العلم المرح). هل يمكنني فعل أي شيء في هذا الاتجاه لأجل أسد البندقية؟؟؟[1].

المخلص لك، نيتشه.

(1) كان نيتشه قد أرسل لبرامز مقطوعته أنشودة للحياة، لكن الجواب اقتصر على اعتراف رسمي (راجع. P. Gast, «N und Brahms», Zukunft {Berlin}, vol. 19, 1897, pp. 266 _ 69).

137. إلى فرانسيسكا نيتشه

البندقية، 18 أكتوبر 1887

أمي العزيز:

إن رسالتك، التي وصلت في عيد ميلادي، جاءتني وأنا أقوم بشيء كان من شأنه أن يسعدك: كنت أكتب خطاباً صغيراً إلى لاما في أمريكا الجنوبية. كانت رسالتك وتحياتك بعيد الميلاد، بالمناسبة، هي الوحيدة التي تلقيتها، مما يعطيني فكرة جيدة عن «الاستقلال» الذي حصلت عليه الآن؛ فهذا هو الشرط الأهم للفيلسوف. آمل أنك لم تغفلي في رسالتي الأخيرة عن المزاج الجيد الذي قدمت إليك به قائمة الأحكام الألمانية ضدي. فقد كان من المسلي حقاً أن أعرف ذلك؛ كما أنني على دراية بالطبيعة البشرية بما فيه الكفاية لأعرف كيف إن الحكم علي سينقلب لضده في غضون خمسين عامًا، وبأي وهج من التبجيل سيلمع اسم ابنك بعد ذلك، على حساب نفس تلك الأشياء التي احتقرت وأسيء إليّ لأجلها حتى الآن. فأنا لم أسمع منذ طفولتي أي شيء عميق ومتفهم عني، وهذا جزء من قدري؛ كما أني لا أتذكر أني اشتكيت من ذلك في أي وقت مضى. وكما هو الحال، فإن وجهة نظري تجاه الألمان ليست حزينة جراء ذلك؛ فهم يفتقرون في المقام الأول إلى الثقافة، والجدية الكاملة، التي يجب أن تواجه بها المشاكل التي ألقي عليها ثقل جديتي؛ وهم ثانياً مشغولون بحق

وأيديهم أشد انهماكاً من أن يجدون الوقت لإقلاق أنفسهم بشيء غريب عنهم تماما.

وبالمناسبة، كي أجعل عقلك في راحة، يبدو أنك تعتقدين أن التناقض الذي أجده له علاقة ما، جوهريا، بنظري للمسيحية. كلا! إن ابنك ليس «هينا» بهذا النحو، كما أن معارضي ليسوا هينين أيضا. فالأحكام التي قمت بتدوينها لك مستمدة دون استثناء من ساحة أبعد الأجنحة عن الطائفية في البلاد الآن. فهذه الأحكام لم تكن أحكام اللاهوتيين. كل هذه الانتقادات تقريبًا (التي جاء بعضها من نقاد وعلماء أذكياء جداً) كانت حريصة على عدم الإشارة إلى أن الناس أرادوا، بسبب خطورة كتابي، أن يسلموني إلى «رُخَم المنبر وغربان المذبح»؛ فمعارضي أشد راديكالية مائة مرّة بجد من أن يحشروا في الأمر مسائل دينية وظلالاً من الفروق بين المعتقدات.

سامحيني على هذا الاستطراد الطويل جداً؛ ولكني حين أقول إن أذكى العلماء حتى الآن كانوا مخطئين بحقي، فمن البديهي أن [بلوس] لم يكن أحذق منهم[1] فقد شعر بطبيعة الحال أن وجهات نظره مختلفة عن آرائي - وأعرب عن أسفه لذلك.

الأخبار من الباراغواي مبهجة جداً بحق، ولكني لا أزال فاقداً لأدنى رغبة في الاستقرار قرب زوج أختي المناهض لليهود، فآرائه مختلفة عن آرائي ولست نادما على هذا.

الحقيبة لرحلتي نصف معبأة بالفعل، سأغادر في وقت متأخر بعد غد أو في وقت مبكر من اليوم الذي يليه، لقد ظلت حالتي الصحية ثابتة، بشكل عام، إلا أن عيني ظلتا تزعجانني.

---

(1) لعله تيودور بلوس، المدرس سابقا في مدرسة بفورتا.

مع أدفأ التحايا والامتنان،

مخلوقك القديم

سأكتب من نيس عن نقل موقد الكربون ـ النطرون الصغير، الذي سأحتاجه في غرفتي هناك (مع مائة رطل من الوقود).

138. إلى بيتر غاست

نيس، 27 أكتوبر، 1887

(أصابعي مزرقّة، عذراً!)[1]

صديقي العزيز:

لقد وصلت رسالتك للتو. كنت أقرأ مونتين كي أخلص نفسي من مزاج كئيب عكر، وقد ساعدت رسالتكم بنحو أكثر فعالية. فمنذ مساء الأمس، عانيت من عظم سمكة عالق في حلقي؛ وكانت الليلة الماضية مروعة. وعلى الرغم من المحاولات المتكررة للتقيؤ، فهو لا يزال عالقاً هناك. أمر غريب، أشعر بأن هناك الكثير من الرمزية والمعنى في هذه الحالة الفسيولوجية القاسية.

والأسوأ من ذلك أن الطقس بارد مثل يناير؛ وغرفتي، التي تواجه الشمال، لا تسمح لي بإطلاق أي نكات عن نفسي ـ أو عنها! لقد أعلن أوفربيك للتو أنه مصاب بالروماتيزم (وقد أرسل أيضا بعض الأخبار عن شبيتيلر، تلميذه القديم)[2]، وأنه غارق جداً في القمامة الدراسية (التي سيحاضر حولها للمرة الأولى هذا الشتاء)، كما أن سيمفونية ر. فاغنر قد

(1) كان نيتشه قد غادر سيلس ماريا في 19 سبتمبر، ومكث في البندقية مع غاست منذ 21 سبتمبر حتى 21 أكتوبر. وكان في نيس منذ 22 أكتوبر وحتى 2 أبريل 1888.

(2) راجع الهامش رقم هـ على الرسالة رقم 165، بتاريخ 26 فبراير 1888 إلى غاست.

أدّيت في بازل. يجب أن نرسل له (كما تقترح) الأنشودة الآن، بوصفها أمراً يستحث جميع أنواع الشجاعة. بالمناسبة، فإن الخاتمة، «*Wohlan, noch hast du deine Pein*» [«حسناً، فما زالت لديك المعاناة»][1]... هي أقصى درجات الغطرسة بالمعنى اليوناني، في تحديها التجديفي للمصير بفضل فائض من الروح والحماسة ـ ما زلت أشعر برعدة خفيفة عندما أرى (وأسمع) هذه العبارة. يقال أن للجنيات آذانا تصغي لمثل هذه «الموسيقى».

نغمة Aه تحفزني، لا يمكنني مساعدتك في ذلك، فهي تشكل الجسر إلى الحسم «اللطيف» في العبارات الأخيرة.[2] كنت سأحتفظ بسلم A الطبيعي لو أنه شكّل بداية لإيقاع طويل، شغوف، تراجيدي، متعاظم، ومتضائل (في سلم Fه)، ربما برفقة كمانات تعزف معاً؛ وكما هو الحال، فإنه يقف هناك لوحده، جافاً، مؤلماً، وبلا أمل. واللحن أيضاً يتنقل بين تلك الموازين خلال ثوان قليلة فقط ـ وهذه الأصوات الفريدة الكبرى بين B ـ A تبدو أشبه بتناقض. وكما ترى، فإني لا أستطيع حقاً أن أقرّ من التضارب الأخلاقي لنغم A هذا.

بالمناسبة، لقد منحتني النوتات المطبوعة متعة كبيرة؛ ويبدو لي أن قد أخرجها بنحو أفضل مما توقعنا. ما أجمل الورق الذي استخدمه! وعلى العموم، فإنها النوتات الأكثر «أناقة» التي رأيتها على الإطلاق؛ ويسرني أن فريتش قد قام بالفعل بترتيب الأصوات لأجلها (دون أن يذكر لي أي

(1) كان هذان آخر سطرين من قصيدة لو: «إن لم تملك المزيد من البهجة كي تمنحني/ حسنا، فما زالت لديك المعاناة».

(2) كان غاست كما يبدو قد اقترح بعض التغييرات في الأنشودة وهو يعدها للأوركسترا.

شيء مسبقاً)؛ وذلك يكشف عن إيمانه بأن من الممكن تأدية الأنشودة. آه أيها الصديق القديم العزيز، أي «خدمة» أسديت لي بفعلك هذا! إن هذه الصلة الضئيلة بالموسيقى وكذلك بالملحنين تقريباً، التي تشهد عليها هذه الأنشودة، هي أمر لا يقدر بثمن، بالنظر إلى المشكلة النفسية التي أجسّدها؛ وهذا الآن أمر سيجعل الناس يفكرون. كما أن الأنشودة في حد ذاتها تمتاز ببعض العاطفة والجدية، وهي تحدد على الأقل عاطفة مركزية واحدة بين العواطف التي نبعت منها فلسفتي. وفي الختام، فإنها شيء أقدمه للألمان، أشبه بجسر صغير، بوسعه أن يمكّن حتى هذا العرق الهائل من الاهتمام بأحد أغرب نماذجه الوحشية.

إن نيس، التي زعزعها الزلزال، تستعد هذا الشتاء لعرض كل محاسنها المغرية. فهي لم تكن أبداً أنظف مما هي اليوم؛ وباتت المنازل مطلية بنحو أجمل؛ والطعام في الفنادق أفضل. والمسرح الإيطالي يعد (فسوف يقضي سونزونيو، بوصفه متعهد مسارح، فصل الشتاء هنا)، شأنه شأن بولاو، بتقديم أوبرا **صيادي اللؤلؤ** كبداية (يوم 26 نوفمبر)[1]، ومن بعدها أوبرا **كارمن**؛ ثم **أمليتو** لأمبرواز توماس؛ ثم **لاكميه** (لديليب) كلها قطع جديرة بالذواقة. لقد عقدنا مؤخراً مؤتمراً رائعاً لعلماء الفلك هنا، أطلق عليهم اسم «مؤتمر بيش» (كان اليهودي الغني بيشوفهايم، الهاوي لعلم الفلك، يدفع جميع نفقات المؤتمر؛ والواقع أن الناس سعداء بالحفلات التي رتبها). تدين نيس له بمرصدها، وكذلك بالحفاظ عليه، ورواتب موظفيه، فضلاً عن تكاليف المنشورات. هكذا يبدو الربا اليهودي بأعظم أسلوب!

---

(1) وهي للفرنسي جورج بيزيه.

صديقي العزيز، لقد تركتك هذه المرة الأخيرة ليس مع امتنان كبير فحسب، بل مع احترام كبير أيضاً. كن صادقاً مع نفسك ـ ولا يسعني أن أتمنى لك شيئاً أفضل من ذلك!

مع الود، المخلص نيتشه.

139. إلى بيتر غاست

نيزا، 10 نوفمبر، 1887

صديقي العزيز:

لقد اقتضت الصدفة (أم أنها ليست صدفة على الإطلاق؟) أنني وجدت نفسي حائراً أيضاً في الأسبوع الماضي في مشكلة بيتشيني وغلوك. هل تعلم أن غلوك توفي في نوفمبر 1787؟ ولعل الخبير الأكبر والأذكى في بيتشيني، وهو الأب غالياني، قد مات أيضاً في العام نفسه (30 أكتوبر 1787، في نابولي)[1]، وهكذا فإننا نحتفل بالذكرى المئوية لمشكلة كبيرة ولحل مصيري، ربما يكون هو الآخر خاطئاً. أقرأ الآن لغالياني؛ ويزعجني حقاً أن هذا الذكاء الأكثر دقة وصرامة في القرن الماضي يجانب نفسه جداً حين يصف بيتشيني (وهو إلى حد ما يشبه موقف ستندال من روسيني، ولكن مع سذاجة أكثر ومزيد من «المودة»، إذا كان شعوري حيال ذلك صحيحاً). إنه يميز بشدة بين أوبرات بيتشيني الفكاهية التي لا تعد ممكنة إلا في نابولي ولأجلها، وغيرها التي يمكن أن تنال تقديرها تقريباً في جميع أنحاء إيطاليا وحتى في فرنسا. والصنف الأول فقط، كما يقول، هو ما يُظهر بيتشيني في ذروة فنه؛ حيث يقول للمدام ديبيناي إنها لا تستطيع أن تتخيلها، لأنها متفوقة جدا على كل ما سمعته.

(1) في ما وراء الخير والشر، المقطع 26، يصف نيتشه الأب غالياني بأنه «الإنسان الأعمق والأثقب نظرا وربما الأقذر في عصره».

كانت الفترة الممتازة لبيتشيني حوالي 1770 ـ 1711 (وقد كتبت رسائل غالياني في السنة الأخيرة). ففي ذلك الوقت كانت هناك عروض في نابولي لأوبرا **البستانية الزائفة** وكذلك **الدون كيشوت**، فضلاً عن **الغيرة من الغيرة**: ولا بد أن نشوة غالياني قد ارتبطت بإحدى هذه الأوبرات، إن لم تكن كلها («لقد علمني أننا جميعاً نغني، ونغني دائماً عندما نتحدث. أما الشيء الصعب فهو العثور على نغمتنا ولحننا حين نتكلم»). وهو يضحك من رغبة المدام ديبيناي في إحضار هذه الأشياء إلى باريس؛ ويقول: «إنهم لا يذهبون حتى إلى روما». «ستحظون بأوبراته الفكاهية الإيطالية، مثل **الابنة الطيبة**، لكنكم لن تحظوا بأي من تلك النابولية» (لقد عرضت هذه الأوبرا، أعني **الابنة الطيبة**، مع كلمات غولدوني، لأول مرة، في روما عام 1760؛ أما في باريس، فلم تعرض حتى عام 1770، وحظيت بنجاح كبير. وقد قال النقاد الفرنسيون في ذلك الوقت: «لقد كان ذلك إحساساً يلذ للآذان الفرنسية، التي تكيفت لسنوات عديدة على ضرب موسيقي كان يزعجهم في البدء. وفوق كل شيء، فقد بدا أن الآلات قد عزفت بمهارة لامتناهية». ألا يبدو ذلك رائعًا جداً)؟

يبدو لي أننا يجب أن نكتشف من جديد ذلك التعارض التام بين الموسيقى الإيطالية والفرنسية، وأن نضع جانباً المفهوم الهجين «للموسيقى الألمانية». إنها مسألة تعارض بين الأساليب. أما أين ينشأ الملحنون فليس بالأمر المهم هنا. وهكذا فإن هاندل إيطالي، وغلوك فرنسي (والنقاد الفرنسيون، في هذه اللحظة بالذات، يحتفون بغلوك بوصفه أعظم موسيقي يمثل الروح الفرنسية، وكأنه ولد بينهم). هناك إيطاليون أصلاء يقدرون الأسلوب الفرنسي؛ وهناك فرنسيون أصلاء

يكتبون الموسيقى الإيطالية. لكن ما الذي يتألف منه التعارض الأسلوبي بالضبط؟ أرشح لك بالخصوص كتاب **مذكرات العميد بروس**[1] (عن رحلته الإيطالية عام 1739)، التي يتطرق فيها باستمرار لهذه المشكلة وبكل شغف؛ وعلى سبيل المثال، يظهر فيها إل سانسون، نظيرك البندقي لهاسّه،[2] بوصفه معادياً للفرنسيين بكل تعصب.

هل يمكنك أن تعثر على نوتات بيتشيني في البندقية، وخاصة أعماله النابولية؟ هل من الممكن أن يضيع أي من هذه الأعمال وينسى؟ إن عبقرية المرح ينبغي أن تتعارض مع «الجدية الألمانية» ضيقة الأفق في الموسيقى.

وهذا ما يذكرني *بالأنشودة الكنسية* ـ التي لم يصلني عنها إلا حكم واحد فقط، من روتهاردت: «نبيلة للغاية، ونقية في الصياغة والتناغم»[3].

لقد ظهر المجلد الثاني من **مجلة الأخوين غونكور** ـ وهو منشور جديد ومثير جداً للاهتمام. ويتعلق بالأعوام 1862 ـ 1865؛ حيث توصف فيه جلسات العشاء الشهيرة في مطعم ماني بطريقة حية للغاية، حيث اجتمعت هناك العصبة الأشد ذكاءً وتشككاً من العقول الباريسية في ذلك الوقت (سانت بوف، فلوبير، ثيوفيل غوتييه، تاين، رينان، الأخوين غونكور،

---

(1) شارل دو بروس (1709 ـ 1777)، كونت فرنسي، وعميد لبلدة ديجون. كان عضوا في الأكاديمية الفرنسية للآداب، وعضوا في البرلمان الفرنسي، وخصما لدودا لفولتير، حال دون انضمامه للأكاديمية. (المترجم)

(2) إل سانسون (السكسوني) لقب أطلق على غيورغ كريستوف مارتيني (ت. 1745)، الرسام والنقاش والآثاري الذي أقام طويلا بإيطاليا ودفن فيها. أما هاسه فهو يوهان أدولف هاسه (1699 ـ 1783)، المؤلف والمغني ومعلم الموسيقى الألماني الشهير في عصره. (المترجم)

(3) مشيرا إلى «أنشودة للحياة» لنيتشه. كان أدولف روتهارت بروفسور موسيقى في جنيف، وانتقل لاحقا إلى «معهد لايبزغ الموسيقي».

شيرر، غافارني، وأحياناً تورغنيف، وهلم جرا). ستجد فيه التشاؤم الغاضب، والسخرية، والعدمية، بالتناوب مع الكثير من المرح والفكاهة الجيدة؛ ربما كنت سأشعر بالألفة في مجلس كهذا؛ فأنا أعرف هؤلاء السادة عن ظهر قلب لدرجة أنني قد بلغت كفايتي منهم. ينبغي للمرء أن يكون أكثر راديكالية؛ أما هم في الأساس فيفتقرون جميعاً إلى الشيء الرئيس ألا وهو «العنفوان».

المخلص، صديقك نيتشه

140. إلى إروين روده

نيزا، 11 نوفمبر 1887

صديقي العزيز:

ما زال علي أن أعوضك، كما يبدو، عما حصل بيننا في الربيع الماضي[1] وكأمارة على أني لا أفتقر لحسن النية اللازم لفعل ذلك، فإني أرسل إليك كتاباً ظهر للتو (ولعلي أدين لك به على أي حال، لأنه الأشد قرباً من الكتاب الأخير الذي أرسلته)[2] لا تسمح لنفسك بالابتعاد عني بهذه السهولة! لن أخسر الآن على الأقل، في سني وعزلتي هذه، أولئك القلة من البشر الذين أوليتهم ثقتي ذات يوم.

المخلص ن.

---

(1) كان هناك تبادل للرسائل بين نيتشه وروده؛ حيث كتب روده بنحو غير متعاطف عن تاين؛ ورد عليه نيتشه مغضبا في 21 مايو، مقارنا بين حياة المغترب الوحيد المتجاهل وحياة الباحث الذي تكيف مع المجتمع: «... إن حياته، شاء ذلك أم أبى، تتخذ طابع المهمة؛ فهناك ضرورة تتحكم بموقفه تجاه كل مشكلاته (وليس الأمر مسألة عشوائية عابرة كما هو الحال عندك وعند معظم الفيلولوجيين الكلاسيكيين في موقفكم تجاه الفيلولوجيا)». وفي 23 مايو، في رسالة أشد تنازلا، كتب: «باستثناء بوركهارت، فإن تاين هو الرجل الوحيد الذي قال أي شيء ودي أو متعاطف عن كتاباتي، ولهذا فإني أعده هو وبوركهارت قارئيّ الوحيدين. إننا متلازمون من الجذور نحن الثلاثة، كثلاثة عدميين جذريين، رغم أني شخصيا، كما قد تشعر، ما زلت أجزم بأني سأعثر على المخرج، وعلى الثقب الذي يصل المرء عبره إلى (شيء ما)». ولم يرسل روده ردا على رسالة نوفمبر هذه.

(2) في **جينالوجيا الأخلاق**. أرسل نيتشه نسخة منه إلى بوركهارت، وفي رسالة إليه (14 نوفمبر 1887) علق قائلا إنه اعتبره هو وتاين القارئين الوحيدين اللذين فهماه.

ملاحظة: أرجو منك أن تعود لرشدك بخصوص السيد تاين. فهذه الأمور الفجة التي تفكر فيها وتقولها عنه تزعجني. قد أغتفرها للأمير نابليون[1]، وليس لصديقي روده. فأنا أجد من الصعب تصديق أن شخصاً يسيء فهم هذا النوع من العقول الزاهدة رحبة الأفق (ت. هو مربي كل الشخصيات المتعلمة الجادة بحق في فرنسا) قد يفهم أي شيء من مهمتي الخاصة. وبصراحة، فإنك لم تذكر أي شيء لي مما كان سيسمح لي بافتراض أنك تعرف أي مصير يقع على عاتقي. فهل أنبتك أبداً على ذلك؟ كلا، ولا حتى في قلبي، ولو لأني فقط لا أتوقع ذلك من أي أحد. من ذا أبدى قلقه علي ولو بأبسط درجات الشغف والألم[2]! هل امتلك أحد أدنى دليل عن السبب الحقيقي لمرضي الطويل، الذي ربما سيطرت عليه الآن، بالرغم من كل شيء؟ لقد خلفت ورائي ثلاثاً وأربعين سنة، وما زلتُ وحيداً كما كنت وأنا طفل.

(1) الأمير نابليون، **نابليون ومهاجموه** (باريس، 1887)، وقد تضمّن هذا العمل هجوما على تاين.

(2) في رسالة إلى أوفربيك، بتاريخ 12 نوفمبر 1887، استخدم نيتشه نفس التعبير ولكن مع إضافة لافتة: «باستثناء ر. فاغنر...». إليك جملا أخرى من الرسالة ذاتها: «لقد أذاقني هذا العقد الرهيب الذي خلفته ورائي كثيرا مما يعنيه أن تكون وحيدا، العزلة كما كنت أعرفها، العزلة والانكشاف لشخص يعاني ولا سبيل له أبدا لحماية نفسه، فضلا عن الدفاع عنها. [...] إضافة لذلك، فلدي مهمة تمنعني من التفكير كثيرا في نفسي. [...] لقد أمرضتني هذه المهمة؛ وستجعلني صحيحا فيما بعد، وليس صحيحا فحسب بل ودودا أيضا، مع كل ما يقتضيه ذلك»..

141. إلى بيتر غاست

نيزا، 24 نوفمبر 1887

صديقي العزيز:

في هذا الصباح أستمتع بهدية عظيمة: فللمرة الأولى ثمة «صنم ناري» في غرفتي، أي موقد صغير، وأعترف بأني قد طفت حوله بالفعل لبضعة أشواط وثنية.[1] لقد كان الوقت من قبله رعدة مستمرة مزرقة الأصابع، مما يعني أن فلسفتي أيضاً لم تكن على أساس متين جداً. من الصعب أن يتحمل المرء أنفاس الموت الثلجية في غرفته الخاصة، ولا يستطيع الالتجاء إلى غرفته بوصفها حصناً له بل يسحب إليها سحباً وكأنها سجنه. لقد هطل مطر غزير خلال الأيام العشرة الماضية: حيث يخمن أن 208 ألتار قد هطلت لكل متر مربع. كان شهر أكتوبر هذا أبرد أكتوبر عرفته، ونوفمبر هذا أكثرها مطراً. ما تزال نيس خالية نسبياً؛ ولكن كان هناك خمسة وعشرون شخصاً منا على طاولة، كلهم أناس لطفاء ودودون صغار، لا يوجد بحقهم أي اعتراض[2].

وفي هذه الأثناء كان أوفربيك قد كتب لي، وهو مليء بالبهجة تجاه الأنشودة «ولحنها الجميل، الرفيع، والنافذ بشكل فريد» («تبدو موسيقاك

(1) يقصد الموقد الذي أرسلته إليه أمه.

(2) كان يعيش آنذاك في بنسيون جنيف.

الحالية مذهلة في بساطتها»). وهو يؤكد على «الشدة الغنية، المتكرّرة بنحو كاشف، على كلمة «الألم» الأولى، والهمسة التي تظهر في الحقول الزمنية الأخيرة، وتبدو كأنها تنفذ أعمق في قلبي». ويتحدث صديقي كروغ (الذي يطلب مني بالمناسبة ألا أخاطبه بلقب *Justizrat* بل *Regierungsrat*)[1] عن «تأثره بعمق، حد الدموع. آمل بكل ثقة أن يؤدى مقطع الجوق [كذا] هنا... إن توزيع الأوركسترا ممتاز، في حدود حكمي. فهو يظهر شدة وتنوعاً مُرضيين، لكنه منظم بحكمة، كما في الصفحة 8 حيث لا يدل على كلمات «وفي حمية الصراع» إلا برقة وسط رجفة الكمانات والترومبون الصادح وما يليه من صخب البيانو والبوق. وفي الصفحتين 6 و10 فإن نغمات الناي الهابطة بهدوء ستبرز أيضاً بنحو جميل»، وهلم جرا وهلم جرا...

لكن حقيقة أن روسو كان من أوائل معجبي غلوك تدفع المرء للتفكير؛ ففي نظري على الأقل، كل شيء كان روسو يعتز به محل شك نسبي، وكذلك فكل من اعتز بروسو (هناك أسرة كاملة لروسو؛ وإليها ينتمي شيلر، وكانط أيضاً إلى حد ما؛ وفي فرنسا جورج صاند، وحتى سانت بوف؛ وفي إنجلترا [جورج] إليوت وهلم جرا). كل من يحتاج «للكرامة الأخلاقية» *لغياب كلمة أفضل* يعد بين معجبي روسو، وصولاً إلى عزيزنا دوهرينغ، الذي يملك ما يكفي من الذوق ليقدم نفسه في سيرته الذاتية بوصفه روسو القرن التاسع عشر. (لاحظ كيف يقف المرء بإزاء فولتير وروسو: فأجلى الفروق يتضح بين اتفاقه مع الأول أو مع الثاني. فأعداء فولتير، مثل فيكتور هوغو، وكل الرومانسيين ـ وحتى آخر الرومانسيين المتأدبين كالأخوين

(1) كان لقب «Justizrat» يعطى للمحامين الكبار. أما «Regierungsrat» فيعني مشاورا للحكومة (يعادل السيناتور في الولايات المتحدة وعضو البرلمان في إنجلترا).

جونكور - يحسنون الظن جميعاً بالعامي المقنّع روسو؛ وأشك أن هناك قدرا ما من الحقد العامّي في أساس الحركة الرومانسية...) إن فولتير متمرد [بالفرنسية] ذكي لامع؛ لكني أشاطر غالياني رأيه: [بالفرنسية]

إن وحشاً مرحاً لهو أفضل

من آخر عاطفي ممل[1]

لا يتاح فولتير ولا يطاق إلا في ثقافة أرستقراطية يمكن للمرء فيها بالتحديد تحمل رفاهية التمرد الفكري...

لاحظ فقط أي مشاعر دافئة، وأي «تسامح»، بات موقدي فوراً بغمرني بها...

أرجوك يا صديقي العزيز، أبق هذه المهمة في بالك؛ لا يمكنك التهرب منها. عليك، *في شؤون الموسيقى والموسيقيين* [باللاتينية]، أن ترجع المبادئ الأصلب إلى مكانة الشرف، بالقول والفعل، وتغوي الألمان كي يقعوا في اللغز الذي لا يعد لغزاً إلا في هذا العصر: أن المبادئ الأصلب والموسيقى المرحة ينتميان لبعضهما...

بكل ولاء وامتنان، صديقك نيتشه

(1) هذان البيتان لفولتير، وقد اقتبسها غالياني. قارن ذلك بما ورد في Werke in drei Bän-den, 3:453، حيث يوظف الاقتباس لدعم نقد التشاؤم والمعنوية اللذين جاء بهما التنوير في القرن التاسع عشر: «لقد تحصّنت من ضيق الأفق الألماني والمسيحي والخطأ المنطقي للتشاؤم عند شوبنهاور، أو حتى ليوباردي، وبحثت عن أشكاله الأشد أساسية (في آسيا). ولكن لكي أتحمل هذا التشاؤم المفرط (الذي يمكن رؤيته هنا وهناك في كتابي مولد التراجيديا)، لكي أحيا «بدون الله والأخلاق»، كان علي أن أعثر على نقيض لنفسي، ولعلي أعرف أفضل من أي شخص آخر لماذا يضحك المرء لوحده؟ فهو يعاني لوحده بعمق يضطره لاختراع الضحك...».

142. براندس إلى نيتشه[1]

كوبنهاغن، 26 نوفمبر 1887

(1) مراسلات فريدريك نيتشه مع غيورغ براندس

هذه الرسائل التي تم تبادلها بين نيتشه وغيورغ براندس، الأديب الدنماركي الرفيع والناقد الأوربي الشهير لشكسبير، تنتمي إلى الطور الأخير والأشد مناهضة للألمان عند نيتشه؛ ذلك الطور الذي كانت فيه موهبته العظيمة، وهي على وشك الكسوف، في أوج إنتاجها وقمة وهجها.

واحدا بعد الآخر، هطلت هذه الأعمال الأخيرة بعناوينها الأخاذة المؤثرة، ساخنة من آتون دماغه المضطرب، وكأنه كان على علم بالكارثة المحدقة به، واستعجل في العمل «ما دام اليوم لم ينقض» وقبل أن تلفه ظلمة الليل الأبدي... وفي قلب الوحشة والعزلة، محروماً من رفقة أخته الحبيبة، وبعيدا عن أولئك الذين ربطتهم به عرى وثيقة من الصداقة الوثيقة والرومانسية، تمسك نيتشه باليد الطيبة التي امتدت إليه من الدنمارك.

بدأت أواصر الصداقة بين هذين الرجلين اللامعين في شتاء 1887. ولكن حتى في عام 1883 كان نيتشه قد سمع باهتمام براندس في عمله، وفي صيف 1886 كان صديق مشترك قد أبلغ نيتشه في سيلس ماريا بأن براندس كان يسأل عنه بشكل حثيث، ويؤنب أصدقاءه الألمان الذين تجاهلوا أعماله. وهذا ما قاد نيتشه لأن يرسل إلى براندس نسخة من **ما وراء الخير والشر**، ومن بعدها **جينالوجيا الأخلاق**، اللذين أعرب براندس عن تقديره لهما في أولى الرسائل المبهجة التي بين يديك.

تقول إليزابيث فورستر - نيتشه في تعليقاتها على هذه الرسائل: «يمكنني أن أقول بصدق إن هذه الرسائل كانت النقطة الوحيدة المشرقة في حياة أخي خلال شتاء 1887 و1888. لا يمكن أن أسمع اسم غيورغ براندس دون أن تغرورق عيناي بالدموع امتناناً. فحين كان أخي في قمة اليأس من العثور على أي شخص قد يأخذه على محمل الجد أو يفهم ما يعنيه للعالم، جاء براندس - عبر رسائله وكذلك عبر محاضراته في جامعة كوبنهاغن - وأثبت أن هناك شخصا واحدا على الأقل على وعي بأهمية وقيمة هذه الفلسفة الجديدة، ويشعر بالضرورة الماسّة لتنبيه الآخرين عليها».

سيدي العزيز:

أرسل إليّ ناشرك قبل عام عملك اللافت، **ما وراء الخير والشر**، وتلقيت بنفس الطريقة كتابك الجديد مؤخرا. وبالإضافة إلى ذلك فلدي كتاب آخر لك، **إنساني مفرط في إنسانيته**. كنت قد أرسلت المجلدين السابقين للتو إلى مجلد الكتب حين وصلني كتاب **جينالوجيا الأخلاق**، ولذا لم أتمكّن من مقارنته بالمجلدات الأخرى كما أنوي.

آمل تدريجيا أن أقرأ كل شيء لك بعناية فائقة. وأشعر هذه المرة بأنه يجب أن أعبر لك عن خالص شكري على هديتك. أرى من الشرف لي أن أكون معروفا عندك، ومعروفا لدرجة أنك ترغب في الفوز بي كقارئ. تجعلني كتبك على اتصال بعقل جديد ومبتكر. لم أفهم بعد كل ما قرأته تماما، ولا أستوعب وجهتك بالضبط. لكن هناك الكثير مما تتناغم معه آرائي الخاصة من النظرة الأولى، كالحط من المثل العليا الزاهدة، والنفور المتجذر في العمق من الديمقراطية، والراديكالية الأرستقراطية. أما سخريتك من أخلاق الشفقة فليست واضحة لي بعد. ولم يكن خط فكري منسجما مطلقاً معك في تعميماتك ضد المرأة ككل في الكتاب الآخر.

إني وإياك مختلفان في التكوين لدرجة أني أواجه بعض الصعوبة في التوصل إلى عمق أفكارك. فعلى الرغم من عالميتك، تظل ألمانيا للغاية في

سنوات طويلة كانت ستمر قبل أن يفطن أساتذة الجامعات في ألمانيا ويتملكوا شجاعة كافية لإلقاء محاضرات حول فريدريك نيتشه. ولكن المجد كله يليق ببراندس الذي أدرك، قبل أن يفوت الأوان على بعث البهجة في صدر هذا الفيلسوف بنيله بعض التقدير، تلك الأهمية الهائلة والواسعة للأفكار النيتشوية.

أسلوبك في التفكير والكتابة. وأنت من القلائل الذين يفترض أن أستمتع بالحديث معهم.

لا أعرف شيئاً عنك شخصياً. وأنا مندهش لمعرفة أنك أستاذ جامعي ودكتور، وأهنئك على كونك بعيداً فكريا عن جو الأساتذة. أما أنا فأجهل أيضا كم تعرف عني. تحاول كتاباتي حل بعض المشاكل المتواضعة. ومعظمها غير متوفر إلا بالدنماركية. لم أكتب بالألمانية منذ سنوات عدة. وأعتقد أن أفضل جمهور لديّ ينتمي للأمم السلافية. لقد ألقيت محاضرات مستمرة لمدة عامين باللغة الفرنسية في وارسو، وهذا العام في سان بطرسبرغ وموسكو. وهكذا أسعى لتجنّب التعثر بالأخاديد في بلدي الأم. وعلى الرغم من أني لم أعد شابا، فأنا ما زلت من الذين يلتهمهم شغف التعلم والنهم الذي لا يشبع لمعرفة كل ما يمكن معرفته. ولهذا السبب فلن تجدني أبدا غير منفتح للمجادلة، مهما قل ما أستطيع أن أشاركك التفكير والشعور به. غالبا ما أكون غبيا، لكني لست متحيزا على الإطلاق.

أرجو أن تسعدني بالسماع منك إن كنت تجد أمرا يستحق الكتابة.

الممتن لك،

غيورغ براندس

143. إلى غيورغ براندس[1]

نيزا، 2 ديسمبر 1887

سيدي العزيز:

قلة من القراء الذين يحترمهم المرء شخصياً، ولا قراء سواهم. هذه هي إحدى أمانيّ حقاً. أما بالنسبة للجزء الثاني من الأمنية، فإني بالطبع أرى أكثر وأكثر أنها لن تتحقق. وأنا مع ذلك مسرور بأن *القلة* في حالتي ليسوا غائبين من مقولة *القلة تكفي* [باللاتينية] كما أني لم أفتقدهم أبدا. ومن بين الأحياء بين أولئك القلة، سأذكر (مورداً أفراداً ممن تعرفهم) صديقي المتميز ياكوب بوركهارت، هانز فون بولاو، هـ. تاين، والشاعر السويسري كيلر؛ ومن بين الأموات، الهيغلي العجوز برونو باور وريتشارد فاغنر. ومن المبهج حقاً لي أن أوربياً طيباً ورسول ثقافة مثلك قد يرغب من الآن بالانضمام إليهم؛ وأشكرك من كل قلبي على نيتك الطيبة.

بالطبع فإن ذلك سيوقعك في بعض المصاعب. فأنا شخصياً لا أشك في أن كتاباتي ما تزال بنحو ما «ألمانية جدا»؛ وأنت بالطبع تشعر بذلك بنحو أشد قوة، لأنك أترفت نفسك كما هو الحال، أعني جراء النحو الحر

---

(1)كان براندس (واسمه الحقيقي غيورغ كوهين) ناقدا ومؤرخا أدبيا دنماركيا (1842 ـ 1927). وتعود رسالته الأولى إلى نيتشه إلى تأريخ 26 نوفمبر 1887. وقد ظهرت محاضراته حول نيتشه خلال عامي 1887 ـ 88 في الجزء الأول من مجموعة كتاباته Gesammelte Schriften (ميونخ 1902).

والفرنسي الأنيق الذي تتعامل أنت به مع اللغة (وهو نحو أشد اجتماعية مني). لقد أصبحت العديد من الكلمات مرصعة عندي ببلورات أخرى، وتمتاز بذوق مختلف عما لدى قرائي - ويجب أخذ ذلك بالاعتبار. ففي سياق تجاربي وظروفي، هناك أكثرية من النغمات التي تمتاز بطبقة أندر، أبعد، وأرفع من النغمات العادية في الوسط. ولدي أيضاً (لو تحدثت كموسيقي قديم، وأنا كذلك حقاً) أذن حساسة لأرباع النغمات. وأخيراً - ولعل هذا هو الأمر الذي يجعل كتبي غامضة أغلب الوقت - فهناك عندي شك في الجدل، وحتى في الأسباب. فما يحسبه المرء حقاً أو لم يحسبه بعد، يبدو لي أمراً يعتمد أكثر على الشجاعة، وعلى قوة تلك الشجاعة... (ولكني أنا نادرا ما أستجمع الشجاعة للإقرار بما أعرفه حقاً).

إن تعبير «الراديكالية الأرستقراطية» الذي تستخدمه جيد جداً؛ أي إنه، لو جاز لي القول، أحصف ملاحظة قرأتها عن نفسي حتى الآن.

أما المدى الذي دفع به هذا النحو من التفكير أفكاري، والمدى الذي سيظل يدفعني به، فلعلي أشد خوفاً من أن أتصوره. لكن هناك طرقاً تمنع المرء من أن يمضي فيها بالعكس، ولهذا فعلي أن أمضي للأمام، لأن عليّ فعل ذلك.

وهكذا فلكي أقوم بكل ما يسعني فعله لتسهيل ولوجك إلى كهفي - أعني إلى فلسفتي - سأطلب من ناشري في لايبزغ أن يرسل إليك كتاباتي السابقة جملة. وأوصي بالخصوص بأن تقرأ مقدماتها الجديدة (لأن معظم الكتابات قد أعيد نشرها). وهذه المقدمات، لو قرئت بالترتيب، قد تسلط بعض الضوء علي، لو سلمت بأني لست خفياً بذاتي ولذاتي، بوصفي *أخفى الرجال الخفيين* [باللاتينية]...

ـ ولعل الحال كذلك حقاً ـ

هل أنت موسيقي؟ سينشر لي قريبا عمل لجوقة وأوركسترا، بعنوان **أنشودة للحياة**. إنه تأليفي الوحيد الذي أريد له أن يبقى وأن يغنى يوماً ما «لذكراي»، بفرض أنه سيتبقى مني ما يكفي في أنحاء أخر. ها أنت ترى أي أفكار عما بعد الموت أعيش بينها. لكن فلسفة كفلسفتي أشبه بالقبر، فالمرء لا يعود بعدها يعيش مع الآخرين. *حسناً عاش من عاش خفياً* [باللاتينية]، هذا ما كتب على شاهد قبر ديكارت، وهو خير شاهد لو كان هناك شيء كهذا!

أرغب أيضاً في اللقاء بك يوماً ما.

المخلص نيتشه

ملاحظة: أقضي هذا الشتاء في نيس. وعنواني الصيفي هو: سيلس ماريا، إنغادن العليا، سويسرا. لقد تخليت عن منصبي كبروفسور في بازل. وأنا ثلاثة أرباع أعمى.

144. إلى بيتر غاست

نيس (فرنسا)، 14 ديسمبر 1887

بنسيون جنيف

صديقي العزيز الغالي:

لقد اخترت وقتاً مناسباً جداً للكتابة لي. لأني الآن، ربما دون قصد مني، ولكن خضوعاً لضرورة لا مفر منها، في وسط تصفية حساباتي مع الرجال والأشياء وترك حياتي بأسرها ورائي. ومعظم ما أفعله الآن هو «وضع خط تحت كل شيء».

لقد كانت حماسة نبضاتي الباطنية أمراً مرعباً، خلال كل تلك السنوات الماضية؛ والآن ما أن تحتم علي الانتقال إلى شكل جديد وشديد، فأنا أحتاج قبل كل شيء إلى اغتراب جديد، ونزع تشخص أشد حدة. ولهذا فمن المهم للغاية معرفة ماذا ومن سيبقى معي.

كم يبلغ عمري؟ لا أعرف بقدر ما لا أعرف مدى الشباب الذي سأصل إليه.

يسعدني أن أنظر إلى صورتك؛ ففيها يبدو الكثير من الشباب والشجاعة، مختلطة بنحو اللائق مع تباشير الحكمة (والشعر الأبيض؟) ...

تتردد شكاوى قوية في ألمانيا من «غرابة أطواري». ولكن حيث أن النّاس لا يعرفون أين يقع مركزي، فسيظل من الصعب عليهم أن يعرفوا

يقيناً أين ومتى كنت «غريب الأطوار» حتى الآن[1]، فمثلًا، كوني فيلولوجياً كلاسيكياً؛ كان ذلك أمراً خارج مركزي (لكنه لحسن الحظ لا يعني أني كنت فيلولوجياً كلاسيكياً سيئاً). وبالمثل، يبدو لي اليوم من غرائب الأطوار أني كنت سأصبح فاغنرياً. فقد كانت هذه تجربة خطرة بلا حدود؛ لكني أعرف الآن أنها لم تدمرني، وأعرف أيضاً أي معنى انطوت عليه عندي ـ فقد كانت أقوى اختبار لشخصيتي. لا شك في أن كينونة الإنسان الداخلية تهذبه تدريجياً حتى يصل الوحدانية؛ وهذا الشغف، الذي لا يمكن منحه أي اسم لوقت طويل، ينقذنا من كل استطراد وتشكك، يصبح المرء مبشراً به دون قصد[2].

إن أموراً كهذه يصعب فهمها جداً عن بعد. ولهذا السبب، فقد كانت أعوامي السابقة شديدة الألم والعنف. ولو شئت أن تسمع الكثير عن قصتي السيئة المفعمة بالمشكلات، فإني أرشح لاهتمامك الودي الطبعات الجديدة من كتاباتي السابقة، خصوصاً مقدّماتي لها. (وبالصدفة فإن ناشري، الذي يشعر ببعض اليأس لسبب وجيه، مستعد لإهداء هذه الطبعات الجديدة لأي شخص، ما دام المتلقي يعده بإرسال بحث طويل عن «نيتشه ككل». فالدوريات الأدبية الكبرى، مثل *Lindau Nord und*

(1) كلمة Exzenter في الألمانية تعني حرفيا «خارج المركز»، لكنها تستخدم بمعنى «غريب الأطوار». (المترجم)

(2) تظهر فحوى هذه الرسالة حتى هذه النقطة مع بعض التغييرات في رسالة 20 ديسمبر إلى غيرسدورف (لتوطيد صداقتهما المتجددة)، وكذلك رسالة 3 يناير 1888 إلى باول دويسن. وفي تعقيب على الرسالة الأخيرة، يقول نيتشه أنه ما زال يتمنى بصدق أن يقضي شتاء ما في بلدة جامعية ألمانية («وهي أمنية، بالنظر لحاجتي إلى الإشباع الفكري، تستحيل أحيانا لجوع وعذاب»)، لكن صحته حتى ذلك الحين قد حالت دون ذلك قطعا.

Süd، في حاجة شديدة لبحث كهذا، لأن قلقاً وإثارة حقيقيين حول معنى كتاباتي باتا ملموسين. فحتى الآن لم يملك أحد ما يكفي من الشجاعة والذكاء لاكتشافي لأجل أعزائي الألمان؛ فمشكلاتي جديدة، وأفقي النفسي واسع بنحو مخيف، ولغتي جريئة وألمانية، وربما لا تجاري أي كتب ألمانية غنى الأفكار والاستقلال الموجود في كتبي.)

هذه الأنشودة أيضاً جزء من «وضع الخط تحت كل شيء». إن لم يمكنك أن تغنيها بنفسك، فلدي عدة وعود بأدائها (من موتل في كارلسروه مثلاً)[1]، وبالطبع فمن المقصود أن تغنى ذات يوم «في ذكراي»: ويراد بها أن تكون شيئاً مني سيبقى بعدي، بافتراض أني شخصياً سأبقى.

تذكرني بلطف، عزيزي د. فوكس. أشكرك من كل قلبي لرغبتك في البقاء وفياً لي، حتى في النصف الثاني من قرنك أنت.[2]

صديقك نيتشه

(1) كان فيلكس موتل (1859 ـ 1911) مدير فرقة ومؤلفا نمساويا، وكان يقدم عروضا في بايرويت أيضا. كان أحد أعماله توزيعا للرقصات من عدة أوبرات لغلوك، ولعلّ الدافع لفعل ذلك جاءه من نيتشه.

(2) يقصد بذلك بعد أن تجاوز فوكس عيد ميلاده الخمسين.

145. براندس إلى نيتشه

كوبنهاغن، 15 ديسمبر 1887

سيدي العزيز:

لقد تركت الكلمات الأخيرة في حاشيتك انطباعا عميقا فيّ بعد قراءة رسالتك. أنت تعاني من مشاكل في العين. هل استشرت أفضل طبيب عيون؟ الجانب النفسي الكامل للحياة يتغير إذا كان المرء لا يرى بشكل جيد. إنك أنت مدين لجميع من يحترمونك ويقدرونك ببذل قصارى جهدك للحفاظ على بصرك وتحسينه.

لقد أجلت الرّد على رسالتك لأنك ذكرت إرسال هدية من الكتب، وكان عليّ أن أشكرك على هذه الكتب في الوقت ذاته. ولكن بما أن الطرد لم يصل بعد، فسأكتب اليوم بضعة أسطر. لقد استلمت كتبك من المجلّد، وعلى الرغم من انشغالي بإعداد محاضرات وانغماسي بشتى أنواع الأعمال الأدبية والسياسية حاليا، فقد اقتنصت أكثر ما بوسعي من الوقت للتعمق في محتوياتها.

17 ديسمبر.

يمكنك اعتباري أوروبيا جيدا إذا أردت، لكنني أقل رغبة في أن أوصف

«برسول الثقافة». كل عمل رسولي أصبح بالنسبة لي رجسا. لا أعرف سوى المبشرين الأخلاقيين، وأخشى أن اعتقادي ليس مستقيما تماما بالنظر لمفهوم الثقافة. فهل هناك شيء ملهم على الإطلاق في ثقافتنا ككل، ومن ذا يستطيع تصوّر الرسول بدون إلهام؟ سترى أنني أكثر عزلة مما تظن. أما بالنسبة لكونك ألمانيا، فقد قصدت ببساطة أنك تكتب لنفسك، وتفكّر في الكتابة بإرضاء نفسك أكثر من إرضاء الجمهور الواسع، في حين أن غالبية الكتاب غير الألمان يضطرون إلى إجبار أنفسهم على شكل من الأسلوب النمطي الذي قد يكون أكثر وضوحا ومرونة، لكنه يميل إلى الضحالة بدلا من العمق. ويفرض على المؤلف أن يحتفظ بأفضل مشاعره وأشدّها حميمية لنفسه وحده. وأنا غالبا ما أشعر بالصدمة من قلة ما يتضح في كتاباتي عن ذاتي الداخلية.

ليس لدي فهم حقيقي للموسيقى. فالنحت والرسم هي الفنون التي أملك فكرة عنها، وأنا مدين لها بأعظم الانطباعات الفنية. أذني غير متمرسة، وكان ذلك مصدر حزن كبير لي في شبابي. عزفت فيما مضى لمدة جيدة، ودرست النظرية لعدة سنوات، ولكن دون أي نجاح. أنا قادر على الاستمتاع بالموسيقى الجيدة بشكل عميق للغاية، لكني أظل من المبتدئين.

أتخيل أنني أتتبع في أعمالك بعض نقاط الاتفاق في أذواقنا، كتفضيلك أعمال بايل على سبيل المثال، وكذلك تاين[1]؛ لم أر هذا الأخير منذ سبعة

(1)هيبوليت تاين (1828 ـ 1893) ناقد ومؤرخ فرنسي شهير. إليه ينسب التأثير النظري الأبرز على الفلسفة الطبيعية في فرنسا، وكان من الدعاة المعروفين للوضعية الاجتماعية، وأحد أوائل الممارسين للنقد التاريخي. ويقال إن التاريخية الأدبية كحركة قد نبعت من

عشر عاما. لا أعرف إن كنتُ مفتونا جدا بعمله حول الثورة كما يبدو الأمر معك. فهي بالنسبة له اضطراب مؤسف، وزلزال أعطاه دافعا للتنديد والشجب.

لقد استخدمت مصطلح «الراديكالية الأرستقراطية» لأنه يعبر بدقة عن قناعاتي السياسية الخاصة. ولكن يؤلمني أن أجد في كتاباتك أنك تستخف؟ بظواهر مثل الاشتراكية والفوضوية بعنف وجيز. لا يوجد شيء غبي، على سبيل المثال، في الفوضوية عند الأمير كروبوتكين. أما الاسم فلا يهم بالطبع.

إن عقلك، المبهر للغاية في تألقه بانتظام، يبدو لي قاصرا حين يقوم بالبحث عن الحقيقة في الفروق الدقيقة للموضوع.

تأملاتك حول أصل الفكرة الأخلاقية ذات أهمية بالغة بالنسبة لي لدهشتي المبهجة، فأنتَ تشاركني بعض الاستياء الذي أكنّه لهربرت سبنسر، فهو يمثل في نظرنا إله الفلسفة. إحدى الحسنات المميزة التي يتصف بها هؤلاء الإنجليز إجمالا هي أن عقلهم البارد يتهرّب من الفرضيات، ومن جهة أخرى فقد سلبت الفرضيات قيادة العالم من الفلسفة الألمانية. ألا يوجد الكثير من هذا الافتراض في مفهومك عن التمايز الطبقي كمصدر للأفكار الأخلاقية المختلفة؟

أنا أعرف ريه الذي تهاجمه. التقيت به في برلين. لقد كان رجلا هادئا،

جهوده. كان له تأثير عميق على الأدب الفرنسي في عصره، حيث يعد مسؤولا عن النبرة التي تتخلل أعمال إميل زولا، بول بورجيه، وغي دو موباسان. كما أن عمله على الثورة الفرنسية في كتاب **أصول فرنسا المعاصرة** قد أسّس الهيكل المعماري للتدوين التاريخي اليميني في فرنسا.

ذا شخصية مميزة بطريقته، لكن لديه دماغا جافاً ومحدوداً إلى حد ما. لقد عاش (وفقا لروايته الخاصة، وبنحو أفلاطونية بحتة) مع امرأة روسية شابة وذكية جدا، نشرت منذ عام أو عامين كتابا، **الحرب لأجل الله**، لا يمكن مع ذلك أن يقدم أي فكرة عن مؤاهبها الجميلة حقا. أتطلّع إلى وصول الأعمال التي تعدني بها. وسأكون سعيداً إذا لم تغفل عني في المستقبل.

المخلص

غيورغ براندس

ﻧ

146. نيتشه إلى براندس

نيس، 8 يناير 1888

سيدي العزيز:

لا يجب أن تتنكر لتعبير «رسول الثقافة». كيف يمكن لأي شخص أن يمثل شيئا كهذا في هذه الأيام أكثر من تحويله عدم إيمانه بالثقافة إلى مهمة؟ ألا يعني ذلك درجة من معرفة الذات والظفر بالذات، وهي اليوم الثقافة عينها، لإدراك أن ثقافتنا الحديثة مشكلة شنيعة وليست حلاً بأي حال؟

أنا في حيرة من أمري لأن كتبي لم تصل إليك بعد. لن أتردّد في إرسال تذكير إليهم في لايبزيغ. سيكون هؤلاء السادة الناشرون في وقت عيد الميلاد على وشك فقدان رؤوسهم. في أثناء ذلك، ربما يُسمح لي أن أرسل إليك مستندا جريئاً وفريداً لا حكم فيه لأي ناشر حتى الآن، وهي مسودة تنتمي إلى أشد الأشياء الشخصية التي يمكنني إنتاجها. وهذا هو الجزء الرابع من زرادشت. وفي سياق صحيح يجب أن يكون عنوانه، بالنظر لعلاقته بما سبقه ويليه، هو «إغواء زرادشت: فاصلة». ربما سيكون هذا أفضل إجابة لسؤالك بشأن مشكلتي مع الشفقة؛ وإلى جانب ذلك، فإن هذا النص سيؤدي غرض الباب السري الذي يفتح لي ممراً بضمان دائم أن يكون المارّ عبر ذلك الباب يملك عينيك وأذنيك.

إن بحثك حول إميل زولا، مثل كل ما أعرفه من كتاباتك (كان آخر ما قرأته لك مقالا في كتاب غوته السنوي)، يذكرني بشكل سار للغاية بأن لديك ميلاً طبيعياً لكل أوصاف البصريات النفسية. فحين تحسب الحاصل الصعب للروح الحديثة [الفرنسية] فأنت في عنصرك تشبه الموهوب الألماني حين يحاول ذلك مع روحه هو. أو لعل رأيك في الألمان المعاصرين أفضل من رأيي. الأمر يبدو لي أنهم عاما بعد عام، من ناحية نفسية، يصبحون أشد صخبا وأكثر حدة (على العكس تماما من الباريسيين، الملاء بالفروق الدقيقة وعمل الفسيفساء)، وبالتالي فإن كل الأحداث الجسيمة تفلت منهم. خذ مثلا كتابي ما وراء الخير والشر. يا للحيرة التي تسببت فيها لهم. لم أسمع عن قول ذكي واحد حوله، ناهيك عن المشاعر الذكية. أعتقد أن معظم قرائي حسن النية لم يتضح لهم بعد أن هذه نتيجة حساسية فلسفية عاقلة، وليست مزيجا من مائة من المفارقات البالية والشطحات الغير متجانسة. ما من نفس قد اختبرت ما اختبرته. ولم أقابل أي شخص مر بجزء من الألف من ذات الصراع العصيب. هو ذا اللاأخلاقي، اهربوا! لم يعن ذلك أي شيء لأي شخص.

بالمناسبة، في واحدة من مقدماتهما، يدعي الأخوان جونكور أحقيتهما بتعبير «الوثيقة الإنسانية». ورغم ذلك، ربما لا يزال تاين هو الصائغ الأصلي لهذا التعبير. إنك محق بشأن «التنديد والشجب»، لكن هذا النوع من الكيخوتية ينتمي إلى الأصناف الأشد شرفاً على وجه الأرض.

مع آيات احترامي الأسمى،

المخلص نيتشه

147. براندس إلى نيتشه

كوبنهاغن، 11 يناير 1888

سيدي العزيز:

يبدو أن ناشرك نسي إرسال كتبك الموعودة إليّ. لكنني تلقيت رسالتك اليوم، والشكر لك على ذلك. سأبادر بإرسال مسودة أحد كتبي (لأنه ليس لدي لسوء الحظ نسخة أخرى في متناول يدي)، وهو مجموعة من المقالات المعدة للتصدير إلى الخارج، ولهذا فهي ليست أفضل ما لدي. يعود تاريخها إلى فترات مختلفة، وكلها أيضا ملأى بالشهامة والثناء والمثالية. وأنا لا أمنح أبدا في أي منها صوتا كاملا لآرائي الحقيقية. إن المقالة حول هنريك إبسن[1] هي الأفضل، لكن ترجمة الأشعار التي أنجزت لأجلي ساقطة للأسف.

هناك كاتب شمالي من شأنه أن تثير اهتمامك أعماله، فقط لو تمت ترجمتها، هو سورين كيركغورد. عاش بين 1813 و1855، وهو في رأيي

(1)هنريك يوهان إبسن (1828 - 1906) كاتب نرويجي كبير، كان من أهم المساهمين في ظهور الدراما الواقعية المعاصرة. ويعرف «بأبي المسرح الحديث»، حيث يعتبر من أهم كاتبي المسرح على مر التاريخ. تطرق ابسن في أعماله إلى قضايا واقعية وخطيرة يعاني منها المجتمع الأوربي، كما تناول قضايا إنسانية خالدة مثل قضية ماهية الحقيقة، والفارق بين الحقيقة والواقع أو الصراع بين الواقع والمثال، وقضية النفاق الاجتماعي.

أحد أعمق علماء النفس الذين قابلتهم في أي مكان. ثمة كتاب صغير كتبته عنه (وقد نشرت ترجمته في لايبزيغ عام 1879) لا يعطي فكرة شاملة عن عبقريته، لأن الكتاب كان ضربا من الرسالة الجدلية التي كتبت لغرض التحقق من تأثيره. ومع ذلك، فهو من وجهة نظر نفسية أفضل عمل نشرته. كان المقال في كتاب جوته السنوي، لسوء الحظ، قد اقتطع منه ثلث طوله لأن المساحة كانت مخصصة لي. والأفضل أن تقرأه بالدنماركية لهذا السبب. إن كنت على أي حال تقرأ البولندية، فسأرسل لك كتابا صغيرا نشرته بهذه اللغة فقط. أرى أن العدد الجديد من Rivista Contemporanea في فلورنسا قد نشر مقالا بقلمي عن الأدب الدنماركي. أرجو ألا تقرأه. فهو مليء بأشد الأخطاء فداحة، نظرا لأنه ترجم من اللغة الروسية. لقد وافقت على ترجمته إلى النص الروسي من نصي الفرنسي، لكنني لم أتمكّن من الإشراف على الترجمة. وهكذا فقد خرج الآن من اللغة الروسية إلى الإيطالية مع سخافات جديدة، وكذلك أخطاء أخرى كاستبدال H بـ G في الأسماء بسبب النطق الروسي.

يبهجني أن أعتقد أن بإمكانك العثور على أي شيء مفيد لي. على مدى السنوات الأربع الماضية، كنت الرجل الأشد كرهاً في الشمال. تهجم الصحف علي بغضب كل يوم، خاصة منذ خصومتي الطويلة الأخيرة ضد بيورنسون،(1) التي انحازت فيها الصحافة الألمانية الأخلاقية ضدي

(1)بيورنستيرنه بيورنسون (1832ـ1910) كاتب نرويجي كان أول من حصل من مواطنيه على جائزة نوبل عام 1903، لمساهمته في الأدب بشعره الذي عد «مميزا في إلهامه ونقيا بشكل نادر في روحه». وهو مؤلف النشيد الوطني النرويجي «نعم، أحب هذه البلاد». يعد من الكتّاب الأربعة الكبار في بلاده، بالإضافة إلى هنريك إبسن، يوناس لي، وألكسندر كيلاند.

بلا استثناء. لعلك تعرف عمله الدرامي السخيف، **القُفّاز**؛ وكذلك دعايته لعفة الرجال، ومساندته للمدافعات عن المساواة بين الجنسين. وأي شيء من هذا القبيل لم يسمع به هنا من قبل بالطبع. في السويد شكلت هاتيك السليطات الصارخات لجاناً، وأقسمن أنهن لن يتزوجن سوى «رجالٍ عذارى». من المدهش أنهن سيحصلن على ضمان لأزواجهن وكأنهم ساعات، ولكن دون ضمان للمستقبل. أما كتبك الثلاثة التي أعرفها فقد قرأتها مرّات ومرّات. هناك بعض الجسور التي تربط بين عالمي الداخلي وعالمك، كالنزعة القيصرية، وكراهية التحذلق، وتقدير هنري بايل، وهلم جرا..، ولكن غالب الأمر غريب بالنسبة لي إجمالاً. يبدو أن الفارق بين تجاربنا كانت واسعا مثل ما بين القطبين.

إنك من بين جميع المؤلفين الألمان المعاصرين، دون أدنى شك، الكاتب الأشد إيحاء والأجدر بالقراءة. أما بالنسبة للأدب الألماني، فلا يمكنني التفكير فيما أصابه! الأمر يبدو كما لو أن أرقى العقول قد اندمجت في صفوف الجيش أو انخرطت في السياسة. إن أسلوب حياتكم بأكمله وجميع مؤسساتكم تعزز بينكم أشد أشكال الانسياق ترويعاً، حتى إن التأليف يبدو مختنقاً على يد النشر.

مع كل آيات الشرف والتقدير،

غيورغ براندس

148. إلى فرانز أوفربيك

نيس (فرنسا)، 3 فبراير 1888

بنسيون جنيف

صديقي العزيز:

وأخيراً جاءني وصل الدفع من السيد ك. غ. ناومان: هل يمكن أن أطلب منك دفعه من المبلغ المودع جانباً؟ لا داعي للعجلة؛ فإني أشعر بالخجل من إزعاج هدوئك وعملك بشأن كهذا.

إني أعمل بجد أيضاً؛ وتتجلى أمامي معالم مهمة هائلة دون شك بوضوح أكثر وأكثر من وراء الضباب. لقد كانت هناك لحظات مظلمة في تلك الأثناء، وأيام وليال بأسرها لم أعرف فيها كيف أستمر بالعيش، وهاجمني فيها يأس أسود، أسوأ من كل ما عرفته من قبل. ورغم ذلك، فإني أعرف أني لا أستطيع الفرار عبر الذهاب للخلف أو اليسار أو اليمين، ولذا لم يكن لي خيار. هذا المنطق وحده هو ما يدفعني الآن؛ ولو نظرت إلي من أي جانب آخر، فإن حالتي لا شفاء لها وهي مؤلمة حد العذاب. وقد كشف كتابي الأخير عن شيء من ذلك؛ فحين تكون أشبه بوتر قوس مشدود حتى أقصاه، تصبح كل عاطفة جيدة، ما دامت عاطفة عنيفة. لا ينبغي توقع مزيد من «الأشياء الجميلة» مني: لا أكثر مما يتوقع من حيوان مرهق جائع أن

يهاجم طريدته بلطف. إن الفقدان الأبدي لحب بشري منعش وشاف بحق، والعزلة العبثية التي تنتج عنه، تكاد تجعل أي أثر للصلة مع الناس مجرد شيء يجرح المرء، وهذا أمر سيئ جداً دون شك وصحيح بحد ذاته فقط، وله الحق في أن يكون ضرورياً.

ألدي أيّ شيء أفضل كي أقوله؟ لقد وردتني علامات جيدة من الورع والاعتراف العميق من عدد من الفنانين، كان من بينهم الدكتور برامز، هـ. فون بولاو، د. فوكس، وكذلك موتل. وبالمثل فإن دنماركياً ذكياً ومناضلًا، هو الدكتور غ. براندس، قد كتب إلي عدة رسائل يبدي فيها إخلاصه، وهو مذهول، كما يقول، بالروح الأصيلة والشديدة التي تتنفس في كتاباتي، والميل العام الذي يصفه بأنه «راديكالية أرستقراطية». وهو يسميني بالكاتب الأبرز في ألمانيا على الإطلاق. هل كتبت من قبل أخبرك بأن غيرسدورف قد عاود صلاته بنا، بالنحو الأشد إخلاصاً وخلواً من المساومة[1]؟

يؤسفني أني لا أستطيع قول الشيء ذاته عن روده. فهو لم يرد على رسالتين كتبتهما إليه مع أدفأ نية لاسترداد مشاعره الطيبة وجعله ينسى موجة الانفعال التي حدثت؛ كما لم يخبرني بوصول الكتاب الأخير الذي بعثته إليه. وذلك لا يضيف إليه مكرمة؛ ولكنه على الأرجح معتل الصحة، وفي حالة سيئة. لقد جاءت من الباراغواي أخبار مهدئة جداً: إن تطوير المشروع بأكمله، الذي كان بالتأكيد مغامرة جريئة، لا يمكن وصفه إلا

(1) كان التواصل بين نيتشه وغيرسدورف متقطعا منذ عام 1877، حين أدى خلاف (كان يتضمن مالفيدا فون مايزنبوغ) إلى قطيعة بينهما. وتدل رسالة لنيتشه بتاريخ 20 ديسمبر 1887 (لم تترجم هنا) على عودة العلاقات الطيبة.

بالمذهل. فحوالي مائة شخص ناشطون الآن في المستعمرة الجديدة، ومن بينهم عدة عائلات ألمانية جيدة جداً (كعائلة البارون مالتزان من مكلنبورغ)؛ وأقاربي هم من بين أكابر الملاك في الباراغواي [ـ][1] لك أن تخمن أن عليّ أنا و[د. فورستر] أن نضبط أنفسنا بأشد قوة كي نتجنب معاملة بعضنا بعضاً كأعداء علناً... فالكراسات المناهضة لليهود تمطر علي بشكل جموح (وهو أمر يسعدني مائة مرة أكثر من تقيدها فيما مضى). يكفي ذلك لليوم! مع أفضل التمنيات لك ولزوجتك.

المخلص نيتشه

---

(1) هذه الشرَطة تشير إلى حذف من المحرر.

149. إلى راينهارت فون سايدلتز

نيس، بنسيون جنيف

19 فبراير 1888

صديقي العزيز:

لم يكن «الصمت الفخور» هو ما أغلق فمي مع معظم الناس؛ بل كان أكثر من ذلك ـ فهو صمت متواضع، صمت رجل متألم يشعر بالخزي من فضح كم يعاني. يلتجئ الحيوان المريض إلى وكره، وكذلك يفعل *الفيلسوف الوحش* [بالفرنسية]. قلما يصل إليّ صوت ودّي هذه الأيام. وأنا الآن وحيد، وحيد حد العبث؛ وخلال صراعي الحثيث الخفي ضد كل ما قدسه وأحبه البشر حتى الآن (واصطلاحي لوصف ذلك هي «إعادة تقييم كل القيم»)، فقد أصبحت أنا أيضاً بنحو غير محسوس أشبه بالوكر شيئاً مختبئاً، لا يعثر عليه الناس، حتى لو خرجوا للبحث عنه. لكن الناس لا يخرجون للبحث عن أمور كهذه... وفيما بيننا ـ نحن الثلاثة ـ ليس من المستبعد أن أكون الفيلسوف الأول لهذا العصر، وحتى أعلى من ذلك بقليل، شيئاً حاسماً ومثقلاً بالخراب يقف برزخاً بين ألفيتين. فالمرء يؤدي الكفارة دوماً عن مكانة مترفعة كهذه عبر عزلة متزايدة، هي أشدّ وأشدّ برودة، وكذلك أحد وأحدّ عزلة. وكذلك شعبنا الألماني العزيز! ... ففي ألمانيا، رغم أني الآن

في عامي الخامس والأربعين وقد نشرت قرابة خمسة عشر كتاباً (بما فيها زرادشت الذي لا يُعلى عليه)، لم تنشر حتى الآن أي مراجعة ولو معتبرة بنحو متوسِّط لأي من كتبي. فالناس يتهرّبون منها بمصطلحات مثل «غريب الأطوار»، «باثولوجي»، «نفساني». وهناك الكثير من التلميحات السيئة والمشهّرة تجاهي؛ وتسود نبرة عدائية بلا قيود في الدوريات ضدي ـ المثقفة منها وغير المثقفة ـ ولكن كيف لا يحتج أي شخص ضد ذلك؟ ألا يشعر أي أحد بالأذى حين أُدان وأبكَّت؟ ومع ذلك فطوال كل هذه الأعوام لم أنل أي سلوان، ولا قطرة من الإنسانية، ولا نفساً من الحب.

في هذه الظروف، على المرء أن يعيش في نيس. وهي في هذا الوقت تطفح بالمتبطلين، *الإغريق*، وسائر الفلاسفة، تطفح «بأناس من أمثالي»؛ والله، مع حس التهكم الذي يتفرد به، يجعل شمسه تشرق علينا بنحو أجمل من إشراقها على أوربا الأفضل سمعة بكثير التي يقودها السيد فون بسمارك (الذي يعمل بإخلاص لا يكل لتسليحها، ويستعرض بكل قوته صورة أشبه بقنفذ ذي ميول بطولية). تمر الأيام هنا بجمال لا يستحي؛ ولم يكن هناك أبداً شتاءً أفضل من هذا. أما ألوان نيس، فكم أرغب بإرسالها إليك. كل الألوان هنا يتخللها الرمادي الفضي للامع؛ ألوان روحانية ذكية؛ ما من أثر لوحشية الدرجات المعتمة. وميزة هذه القطعة الساحلية الصغيرة بين ألاسيو ونيس هي أنها تسمح بشيء من الأفريقية في اللون، النباتات، وجفاف الهواء، وهذا لا يحدث في أي مكان آخر من أوروبا.

ليتني أجلس معك ومع زوجتك العزيزة الغالية تحت سماء هوميرية

وفياقية...[1]، لكني قد لا أمضي أبعد نحو الجنوب (فعيناي ستجبرانني قريباً على المغادرة نحو مشاهد أشد شمالية وغباوة). اكتب لي مجدداً من فضلك خلال إقامتك في ميونخ، واعذرني على هذه الرسالة القاتمة.

صديقك المخلص نيتشه

(1) «فياقيا» منطقة ورد ذكرها في ملحمة الأوديسة، واشتهر أهلها بحبهم للملذات واعتمادهم على رفق الإله بوسايدون بهم. (المترجم)

150. إلى غيورغ براندس

نيزا، 19 فبراير 1888

سيدي الكريم:

لقد وضعتني تحت التزام لطيف جداً تجاهك بفضل مساهمتك في فكرة «الحداثة»؛ ذلك أني في هذا الشتاء بالذات كنت أدور حول هذه المشكلة القيمية الحرجة جداً، وأنا غارق في هواء الأعالي، كالطير تماماً ومع أفضل نية للاستخفاف «بالحداثة» بأشد نحو لاحداثي ممكن... إني معجب ـ اسمح لي بالاعتراف! ـ بتسامح أحكامك بقدر إعجابي بالتحفظ التي تصدرها به. كيف تسمح لكل هؤلاء الأطفال الصغار بالمجيء إليك ـ بما فيهم هايزه[1]!

خلال رحلتي اللاحقة إلى ألمانيا، أخطِّط لدراسة مشكلة كيركغورد النفسانية، وكذلك تجديد صلتي بكتاباتك السابقة. وسيكون ذلك، بأفضل معنى ممكن، مفيداً لي ويساعد على «اطّلاعي» على حدة وغرور أحكامي الخاصة.

---

(1)كان باول هايزه (1830 ـ 1914) كاتبا ذائع الصيت بفضل قصصه. فقد نشر خلال حياته أربعة وعشرين كتابا من الروايات، وعددا مماثلا من المسرحيات، والقصائد، والترجمات. وقد كان معروفا بالأساس كمؤلِّف «نفساني» يتعامل مع أشخاص في مجتمع جديد؛ ولكن شخصياته ومشكلاته لم تتجاوز عصرها.

بالأمس أرسل لي ناشري برقية يقول فيها أن الكتب قد أرسلت إليك. وسأكفيك وإياي القصة وراء حدوث تأخر كهذا. ولكن أرجو أن تنظر بأفضل نظرة إلى «عمل سيئ»؛ أعني كتب نيتشه هذه.

أدعي أني قد قدّمت للألمان أغنى الكتب وأشدها خبرة واستقالا في الإمكان؛ وبالمثل فإن شخصيتي تمثل حدثاً حرجاً في أزمة الأحكام القيمية. لكن ذلك قد يكون وهماً؛ وغباءً أيضاً، فأنا لا أرغب في أن أحتاج لتصديق أي شيء عن نفسي.

إليك بضع ملاحظات حول كتاباتي الأولى (من *أفعال الشباب وملاهيه* [باللاتينية]):

كان المقال الأول ضد شتراوس، تلك الضحكة الخبيثة «لمفكّر حر جداً» على حساب من ظن أنه كان حراً، قد أحدث فضيحة هائلة. فرغم سنيّ السبعة والعشرين، كنت آنذاك بروفسوراً كامل الصلاحيات، ولهذا أعد ذا شأن وشيئاً معتبراً. وأفضل رواية لهذه القضية، التي اتخذ فيها كل «شخص ذي شأن» صفاً معي أو ضدي، واستنفدت كتلة مضحكة من الورق في مطابع الصحافة، تجدها في كتاب **أزمان، شعوب، وأفراد**، المجلد الثاني، لكارل هيلبراند. وما كان مهماً ليس استخفافي بالخرابيش الخرفة لناقد معتبر؛ بل لقبضي على الألمان متلبسين بفعل ذليل من الذوق السيئ، فقد أعجب الذوق الألماني بالإجماع بكتاب شتراوس **الإيمان القديم والجديد**، رغم كل الانقسامات الدينية والعقائدية، بوصفه تحفة ممتازة من الحرية وعمق الفكر (وحتى الأسلوب!). وكان كراسي هو الهجوم المباشر الأول على *الثقافة Bildung* الألمانية (تلك *التربية* التي كان الناس يحتفلون بها كفاتحة لفرنسا)، وقد نجا اللفظ الذي صنعته، همج

الثقافة *Bildungsphilister*[1]، من التقلّبات الغاضبة للسجالات، ودخل في اللغة اليومية.

أما المقالان حول شوبنهاور وّريتشارد فاغنر فهما، كما يبدو لي الأمر الآن، اعترافان حول نفسي، وفوق كل شيء، فهما إقراران لنفسي، بدلاً من تقييمات نفسانية حقيقية مثلاً لهذين العلمين، اللذين شعرت تجاههما بالقرابة بقدر ما شعرت بالخصومة. (فقد كنت أول شخص يستخلص شكلاً من الوحدة بين كليهما؛ وهذا الاعتقاد الخاطئ ما يزال الآن في طليعة الثقافة الألمانية، فكل الفاغنريين مريدون لشوبنهاور، لم يصح ذلك حين كنت شاباً. ففي تلك الأيام كان الهيغليون المتأخرون هم من تمسكوا بفاغنر، وحتى في الخمسينات كان الشعار هو «فاغنر وهيغل»).

وفيما بين **أفكار في غير أوانها وإنساني مفرط في إنسانيته** حدثت أزمة وانسلاخ. وحتى بدنياً، فقد عشت لأعوام على مقربة من الموت. وقد كان ذلك حظي السعيد بحق: فقد نسيت نفسي، ونجوت من نفسي... وقمت بهذه الحيلة نفسها لمرة ثانية.

حسناً إذن، ها قد تبادلنا الهدايا، ربما مثل مسافرين سعدا بلقاء أحدهما الآخر على الطريق...

سأظل المخلص لك جداً نيتشه

(1)وهي فكرة محورية في تحليل نيتشه للثقافة كتحجّر حول فراغ.

151. إلى بيتر غاست

نيس، بنسيون دو جنيف،

26 فبراير 1888

صديقي العزيز:

طقس كالح، ظهيرة الأحد، عزلة شديدة: لا يمكن أن أخترع انشغالاً أشد سعادة من التحدث قليلاً إليك ومعك. لقد لاحظت للتو أن أصابعي زرقاء: ولذا سيصبح خطي غير مقروء إلا لمن يفك رموز أفكاري...

إن ما قلته عن أسلوب فاغنر في رسالتك يذكرني بملاحظة وجدتها مكتوبة في مكان ما: أن «أسلوبه الدرامي» لم يكن سوى صنف من الأسلوب السيئ، بل وانعدام الأسلوب في الموسيقى. لكن موسيقيي عصرنا يرون في ذلك تقدماً... في الواقع، فكل شيء ينتظر أن يقال، بل وينتظر أن يفكر فيه، هكذا أشك، في ساحة الحقائق هذه؛ ففاغنر نفسه، كإنسان، كحيوان، كإله وفنان، يتفوق ألف مرة على فهم وعسر فهم شعبنا الألماني. ألا يتفوق على فهم الفرنسيين أيضاً؟

سعدت اليوم بالعثور على الجواب الصحيح، تحديداً حين بدا السؤال خطراً للغاية، ألا وهو «من كان الأشد استعداداً لفاغنر؟ من كان الأشد فاغنرية بطبعه وجوهره، بالرغم من فاغنر وبدونه حتى؟» ولوقت طويل

كنت أقول لنفسي: لقد كان ذلك الغريب، ثلاثة أرباع المجنون، بودلير، شاعر أزهار الشر. وقد خيّب أملي أن هذه الروح التوأم لفاغنر لم تكتشفه خلال حياته؛ لقد جررت خطوطاً تحت سطور من قصائده يبدو فيها شيء من الشعور الفاغنري، الذي لم يجد له شكلاً في أي مكان آخر من الشعر (فبودلير متهتك، باطني، «شيطاني»، لكنه فاغنري فوق كل شيء). وانظر ماذا وجدت اليوم! كنت أتصفح في مجموعة نشرت مؤخراً للأعمال الصادرة بعد وفاة هذا العبقري ـ المعتبر بعمق؛ بل والمحبوب في فرنسا ـ وهناك، بين بعض الملاحظات النفسانية القيمة المتعلقة بالتهتك («رقد قلبي عاريا»، من النوع الذي كان قد أحرق في حالة شوبنهاور وبايرون)، ثمة رسالة غير منشورة لفاغنر وقع عليها نظري، حول مقال لبودلير في مجلة *Revue Européenne*، عدد أبريل 1861. وسأنسخها لك هنا:

عزيزي السيد بودلير، لقد اتصلت بك مراراً دون أن أعثر عليك. سوف تفهم كم أرغب في إخبارك بمدى الرضا الذي منحتني إياه بمقالتك، التي تزيدني تكريماً وتشجيعاً فوق كل شيء قيل حتى الآن عن موهبتي المتواضعة. ألن أتمكن يوماً من أن أخبرك شخصياً في القريب العاجل بمدى النشوة التي شعرت بها عند قراءة هذه الصفحات الجميلة، التي أخبرتني ـ كما تفعل أفضل الأشعار ـ بأي انطباعات يمكن أن أتفاخر بأني أثرتها في كائن بتنظيم راق مثلك؟ ألف شكر لك على لطفك، واسمح لي بأني فخور جداً لأني أستطيع تسميتك صديقي. حتى نلتقي إذن؟ المخلص لك، ريتشارد فاغنر.

(كان فاغنر آنذاك في الثامنة والأربعين، وبودلير في الأربعين؛ والرسالة مؤثرة، رغم أنها مكتوبة بفرنسية مزرية).

في الكتاب نفسه وجدت مسودات لبودلير تضم دفاعاً متحمساً عن هاينريش هاينه ضد النقاد الفرنسيين (جول جانين). وحتى في السنوات الأخيرة من حياته، حين كان نصف مجنون وفي طريقه ببطء للخراب، كانت موسيقى فاغنر تعزف له كعلاج؛ وكان يكفي أن يقال له اسم فاغنر لكي «يفترّ عن ابتسامة ابتهاج». (لم يكتب فاغنر رسالة يعرب فيها عن هذا النوع من الامتنان؛ بل والحماس، ما لم يكن كل شيء يخدعني، إلا في موقف وحيد آخر وهو بعد أن تلقى مني كتاب مولد التراجيديا).

(من رسالة لبودلير: «لم أعد أجرؤ على الحديث عن فاغنر، فقد ضحك الناس علي كثيراً. لقد كانت موسيقاه هذه إحدى أعظم مباهج حياتي؛ وزهاء خمسة عشر عاماً لم أكن قد حظيت بهذا السمو، بل والانخطاف»).

كيف حالك الآن، صديقي العزيز؟ لقد أقسمت ألا آخذ أي شيء من بعد على محمل الجد لفترة ما. ولكن ينبغي ألا تظن أني كنت مشغولاً بكتابة «الأدب» مجدداً، فقد كانت هذه المخطوطة لي وحدي؛ ومن الآن فصاعداً، فإني عازم على تأليف مخطوطة لنفسي كل شتاء ـ أما فكرة «نشرها للعلن» فقد باتت غير واردة.

لقد انحلت مسألة فريتش عبر برقية. وقد كتب السيد شبيتيلر، بنحو غير سيئ، معتذراً عن «جسارته» (كما يقول).

الشتاء هنا قاس؛ وأنا الآن أحظى بكل ما أريد سوى موسيقى سماوية هادئة، أي موسيقاك يا صديقي العزيز!

المخلص نيتشه

لم يأت أي رد من الصحف والدوريات التي روج بينها فريتش في الخريف الماضي عرضاً لمجموعة أعمالي بهدف المراجعة.

توفي والد أوفربيك في عمر الرابعة والثمانين. وقد ذهب أوفربيك إلى دريسدن لهذا السبب، بنحو أضر بصحته، كما أخشى، التي تحدث له بعض الصعوبات مجدداً في هذا الشتاء.

عواصف ثلجية في كل مكان، إنسانية الدب القطبي.

152. براندس إلى نيتشه

كوبنهاغن، 7 مارس 1888

سيدي العزيز:

أتوقع أنك تستمتع بطقس الربيع الجميل، بينما نمرّ هنا عواصف ثلجية بغيضة، وقد انقطعت صلتي بأوروبا لعدة أيام. والأسوأ من ذلك أني ألقيت محاضرات ليلاً على مائة من البشر البلهاء، يقلون أو يزيدون.

تبدو الأمور رمادية وحزينة حولي. ولإراحة ذهني قليلاً، سأجلس لأشكركَ على رسالتك بتاريخ 19 فبراير وهديتك الثمينة من الكتب.

أرسلت لك، حيث كنت مشغولاً للغاية بالكتابة، مجلّدا عن الرومانسية الألمانية وجدته في خزانتي. لكني أتمنى ألا تعتقد أن إرساله يعني أي شيء آخر سوى التعبير الصامت عن الشكر. لقد ألف الكتاب عام 1873 ونُقّح عام 1886، لكن ناشري الألماني أخذ على عاتقه ألا يضع حد للتغييرات اللغوية وغيرها، بحيث لم تعد الصفحات الافتتاحية مثلا تنسب إليَّ على الإطلاق. ففي كل مكان فشل فيه في فهم رأيي أو الموافقة عليه، استبدل به شيئا آخر على أساس أن ما كتبته لم يكن ألمانيا. إلى جانب ذلك، فإن هذا الرجل قد وعد بشراء حقوق الترجمة القديمة لكتابي، ولكنه لأسباب غير مفهومة لم يفعلها؛ والنتيجة هي أنه في حالتين تعرض كتابي للقمع من قبل

السلطات الألمانية على أساس كونه قرصنة (!) وكوني استخدمت أجزاء من الترجمة القديمة، في حين يُسمح للقرصنة الحقيقية من عملي ببيعها دون قيود!

ستكون النتيجة، في جميع الاحتمالات، أنني سأنسحب تماما من المساهمة في الأدب الألماني.

لقد أرسلت لك هذا المجلّد لأنني لم أجد غيره كي أرسله. لكن المجلّد الأول حول المهاجرين، والرابع حول الإنجليز، والخامس حول الرومانسيين الفرنسيين أفضل بكثير، لأنها كتبت **بدافع الحب** [بالإيطالية]. وعنوان الكتاب «العقول الحديثة» محض مصادفة. فقد كتبت حوالي عشرين مجلداً. وكنت أرغب في ترتيب مجموعة مختارة لشخصيات معروفة لأجل قرائي الأجانب، وهكذا جاءت إلى الوجود. إن قدرا كبيرا منه قد كلفني الكثير من الدراسة؛ خذ مثلا البحث حول تيغنر، فهو أول مقال يتناوله مِطلقاً. مؤكدأن هنريك إبسن كشخصية سيكون مهما لك. لكنه كرجل لسوء الحظ لا يساوي ما هو عليه كشاعر. تأثر كثيرا من حيث الفكر بكيركغورد، وظل مشبعا باللاهوت. وقد أصبح بيورنسون في مرحلته الأخيرة مجرد واعظ عامي عادي. لم أنشر أي كتاب منذ أكثر من ثلاث سنوات، فقد كنت تعيسا للغاية. لقد كانت هذه السنوات الثلاث هي الأصعب في حياتي، ولا أرى أي أمارة على أن الأمور ستصبح أبهج في المستقبل. ومع ذلك فإني أعتزم الآن بدء المجلد السادس من «التيارات الرئيسة»، وكذلك نشر كتاب آخر. سيستغرق ذلك الكثير من الوقت. لقد استمتعت بعمق بكل الكتب الجديدة التي تلقيتها منك، وانغمست فيها وقرأت هنا وهناك. إن نتاجاتك الشابة ذات قيمة كبيرة بالنسبة لي. فهي

تجعل كل شيء أسهل فهما. يمكنني الآن الصعود بشكل مريح على السلالم التي ترتقي في برج ذكائك. لقد بدأت بنحو متسرع مع زرادشت. لكني أفضل الصعود بثبات وبطء بدلاً من الغطس في البحر. مقال هيلبراند أعرفه من قبل، وقد قرأت أيضا قبل بضع سنوات هجمات مريرة على كتابك حول شتراوس. وأنا ممتن لك على مصطلح «همج الثقافة».

لم يكن لدي أي فكرة عن كونك المبدع له. ولا أشعر بالغضب من انتقاداتك الجارحة لشتراوس، على الرغم من أنني أحتفظ بتقدير ورع للرجل العجوز. فقد كان ولا يزال تلميذاً في كلية توبنغن الدينية. من بين الأعمال الأخرى، لم أدرس حتى الآن بشكل صحيح ودقيق سوى كتاب الفجر. أشعر أنني أفهم الكتاب بشكل مثالي. فبعض الأفكار كانت أفكاري؛ والبعض الآخر جديد بالنسبة لي، أو صيغ في قالب جديد، لكنه لا يجعلها بأي حال غريبة عني. ولئلا تطول هذه الرسالة جدا، فسوف أتطرق فقط إلى نقطة أخرى. أسعدتني الشذرة حول مخاطر الزواج. ولكن لِمَ لم تحفر بعمق أكثر؟ في مورد آخر، أراك تتحدّث حتى مع بعض احترام معين للزواج الذي، من خلال افتراض مثالي للطبيعة العاطفية، قد جعل المشاعر مثالية. وأنت هنا بالتأكيد أجرأ وأقوى. ولكن لم لا نقول الحقيقة كلها مرّة واحدة؟ إني أرى أن مؤسسة الزواج، التي ربما كانت مفيدة للغاية ككمامة لأهواء الوحوش، قد أدّت إلى ضيق وبؤس بين البشر العاديين أكثر مما فعلت الكنيسة نفسها. الكنيسة، المَلَكية، التملّك، والزواج، هذه هي المؤسسات الأربع القديمة العريقة التي يجب على البشرية إصلاحها أصلا وفرعا حتى تكون قادرة على التنفس بحرية. وحده الزواج من بينها يقتل الفردية، يشل الحرية، وهو مفارقة متجسدة.

والجزء الفظيع فيه هو أن الإنسانية ما تزال من البربرية بمكان لا يمكنها معه الاستغناء عنه. لا يزال المؤلفون الذين يوصفون بالتحرّر والتقدّم يواصلون الحديث عن الزواج مع شيء من الولاء المخلص الذي يغضبني. وهم على حق بعد كل شيء، لأنه من المستحيل أن نقول للرعاع ما سيحل محله. لا يوجد شيء يجب فعله سوى عكس الرأي العام ببطء. ما رأيك؟

أود أن أعرف كيف حال عينيك. لقد سعدت برؤية خط يدك قويا وواضحا. هل تمرّ حياتك، من الخارج على أي حال، بسلام إلى حد ما هناك في الجنوب؟ حياتي أنا معركة مستنفدة. ما زلت مكروهاً في هذه الأجواء أكثر مما كنت عليه قبل سبعة عشر عاما. إنها ليست، في حدّ ذاتها، حالة ممتعة للأوضاع، ولكن هناك عزاء يمكن استخلاصه منها، هو أنها تشهد على أنني ما زلت مقاتلا، ولست على وشك التصالح مع الضحالة.

وأنا قارئك اليقظ والممتن،

غيورغ براندس

153. نيتشه إلى براندس

نيس، 27 مارس 1888

سيدي العزيز:

رغبت في شكرك في وقت أسبق من هذا على رسالتك الأخيرة المكتنزة بالفكر، لكني واجهت مشاكل مع صحتي، وأعاقني ذلك بشدة عن كل عمل جيد. لي أن أذكر بشكل عابر أن عينيّ هما بارومتر صحتي العامة؛ فبعد بعض التقلبات، دخلتا فترة من التقدم والتحسن الإجمالي، وقد أصبحتا أشد سلامة ودواما مما كنت اعتقد أبدا أنه ممكن. بل إنهما قد أبطلتا نبوءات أفضل أطباء العيون الألمان. فلو كان غرافه المختص الشهير محقا، وكذلك **كل أبناء صنفه** [باللاتينية]، فإني كنت سأفقد البصر منذ وقت طويل. من السيئ بما يكفي أن الأمر اضطرني لنظارات رقم 3، لكني ما زلت أبصر. أشير هنا إلى هذه المأساة لأنك كنت شفيقا وعطوفا بما يكفي للاستفسار عنها، ولأن عيني كانتا ضعيفتين ومتهيجتين جدا خلال الأسابيع القليلة الماضية. لكني آسف لك وأنت في الشمال القاتم الشتائي أكثر من المعتاد؛ فكيف للمرء أن يحتمل روحه في مناخ كهذا! يثير أعجابي معظم الذين لا يفقدون الإيمان بذواتهم تحت سماوات غائمة كدرة، فضلا عن الإيمان «بالإنسانية»، «الزواج»، «الملكية»، و«الدولة». في سانت بطرسبرغ كنت سأصبح عدميا؛ أما هنا فإني، شأني شأن النبات،

أؤمن بالشمس. بشمس نيس ـ ولا تحيز في ذلك. فقد كنا نستمتع بها على حساب سائر أرجاء أوربا. إن الله يسمح للشمس، بتهكمه المعهود، بأن تشرق علينا معشر البطالين و«الفلاسفة» واليونان بجمال أكثر مما تطل على الأبطال العسكريين الأشد جدارة في بلدنا الأم!

إنك تندفع بالغرائز الحقة لرجل شمالي نحو اختيار المحفز الأقوى، الذي تصبح الحياة في الشمال بفضله محتملة. وأنا أعني الحرب، الحرب الهجومية على غرار الفايكنغ. ألحظ في كتاباتك شخص المحارب المتمرس، وليست الضحالة وحدها ما يتحداك دوما للخروج والقتال في العلن، بل لعلها الخصال الغريبة للممثلين الأشد تفردا وأهمية للعقلية الشمالية. فكم من «القساوسة»، وكم من اللاهوت، ما زال يتستر وراء كل هذه المثالية؟ عليّ أن أهتم، أكثر من السماء القاتمة، باضطراري لحبس الأنفاس حول أمور لا تهمني قيد شعرة.

يكفي هذا لليوم، لكنه قليل بما يكفي. لقد دفعتني نزعتك الرومانسية الألمانية للتفكير حول كيف تمكنت هذه الحركة بمجملها من الوصول إلى غايتها في الموسيقى فقط (شومان، مندلسون، فيبر، فاغنر، برامز)؛ أما في الأدب، فلم تتعد كونها وعدا جريئا. أما الفرنسيون فقد كانوا أسعد. أخشى أن أكون موسيقيا أكثر مما يجب لأن أصبح رومانسيا. فالحياة دون موسيقى عندي كانت ستعد حماقة.

مع تحياتي القلبية والممتنة، سيدي العزيز،

المخلص

نيتشه

154. إلى فرانسيسكا نيتشه

نيس، 28 مارس 1888

أمي العزيزة:

لقد بعث فيّ المال الذي أرسلته والرسالة المصاحبة له بهجة عظيمة كما لو أنك قد جئتني بهدية. فقد كانت أوضاعي المالية في حال سيئة نسبيا؛ ولعلي قد أخبرتك بأن تكاليف فندقي قد ازدادت هذا الشتاء. ورغم ذلك، فإن ظروفي هنا أقل تكلفة بنحو معتبر من ظروف ضيف الفندق العادي؛ وإضافة لذلك، فإني في هذا الشتاء بت أملك ما لم أملكه من قبل غرفة تعجبني، في مكان عال، مع ضوء ممتاز لعينيّ، صممت حديثاً، وفيها طاولة كبيرة ثقيلة، أريكة استلقاء، خزانة كتب، وورق حائط بني محمر غامق، كنت قد اخترته بنفسي. ما زال الأمر يبدو وكأن علي التمسك بالإقامة في نيس؛ فللمناخ فيها تأثير علي هو أفضل من كل ما سواه. وهنا بالتحديد أستطيع استخدام عينيّ ضعف ما أستطيعه في أي مكان آخر. وفي ظل هذه السماء أصبح رأسي أكثر حرية، عاماً بعد آخر؛ وهنا أجد التداعيات الخبيثة لكوني مريضاً لأعوام مديدة، على مقربة وتوقع للموت، أخف في آثارها عليّ. أود أيضاً أن أذكر أن حالة هضمي هنا أحسن من أي مكان آخر؛ ولكن فوق ذلك كله، فإن عقلي يشعر بنشاط أكبر هنا، ويحمل أعباءه بسهولة أكبر ـ وأعني أعباء المصير الذي يدان به الفيلسوف دون مفر. أتمشّى لساعة كل

صباح، وفي الظهيرة لساعتين أو ثلاث، وبوقع سريع نفس المشية يوماً بعد آخر، والمدينة جميلة بما يكفي لذلك. وبعد العشاء، أجلس حتى الساعة في قاعة الطعام، برفقة رجال وسيدات إنجليز بنحو رئيس، مع مصباح مظلل على طاولتي. وأستيقظ في السادسة والنصف صباحاً وأعد شايي بنفسي وأتناول بعض البسكويت. وفي الثانية عشر ظهراً أتناول الفطور؛ وفي السادسة وجبتي الرئيسة لذلك اليوم. لا خمر، لا بيرة، لا مشروبات روحية، لا قهوة هذه هي الحالة الأشد انتظاماً في نمط حياتي ونمط غذائي. فمنذ الصيف الماضي وطّنت نفسي على شرب الماء ـ وهي علامة جيدة، وخطوة للأمام. ولكن صادف أني كنت مريضاً لثلاثة أيام؛ أما اليوم فكل شيء على ما يرام من جديد.

أفكر في مغادرة نيس في نهاية مارس؛ فالضوء حالياً شديد جداً علي، والهواء خفيف جداً، أشبه بالربيع. يحتمل أن يمر بي زائر قبل أن أغادر: أعني سايدليتز، وهو الآن في طريقه للعودة من مصر وبرفقته معظم أسرته، ويريد أن يجيء ليراني. كما كتب إلي صديقي القديم غيرسدورف بمزاج حسن؛ فقد أكمل للتو شهراً من الخدمة في برلين (حيث يعمل حاجباً للإمبراطورة القديمة). لكن أفضل ما وصلني كان رسالة طويلة من لاما: ثماني صفحات من الأشياء الودية والمتعلقة جداً. وقد كتبتها حين كانت في أسونسيون، لكن معنوياتها جيدة جدا («لديّ بالتأكيد مصير يناسبني، وذلك أمر جيد»). لكنها تعرب عن قلق من كثرة المشاغل في الشهور القادمة، لأن حشداً من المستعمرين الجُدد قد سجلوا للمجيء وربما لم تكن التحضيرات لوصولهم لائقة. نسيت إخبارك أن صديق مدرسة قديم (وهو «الأصغر مني»)، الملازم غيست، تعالجه هنا أخوات

الصليب الأحمر؛ وأنا أزوره أحياناً. ثمَّ جو شمال ألماني جداً هنا: السيدة فون مونشاو، الآنسة فون ديتفورت، وهلم جرا. ورفيقتي على المائدة هذا الشتاء مجددا هي البارونة بلينكر (سيكندورف قبل الزواج)، ولهذا فهي على صلة حميمة بكل آل سيكندورف في البلاط والجيش (على سبيل المثال، بالأمير سيكندورف الذي يعد، كما تعرفين، «اليد اليمنى» للإمبراطورة الجديدة). وهي أيضاً صديقة وثيقة للمشاور فون بيرغمان، الذي تتلقى شخصياً العلاج على يده، وهكذا فقد كنت مطلعاً بنحو جيد على سير الأمور في سان ريمو. بل لقد كانت بين يدي بعض الصفحات التي كتبها ولي العهد قبل أيام من رحيله.

لن أكتب أكثر، يا أمي الطيبة العزيزة، وتقبلي الأحضان الممتنة من مخلوقك القديم.

155. براندس إلى نيتشه

كوبنهاغن، 3 أبريل 1888

سيدي العزيز:

لقد وصفت البريد بأنه وسيط للتدخل غير المؤدب. وهذا صحيح بما فيه الكفاية كقاعدة؛ كما يجب أن يكون من **الحصيف** [باللاتينية] ألا يسمح لأحد بإغراقك. لست بطبيعتي ممن يضغط على غيره. بل إني في الواقع أعيش حياة شبه معزولة، ونادرا ما أكتب رسائل، وأكتب بكل تردد في الأساس كما يفعل كل المؤلفين.

ولكني بالأمس حين تلقيت رسالتك وتناولت أحد كتبك، أصابني تشنج مفاجئ من الغضب حين فكرت أن لا أحد هنا في الدول الإسكندنافية يعرف أي شيء عنك، وقررت على الفور أن أجعلك معروفا. ستخبرك القطعة الصغيرة المرفقة من الصحيفة بأني (بعد أن انتهيت للتو من دورة محاضرات حول روسيا) سأبدأ في سلسلة جديدة حول كتاباتك. لقد اضطررت لسنوات عديدة إلى تكرار محاضراتي لأن الجامعة لا يمكنها استيعاب الجماهير. لكن ذلك لن يحدث، فاسمك جديد تماما، لكن أولئك الآتين لتكوين انطباع عن أعمالك لن يكونوا، كما أعدك، من الأغبياء.

بما أنني حريص للغاية على معرفة كيف تبدو في المظهر، أتوسل إليك

أن ترسل لي صورة عن نفسك. أرفق طياً أحدث صورة لي. هل لي أن أطلب منك أيضا أن تكتب سردا قصيرا وموجزا عن متى وأين ولدت، وفي أي أعوام نشرت كتبك (أو الأفضل من ذلك، متى كتبتها)، لأنها ليست مؤرخة؟ إن صادف أن هناك أي أوراق منشورة بقلمك تذكر فيها هذه الحقائق، فلا داعي لأن تضطر لكتابتها. إني شخص غير منظم للغاية، ولا أحتفظ بموسوعة للكُتّاب على رفوفي، أو أي كتاب مرجعي آخر قد أجد فيه اسمك.

كتاباتك الأولى، تلك التي «في غير أوانها»، كانت مفيدة للغاية بالنسبة لي. كم كنتَ صغيرا، ومليئا بالحماس، وصريحا وساذجا! لا تزال بعض الأجزاء من أعمال سنواتك الناضجة غير مفهومة لي بوضوح. يبدو أنها في كثير من الأحيان تميل للتعميم انطلاقا من بيانات شخصية وحميمة للغاية، مما يقدم للقارئ صندوقا مزخرفا بدون مفتاح. لكنني أفهم أغلب ما فيها. لقد قرأت بمتعة خاصة عملك الشاب حول شوبنهاور، وعلى الرغم من أنني لا أدين شخصيا إلا بالقليل لشوبنهاور، فقد أدهشتني الكتاب وكأنه يتحدث من روحي.

إن كنت تقرأ اللغة الدنماركية، يسعدني أن أرسل لك كتابا صغيرا ساخرا عن هولبرغ. أخبرني إذا كنت تفهم لغتنا. وإن كنت تقرأ اللغة السويدية بأي حال، فيجب أن أحيطك علما بعبقري السويد، أوغست سترندبرغ. فأنت مثله حين تكتب عن المرأة.

أعطني أخبارا جيدة حول عينيك.

مع فائق التقدير،

غيورغ براندس

ﻧ

156. إلى بيتر غاست

تورين (إيطاليا)

7 أبريل 1888، السبت[1]

صديقي العزيز:

كم أسعدني أن أسمع شيئاً عنك! كانت أول تحية تلقيتها هنا قد جاءت منك؛ وآخر تحية وصلتني في نيس كانت منك أيضاً. وما أجمل وأبدع الأمور التي أعلنت عنها! أن مقطوعتك الرباعية قد وصلت إليك مكتوبة بأجمل خط، وأنك الآن، بفضل هذا الإنجاز، تبارك هذا الشتاء الأخير أيضاً! يصبح المرء بالطبع متطلباً للغاية حين يفرض أعماله سراً على حياته؛ وذلك ينسيه بالخصوص كيف يرضي الناس. فالمرء شديد الجدية - وأنت تشعر بذلك - ثمة جدية شريرة تقبع خلف الرجل الذي يرغب في أن ينال عمله الاحترام.

يا صديقي العزيز، إني أستغل الهدوء الأول بعد رحلة عاصفة جدا كي

(1)غادر نيتشه نيس في 2 أبريل؛ وفي 3 أبريل كان في سامبيردارينا، قرب جنوا، معتل الصحة؛ وفي 4 أبريل وصل إلى جنوا، وفي 5 أبريل وصل إلى تورين، حيث أقام حتى 5 يونيو. ومنذ 6 يونيو حتى 20 سبتمبر كان في سيلس ماريا. وفي 21 سبتمبر عاد إلى تورين، ليعيش هناك حتى انهياره في يناير 1889. وكان عنوانه في كلتا الفترتين في تورين هو شارع كارلو ألبرتو 6، III (مقابل قصر كارنيانو، مطلاً على ساحة كارلو ألبرتو)، حيث استأجر غرفة في شقة الطابق الثالث لبائع الصحف دافيده فينو.

أكتب لك رسالة. ولعل ذلك سيمنحني بعض السلام والاستقرار، لأني كنت ممزقاً حتى الآن ولم أسافر من قبل في ظروف نحسة كهذه. أمن الممكن أن أمر بهذا العدد من التجارب العبثية بين يومي الاثنين والسبت! لقد مني كل شيء بالفشل من البداية. فقد كنت مريضاً ليومين ـ أين؟ في سامبيردارينا. لا تظن أني كنت أرغب بالسفر إلى هناك. لكن حقائبي وحدها التزمت طريقها الأصلي، نحو تورين؛ أما الآخرون ـ أي حقيبة يدي وأنا ـ فقد تفرقنا في اتجاهات شتى. وكم كانت الرحلة مكلفة! ترى كم اغتنى بعض الناس من فقري! لم أعد مستعداً بالفعل للسفر وحيداً على الإطلاق؛ لأني أصاب بالإرهاق لدرجة ارتكاب الحماقات. وهنا أيضاً كان كل شيء في البدء قد اتخذ طريقه الخاص. وقضيت ليلة مؤرقة، وأنا ذاهل، لا أفهم كل الأشياء التي جلبها النهار. وحين ألتقي بك مجدداً، سأصف لك مشهدًا في سافونا لعله خرج مباشرة من **الصفحات** الطيارة *Fliegende Blätter* [1]. إلا أنه أصابني بالمرض.

في جنوا كنت أمشي وكأني مجرد ظل بين الذكريات. كانت هناك خمسة أو ستة أماكن خاصة أحببتها هناك قد أثارتني بشدة أكبر؛ وقد عنّ لي أن أنال مكانة نبيلة لا توصف، وأن أكون أسمى بكثير من كل شيء آخر تقدمه الريفييرا. لكني أشكر مصيري لأنه فرض علي العيش في هذه المدينة القاسية الغائمة خلال سنوات *التهتك*؛ فكلما تركها المرء، ترك المرء نفسه فيها أيضاً ـ وسيتوسع هذا الأمر مجدداً، ولن يعود المرء يملك الشجاعة لأن يكون جباناً. لم أشعر أبدًا بالامتنان أكثر مما فعلت خلال هذه الرحلة خلال جنوا.

---

(1) دورية ساخرة رائجة في ذلك العصر.

ولكن تورين! صديقي العزيز، إني أهنئك! لقد حققت نصيحتك أعمق أمانيّ! هذه حقاً هي المدينة التي يمكنني استخدامها الآن! فهي تناسبني بنحو ملموس، وكانت كذلك من البداية تقريباً، مهما بدا الوضع رهيباً في الأيام الأولى. ففوق كل شيء، يسودها الجو الماطر الكئيب، الثلجي المتقلب، والمزعج للأعصاب، الذي تفصل بينه أنصاف ساعات دافئة رطبة. ولكن يا لها من مدينة محترمة وجادة! ليست حاضرة على الإطلاق، ولا حديثة على الإطلاق، كما كنت أخشى، بل موطن أمراء من القرن السابع عشر، مكان يملك ذوقاً واحداً متحكماً بكل الأشياء ـ سواء كان البلاط أو النبلاء. وقد احتفظ بالهدوء الأرستقراطي في كل مكان: فلا توجد ضواح زرية؛ وثمة وحدة في الذوق حتى في مسائل الألوان (فالمدينة بأسرها صفراء أو كميتة اللون). وهي مكان كلاسيكي للقدمين كما للعينين! أي نشاط، أي أرصفة، ناهيك عن الباصات والترامات، والتنظيم الذي يكاد يكون مذهلاً هنا! للمرء أن يعيش، كما يبدو، بتكلفة أرخص مما في سائر المدن الإيطالية الكبرى التي أعرف؛ كما أن أحداً لم يحتل عليّ حتى الآن.

إني أعتبر هنا *Tedesco ufficiale* [1] (رغم أن دفتر الأجانب الرسمي في نيس سجلني في الشتاء الماضي *كبولندي* [بالفرنسية]). الأمر مذهل ـ يا لها من قصور جادة ومهيبة! وأسلوب بناء القصور، دون أي تعجرف؛ الشوارع نظيفة وجادة ـ وكل شيء أشد احتراماً بكثير مما توقعت! وفيها أجمل مقاهٍ رأيتها أبداً. ربما تكون هذه الصالات ضرورية حين يكون

---

(1) «ضابط ألماني» (عسكري، ولو كان متقاعدا)؛ كما يمكن أن تعني «مسؤولا ألمانيا»، لكن نيتشه فهمها بالمعنى الأول؛ راجع سيرته الذاتية ذات النبرة العسكرية في نهاية الرسالة القادمة.

المناخ بهذا التقلب ـ لكنها واسعة ـ ولا تضيّق على المرء. ذلك المساء على جسر بو كان مجيداً! ما وراء الخير والشر!

ستظل المشكلة هي الطقس في تورين. فقد عانيت منه أشد العناء حتى الآن، ولم يعد بوسعي التعرف على نفسي.

مع التحية والشكر، صديقك المخلص نيتشه..

157. إلى غيورغ براندس

تورين (إيطاليا)، *يحفظ بمكتب البريد*

10 أبريل 1888

ولكن، *سيدي الكريم*، يا لها من مفاجأة! من أين جئت بالشجاعة كي تفكر بالحديث علناً عن *رجل شديد الخفاء*!... [باللاتينية] ألعلك تعتقد أني معروف في بلدي العزيز؟ إني أعامل هنا وكأني شيء عبثي منبوذ، لا يحتاج المرء لأخذه حالياً على محمل الجد... والواضح أنك تدرك أني لا آخذ بني وطني على محمل الجد أيضاً: وكيف لي ذلك *والروح* الألمانية قد أصبحت *تعبيراً متناقضاً*! [باللاتينية] - إني ممتن جداً لك على هذه الصورة. وللأسف، لا أملك شيئاً من هذا النوع من ناحيتي: فآخر صور التقطتها هي في حوزة أختي المتزوجة في أمريكا الجنوبية.

سأرفق لك سيرة ذاتية قصيرة، هي أول سيرة كتبتها.

أما بخصوص الترتيب الزمني لكتبي بعينها، فستجده على الصفحة الخلفية **لما وراء الخير والشر**. ولعلك لم تعد تملك هذه الصفحة.

لقد كتبت **مولد التراجيديا** بين صيف 1870 وشتاء 1871 (وأنهيته في لوغانو، حيث كنت أعيش مع أسرة الفيلد مارشال مولتكه).

وأفكار في غير أوانها بين 1872 وصيف 1875 (كان يفترض أن يكون له ثلاثة عشر قسماً، لكن صحتي حالت دون ذلك لحسن الحظ!)

إن ما تقوله عن **شوبنهاور مربياً** يمنحني البهجة. فهذا المقال الصغير يكفيني كشارة تقدير P فالمرء الذي لا يخاطبه كتابي بأمر شخصي ربما لن يظل مهتماً بي بعدئذ. وهو يتضمن المخطط العام الذي عشت وفقه حتى الآن؛ وذلك وعد صارم.

إنساني مفرط في إنسانيته، بملحقيه، صيف 1876 ـ 79. **الفجر**، 1880. **العلم المرح**، يناير 1882. **زرادشت**، 1883 ـ 85 (كل قسم خلال قرابة عشرة أيام). مثال كامل على «الرجل الملهم». خطرت كل الأقسام ببالي في مسيرات شقة؛ وبيقين تام، كما لو أني خوطبت بكل فكرة. وخلال وقت الكتابة ذاته، حظيت بأشد مرونة ومتانة بدنية ـ)، **ما وراء الخير والشر**، صيف 1885، في إنغادن العليا والشتاء اللاحق في نيس.

توصّلت إلى **الجينالوجيا**، ودونتها، وأرسلت المبيضة إلى الطبّاع في لابزيغ بين 10 و30 يوليو 1887. (بالطبع هناك أعمال فيلولوجية لي أيضاً. لكن هذا لم يعد يهم أياً منّا).

أنا الآن أقيم اختباراً لتورين؛ وأروم البقاء هنا حتى 5 يونيو، ثم أذهب إلى إنغادن، فالجو حتى الآن قاس وسيئ كما في الشتاء.

لكن المدينة شديدة الهدوء ومرضية لغرائزي. ففيها أجمل الأرصفة في العالم.

تقبل التحايا من الممتن والمخلص لك نيتشه

للأسف الشديد فإني لا أفهم الدنماركية ولا السويدية.

سيرة ذاتية. ولدت في 15 أكتوبر 1844، في ساحة معركة لوتزن[1]، وكان

(1) لوتزن، في سكسونيا، التي تقع على مقربة من روكن، القرية التي ولد فيها نيتشه، كانت ساحة معركة شهيرة حدثت عام 1632، خلال حرب الثلاثين عاما، لقي فيها غوستاف

أول اسم سمعته هو اسم غوستاف أدولف. كان أسلافي نبلاء بولنديين (نييتسكي)؛ ويبدو أن هذا الرسّ قد احتفظ به جيداً، بالرغم من ثلاث «أمهات» ألمانيات[1] وخارج البلاد، عادة ما أعتبر بولندياً؛ وحتى في هذا الشتاء الأخير سجلني دفتر الأجانب في نيس *كبولندي* [بالفرنسية]. وقد قيل لي بأن رأسي وملامحي يظهران في لوحات ماتايكو[2] كانت جدتي على صلة بحلقة غوته ـ شيلر في فايمار، وأصبح شقيقها خليفة هيردر كمشرف عام على الكنائس في دوقية فايمار. كنت محظوظا بالدخول كطالب في مدرسة بفورتا المميزة، التي خرجت الكثير من الرجال النابهين (كلوبستوك، فيشته، شليغل، رانكه، وهلم جرا، وهلم جرا) في الأدب الألماني.

لقد حظينا هناك بمدرسين كانوا سيشرّفون أي جامعة (أو شرفوها فعلا). ودرست لاحقاً في بون ثم لابزيغ؛ وفي سنه المتقدم، قام ريتشل، الذي كان آنذاك أبرز عالم كلاسيكيات في ألمانيا، بانتقائي من البداية تقريباً. وفي سن الثانية والعشرين كنت أساهم في *Literarisches Zentralblatt* (التي أسسها زارنكه). وكان تأسيس جمعية كلاسيكية في لابزيغ، ما تزال قائمة حتى اليوم، أمراً من اقتراحي. وفي شتاء 1868 ـ 69 عرضت علي جامعة بازل منصب الأستاذية، رغم أني لم أنل الدكتوراه بعد. ومن ثم

أدولف، الملك السويدي وقائد الجناح البروتستانتي الألماني، حتفه خلال هزيمة القوات الإمبراطورية الكاثوليكية. كما كانت أيضا ساحة المعركة التي هزم فيها نابليون جيوش الحلفاء البروسيين والروس عام 1813. تقع لوتزن على بعد اثني عشر ميلا شمال شرق ناومبورغ. في طيات هذه السيرة الذاتية، يقف نيتشه موقفا عسكريا وبطوليا، ويخلق عن نفسه صورة هي أبعد ما تكون عن القروي السكسوني.

(1)بمعنى ثلاثة أجيال من الأمهات الأسلاف: جدة الأم، والجدة، والأم.

(2)يان ماتايكو (1838 ـ 1893) رسام بولندي اشتهر بلوحاته التي جسدت أشخاصا ومشاهد من تاريخ بلاده. (المترجم)

قدمت لي جامعة لايبزيغ شهادة الدكتوراه، بنحو مشرف جداً، ودون أي امتحان، ولا حتى أي أطروحة. ومنذ عيد القيامة عام 1869 وحتى 1879 كنت في بازل؛ وكان علي التخلي عن جنسيتي الألمانية، لأني كضابط (في المدفعية الخيالة) كنت سأستدعى مرات كثيرة بنحو يتضارب مع مهامي الأكاديمية. وبغض النظر، فإني متمرس في استخدام سلاحين: السيف والمدفع، وربما سلاح آخر...

وفي بازل جرى كل شيء على ما يرام، بالرغم من صغر سني؛ وكثيراً ما حدث، خاصة في امتحانات الدكتوراه، أن الممتحنين كانوا أكبر سناً من ممتحنهم. وكان من حسن حظي جداً أن تطورت علاقات ودية بين ياكوب بوركهارت وبيني، وهو أمر غير معتاد جداً لهذا المفكر المنعزل والنائي جدًا. وأفضل منه أنني، منذ بداية حياتي في بازل، أصبحت على صلة وثيقة لا توصف بريتشارد وكوزيما فاغنر، اللذين كانا آنذاك يعيشان في العقار الواقع في تريبشن قرب لوسيرن، وكأنهما في جزيرة منقطعة عن كل روابطهما السابقة. ولعدة سنوات تشاركنا تجاربنا الكبيرة والصغيرة؛ حيث قامت بيننا ثقة لا حد لها. (وفي المجلد السابع من **الأعمال الكاملة** لفاغنر، يمكنك أن تعثر على رسالة منه إلي، كتبها حين نشر **مولد التراجيديا**). وخلال هذه العلاقة التقيت بحلقة واسعة من الرجال (و «المسترجلات») هي في الواقع معظم من ازدهروا بين باريس وبيترسبورغ.

وحوالي عام 1876 بدأت صحتي تسوء. وقد قضيت شتاء في سورنتو آنذاك، مع صديقتي القديمة البارونة مايزنبوغ مؤلفة **مذكّرات امرأة مثالية**، والودود د. ريه. لكن صحتي لم تتحسن. فقد كانت هناك موجات صداع مؤلم وعنيد جداً استنفدت كل طاقتي. وقد تزايدت على طول الأعوام،

لتصل قمة أصبح الألم فيها مألوفاً، حتى إن أي عام لاحق كان يضم لي مائتي يوم من الألم. لا بد أن هذا الداء كان ذا منشأ محلي خالص ـ فلا أساس عصبي له على الإطلاق. ذلك أني لم أمر بأي أعراض من الاضطراب العقلي ـ ولا حتى الحمى أو الإغماء.[1] وكان نبضي بطيئاً كبطء نبض نابليون الأول (= 60 نبضة). وكان تخصصي هو تحمل أقصى درجات الألم *خالصاً صرفاً* [بالفرنسية] بوعي تام ليومين أو ثلاثة بالتعاقب، مع تقيؤ مستمر للمخاط. وقد سرت إشاعات تقول أني في مصحة مجانين (أو حتى أني مت هناك). ولا شيء من ذاك بأبعد من الحقيقة؛ فخلال هذه الفترة العصبية تمكن عقلي من الوصول للنضج: ويشهد على ذلك كتاب الفجر الذي ألفته عام 1881، خلال شتاء من البؤس الذي لا يصدق في جنوا، بعيداً عن الأطباء، الأصدقاء، والأقارب.

هذا الكتاب بالنسبة لي أشبه «بمؤشر حركة» ـ فقد كتبته حين كانت قوتي وصحتي في الحضيض. ومنذ عام 1882، وبنحو بطيء جداً دون شك، باتت صحتي في صعود مجدداً: فقد تجاوزت الأزمة (كان والذي قد توفي في ريعان الشباب، في العمر ذاته الذي أوشكت عنده على الموت). وحتى اليوم فأنا ألتزم الحذر الشديد؛ ولا بد من تحقق بعض الظروف في الطقس والمناخ. وليس الأمر خياراً ـ بل بحكم الضرورة ـ أن أقضي فصول الصيف في إنغادن العليا، والشتاءات على الريفييرا... وفي وقت قريب أسدى لي مرضي أعظم خدمة: فقد حررني، وأرجع لي الشجاعة اللازمة لأن أكون نفسي... كما أني بالضرورة حيوان شجاع؛ بل وعسكري. وقد أرهقت المقاومة الطويلة غروري قليلاً. هل أنا فيلسوف؟ وهل يهم ذلك!...

---

(1) قد يشير هذا التفصيل الأخير إلى رغبة نيتشه في تبديد كل الشكوك حول إصابته بالصرع.

158. براندس إلى نيتشه

كوبنهاغن، 29 أبريل 1888

سيدي العزيز:

في المرة الأولى التي حاضرت فيها حول أعمالك لم تكن الصالة مليئة حقا، لقلة من يعرف أبدا من أنت وما أنت. لكن صحيفة رائدة تحدثت عن محاضرتي، وكتبت أنا شخصيا مقالة حولك، وهكذا ففي المرة الثانية لم يكن هناك محط قدم في الصالة. كان هناك حوالي ثلاثمائة مستمع يصغي بكل انتباه إلى تفسيري لفلسفتك. لكني لم أجرؤ على تكرار المحاضرة في هذا الموقف، كما كانت عادتي لعدة أعوام، نظرا لأن موضوعها أبعد ما يكون عن الرواج. لكني آمل في هذا الصدد أن أحصل لك على بعض القراء الجيدين في الشمال.

إن كتبك المجلدة بشكل جميل تقف الآن مسطرة في إحدى خزائن كتبي. يطيب لي أن أمتلك كلما نشرته. حين قدّمت لي في رسالتك الأولى عملا موسيقيا من تأليفك بعنوان «أنشودة للحياة»، رفضت قبول الهدية بداعي التواضع، لأني شعرت بأني لست بالموسيقي المقتدر. أما الآن فأنا أرى أن اهتمامي بهذا العمل قد يجعلني مستحقا له، وسأكون مدينا للغاية لك لو تلطفت بإرساله إلي. آمل أن أستطيع تلخيص انطباع المستمعين إليّ في هذه الكلمات عن لسان رسام شاب: «هذا كله لافت حقا لأنه لا

يدور حول الكتب، بل حول الحياة». وإن كان هناك أمر غير مرضٍ في أفكارك فهو أنها أحيانا تدفع الأمور بشدة نحو أقصاها. لم يكن لطيفا منك ألا ترسل إلي صورة؛ فقد كان غرضي الوحيد من إرسال صورتي إليك هو جعلك مدينا لي بالمثل. ليس من المتعب أبدا أن تجلس لبضع دقائق أمام كاميرا، والمرء يعرف غيره أفضل حين يملك فكرة ما عن مظهره.

مع خالص الاحترام،

غيورغ براندس

159. نيتشه إلى براندس

نيس، 4 مايو 1888

سيدي العزيز:

ما تقوله لي يمنحني أعظم بهجة، ويجدر بي أن أعترف: مزيدا من المفاجأة أيضا. ثق بأني لن أنسى ذلك منك. أنت تعلم أن جميع النساك لديهم أدمغة حاقدة! وفي الوقت نفسه، آمل أن تكون صورتي قد وصلت إليك. بطبيعة الحال، اتخذت خطوات على الفور (ليس للحصول على صورة بالضبط، لأنني أعاني من عدم ثقة عميقة بالمصورين العاديين)، ولكن للحصول على شخص يمتلك صورة لي كي يتخلى عنها! ربما كنت قد نجحت، لكنني لا أعرف على وجه اليقين. على أي حال، سأغتنم الفرصة في المرّة القادمة التي أكون فيها في ميونيخ ـ هذا الخريف على الأرجح ـ لإنتاج صورة لي. ستبدأ «أنشودة الحياة» رحلتها إلى كوبنهاغن في يوم قريب. إننا معشر الفلاسفة لا نقدر شيئا بقدر أن نشبّه بالفنانين. علاوة على ذلك، قيل لي من قبل حكام رواد ومختصين أن الأنشودة صالحة من كل النواحي للتقديم، وأن أداءها سيكون نجاحا مؤكدا. كان أشد مدح تلقيته إرضاء لي هو أن هذه القطعة «نقية في الصياغة». وقد اقترح موتل، قائد الفرقة المميز من كارلسروه (وأنت تعرف أنه قاد مهرجانات بايرويت) تقديم أداء لها.

من إيطاليا تأتي أخبار تقول بأن وجهة نظري الواردة في الجزء الثاني من أفكار في غير أوانها قد كرّمت عبر تلميح إيجابي للغاية إليها في ملخص عن تاريخ الأدب الألماني ألفه أديب بارع في فيينا، هو الدكتور فون زاكاور، ختم بها مقالته في مجلة Archivio Storico في فلورنسا.

كانت الأسابيع القليلة الماضية في تورينو، حيث سأكون حتى الخامس من يونيو، أفضل من أي وقت مضى منذ سنوات. فقبل كل شيء، كانت هذه الأسابيع أكثر فلسفية. فكل يوم تقريبا كنت أصل خلال ساعتين إلى نقطة من الطاقة جعلتني أتمكن من مراجعة تصوري بشكل عام وكل المجموعة الهائلة من المشاكل الكامنة تتناثر عند قدميّ بشكل مريح وواضح كمخطط أساس. إن إنجازا كهذا يتطلب الحد الأقصى من القوة التي كنت بالكاد أتجرأ على الأمل في استعادتها مجددا. كل شيء في مكانه المناسب، وكان يميل طوال سنوات في الاتجاه الصحيح: رجل يبني فلسفته مثل قندس؛ فهو ضروري، لكنه لا يعرف ذلك... ومع ذلك، يجب على المرء أن يرى كل شيء كما رأيته حتى يتمكن من تصديق عينيه. أنا في حالة جيدة، متماسكة للغاية، ومرتاحة جدا من العبء ـ يمكنني أن أسخر بلطف من أخطر الأمور. كيف حدث كل هذا؟ ألا أدين بذلك لرياح الشمال العزيزة، تلك التي لا تهب دوما من جبال الألب، لكنها تحمل رسائل أيضا من كوبنهاغن؟

مع التحايا والامتنان من محبك

نيتشه

160. نيتشه إلى براندس

تورين، 23 مايو 1888

سيدي العزيز:

لا أريد أن أغادر تورين دون أن أعبر لك مرة أخرى عن قدر كبير مما مررت به في أول ربيع سعيد لي منذ فترة طويلة. إن تاريخي مع فصول الربيع في الخمسة عشر عاما الماضية على الأقل هو قصة رهيبة من الانحطاط والضعف. ويبدو أن الأماكن لا تحدث فرقا؛ ويبدو الحال كأنه ما من ترياق، ولا نظام غذائي، ولا مناخ يمكن أن يغير الطابع المحبط لذلك الموسم. أما الآن، فها هي تورينو! وأول بشرى هي بشارتك، سيدي العزيز، التي أعطتني دليلا على أنني أعيش... لأنني معتاد بين الحين والآخر أن أنسى أنني على قيد الحياة. مجرد حادث، مجرد سؤال ذكّرني هذا اليوم بالذات أن مفهوما رائدا للحياة قد انطفأ في داخلي. أعني مفهوم «المستقبل». لا رغبة، ولا نفحة لأي أمنية أمامي! بحر هادئ ببساطة! لماذا لا يجب أن يشبه أي يوم في عامي السبعين بالضبط أيامي في الوقت الحاضر؟ هل عشت لفترة طويلة على مقربة من الموت لئلا أفتح عيني بعد الآن على الاحتمالات الجميلة؟ على أي حال، فإنني أقتصر حقا على عدم التفكير بأكثر من اليوم والغد. أرتب اليوم لما سيحدث غدا، ولكن لمدة لا تتجاوز ذلك. قد يكون هذا غير منطقي، وغير عملي، وربما غير مسيحي.

ألم يمنع الواعظ على الجبل هذا التفكير في الغد؟ لكن هذا يبدو لي فلسفيا لأقصى درجة... ويعطيني احتراما أكبر لنفسي مما كنت أحظى به سابقا. لقد أدركت حقيقة أنني قد تناسيت فن التمني دون قصد مني.

لقد استغللت هذه الأسابيع المجيدة في «قلب كل القيم». هل تفهم هذه العملية؟ في الواقع، الخيميائي هو أنفع أنواع الكائنات على الإطلاق؛ أعني أنه يحول شيئا منبوذا ومحتقرا إلى شيء ذي قيمة، وحتى إلى ذهب. فهو وحده يخلق الثروة، والآخرون يعيدون صياغتها فقط. كانت مهمتي هذه المرّة فريدة للغاية. لقد سألت نفسي ما الذي كان الأمر الأشد كرها وخوفا واستهزاء عند الناس حتى الآن... ومن ذلك الشيء بعينه أقدمت على تصنيع الذهب الخاص بي...

نأمل فقط ألا يوجه إلي اللوم على العملات المزيفة. لكن هذا ما سيحدث بالطبع! هل وصلت لك صورتي؟ في حالة استثنائية كهذه، وافقت والدتي بلطف على أن تنقذني من الظهور كشخص فظ. وأنا واثق أيضا من أن ناشري في لايبزيغ، غ. ف. فريتش، قد أدى واجبه وأرسل الأنشودة. وفي النهاية، فإني أقر بشيء من الفضول. فبما أنه لم يُسمح لي بالاستماع عند صدع الباب من أجل الحصول على بعض المعلومات عن نفسي، فيجب أن أكون سعيدا لسماع شيء ما بطريقة أخرى. ثلاث كلمات لوصف موضوع محاضراتك؟ ما الذي لا أستطيع استخلاصه من ثلاث كلمات!

مع أطيب وأصدق الأماني، سيدي العزيز.

المخلص نيتشه

161. براندس إلى نيتشه

كوبنهاغن، 23 مايو 1888

سيدي العزيز:

شكرا جزيلا على الرسالة والصورة والموسيقى. منحتني الرسالة والموسيقى فرحة لا مزيد عليها، لكن الصورة ربما كانت أفضل. إنها صورة ملف شخصي أخذت في ناومبورغ، مميزة في المخطط التفصيلي، ولكن مع تعابير قليل جدا. يفترض بالتأكيد أن تبدو مختلفاً عن ذلك. ينبغي للرجل الذي كتب زرادشت في ذلك الوقت أن ينقش أسرارا كثيرة أخرى على أساريره.

أنهيت محاضراتي حول فريدريك نيتشه قبل عيد العنصرة. وقد انتهت، كما تقول الصحف، بالتصفيق. يكاد «التصفيق» يكون كله لصالحك وليس لصالحي. وقد أنطت بنفسي شرف أن أبلغك بذلك كتابةً. كل ما فعلته هو أن أفسّر بوضوح ودقة وبطريقة مفهومة لجمهور شمالي تلك الأفكار التي نشأت عندك.

حاولت أيضا تحديد موقفك فيما يتعلق بمختلف معاصريك، والتوغل في معمل أفكارك، والتركيز على النقاط التي كانت فيها نظرياتي الخاصة منطبقة مع نظرياتك، لتوضيح أين اختلفت عنك، وباختصار فقد حاولت تقديم صورة نفسية كاملة لنيتشه الأديب. قد أقول هذا كثيرا دون مبالغة:

اسمك الآن شائع جدا في جميع الدوائر الذكية في كوبنهاغن، وعلى الأقل فهو معروف في كل الدول الإسكندنافية. ليس لديك شيء تشكرني عليه؛ لقد كان من دواعي سروري أن أغمر نفسي في عالم أفكارك. لا تستحق محاضراتي النشر لسبب بسيط هو أن أي شيء فلسفي بحت يقع خارج تخصصي، وأنا أفضل عدم طباعة ما يعالج موضوعا أشعر أنني لست مؤهلاً له تماما. يسعدني أن أعلم أنك تشعر «باللياقة» البدنية والانتعاش العقلي. أما هنا فبعد فصل الشتاء الطويل لدينا ربيع معتدل. إننا سعداء بالأشجار الخضراء الشابة الأولى، وكذلك بمعرض منظم للغاية للفن في الشمال، افتتح الآن في كوبنهاغن. ويشارك فيه أيضا جميع الفنانين الفرنسيين البارزين تقريباً، من رسامين ونحاتين. ومع أني أتوق إلى أن أحلق بعيدا، فأنا مضطر للبقاء.

أخشى أن كل هذا قد لا يثير اهتمامك. لقد نسيت أن أذكر أنك إذا لم تكن تعرف الملاحم الأيسلندية، فيجب عليك دراستها. ستجد الكثير فيها مما دعم فرضياتك ونظرياتك المتعلقة بأخلاق العرق الأسمى. هناك تفصيل صغير جدا لم تصب فيه. لا علاقة للقوطية Gothic وعلى نحو مؤكّد بالله Gott ولا بالخير gut. بل إن لها صلة بفعل Giessen، يصب؛ ذلك الذي يقذف بالمنيّ، ويدل على الفحل أو الذكر. من ناحية أخرى، يعتقد علماء اللغة هنا أن اقتراحك حول bonus ـ duonus مناسب بشكل لافت.

أنا واثق بأني وأنت لن نكون غرباء تماما، مرّة أخرى، في المستقبل.

وأنا قارئك ومعجبك المخلص،

غيورغ براندس

162. إلى بيتر غاست

تورينو، الخميس [31 مايو، 1888]

لو كنت أجيب على خطابك فوراً مرة أخرى، فلا يكن لديك شك حيال ما أفتقده: إنه أنت يا صديقي العزيز! ورغم أن الربيع عاملني جيداً، فإنه لم يأت إليَّ بأفضل الأشياء، رغم أن حتى أسوأ فصول الربيع قد جلبته إليّ حتى الآن - إنها موسيقاك! وهذه الأخيرة مرتبطة بشكل وثيق - منذ أن كنت في ركوارو - بفكرتي عن «الربيع»، وذلك يشبه إلى حد ما الارتباط الوثيق لصوت الأجراس اللطيفة التي تتخلل مدينة البحيرات بفكرتي عن «عيد الفصح». إنني أمعن النظر في هذه الذكريات وأنا شاعر بامتنان مديد في أي وقت تخطر لي إحدى ألحانك؛ فلا شيء جعلني أكثر وعياً بالولادة من جديد والتسامي والانشراح كما فعلت موسيقاك. إنها موسيقاي المفضلة بامتياز، وهي ما ألبس له في داخلي من أفضل حُلة على الإطلاق.

لقد تركت لنفسي الحرية لأن أرسل إليك أول البارحة بعض المراجعات المسرحية للدكتور فوكس. وفيها كثير مما هو دقيق ومتمرس.

كانت لمحاضرات د. برانديز خاتمة جيدة، إذ انتهت بتصفيق عظيم، وهو ما قال عنه برانديز أنه لم يكن أهلاً له. لقد أكد لي أن اسمي الآن هو موضوع الحديث في شتى دوائر الأذكياء في كوبنهاغن وأنه معروف في شتى الدول الإسكندنافية. يبدو أن مشاكلي قد أثارت اهتمام أولئك

الشماليين كثيراً؛ فهم، على المستوى الفردي، على استعداد أفضل لـ «أخلاق السادة» الخاصة بي مثلاً، وذلك بسبب انتشار المعرفة الدقيقة بملاحم الساغا الأيسلندية بينهم، والتي توفر مادة غنية للغاية بتلك الأخلاق. لقد سعدت بموافقة الفيلولوجيين الدنماركيين وقبولهم تأصيلي كلمة «الخير» (bonus)؛ والواقع أنها مهمة صعبة أن تتبع مفهوم «الخير» رجوعا إلى مفهوم «المحارب». ومن دون مقدماتي المنطقية، لما كان لفيلولوجي أن يصل إلى تلك الفكرة.

إنه لأمر مؤسف أنك ذهبت في جولة مع الأوراق والحبر بدلاً من أن تذهب إلى كادور.1 من الواضح أني كقدوة سيئة أفسد سلوكك الجوهري الأفضل. لقد كان الطقس ملائماً تماماً لاستكشاف جبلي كهذا؛ والحقيقة أنني لم أستفد منه أيضاً، وأنا، مثلك تماماً، غير راض عن نفسي لفشلي في فعل ذلك. إنني مدين لهذه الأسابيع المنصرمة بدرس مهم للغاية: لقد وجدت كتاب القوانين لمانو بترجمة فرنسية من الهند، تحت إشراف صارم من أبرز الكهنة والمتخصصين هناك. إن هذا المؤلف الآري كلياً الذي يعتبر مخطوطة كهنوتية مبنية على الفيدا، على فكرة الطوائف وعلى تقليد قديم للغاية ـ وليس متشائماً ولو كان كهنوتياً للغاية ـ يشكل تكملة لوجهات نظري في الدين بأروع طريقة ممكنة. إنني أعترف بأن الانطباع الذي أعطاني إياه هو أن كل شيء بحوزتنا عن طبيعة القوانين الأخلاقية يبدو محاكاة، وحتى كاريكاتيراً لهذا المؤلف ـ وللمصرية قبل كل شيء. وحتى أفلاطون نفسه يبدو لي ببساطة، في جميع النقاط الرئيسية، وقد تلقى تعليماً جيداً بواسطة براهمي. أما اليهود فيبدون كعرق شاندالا يتعلم من أسياده مبادئ جعل الطبقة الكهنوتية السيد الذي ينظم الناس. ويبدو

أن الصينيين قد قدموا كونفوشيوس ولاو تسي تحت تأثير هذه القوانين الكلاسيكية العتيقة. ويبدو نظام العصور الوسطى كوحش عجيب يلتمس استعادة كل الأفكار التي شكلت أسس المجتمع الهندوآري الأصلي ـ لكنه يفعل ذلك بقيم متشائمة لها جذور في تربة انحطاط عرقي. وفي هذه النقطة أيضاً يبدو اليهود مجرد وسطاء ـ فهم لا يخترعون شيئاً.

لدي الكثير يا صديقي العزيز لأظهر لك مدى سروري بحديثي معك. سأغادر يوم الثلاثاء.

خالص مودتي، نيتشه.

بيف دي كادور، حيث ولد تيتيان، موجودة في الجبال خلف البندقية.

شاندالا تعني «هجين»، أي طبقة غير نقية.

163. إلى كارل نورتز1

[21 يونيو، 1888]

سيدي العزيز:

كان وصول عمليك المكتوبين، اللذين أشكرك عليهما جزيل الشكر، جازما بأنك استلمت مؤلفاتي. لقد بدت لي مهمة أن أعطيك صورة عن نفسي، بوصفي مفكراً وشاعراً، صعبة للغاية. كانت أولى المحاولات من هذا النوع قد قدمت في الشتاء الماضي من قبل الدكتور جورج براندس، الذي ستعرف بأنه مؤرخ أدبي. فقد ألقى في جامعة كوبنهاغن مساقاً دراسياً من محاضرات طوال عني، مطلقاً عليها «الفيلسوف الألماني فريدريك نيتشه»، ولا بد وأن نجاحها، الذي علمت بخصوصه من هناك، كان متألقاً. لقد نقل إلى جمهور من ثلاثمائة شخص اهتماماً حيوياً بجرأة الأسئلة التي طرحتها، وقد جعل اسمي، كما يذكر هو، موضوعاً للحديث في شتى أنحاء الشمال. لكن من نواح أخرى، فإن لدي دائرة أخرى أكثر خفاءً من المستمعين والقراء، والتي ينتمي إليها أيضاً بعض الرجال الفرنسين، مثل إم تاين. إنني على قناعة تامة بأن مشاكلي هذه ـ أي موقف «اللاأخلاقي» هذا برمته ـ لا يزال سابقاً جداً لأوانه في يومنا هذا، ولا يزال غير جاهز إلى حد بعيد. إن فكرة أن أسوق لنفسي غريبة تماماً عني شخصياً؛ فأنا لم أحرك إصبعاً وفي بالي هذه الغاية. وبالنسبة لزرادشت، فأنا أميل للاعتقاد بأنه

أعمق عمل جاء بلسان ألماني، والأكمل في لغته. غير أن الآخرين لو كان لهم أن يشعروا بذلك، فعلى أجيال بأكملها أن تمضي حتى تلحق بالخبرات الداخلية التي يمكن أن يوقظها هذا العمل. أود أن أنصحك بالبدء بأحدث أعمالي، التي تعد الأكثر انتشاراً وأهمية (ما وراء الخير والشر، وفي جينالوجيا الأخلاق). وبالنسبة لي شخصياً، فإن الكتب الوسطى هي الأكثر ملاءمة، أي الفجر والعلم المرح (فهما الأكثر شخصانية).

أما عن «تأملات في غير أوانها»، فهي كتابات شابة بمعنى ما، وتستحق أعلى درجات الاهتمام، وهي مهمة للغاية بالنسبة لتطوري. وفي «أزمنة وشعوب ورجال»، بقلم كارل هيلبراند، هناك بعض المقالات الجيدة جداً حول كتاب تأملات في غير أوانها. وقد أثارت المقالة الموجهة ضد شتراوس عاصفة كبيرة؛ أما تلك المخصصة لشوبنهاور، التي أوصيك بقراءتها على وجه الخصوص، فتظهر لي كيف لعقل مفعم بالطاقة وإيجابي غريزيا أن يحتفظ بأكثر المحفزات نفعا حتى ولو كانت من متشائم. لقد كنت لعدة سنوات في علاقة عميقة الثقة والتوافق بيني وبين ريتشارد فاغنر والسيدة كوزيما فاغنر، وقد كانت من أقيم السنين في حياتي. ولو كنت الآن من بين المناهضين للحركة الفاغنرية، فغني عن القول إنه ما من دوافع دنيئة خلف ذلك. وفي أعمال فاغنر المجمعة، المجلد التاسع (لو لم تخني الذاكرة) هناك رسالة شاهدة على علاقتنا.

إن ادعائي هو أن كتبي تحتل المرتبة الأولى بحكم فضيلة غناها بالخبرات النفسية، وجسارتها في مواجهة أعظم الأخطار، وكذلك صراحتها المهيبة. ولست أخشى من أي مقارنة طالما ستتعلق بفن العرض فيها وبادعاءاتها الفنية. يربطني حب طويل الأمد باللغة الألمانية ـ حميمية

سرية، وتقديس عميق. وهو سبب كاف لقراءة أي كتب متوفرة بهذه اللغة في يومنا هذا.

المخلص، يا سيدي العزيز، الأستاذ الدكتور نيتشه.

كان نورتز صحفياً أمريكياً قد خطط لكتابة مقال عن نيتشه. لم ينشر نورتز أي شيء عن نيتشه بالإنجليزية، لكنه نشر عنه بالألمانية، بين عامي 1898 و1913، كتيبين في سويسرا وكتيبين في ألمانيا.

164. إلى مالفيدا فون مايسينبوغ

[نهاية يوليو، 1888]

صديقتي العزيزة: ستقولين في نفسك: أخيراً! ـ أليس كذلك؟ لكنني وبشكل تلقائي لا أملك أي كلمات لأي أحد، ذلك أن رغبتي في أن أخبر أحداً بمصاعبي الوجودية قليلة للغاية. والحقيقة أن هناك الكثير من الفراغ من حولي. فحرفياً، ليس هناك من فرد بإمكانه فهم موقفي. وليس الأسوأ من ذلك، دون شك، ألا أسمع لعشر سنوات كلمة واحدة تفهمني بالفعل ـ وأن أكون فاهماً لذلك، أن أفهمه كشيء ضروري! لقد منحت الإنسانية أعمق كتبها. فكيف للمرء أن يكفر عن ذلك! إن ذلك ليضع المرء خارج الاتصال البشري بأكمله، ويجلب معه توتراً وحساسية لا تطاق ـ فيصبح المرء حيواناً برياً يجرح باستمرار. وهذه الجرح لا يسمع أي إجابة، وعلى المرء أن يتحمل، بشكل أفظع، عبئه الذي كان يرجو مشاركته على أكتافه وحده، أي عبء الذرف (وإلا فلم يكتب المرء؟) قد يصل المرء إلى القاع إثر كونه «خالداً»! إن الصدفة هي ما وضعتني في محنة تزامني مع هذا الفقر البائس والركود الحاصل في العقل الألماني. يعاملني الناس في «أرض الوطن العزيز» وكأني رجل واجب حبسه ـ هذا ما عليه «فهمهم»! وعلاوة على ذلك، فإن قماءة بايوريت تعرقلني. والساحر القديم فاغنر، حتى بعد أن مات، يختطف مني العدد القليل من الذين كنت لأؤثر عليهم.

إلا أن الناس في الشتاء الماضي في الدنمارك ـ ومن السخيف قول ذلك! ـ كانوا يحتفلون بي!! وكان جورج براندس، الرجل شديد الذكاء، من الشجاعة بمكان لأن يلقي سلسلة محاضرات عني في جامعة كوبنهاغن! وكان نجاحها باهراً! وحضر أكثر من ثلاثمائة فرد بشكل منتظم! واختتمت بحفاوة كبيرة! وقد علمت الآن باحتمال حدوث شيء مشابه في نيويورك. إنني أكثر العقول استقلالية في أوروبا والكاتب الوحيد في ألمانيا ـ ذلك شيء يحسب لي!

يذكرني هذا بسؤالك في خطابك الأخير الذي أقدره للغاية. بإمكانك أن تدرك أني لا أحصل على أي مكافئات تشريفية مقابل الكتب التي أؤلفها. لكن لعله ليس ممكنا أن تلاحظ أني أدفع كامل تكلفة الطباعة والنشر (نحو 4000 فرنك خلال السنوات القليلة الماضية). ونتيجة لحظر الصحافة وبائعي الكتب ومقاطعتهم إياي، فإن عدد النسخ المباعة لا يصل إلى مائة نسخة. وقد نفد مني رأسمالي تقريباً ـ فمعاشي من بازل متواضع (ثلاثة آلاف فرنك سنوياً)؛ إلا أني دائماً ما أدخر بعضاً منه، وعليه فليست عليَّ أي ديون من أي نوع حتى الآن. والحيلة التي أنتهجها هي أن أدخل البساطة على حياتي شيئاً فشيئاً، فأتجاهل الرحلات الطويلة وكذلك العيش في الفنادق. وهي حتى الآن جيدة؛ وأريدها أن تكون على هذا النحو. غير أن هناك صعوبات من نوع أو آخر تواجه كبريائي.1

وتحت هذه الظروف المتشعبة، من الداخل ومن الخارج، لم تكن صحتي، لسوء الحظ، في أفضل حالاتها. وهي لم تتحسن في السنوات القليلة المنصرمة. وخلال الأشهر الماضية، ومع مضايقات الطقس السيء، فقد أصبحت حتى أشبه بما كانت عليه في أسوأ أوقاتي.

أما بالنسبة لأختي، فإن الأمور تسير في هذه الأثناء بشكل أفضل نسبياً. ويبدو أن المشروع حقق نجاحاً رائعاً ـ فالاحتفال، الذي كان أشبه بدخول أميري للمستعمرة قبل أربعة أشهر ترك انطباعاً عظيماً عني. وكان هناك نحو 120 ألمانياً، ولحق بهم كثير من الكادحين المحليين؛ وكانت من بينهم عائلات طيبة، كعائلة البارون مالتزان من مكلنبورغ.

لقد ذكرت بك بشدة مؤخراً يا صديقتي العزيزة، وذلك بفضل كتاب يسلط الضوء على الشكل الأمامي في المجلد الأول من «ذكريات مثالي». وكذلك فقد أرسلت إليّ الآنسة فون ساليس، بعرفان كبير، خطاباً عن زيارتها لك.

المخلص نيتشه

يتطلب الأمر عظمة روحية ليتمكن أي شخص من تحمل كتاباتي على الإطلاق. وأنا محظوظ لأني أشعر كل الضعفاء والفضلاء بالمرارة تجاهي.

كان نيتشه يستأجر حجرة عمل بها إضاءةً وألواناً مخصوصة، مما رفع من إيجاره اليومي إلى خمسة ونص فرنك، شاملة وجبتين. وقد كتب إلى أوفربك (في 12 نوفمبر، 1887)، قائلاً إن كل نزيل آخر يدفع أكثر منه (8 إلى 10 فرنك)، وهو ما كان عذاباً لكبريائه. لكنه لو كان قضى الأشهر من نوفمبر وحتى أبريل كل عام بهذه الأسعار، لأنفق نحو نصف معاشه السنوي.

ميتا فون ساليس، من أصدقاء نيتشه في زيورخ، وكانت قد زارته في الصيف وأعطته ألف فرنك لتساعده في نفقات طباعته.

165. نيتشه إلى براندس

سيلس ماريا، 13 سبتمبر 1888

سيدي العزيز:

هل يسعني أن أذكّرك بنفسي طياً من خلال إرسال هدية في هيئة قطعة صغيرة لاذعة، كانت مع ذلك مقصودة بنحو جاد؟ يعود تاريخها إلى الأيام المشرقة في تورينو، ولكن في هذه الأثناء كانت الأيام الشريرة وفيرة، ومع مثل هذا التدهور في الصحة والشجاعة و«إرادة الحياة» ـ مستخدما تعبير شوبنهاور ـ فسرعان ما يبدو الربيع الصغير الهانئ وكأنه لم يكن قط. ولحسن الحظ، فقد استطعت أن أخرج منه خلال مدته الوجيزة بوثيقة أخرى، «قضية فاغنر: مشكلة للموسيقيين». من المؤكّد أن الألسنة الخبيثة ستفسر ذلك على أنه «سقوط فاغنر»[1].

إني أصرّ على إلقائك نظرة على هذا الجزء من نفسانية الموسيقي، مهما كنت تحمي نفسك من الموسيقى، أشد إلهات الفنون إلحاحا. ذلك أنك، يا سيدي الكوزموبوليتي العزيز، أشد أوربية في ذوقك من أن تلحظ فيها مائة ضعف أكثر من مواطني المزعومين، «الألمان الموسيقيين». أما أنا باختصار فذواق للأشياء والأشخاص [باللاتينية]، وسعيد بكوني موسيقيا

(1) كلمة Fall بالألمانية تعني قضية، حالة، وسقوطا أيضا.

بالفطرة إلى حد يمكن معه (في نظري) أن أحل مشكلة القيمة التي تكمن في جذر هذه المسألة عبر الموسيقى.

في الواقع، يمكن القول بأن هذا البحث قد كتب بالفرنسية؛ فمن الأسهل أن يترجم إلى الفرنسية منه إلى الألمانية. هل يمكنك أن تعطيني بعض العناوين الروسية والفرنسية لأناس سيكون من المعقول أن أرسل هذا البحث لهم؟

خلال بضعة أشهر قد تتوقّع صدور شيء فلسفي ما مني تحت عنوان «تأملات نفساني»[1] سأقوم فيه بإخبار العالم، بما فيه شعب الألمان الموهوب، بعض الحقائق النقية المُرضية والمسيئة. لكن هذا كله ليس في الأساس سوى إعادة صياغة للموضوع الرئيس، الذي سيسمى أخيرا «قلب كل القيم». ستكون أوربا مضطرة لاكتشاف سيبيريا سيئة بما يكفي لمن يقدم على هذه المحاولة الجريئة للتقييم.

آمل أنك ستجيب على رسالتي الوقحة هذه بأحد مكاتيبك «الحازمة» المعتادة.

المخلص دوما،

مع كل الود وذكرى الصداقة،

د. نيتشه

(العنوان حتى منتصف نوفمبر: تورين، إيطاليا، يحفظ بمكتب البريد)

(1) وقد غيرّ العنوان لاحقا إلى «شفق الأوثان».

166. براندس إلى نيتشه

كوبنهاغن، 6 أكتوبر 1888

سيدي العزيز:

وصلتني رسالتك وهديتك الثمينة وأنا في خضم حمى شديدة من الإرهاق، ولهذا تأخرت إجابتي.

كان مرأى خط يدك كافيا لأن يوقظ في داخلي توقعات ممتعة. إنه لمن المحزن والمؤسف حقا أنه مرّ عليك مثل هذا الصيف البائس. وكنت أحمق بما يكفي لأظن بأنك خرجت مرة واحدة من آتون المعاناة الجسدية.

لقد قرأت الكتيب باهتمام شديد ومتعة أشد. لست غير موسيقي لدرجة ألا أقدر روح الدعابة فيه. لكنني ببساطة لست قاضيا كفؤا. قبل أيام قليلة من حصولي على الكتاب الصغير، كنت حاضراً في عرض **كارمن**. يا لها من موسيقى رائعة! وعلى الرغم من ذلك، ومخاطرة بإثارة غضبك، يجب أن أعترف بأن أوبرا **تريستان وإيزولده** الخاصة بفاغنر تركت انطباعا عميقا لا يمحى. سمعت الأوبرا ذات مرة في برلين، عندما تعرضت روحي للضرب وكنت في حالة اليأس. شعرت بكل نوتة. لا أعرف ما إذا كان الانطباع الذي تركته عليّ بهذا العمق فقط لأن روحي كانت معذبة.

هل تعرف أرملة بيزيه؟ يجب أن ترسل لها الكتيب، فهو سوف يسعدها.

إنها أجمل النساء وأكثرهن سحرا، تلازمها عزّة مزمنة، من الغريب القول إنها جذابة جدا، لكنها حقيقية تماما، ومليئة بالصدق والنار. المأخذ الوحيد ضدها هو أنها تزوجت، مرّة أخرى، من محام باريسي، ورجل أصيل، يدعى شتراوس. وأعتقد أنها تفهم الألمانية. يمكنني أن أحصل لك على عنوانها، إذا لم يزعجك أنها لم تعد مخلصة لإلهها، بخلاف ما فعلته العذراء مريم، أرملة موزارت، وماري لويز بآلهتهن. إن طفل بيزيه يملك جمالا وسحرا لا يوصف. ولكن كفى ثرثرة.

لقد أعطيت نسخة من الكتاب لمؤلفنا السويدي العظيم، سترندبرغ، الذي حولته تماما إلى معجب بك. إنه عبقري حقيقي، ولكنه مجنون قليلاً، مثل معظم العباقرة (وغير العباقرة!). سأضمن وصول النسخة الأخرى إلى مستحق مناسب.

لا أعرف سوى القليل عن باريس الآن، ولكن يمكنك إرسال نسخة إلى العنوان التالي: المدام الأميرة آنا ديميتريفنا تينيشيف، الدرب الإنجليزي 20، بطرسبرغ. هذه السيدة صديقة لي، وهي على دراية بالعالم الموسيقي في سان بطرسبرغ، وستعرّف بك هناك. طلبت منها من قبل أن تشتري كتبك، ولكنها جميعا، باستثناء إنساني مفرط في إنسانيته، صودرت في روسيا.

ربما سيكون من الأدب أيضا إرسال نسخة إلى الأمير أوروسوف (المعروف لقراء رسائل تورغنيف). إنه مهتم جدا بكل شيء ألماني، وموهوب للغاية، وذواق أدبي. لا يمكنني في هذه اللحظة تذكّر عنوانه، ولكن يمكنني الحصول عليه بسهولة. أنا سعيد بأنك، على الرغم من إعاقاتك الجسدية، يمكنك القيام بهذا العمل الجريء والقوي. سيكون

من دواعي سروري أن تقرأ لي، لكنك للأسف لا تفهم لغتي. لقد أنجزت هذا الصيف كمية هائلة؛ حيث كتبت كتابين كبيرين جديدين (يتألفان من أربعة وعشرين ملزمة وثمانية وعشرين ملزمة)، «انطباعات عن بولندا» و«انطباعات عن روسيا»؛ بالإضافة إلى ذلك، قمت بمراجعة نسخة جديدة من أحد أعمالي الأولى، «دراسات جمالية»، وقمت بتصحيح تجارب الطباعة للكتب الثلاثة أجمع. في غضون أسبوع أو نحو ذلك سأنفض يديّ من هذا العمل، وأبدأ دورة من المحاضرات الفرنسية، وفي أعماق الشتاء سأغادر إلى روسيا من أجل التعافي هناك. هذه هي الخطة التي رتبتها لحملتي الشتوية. نرجو ألا تشهد أي تراجع عن موسكو!

أثق في أنك ستحتفظ دوما باهتمامك الودي بي.

المخلص لك حقا واحتراما،

غيورغ براندس

167. إلى مالفيدا فون مايسينبوغ

[تورينو، 18 أكتوبر، 1888]

صديقتي العزيزة: ليست هذه أشياء أسمح لأي أحد بأن يعارضني فيها. فبالنسبة للبت في مسائل الانحطاط، فأنا محكمة الاستئناف العليا على وجه الأرض، وعلى هؤلاء الناس الحاليين ذوي الغرائز شديدة التدهور أن يعلموا أنهم محظوظون لأن لديهم شخصاً يستطيع أن يخرج لهم من القضايا الغامضة نبيذاً خالصاً. إن معرفة فاغنر بكيفية إيقاظ الإيمان (كما تعبر عنها براءتك التي أقدرها) بوصفه «التعبير النهائي عن الطبيعة الإبداعية»، وكأنه كان «آخر كلماتها»، هو مما يتطلب فعلاً ناجماً عن عبقري، لكنه عبقري كذب... ولي الشرف أنا شخصياً في أن أكون الضد ـ عبقري الحقيقة.

فريدريك نيتشه

الخطاب رد على خطاب أرسلته لنيتشه تحتج فيه على هجمته ضد فاغنر في «قضية فاغنر».

168. نيتشه إلى براندس

تورين، 20 أكتوبر 1888

سيدي العزيز:

مرة أخرى هب علي نسيم لطيف من الشمال مع رسالتك، وهي الرسالة الوحيدة حتى الآن الذي وضعت وجها جيدا، أو أي وجه أصلا، على هجومي القارص على فاغنر. ذلك أنه لا أحد يكتب. حتى في دوائر الأصدقاء الأقرب والأعز، فإن قد خرقت خرقا لا يمكن إصلاحه. فهناك على سبيل المثال صديقي القديم بارون فون سايدليتز في ميونيخ، الذي يصادف لسوء الحظ أن يكون في هذه الأثناء رئيسا لجمعية فاغنر في ميونخ. وصديقي الأكبر سنا، المحامي كروغ، المقيم في كولونيا، رئيس اتحاد فاغنر في تلك البلدة؛ وزوج شقيقتي، الدكتور برنهارد فورستر، المقيم في أمريكا الجنوبية، مناهض معروف لليهود، وواحد من أشد المساهمين في **أوراق بايرويت** حماسة؛ وأخيرا صديقتي الموقرة، مالفيدا فون مايزنبوغ، مؤلفة كتاب **مذكرات امرأة مثالية**، التي تضع فاجنر في مصافّ مايكل أنجلو...

إضافة إلى ذلك، أفهم أنه يجب أن أكون حذرا ضد الأنثى الفاغنرية **المثالية**، التي لن تظهر أي رحمة في الحالات القصوى. ربما ستحمي بايرويت نفسها، على غرار الحكومة الألمانية، من خلال التنديد بكتابي على أساس أنه يشكّل

خطرا على الآداب العامة. حتى إن قولي «نعرف جميعا بالمزاج المخدر للمسيحي يونكر» قد يُفسَّر في حدّ ذاته على أنه **إهانة للجلالة**.

لقد سحرتني استطرادك بخصوص أرملة بيزيه. من فضلك أرسل لي عنوانها وعنوان الأمير أوروسوف. لقد أرسلت بالفعل نسخة إلى صديقتك، الأميرة دميتربيفنا تينيشيف. حين يكون عملي التالي جاهزا، ولن يطول الوقت على ذلك (وهو بعنوان «شفق الأوثان: أو كيف تتفلسف بالمطرقة»)، أود إرسال نسخة إلى السويدي[1] الذي عرّفته عليّ بهذا الذكر المشرف. لكني لا أعرف أين يعيش. هذا الكراس هو فلسفتي باختصار... جذريّة على حافة الإجرام.

أنا أيضاً تأثرت إعجازيا بأوبرا **تريستان**. يبدو لي أن جرعة من تعذيب الروح منشط من الدرجة الأولى يجب أخذه قبل الانغماس مجددا مع فاغنر. وقد دفعني الدكتور فينر المحامي، من لايبزيغ، لفهم أن العلاج في كارلسباد كان من المستحسن أيضا.

كم أنت مجتهد! أما أنا فوا أسفاه! أحمق لا أستطيع فهم الدنماركية. أستطيع أن أصدق تماما أنه من الممكن أن يتعافى المرء في روسيا. أعد أي نوع من الكتب الروسية، خاصة أحد كتب دوستويفسكي[2]، المترجمة لا إلى الألمانية (معاذ السماء!)؛ بل إلى الفرنسية، هي من بين تلك التي جلبت راحة كبيرة إلى ذهني... أنا ممتن لك من كل قلبي، لأن لدي كل الأسباب لذلك.

المخلص نيتشه

---

(1) أوغست ستريندبرغ.

(2) الظاهر أن نيتشه يشير إلى **رسائل من منزل الأموات: أو حياة السجون في سيبيريا**. فقد أكّدت نظريته القائلة إن المجرمين الكبار قد يكونون شخصيات عظيمة.

169. براندس إلى نيتشه

كوبنهاغن، 16 نوفمبر 1888

سيدي العزيز:

كنت أنتظر دون جدوى جوابا من باريس يبلغني بعنوان المدام بيزيه. ومن جهة أخرى، فقد استطعت الحصول على عنوان الأمير أوروسوف. فهو يسكن في 79 شارع سارغيفسكايا، سانت بطرسبرغ. لقد صدرت كتبي الثلاثة الآن، وقد بدأت بمحاضراتي هناك. من اللافت أن ما تكتبه في رسالتك وكتابك حول دوستويفسكي يتطابق مع انطباعاتي عنه. فهو شاعر حقيقي وعظيم، لكنه كائن بغيض، مسيحي كليا في نمط تفكيره وحياته، وساديّ جدا في الوقت ذاته. وأخلاقه تمثل كليا ما سميته أنت «بأخلاق العبيد».

أما اسم السويدي المجنون فهو أوغست سترندبرغ؛ وهو يعيش هنا. وعنوانه بلدة هولته، قرب كوبنهاغن. لديه ولع خاص بك، لأنه يظن أنه يجد في شخصك كل كرهه للنساء. ولهذا السبب فأنت في نظره حديث (يا لسخرية القدر). حين قرأ التقرير عن محاضراتي الربيعية في الصحف قال «من المذهل كم يبدو أنه يوجد عند نيتشه من الأمور التي لعلي كتبتها». وقد صدرت روايته الدرامية الأب بالفرنسية توا، مع مقدمة كتبها إميل زولا. أشعر بالسوداوية حين أفكّر في ألمانيا. يا للأحداث

التي تجري هناك الآن! كم هو محزن أن يفكّر المرء في أنه بحسب الظاهر لن يرى أي شيء جيد خلال تاريخ حياته. ومن المؤسف أنك، كفيلولوجي ضليع، لا تستطيع قراءة الدنماركية. إني أفعل كل ما بوسعي لمنع كتابيّ حول بولندا وروسيا من أن يترجما، وذلك لئلا أطرد أو أمنع من الخطابة حين أسافر إلى هناك مجددا. آمل أن تصلك سطوري هذه وأنت في تورين، أو ترسل إليك بعد رحيلك.

وأنا المخلص لك

غيورغ براندس

170. إلى بيتر غاست

تورينو، 18 نوفمبر 1888

لقد قادت رسالتك إلى تداعيات. فأنا أشعر بشيء أقرب في طبيعته لصعقة كهربية... ودون أدنى تردّد فقد أرسلت بطاقة صغيرة إلى فريتش يقول السطر الأخير فيها: «مع خالص المقت ـ نيتشه». وخلال يومين سأكتب إليه قائلا: «تعال نتصالح يا سيد فريتش. ففي ظل هذه الظروف لا يمكنني أن أترك أعمالي بين يديك. كم ستطلب لقاء المجموعة برمتها؟» إن أمكن أن تترتب الأمور بحيث أستعيد كل حقوق أعمالي ثم أنقلها إلى ناومان، فستكون هذه حركة ماهرة في المفترق الحالي ـ وبعد عامين قد يرغب السيد فريتش في أخذ المسألة بجدية أكبر... ألف شكر! [بالإيطالية] لعل الأمر سيثبت أنك أصبحت السبب في **ثروتي**. أحسب أنه سيطلب 450 باوندا؛ وإن لم أكن مخطئا تماما فقد دفع 300 باوندا لشمايتسنر. فكّر في الأمر! سأصبح أنا المالك **لزرادشت! هذا هو الإنسان** وحده سيفتح أعين الناس. أكاد أسقط من مقعدي فرحا.

لكن هذا كله مسألة عابرة. فأنا قلق بعمق حيال أمر مختلف كليا ـ وهو مسألة الأوبرا الخفيفة الذي تشير إليه رسالتك. لم يكتب لنا اللقاء منذ الوقت الذي تلقيت فيه تبصرة وافية حول هذه المسألة ـ ويا لها من تبصرة! فما دمت تخلط بين فكرة الأوبرا الخفيفة وكل ما قد ينطوي على انحطاط

أو سوقية في الذوق، فأنت إذن - واعذر قسوة التعبير - مجرد ألماني! ... تأمّل فقط كيف يعرّف السيد أودران الأوبرا الخفيفة: «الفردوس الحاوي لكل ما هو رقيق وراقٍ»، بما في ذلك الأشياء الحلوة الرفيعة. قبل وقت قصير كنت قد استمعت لأداء أوبرا **ماسكوت** استمر ثلاث ساعات من دون أي أثر على الفيينية (= الخنزيرية)[1] جرّب فقط أن تقرأ أي إعلان فرنسي عن **أوبريت** باريسي ما؛ ففي فرنسا اليوم يعيش كل العباقرة بحق في فن الخلاعة الفكرية، حسن النية خبيث القصد، النزعات نحو القديم والغريب، **والأمور الإبداعية** بقول مطلق. لكي تكون أي أوبرا خفيفة قادرة على النجاح وسط الضغط الهائل للتنافس فعليها أن تتضمن عشر أغان من المرتبة الأولى. وهناك بالفعل ما يشبه العلم **بالبراعة** في الذوق والتأثير. أؤكد لك أن فيينا أشبه **بالحظيرة**. لو أن بوسعي أن أريك فتاة باريسية مغناجا بحق وهي تبدع - في قطعة واحدة مفردة، كالآنسة جولي أو ميلي ماير - فستقع القشور عن عينيك، أو لنقل: عن الأوبرا الخفيفة. ليس للأوبرا الخفيفة أي قشور، فالقشور **ألمانية** فحسب.

وهنا أظن أن ثمة ما يشبه **الوصفة**. فبالنسبة لأبدان وأرواح كالتي لنا، يا صديقي العزيز، قليل من التسمم بسم **الباريسين** فيه الخلاص ببساطة - حيث نصبح أنفسنا، ونكف عن كوننا ألمانا متصلبين. اعذرني، فإني لم أستطع الكتابة بالألمانية حتى تخيلت أن الباريسيين هم قرائي. وقضية **فاغنر** هي موسيقى أوبرا خفيفة.

كنت مؤخرا فقط قد أثرت نفس الملاحظة حول عمل لطيف حقا للسويدي

---

(1) لعب بالألفاظ في الألمانية بين كلمتي (Schweinerei) و (Wienerei).

السيد أوغست سترندبر[1]، الذي عرّفني عليه الدكتور براندس، أحد معجبيه الكبار. فهذا العمل ثقافة فرنسية تقوم على أساس أقوى وأصح بما لا يقارن؛ وتأثير ذلك ساخر. واسمه **المتزوجون** (باريس، 1885). من الغريب أن أقول إننا نتفق تماما بخصوص «المرأة». وقد لاحظ د. براندس هذا من قبل.

المغزى: **ليس** إيطاليا يا صديقي العزيز! فهنا حيث يمكنني مشاهدة فرقة الأوبرا الخفيفة الرائدة في إيطاليا، أقول لنفسي عند كل حركة تقوم بها تلك النساء الجميلات الهيف، أنهن يقدمن كاريكاتيرا حيًا لكل أوبرا خفيفة. فهن لا يملكن أي روح في سيقانهن الرهيفة ـ فضلا عن رؤوسهن الصغيرة... أما أوفنباخ فهو **متجهم** (وأنا أعني سوقي للغاية) في إيطاليا كما هو في لايبزيغ.

انظر كيف أصبحت الآن حكيما! كيف أقوم بقلب القيم حتى عند صديقي غاست! لم لا أقصد بروكسل... والأفضل من ذلك كله بالطبع باريس ذاتها. السر كله في الهواء... **وكان فاغنر يعلم ذلك**؛ فهو لم يتعلم كيف يقدم نفسه مسرحيا إلا في باريس.

أرجو منك أن تأخذ هذه الرسالة مأخذا تراجيديا.

المخلص دوما، نيتشه

---

(1) أوغست سترندبرغ (1849ـ1912) من رواد المسرح الحديث في السويد. كاتب موهوب عانى خلال طفولته وشبابه، ومر بتجارب متقلبة مع النساء، وعبر عن هذه المرارة في أعماله التي ندد فيها بجنس النساء والحركة النسوية المبكرة. يشبه نيتشه في مروره بانهيار عصبي أيضا (بين عامي 1892 و1898) لكنه استطاع الخروج من هذه الأزمة واستعادة نشاطه الأدبي، مركزا هذه المرة على دور العقل الباطن في الفن والدراما، ومتأثرا بوضوح بفلسفة شوبنهاور ونيتشه.

171. نيتشه إلى براندس

تورينو، 6 شارع كارلو ألبرتو

20 نوفمبر 1888

اعذرني، سيدي العزيز، لإجابتك على الفور. فهناك أمور غريبة تمر وسط هذه الأزمة في حياتي، أمور لم يكن لها مثيل. مرت بي قبل الأمس، واليوم مجددا. آه! لو أنك تعلم ما كنت أكتبه حين وصلتني رسالتك! لقد عبرت عن «نفسي» بقدر من التحكم سيصبح جزءا من تاريخ العالم. سيحمل هذا الكتاب اسم «هذا هو الإنسان»، وهو هجوم على المصلوب دون أدنى شبح تحفظ؛ ينتهي برعود قواصف وبروق لوامع، تعمي وتصمّ، ضد كل ما هو مسيحي أو ملطخ بالمسيحية. إنني باختصار أول نفساني للمسيحية، وبوصفي مدفعيا قديما، يمكنني أن أقذف قنابل أثقل مما كان يحلم أي ند للمسيحية بوجودها. وهذا النص بأسره تمهيد «لقلب كل القيم»، العمل الذي يقع بين يديّ الآن. أقسم لك أننا خلال سنتين سنجعل الأرض المسكونة كلها تنتفض. أنا قدر.

خمن من سيظهر بأسوأ صورة في «هذا هو الإنسان»؟ السادة الألمان! لقد أخبرتهم بأشياء مريعة. على سبيل المثال، يشعر الألمان في ضميرهم بوطأة أنهم خربوا تصوّر آخر حقبة عظيمة من التاريخ، أي عصر النهضة، في لحظة كانت فيها القيم المسيحية، أي قيم الانحطاط، تتعرّض للإهانة،

حين كانت هذه الغرائز حتى في أمراء الكنيسة تخضع للغرائز المناقضة لها تماما، أي غرائز الحياة.

لقد عنى ذلك ببساطة استرداد المسيحية كي تهاجم الكنيسة. سيزار بورجيا بمنصب البابا: كان هذا تصوّر عصر النهضة، ورمزها الأصيل.

ينبغي ألا تغضب أيضا من ظهورك في فقرة حاسمة من الكتاب. فقد كتبتها كإدانة لسلوك أصدقائي، الذين تركوني مهملا بالكامل، من ناحية السمعة والفلسفة أيضا. وعند هذا المنعطف ظهرت أنت للمشهد وبرأسك تحيط هالة المجد[1].

إن ما تقوله عن دستويفسكي هو ما أعتقده تماما. ولكني من جهة أخرى أقدره بوصفه أشد المواد النفسية قيمة في حد علمي. فأنا ممتن له بنحو معتبر جدا، مهما كان متعارضا مع غرائزي الأعمق والأرسخ. أما بالنظر لموقفي من باسكال، فإني أكاد أحبه، لأنه علمني قدرا لا يحدّ. إنه المسيحي المنطقي الوحيد.

في اليوم قبل الماضي كنت أقرأ وأفتتن برواية أوغست سترندبرغ **المتزوجون**، ووجدت نفسي منسجما في صفحاته. لكن العقبة الوحيدة أمام إعجابي المخلص به كانت شعوري بأني كنت أعجب بنفسي في الوقت ذاته!

ما تزال تورين محل إقامتي.

المخلص نيتشه

(1) في نهاية فصل «قضية فاغنر» من كتاب هذا هو الإنسان.

(صرت الآن «وحشاً».)

إلى أين أرسل **شفق الأوثان**؟ إن كنت في كوبنهاغن خلال الأسبوعين القادمين، فلا حاجة إلى الجواب.

172. براندس إلى نيتشه

كوبنهاغن، 23 نوفمبر 1888

سيدي العزيز:

وصلتني رسالتك وأنا في وسط العمل؛ أقدم محاضرات هنا عن غوته، ويجب أن أكرر كل محاضرة مرتين، ومع ذلك يقف الناس لمدة ثلاثة أرباع ساعة في الساحة أمام الجامعة في انتظار الحصول على مساحة للوقوف في الداخل. يسعدني أن أقوم بدراسة أمام هذا الحشد من الأعظم من بين العظماء. يجب أن أبقى هنا حتى نهاية العام. ولكن كنقيض لهذا ظهر موقف مؤلم هو أن أحد كتبي السابقة الذي ترجم مؤخرا إلى الروسية قد أدين في روسيا بوصفه عملا لادينيا، وأمر بإحراقه علنا.

كنت أخشى أنه بسبب كتابي الأخيرين حول بولندا وروسيا فسوف أتعرض للإقصاء؛ أما الآن فيجب أن أسعى إلى حشد كل مصلحة ممكنة من أجل نيل الحماية والإذن للتحدث في روسيا. وأسوأ ما في الأمر أن معظم الرسائل الموجهة مني وإلي تصادر. فبعد الكارثة التي وقعت في بوركي[1] كان الجميع قلقين للغاية. فقد حدثت بعد وقت قصير من الاغتيالات الكبرى. كل رسالة باتت تختطف. يسعدني أن أعرف أنك

(1) في 29 أكتوبر 1885، جرت محاولة اغتيال للإمبراطور ألكسندر الثاني قرب قرية بوركي. حيث انزلق القطار عن مساره، لكن الإمبراطور نجا دون أضرار.

كنت منتجا للغاية. صدقني حين أقول إنني أنشر الدعاية لك بكل طريقة ممكنة. قبل بضعة أسابيع أوصيت هنريك إبسن جديا بدراسة كتبك. فلديك معه أيضا شيء مشترك، على الرغم من أنه مشترك عن بُعد جدا. إن غريب الأطوار ذلك كبير وقوي وغير ودي، لكنه في الوقت نفسه محبوب. سوف يسعد سترندبرغ بمعرفة أنك تقدره. لا أعرف الترجمة الفرنسية التي ذكرتها، لكنهم يقولون هنا أن أفضل الأجزاء في رواية «المتزوجون» قد حذفت، وخاصة الجدل الذكي ضد إبسن. يجب عليك قراءة مسرحيته «الأب». ففيها مشهد جيد، وسيسعده بالطبع أن يرسلها إليك. هل يمكنك أن تتخيل أنه يكره زوجته نفسيا ولا يستطيع التخلي عنها جسديا؟ إنه كاره للنساء مخلص في زواجه.

من غير المعتاد بالتأكيد أن تكون السمة الجدلية قوية للغاية في داخلك. في شبابي المبكر كنت أميل بشغف إلى الجدل. أما الآن فلا يمكنني أن أصف الرجال وأصارع القوى إلا بالصمت. سيكون من المحال لي أن أهاجم المسيحية مثلما يعد من المحال أن أهاجم المستذئبين. أعني: كما في كتابة كتيب ضد الإيمان بالمستذئبين. ومع ذلك أرى أننا متناغمان... أنا أيضا أحب باسكال. لكني كنت فيما مضى أؤيد اليسوعيين ضد باسكال (في **الرسائل الإقليمية**). فبوصفهم رجالا دنيويين أذكياء، كانوا على حق؛ لم يفهمهم، لكنهم فهموه، ويا لها من ضربة متقنة من الوقاحة والفطنة؛ فقد قاموا بتحرير رسائله مع هوامش. وأفضل إصدار هي طبعة اليسوعيين. تصادم آخر من نفس النوع كان ما جرى بين لوثر والبابا. يكتب فيكتور هوغو في مقدمة **أوراق الخريف** هذا التعبير الجيد: «إننا نعقد مجمع وورمز لكننا نرسم كنيسة السيستين. هناك لوثر وهناك أيضا مايكل أنجلو... ونلاحظ

بشكل عابر حضور لوثر في المحالّ القديمة المتهاوية من حولنا، لكن مايكل أنجلو ليس حاضرا.»

انظر جيدا إلى وجه دوستويفسكي، نصف وجه فلاح روسي، ونصف ملامح مجرم، أنف مسطح، عيون صغيرة خارقة تحت جفون ترتجف بمودة عصبية؛ انظر إلى الجبين النبيل، ذي الهيئة المتناسبة؛ الفم التعبيري، المفصح عن عذابات لا تحصى من الكآبة العميقة، من الملذات غير الطبيعية، من التعاطف اللامتناهي والحسد الحثيث! إنه عبقري مصروع، ينبئ ظاهره عن الحليب اللطيف للعطف الإنساني، الذي انغمر به مزاجه، من أعماق حدة شبه مهووسة تصاعدت إلى دماغه؛ وأخيرا عن الطموح، والجهد الوحشي، والضغائن المريرة التي تخلق صخب الروح.

ليست شخصياته فقيرة ومثيرة للشفقة فحسب، بل هم بسطاء مرتقون، عاهرات نبيلات، كثيرا ما يعانون من الهلوسة، موهوبون مصروعون، مجندون ملهمون للاستشهاد، بالضبط تلك الأنواع التي يمكن أن نتخيلها محتشدة حول الرسل والتلاميذ في العصر الأول للمسيحية. لا شك أنه لا يمكن لأي كائنات أخرى أن تكون أبعد عن عصر النهضة! وأنا متحمس جدا لمعرفة كيف دخلت إلى كتابك.

المخلص لك جدا

غيورغ براندس

173. نيتشه إلى ستريندبرغ

نوفمبر 1888

سيدي العزيز:

إن السطور الثمينة من المسيو تاين، التي أرفقها هنا، شجعتني على طلب نصيحتك بشأن مسألة خطيرة للغاية. أود أن يكون لي قراء في فرنسا. كلا، من الضروري أن أقرأ هناك. لكوني المفكر الأكثر استقلالية وربما الأقوى في هذا العصر، والمحكوم عليه بالقيام بمهمة هائلة، لا يمكنني الخضوع للحدود السخيفة التي تفرضها السياسات الوطنية الأسرية اللعينة في أوروبا على شعوبها، وأرفض السماح لمثل هذه القيود بأن تمنعني من تحية القلة الذين قد تكون آذانهم على الأقل منسجمة مع نغمة صوتي. وأنا أعترف بصراحة بأني أبحث عنهم في فرنسا قبل أي بلد آخر. ليس هناك شيء مما يحدث في الحياة الفكرية في فرنسا يعد غريباً علي. يخبرني الناس بأني في الواقع أكتب بالفرنسية على الرغم من أن واسطتي هي الألمانية، وخاصة في زرادشت فقد حصلت على شيء لم يحققه حتى الألمان. سأتجرأ على إخبارك أن أسلافي من جهة الآباء نبلاء بولنديون، وأن جدتي كانت تنتمي إلى فايمار في عصر جوته، وهو سبب كاف لكوني إلى درجة لا تصدق الأشد وحدة تقريبا بين الألمان اليوم. لم تصلني أي كلمة في أي وقت مضى ـ ولأتحدث بصراحة، لم

أكن توقعها أبدا... اما الآن لدي قرّاء في كل مكان، في فيينا، سانت بطرسبرغ، ستوكهولم، ونيويورك - جميعهم من ذوي الفكر الاستثنائي الذين يحترمونني - وأنا أفتقر إليهم في ألمانيا. وحقيقة أن الناس حتى في ألمانيا يشعرون بصعوبة توافقي معهم تثبتها مقالة خطيرة للغاية ظهرت في مجلة Kunstwart، سأتطوع هنا بإرفاقها. مؤلّفها موسيقي من الدرجة الأولى، وهو وحيد عصره، إذا كان لي الحق في إبداء رأي في هذه الأمور، وبالتالي فهو غير معروف.

بما أنه كان من حسن حظي أن أعيّن أستاذا جامعيا في بازل في سن الرابعة والعشرين، لم أجد من الضروري دوما أن أشن الحرب أو أبدد قواي في حركات رجعية ببساطة. ففي بازل عثرت على هذا الرجل المميز، ياكوب بوركهارت، الذي كان منذ البداية يتعاطف معي بعمق. ومع ريتشارد فاغنر وزوجته، اللذين كانا يعيشان في تلك الأيام في تريبشن، بالقرب من لوسيرن، استمتعت بعلاقة حميمية ودية، كانت ذات أكبر قيمة ممكنة بالنسبة لي. ربما أكون في النهاية مجرد موسيقي قديم.

في وقت لاحق، قطعني المرض عن هذه الروابط وأدخلني في حالة من الوعي الذاتي العميق ربما لم يصل لمثلها أي رجل من قبل. وبما أنه لا يوجد شيء مريب أو قسري في طبيعتي، فإني قلما شعرت بالقمع على الإطلاق من هذا العزلة، لكنني اعتبرته بدلا من ذلك تميزا لا يقدر بثمن، أشبه النظافة إذا جاز التعبير. لا أحد يشكو لي حتى الآن من النظرات الكئيبة، ولا حتى أنا. من المحتمل أنني قد اكتشفت عوالم فكرية أكثر فظاعة تشككا من أي شخص آخر، ولكن الأمر ببساطة هو أن من طبيعتي أن أحب البقاع النائية الصامتة. أعتبر البهجة من بين

البراهين في فلسفتي... ولعلّ أفضل دليل على ذلك هما الكتابان اللذين أقدمهما لك اليوم.

المخلص

فريدريك نيتشه

174. ستردنبرغ إلى نيتشه

سيدي العزيز:

لقد منحتَ البشرية بالتأكيد أعمق كتاب في حوزتها، وليس من أقل إنجازاتك أن تملك الشجاعة وربما الدافع الذي لا يمكن كبحه أيضا لقذف كل هذه الكلمات الباهرة في وجه الرعاع. وأشكرك على ذلك. يذهلني مع ذلك أنه مع كل صدقك الفكري، فإنك قد امتدحت صنف المجرمين نوعا ما. ما عليك سوى إلقاء نظرة على مئات الصور التي توضح نمط «الرجل الإجرامي» عند لومبروزو، وسوف تقرّ بأن المجرم حيوان أدنى، منحط، ضعيف، لا يمتلك المواهب اللازمة للتحايل على تلك القوانين التي تمثل عقبة قوية جدا أمام إرادة وقوته. راقب فقط المظهر الأخلاقي بغباء لهذه الوحوش الصادقة! يا لها من خيبة أمل للأخلاق!

أنت ترغب إذن في أن يترجم لك إلى لغتنا الغرينلاندية. لم لا تفكر باللغة الفرنسية أو الإنجليزية؟ يمكنك تخمين ذكائنا من خلال حقيقة أنهم أرادوا أن يضعوني في مصحة عقلية بسبب مأساتي، وأن روحا عميقة وغنية مثل روح براندس يتم إسكاتها من قبل «غالبية الحمقى» هذه.

صرت أنهي كل رسائلي لأصدقائي بـ «اقرأ نيتشه»! لقد أصبحت أشبه بـ «قرطاج يجب أن تدمّر» عندي![1]

---

(1) عبارة كان يستخدمها السياسي الروماني كاتو الأكبر (234-149 ق.م) في ختام خطاباته في مجلس الشيوخ الروماني، تحريضا على شن روما حربا ضد مملكة قرطاج.

على كل حال، فإن عظمتنا ستنخفض منذ لحظة التعرف عليك وفهمك، وسيبدأ أعزاؤنا الغوغاء في التسكع معك كما لو كنت واحدا منهم. كان من الأفضل أن تحافظ على خلوتك النبيلة وسمحت لنا معشر الأغيار، 10000 من الفانين الأرقى، بالحج السري إلى ملجئك من أجل الاغتنام في ثرواتك حتى تسعد قلوبنا. دعنا نحرس العقيدة الباطنية كي نحافظ عليها نقية وخالية من العيوب، ولا ننشرها ونبثها بدون كفاءة التلاميذ المتفانين، الذين يعد منهم.

أوغست سترندبرغ

175. نيتشه إلى ستريندبرغ

سيدي العزيز:

أظن أن طرودنا قد تقاطعت[1] لقد قرأت مأساتك مرتين بأعظم درجات التأثر؛ وقد فاجأني بشكل يفوق الوصف أن أكتشف عملا يعبر فيه عن فكرتي حول الحب ـ الذي تعد الحرب ضمن وسائله؛ وأساسه هو البغض الشديد بين الجنسين ـ بهذا الأسلوب العظيم.

إن هذا العمل مقدر له أن ينتج في باريس في المسرح الحر للمسيو أنطوان. فقط كنْ مصرا على متابعة زولا لهذا الأمر من أجلك! فهو في الوقت الحاضر يمنح أهمية كبيرة لمن يعامله باحترام.

بنحو الإجمال فإني آسف لهذه المقدمة[2]، على أني ما كنت سأفضل التخلي عنها؛ فهي مليئة بالسذاجات منقطعة النظير. فكون زولا غير «مغرم بالتجريد» يذكرني بمترجم ألماني لإحدى روايات دوستويفسكي، كان أيضا غير «مغرم بالتجريد». فقد قام ببساطة بحذف «الاختصارات التحليلية» لأنها أزعجته. تخيل أن زولا غير قادر على تمييز الأنماط عن «كائنات التفكير»! تصور فقط أنه يصرّ على «المشهد المتحضر» الكامل

(1) يقصد شفق الأوثان ورواية الأب.

(2) التي صدّر بها إميل زولا الطبعة الفرنسية من الأب.

للتراجيديا! لكني كدت أتمايل ضحكا حين أقدم في النهاية على جعلها مسألة عرقية! فما دام هناك أي أثر للذوق باق في فرنسا على الإطلاق، فإن غريزة العرق دوما هي التي ترفض بالتحديد ما يريده زولا: إن العرق اللاتيني هو ما يحتج ضد زولا. فهو على كل حال مجرد إيطالي حديث - يقسم بشرف الأدب اليومي[1].

(1) الأدب اليومي: مدرسة في الرواية والشعر تقول بأن دور الفنان الأمثل هو وصف أحداث وموضوعات الحياة اليومية، وعدم التصدي لمشكلات اجتماعية أو فلسفية.

176. نيتشه إلى ستريندبرغ

تورينو، 6 شارع كارلو ألبرتو، رقم 3

سيدي العزيز:

في هذه الأثناء، أرسل لي شخص في ألمانيا رواية «الأب» كدليل على أني أفرط في إثارة اهتمام أصدقائي في شخصية الأب. من المؤكد أن المسرح الحر للسيد أنطوان تأسس على فكرة المخاطرة. ومقارنة بما خاطروا به هناك خلال الأشهر القليلة الماضية، فإن عملك بريء تماما. لقد وصلت الأمور حد أن ألبرت وولف، في مقال متصدر في صحيفة **الفيغارو**، أفصح عن خجله نيابة عن فرنسا. لكن السيد أنطوان ممثل بارز سيختار دور القبطان على الفور لنفسه. وبعد التفكير بروية، أعتقد الآن أن من الأفضل عدم إشراك إميل زولا في القضية، لكني أنصحك ببساطة بإرسال نسخة من المأساة مع رسالة مرفقة مباشرة إلى المسيو أنطوان، مدير المسرح الحر. فهم يحبون إنتاج مسرحيات أجنبية.

يسير موكب جنائزي كبير في الخارج مع أبهة مهيبة: إنها جنازة الأمير دي غافينياني، ابن عم الملك والأميرال الأعلى للأسطول الإيطالي...[1].

ما أروع ما رسمته لي عن السويد! وما أغبطني لك! إنك تستخف

(1) ما تبقى من هذه الفقرة غير مقروء.

بحظك الجيد. *طوبى لهم لأنهم لا يعرفون الكثير* [باللاتينية] - وهذا يعني أنك لست ألمانيا. لا توجد ثقافة أخرى غير ثقافة فرنسا. ليس فيها ما يعترض عليه؛ إنها الصواب نفسه، وهي الثقافة الصحيحة بالضرورة. هل تريد دليلاً على ذلك؟ ولكن أنت نفسك الدليل.

سأرجع الكتب إليك مع خالص الشكر، لأني أفترض أنك لا تملك نسخا كثيرة منها.

بمجرد وصول رسالتك، تلقيت أيضا رسالة من باريس، من السيد تاين، مليئة بالثناء الكبير على **شفق الأوثان** وجرأته وأناقته، مع توصية جادة للغاية لتفويض مسألة...[1] خاصتي في فرنسا، بما في ذلك الوسائل المتعلقة بذلك، إلى يد صديقه رئيس تحرير Journal des Débats وRevue des Deux Mondes، الذي لا يمكن الإطناب في مدح عقله وأسلوبه، ومعرفته العميقة والمتحيزة بألمانيا والثقافة الألمانية. كما حدث، لم أقرأ أي شيء سوى جريدة Journal des Débats لسنوات. في ضوء هذا الافتتاح لقناة بنما الخاصة بي في فرنسا، فقد أرجأت إلى أجل غير مسمى نشر المزيد من الكتب الجديدة (وثلاثة منها جاهزة للطبع فعلا). بادئ ذي بدء، يجب ترجمة الكتابين الرئيسين، **ما وراء الخير والشر وشفق الأوثان**؛ وبهما سأقدّم إلى فرنسا.

مع كل الأماني الطيبة،

المخلص نيتشه

(1) غير مقروءة في الأصل، ولعلّه يشير إلى ترجمة أعماله.

177. ستـرندبـرغ إلى نيتشه

سيدي العزيز:

لقد شعرت بسعادة غامرة لتلقي كلمة تقدير من قلمك القدير بشأن مأساتي التي أسيء فهمها. يجب أن أخبرك، سيدي العزيز، بأني اضطررت إلى منح الناشر إصدارين دون مقابل قبل أن أتمنى أن أرى عملي مطبوعا. وبداعي الامتنان لهذا، فحين قدّمت هذه القطعة في المسرح، توفيت سيدة عجوز من الجمهور، وولّد طفل من امرأة أخرى بنجاح، وعند رؤية سترة المجانين، نهض ثلاثة أرباع الحاضرين نهضة رجل واحد وتركوا المسرح وسط صيحات مهووسة.

ثم تأتي وتطلب مني أن أدفع زولا لعرض تلك القطعة قبل «الباريسيين» لهنري بيك! ربما يؤدي ذلك إلى ولادات جارفة في مدينة المخنثين تلك. والآن إلى شؤونك.

في بعض الأحيان أكتب مباشرة باللغة الفرنسية (ألق نظرة فقط على المقالة المرفقة ذات الأسلوب البوليفاردي، على الرغم من رونقه)، ولكني في بعض الأحيان أترجم أعمالي الخاصّة.

من المجال جدا أن تعثر على مترجم فرنسي لن يعدّل في أسلوبك وفقا للبلاغة التي تلقاها في «الإيكول نورمال»، ويجرد نهجك في التعبير من نضارته البكر. لقد قام بالترجمة الصادمة لرواية «المتزوجون» رجل

سويسري فرنسي (من مقاطعات سويسرا الفرنسية) بمبلغ 1000 فرنك. وقد سدد أجره حتى آخر مليم، ثم طلبوا في باريس 500 فرنك لقاء مراجعة عمله. ومن هنا سوف تفهم أن ترجمة عملك ستتطلب قدرا كبيرا من المال، وحيث أنني وغد فقير مع زوجة وثلاثة أطفال وخادمين وديون، وما إلى ذلك، فليس بوسعي منحك أي تخفي فيما يخص الرسوم، خاصة أنني سأجبر على العمل لا كنصاب أدبي بل كشاعر. إن لم تشعر بالفزع من التفكير في تكلفة ذلك، فيمكنك الاعتماد عليّ وعلى موهبتي. وخلاف ذلك، فسيسعدني أن أحاول العثور على مترجم فرنسي موثوق به قدر الإمكان.

أما بخصوص إنجلترا، فلا أشعر حقا أنني في وضع يسمح لي بقول أي شيء مهما كان؛ لأن علينا، فيما يتعلق بها، أن نتعامل مع أمة من المتعصبين سلمت نفسها لأيدي نسائها، وهذا شاهد على انحلال ميؤوس منه. وأنت تعرف، سيدي العزيز، ما تعنيه الأخلاق في إنجلترا: مكتبات المدارس الثانوية للبنات، كورر بيل[1] الآنسة برادون[2] وما شاكل؛ فلا تلوث يديك بهذا القذر! في اللغة الفرنسية يمكنك شق طريقك حتى في أعمق أغوار القارة السوداء، وهكذا يمكنك أن تترك نساء إنجلترا لابسات السراويل يذهبن إلى الجحيم. أرجو أن تفكر مليا في الأمر وتنظر في اقتراحاتي، ودعني أسمع منك في أقرب وقت ممكن.

في انتظار ردك، وأنا المخلص لك

أوغست سترندبرغ

---

(1) الاسم المستعار لشارلوت برونتي (1816 ـ 1855)، مؤلفة جين آير.

(2) ماري إليزابيث برادون (1835 ـ 1915)، روائية إنجليزية من العصر الفكتوري، ألفت أكثر من 80 عملا. امتازت رواياتها بحبكاتها الجديدة الجذابة وموضوعاتها الاجتماعية الرائجة.

178. نيتشه إلى سترندبرغ

تورينو، 6 شارع كارلو ألبرتو، رقم 3

7 ديسمبر 1888

سيدي العزيز:

هل ضاعت أي رسالة مني؟ فور قراءتي رواية «الأب» للمرة الثانية، كتبت إليك بعدما حفزتني بشدة هذه التحفة في علم النفس القاسي. كما أؤكد لك قناعتي بأنه من المتوقع أن ينتج هذا العمل في باريس الآن في المسرح الحر للمسيو أنطوان. ابق فقط مصرا على متابعة زولا لهذا الأمر من أجلك.

المجرم الوراثي منحط، وحتى أحمق، ذلك أكيد! لكن تاريخ العائلات الإجرامية، الذي جمع عنه الإنجليزي غالتون[1] (**مؤلف العبقرية بالوراثة**) أكبر قدر من المواد، يقود دائما إلى فرد كان أقوى مما يجب في بيئة اجتماعية معينة. كانت آخر قضية جنائية كبيرة في باريس، قضية برادو، عن رجل من النوع الكلاسيكي. كان برادو متفوقا على قضاته ومحاميه،

---

(1) السير فرانسيس غالتون (1822 ـ 1911)، عالم بريطاني من العصر الفكتوري ساهم في فنون شتى: كالإحصاء، علم الاجتماع، علم النفس، علم الإناسة، التحسين الجيني، استكشاف المناطق المدارية، الجغرافيا، المناخ، والقياس النفسي. وهو من أقارب تشارلز داروين، مكتشف نظرية التطور الشهير.

حتى في ضبط النفس، والدعابة والمعنويات عالية؛ على الرغم من أن ثقل الاتهام قد أضر به جسديا لدرجة أن بعض الشهود لم يتعرفوا عليه إلا من صور شخصية مبكرة.

ولكن دعني الآن أخبرك بكلمة أو كلمتين فيما بيننا ـ وفيما بيننا فحسب. حين وصلت إليّ رسالتك أمس ـ وهي أول رسالة تصلني في حياتي على الإطلاق ـ كنت قد أكملت للتو المراجعة الأخيرة لمخطوطة **هذا هو الإنسان**. وبما أنه لم يعد هناك أي صدفة في حياتي، فلا يمكن لك أن تكون صدفة أيضا. لماذا تكتب الرسائل التي تصل في مثل هذه اللحظة!

يجب أن ينشر **هذا هو الإنسان** حقا باللغة الألمانية والفرنسية والإنجليزية في وقت واحد. بالأمس فقط أرسلت المخطوطة إلى الطباعين؛ وما أن تصبح النسخة الأولى جاهزة، سيتم إرسالها إلى المترجمين. **من هم هؤلاء المترجمون؟** بصراحة، لم أكن أدرك أنك كنت مسؤولاً عن اللغة الفرنسية الممتازة «للأب». اعتقدت أنها كانت ترجمة رائعة. وفي حالة استعدادك للقيام بالترجمة، لا يمكنني أن أهنئ نفسي بما فيه الكفاية على مثل هذه المعجزة التي تنطوي على فرصة بارعة. لأننا بحاجة لترجمة **هذا هو الإنسان** إلى شاعر من الرتبة الأولى. إنه تعبير عن شعور خفي، أبعد بألف ميل عن جميع «المترجمين» العاديين. وعلى كل حال، فهو ليس كتابا سميكا. أظن أن الإصدار الفرنسي (الذي ربما سينشره لومير، ناشر بول بورجيه) سيصبح مجلدا عاديا بثمن 3.50 فرنك. ونظرا لأنه مفعم بأشياء لم يسمع بها أحد أصلا، ولأن لغته بمنتهى البراءة لغة حاكم للعالم، فإننا سوف نتفوق حتى في **نانا** في عدد الطبعات[1].

(1)غنوان رواية شهيرة لإميل زولا.

من ناحية أخرى، فإنه معادٍ لألمانيا لدرجة الإبادة. لقد التزمت بحزم جانب الثقافة الفرنسية طوال الوقت (أعامل الفلاسفة الألمان، بشكل جماعي، كمزورين فاقدين للوعي). كما أن الكتاب ليس مملاً ـ لقد كتبت هنا وهناك بأسلوب «برادو». ومن أجل الاحتراس من الوحشية الألمانية (أي المصادرة)، سأرسل النسخ الأولى، قبل النشر، إلى الأمير بسمارك والقيصر الشاب، مصحوبة بإعلان حرب خطي. لا يمكن للجنود الرد على هذا النوع من الأمور من خلال تدابير الشرطة. أنا طبيب نفسي. فقط فكر في الأمر قليلاً يا سيدي العزيز. إنها مسألة ذات أهمية قصوى. لأني قوي بما فيه الكفاية لأشق تاريخ البشرية إلى نصفين. لا تزال هناك مسألة الترجمة الإنجليزية. هل يمكنك تقديم أي اقتراحات حول ذلك؟ كتاب مناهض لألمانيا في إنجلترا!

المخلص نيتشه

179. إلى إليزابيث نيتشه (مسودة)

تورينو، ديسمبر، 1888

أختي: لقد تلقيت خطابك، وبعد أن قرأته عدة مرات، أرى أني مضطر إلى الابتعاد عنك إلى الأبد. فالآن بعد أن أصبح قدري مؤكدًا، أشعر بعشر أضعاف حدة كل كلمة وجهتيها؛ إنك لا تملكين أصغر مفهوم عما يعنيه أن تكوني وثيقة الصلة بالرجل وبالمصير اللذين تقرر منهما مصير ألفية ـ إنني أحمل مستقبل البشرية، حرفياً، في راحة يدي. وأنا عارف بطبيعة البشرية، وأبعد ما يكون عن أن أحكم بالهلاك النهائي للبشرية بناءً على أي قضية فردية؛ وأكثر من ذلك، فأنا أفهم كيف استلزمك الأمر أنتِ بالتحديد، ونظراً لعدم قدرتك على رؤية الأشياء التي أعيش وسطها، للجوء إلى عكس ما أنا عليه. إن ما يريح عقلي هنا هو فكرة أنك نجحت بطريقتك الخاصة، وأن لديك شخصاً تحبينه ويحبك، وأن هناك مهمة ضرورية عليك القيام بها، وأن قدرتك وقوتك ستكون مكرسة لها؛ وأخيراً ـ ولن أخفي ذلك ـ أن هذه المهمة بالتحديد قد قادتك بعيداً للغاية عني، وبذلك لا تصلك الصدمات القادمة التي ستنزل بي مستقبلاً. وكلامي الأخير هذا أمنية أتمناها لك؛ وقبل كل شيء، أطلب منك بحماس ألا تتركِي الفرصة لفضول ودود، بل وخطر في هذه الحالة، ليغريك بقراءة الكتب التي أنشرها حالياً. فمثل تلك الأشياء قد تجرحك بفظاعة ـ وتجرحني أنا أيضاً بقلقي

هذا عليك... وفي هذا الصدد أيضاً، أنا نادم على إرسالي لك كتابي عن فاغنر، والذي كان بالنسبة لي، في ظل هذا التوتر الهائل المحيط بحياتي، بمثابة ارتياح حقيقي ـ كمبارزة صادقة بين نفساني ومغوٍ تقي، والذي لا يراه الناس بسهولة هكذا.

لكي أهدئ عقلك، سأقول عن نفسي فقط أني بحالة جيدة للغاية، وأن لدي يقين وصبر لم أحظ بهما أبداً في ما مضى من حياتي ولو لساعة واحدة، أن أصعب الأمور أصبحت تأتي بسهولة، وأن كل شيء أضع يدي عليه يصبح بحال جيد. إن المهمة التي فرضت عليّ على أي حال هي طبيعتي ـ لذا فالآن فقط بت أفهم ما قدر لي مسبقاً من حظ سعيد. إنني ألعب بعبء بإمكانه أن يسحق أي بشري آخر... ذلك أن ما عليّ فعله أمر فظيع بكل معاني الكلمة. إنني لا أتحدى أفراداً ـ بل أتحدى الإنسانية بأكملها باتهاماتي الرهيبة؛ ومهما يكن الطريق الذي سيذهب القرار فيه، سواء كان معي أم ضدي، ففي كل الأحوال هناك قدر من الهلاك الذي لا يمكن وصفه مرتبط باسمي... أطلب منك، من كل قلبي، ألا تري أي قساوة في هذا الخطاب، بل العكس ـ إنسانية حقيقية، تحاول أن تمنع أي ضرر لا داعي له ـ وأطلب منك، فوق وقبل هذه الضرورة، أن تستمري في حبي.

أخوك

يشير إلى خطاب عيد الميلاد كتبت فيه إليزابيث: «سيؤمن بك عدد كبير من الحثالة».

180. نيتشه إلى هيبوليت تاين

(من مسودة)

سيدي العزيز[1]:

ربما يكون الكتاب الذي أجرؤ على وضعه بين يديك هو أشد الكتب غرابة على الإطلاق - وبالنظر لما يمهّد له الساحة، فإنه يكاد يكون شطرا من القدر. سيكون من القيم بالنسبة لي بنحو لا يحصى لو أتيحت قراءته باللغة الفرنسية. لدي الآن قراء في جميع أنحاء العالم، وهناك البعض في روسيا بالمناسبة. من سوء حظي أني أكتب باللغة الألمانية، على الرغم من أنني ربما أكتبها أفضل من أي ألماني مضى. وأخيراً، سيكون الفرنسيون قادرين من خلال هذا الكتاب على الشعور بالتعاطف العميق الذي يستحقونه. لقد أعلنت كل غرائزي الحرب على ألمانيا (انظر: قسما خاصا بعنوان «الأمور التي يفتقر إليها الألمان»).

هل يمكنك فقط أن ترسل لي تلميحا أو اثنين بشأن من يجب أن أرسل إليهم نسخا من هذا الكتاب؟... إن المعرفة الكاملة بل والمسيطرة على اللغة الألمانية هي يقيناً الشرط الأول لمهمة ترجمته.

المخلص لك مع أعمق الاحترام،

ف. ن.

(1) كانت هذه الرسالة بصحبة «شفق الأوثان».

181. هيبوليت تاين إلى نيتشه

23 شارع كاسيت، باريس

14 ديسمبر 1888

(مترجمة عن الفرنسية)

سيدي:

لقد منحتني شرفا عظيما بإرسالك **شفق الأوثان** إلي. لقد قرأت ملاحظاتك اللماحة (boutades)، وخلاصاتك الكارلايلية الساخرة، وأطروحاتك المداعبة العميقة حول موضوع الكتاب المحدثين. أنت محق للغاية في التفكير بأن أسلوبك الأدبي والخلاب للغاية في اللغة الألمانية يتطلب قراءً على دراية جيدة بالتعابير الألمانية. لست باحثا ألمانيا جيدا بما يكفي لأتمكن من فهم جرأة ودقة كتابتك بالكامل من القراءة الأولى. تقتصر معرفتي باللغة الألمانية على عدد قليل من الفلاسفة والمؤرخين. ونظرا لأنك حريص على العثور على قارئ كفء حقا لعملك، فلا أعتقد أنني سأكون مخطئا تماما في التوصية بالسيد ج. بوردو، محرر Le Journal des Debats وLa Revue des Deux Mondes. إنه رجل مثقف للغاية، واسع الأفق، ومطلع على الأدب الحديث برمته. لقد سافر إلى ألمانيا وأجرى دراسة متأنية لتاريخها

وأدبها منذ عام 1815 وما بعده، وهو رجل ذوق إضافة لكونه علامة. ولكن ليس بوسعي أن أجزم إن كان لديه وقت فراغ يخصصه لذلك في الوقت الحاضر. عنوانه: 18 شارع مارينيان، باريس.

تفضل بقبول خالص شكري ومنحي ثقتك،

المخلص هـ. تاين

نقدّم للقارئ العربي مجموعة مختارة من رسائل الفيلسوف الألماني فريدريك نيتشه (١٨٤٤ - ١٩٠٠) إلى ذويه وأصدقائه وصديقاته، وهي رسائل نادرة كتبها في خلال حياته، من بين رسائل أخرى، تكشف عن جوانب عدّة من علاقاته مع فلاسفة ومفكّرين ومبدعين وموسيقيين تعرّف إليهم في حياته المليئة بالنشاط الفلسفي، كما أنها تكشف عن يوميّات هذا الفيلسوف وافر الإنتاج ومواقفه حول قضايا عديدة كانت محط اهتمامه، رسائل تكشف عن نيتشه الإنسان؛ عن مشاعره وأحاسيسه، عن حبه وغضبه، عن كتاباته شبه الشهرية إلى أمه وأخته، نيتشه الإنسان والفنان عاشق الموسيقى وعازفها..، رسائل عن أوجاع وآلام نيتشه في رحلته مع المرض الذي كان ينال منه، وهي رسائل تبيّن للقارئ الكيفية التي كان هذا الفيلسوف يكتب فيها تأريخه الشخصي اليومي على هامش كتابة مؤلّفاته الكبرى التي يعتز بها التاريخ الفلسفي الحديث والمعاصر.

فريدريك نيتشه

رسائل نيتشه

مختارات من سيرته وفلسفته

9 789922 634180

منشورات تكوين
TAKWEEN PUBLISHING

www.takweeen.com | Publishing@takweeen.com